

میرجی زیدان

العزف قبل الاستلام

دارالهدى



Bibliotheca Alexandrina

0005598

العرب قبل الإسلام

يبحث في أصل العرب وتاريخهم ودولهم وتمذنتهم
وآدابهم وعاداتهم من أقدم أزمانهم الى ظهور الاسلام

سأمة
جرجى زيدان

طبعة جديدة راجعها وعلق عليها
الدكتور حسين مؤنس
أستاذ التاريخ الاسلامى بكلية الادب
بجامعة القاهرة

دار الهلال

تقديم

بقلم الدكتور حسين مؤنس

تعلمت نفسي بإعادة نشر هذا الكتاب منذ أكثر من عشر سنوات ، وقد كنت اذ ذاك قائما على تدريس تاريخ العرب قبل الاسلام ، فحرصت على ان اجمع كل ما تيسر لى من الاصول والمراجع عن ذلك الموضوع المتشعب الاطراف ، لاستخرج منها شيئا نافعا ا قوله للطلاب ، وكنت أعجب اشد العجب من أن أجد كتاب «جرجى زيدان» - على صغر حجمه وتقدم زمن تأليفه - قد حوى معظم ما تهتم القارئ معرفته عن تاريخ العرب وحضارتهم قبل الاسلام ، وجمع أطراف ذلك الموضوع على نحو أصبح بعد ذلك منهجا للكثيرين ممن يطلبون التأليف فيه في الشرق والغرب على السواء . . ذلك ان كتاب «جرجى زيدان» معروف عند الباحثين في تاريخ العرب جميعا ، وقد ترجمت قطع كثيرة منه ونشرت في الصحف العلمية في ألمانيا ، وانجلترا خاصة ، وناقش الباحثون آراءه ونظرياته في أكثر من مناسبة ، ولا زال الكتاب في رأيي منهجا صالحا لبحث هذه الحقيبة المتطاولة من تاريخ العرب ، وان اختلف الكثيرون من الباحثين معه في التفاصيل وبعض الآراء

ذلك ان تاريخ العرب قبل الاسلام يعد من اعسر موضوعات التاريخ العربي وأعزها على الدارسين ، لانه يتطلب من القائم عليه العلم بلفات شتى لا يعرف بعضها معرفة يطمأن اليها الا القليلون ، بعضها لغات قديمة معروفة كلفات بابل ، واشور ، ومصر القديمة ، والعبرانية ، والآرامية ، واليونانية ، واللاتينية ، وبعضها لا يزال الباحثون في شك من امره ، ثم ان الباحثين الذين توفرُوا على دراسة نصوص ذلك التسارخ معظمهم من الالمان ، وقد نشرُوا أبحاثهم في مجلات علمية لا يعثر الانسان عليها الا بصعوبة ، ومن هنا أصبح التخصص في ذلك الموضوع عناء لا يطلبه الا ذوو الصبر والهمة من الباحثين . ولقد تصدى لذلك الاستاذ الدكتور جواد على الباحث العراقي ، فقدم لنا خدمة من اجل ما قدم لتاريخنا العربي ، وقد جمع على طول السنين مادة استغرق عرضها سبعة مجلدات الى الآن ، ولا زال البحث سائرا بين يديه . ونظرة عابرة على أسفاره الضخمة تعطى الانسان فكرة عن عسر ذلك الموضوع واتساع آفاقه . وصعوبة

التوصل في بعض اجزائه الى رأى يمكن التعويل عليه

واذا كان الباحثون المعاصرون قد وسعوا آفاق البحث في ذلك الموضوع الى الحد الذى اشرنا اليه ، فان الخطوط العريضة التى رسمها جرجى زيدان لا زالت الاطار السليم الذى يلم بأطراف الموضوع ويعرضها عرضاً متصلاً منطقياً معقولاً . وربما مال نفر من المؤرخين عن الأخذ ببعض ما ذهب اليه من ان الحضارة البابلية حضارة عربية او ان اللخمين والمناذرة يندرجون في عداد عرب الجنوب ، ولكنهم لم يعتمدوا في ذلك على حجج لا تقبل النقض بحيث يمكن القول بان نظريات جرجى زيدان في هذه النواحي لم تعد مقبولة من وجهة نظر العلم ، اذ لا زال الأمر فيها كلها موضع مناقشات طويلة بين العلماء ، واذن فلا بأس من أن تنشر آراء رائد مدرسة المؤرخين المصريين كما هى ليطلع عليها من يعنيه الأمر

وقد كان في نية المؤلف أن يتبع هذا الكتاب بكتاب ثان يستوفى فيه الكلام عن النواحي الفكرية والدينية ، ويفصل فيه الكلام عن عرب الحجاز ، وإعد لذلك مادة طيبة لا زالت باقية بخطه في مكتبته ، ولكنه شغل عن نشرها ب « تاريخ التمدن الاسلامى » ووجد بعد ذلك انه استوفى هذه النواحي في الجزء الاول من « تاريخ التمدن » واستغنى بذلك عن الجزء الثانى من « تاريخ العرب قبل الاسلام » ، فليطلب القارئ فيه ما يريد من العلم بالنواحي الفكرية والدينية من هذا التاريخ وكل ما يتصل بحضارة الحجاز قبل الاسلام

وقد حرصت في هذه الطبعة التى قمت بمراجعتها على أن ادع متن الكتاب كما هو دون تغيير ، ولم امسه بالتعديل الطفيف الا في الحالات التى دخل عليها خطأ بسبب عدم حرص الذين اشرفوا على طبع الكتاب على المراجعة والدقة اللازمين ، وربما صححت هنا تاريخاً وهناك اسم علم ، ولكنى اقيمت اصل الكتاب كما هو على كل حال

واضفت ما رايت اضافته من التعليقات والشروح والتفصيلات على هامش الكتاب ، وقد حرصت على أن أحشد في هذه التعليقات جل ما انتهى اليه البحث والدرس في كل موضوع ، وذكرت المراجع الحديثة والنظريات الجديدة وما الى ذلك ، بحيث تصبح هذه الطبعة الجديدة من « تاريخ العرب قبل الاسلام » لجرجى زيدان مرجعاً نافعا للباحثين في تاريخ العرب والاسلام وقد تحدثت في مقدمة « تاريخ التمدن الاسلامى » عن جرجى زيدان المؤرخ والاديب ، وذكرت فضله على تاريخ العرب وحضارتهم ، وبقي أن

أؤكد هنا تقديرنا - نحن المؤرخين المصريين - لهذا العالم الجليل الذي يعتبر بحق رائد المدرسة المصرية من المؤرخين ، ومؤسس علم التاريخ على المناهج الحديثة عند العرب المعاصرين

لقد قمت بهذا العمل تحية صادقة لمصرى عظيم ، فقد نزل جرجى زبدان بلدنا شابا فياضا بالملكات والحيوية وأحب بلدنا واتخذ وطننا ، وكتب في تاريخ العرب والإسلام قصصا تجعله دون شك علما من اعلام الادب العربى الحديث ، والف في التاريخ كتبنا لا زال بعضها فريدا في ميدانه ، كتاريخ التمدن الاسلامى . بل ان له كتابا حافلا في تاريخ مصر لا يعرفه الا القليلون مع انه من احسن ما كتب في هذا الموضوع . فهو من هذه الناحية مؤسس المدرسة المصرية الحديثة في التاريخ ورائد من رواد التاريخ العربى العام . وهذا الجهد الذى أبدله في اعداد كتبه على الصورة التى يراها القارىء انما هو تحية تقدير من خلف لسلف ، ورمز على اتصال تقاليد مدرسة المؤرخين المصريين

حسين مؤنس

تنبيه

تعليقات الدكتور حسين مؤنس مشار إليها في الهامش بعلامه (هـ) تميزا لها عن تعليقات المؤلف الأصلية أشار إليها بالأرقام

مقدمة

عمومي تاريخ العرب

ما برح تاريخ العرب قبل الاسلام مطلب القراء وعقبة الكتاب من مصدر الاسلام الى الآن ، وقد حال سقمه وعموضه دون ايفائه حقه . ويظهر مقدار ذلك العموض على الخصوص لمن يتوخى التحقيق والضبط ، أما غير المحقق فانما يهمه جمع ما يقال على علته ، لا يبالي بما فيه من التناقض او التضارب ولو خالف المنقول والمقول . ذلك كان شأن أكثر الذين طرخوا هذا الموضوع من اول عهد التدوين في اللغة العربية . على اننا لا نعرف من مئات المؤرخين واصحاب الاخبار في اثناء التمدن الاسلامي واحدا افرد كتابا خاصا في هذا الموضوع ، وسنبين ذلك مفصلا في التمهيد الذي يلي هذه المقدمة

فبقى هذا التاريخ الى امد غير بعيد مجموع غرائب وخرافات ومبالغات ، تتناقلها الاجيال بلا تحقيق ولا تمحيص ، ولا تزداد بالنقل الا اضطرابا وابهاما . وقد زادت في اثناء العصور الوسطى تلبكا ، على اثر انحطاط شأن العرب وذهاب دولتهم ، اذ ارادوا ستر ضعفهم بما يروى عن اجدادهم ، فعمدوا الى التفاخر بأسلافهم الفاتحين وما كانوا عليه من المناقب العربية ، فزادوا اخبارهم مبالغة او جمعوها واكثرها منها بلا تعديل ولا ضبط ، فقلبت الاوهام فيها على الحقائق ، وذهب الصحيح منها بجريرة الفاسد ، والقوم في اثناء تلك الظلمة مقيدو الفكر واللسان ، انما ينقلون ما يسمعون لا يلتفتون بمئة ولا يسرة ، واذا عملوا فكرتهم فلا يتجاوزون بها قيود التقليد التي استرقت افكارهم وقطعت ألسنتهم على غير قياس أو برهان ، الا النزر اليسير من المفكرين

فلما انحلت تلك القيود في اثناء التمدن الحديث بما اكتشف العلماء من نواميس الكون وقواعد الوجود ، رجع الناس الى القياس واخذوا في نبذ ما يخالف المعقول ، فنبخ جماعة من المحققين نظروا في التاريخ نظر الناقد ، وفيهم جماعة يهمهم الاطلاع على تاريخ الاسلام ، فقرأوه في مصادره فأدهشهم ما رأوه فيه من أعمال العرب في صدر الاسلام ، وما كان من اكتساحهم العالم المتمدن في ذلك العهد ، وهم جماعات من اهل البادية ، لا خبرة لهم ولا دربة عندهم ، فقلبوا الروم والفرس واستولوا على الملكتين في بضعة عشرة سنة ، مما لم يسمع بمثله في تاريخ الامم قديما ولا حديثا . ثم انشأوا الدول ونظموا الحكومات وجندوا الجيوش ، فأصبح من أقصى أمانى المحققين معرفة حقيقة ذلك الشعب ، فأخذوا يبحثون في تواريفهم القديمة ، ويطبقون ما رواه العرب على ما ذكره اليونان أو غيرهم ،

فعرفوا أشياء لم يعرفها العرب أنفسهم ، فزادوا رغبة في استيضاح ذلك التاريخ باستنطاق الآثار المكتوبة وغير المكتوبة في انقاض الدائن العربية في اليمن والحجاز ومشارف الشام ، ولكنهم لم يكونوا يستطيعون الوصول الى تلك الأماكن الا بالعناء الشديد ، فلم يقفوا الا على القليل منها كما سنفضله فيما يلي .. على ان هذا القليل أزاح الستار عن كثير من الغوامض ، وكشف عن دول وامم لم يعرفها العرب ولا اليونان

ومع ذلك فالكتاب المحققون ما زالوا يتهيبون التأليف في تاريخ العرب قبل الاسلام ، وقد حاوله غير واحد منهم ورجعوا من نصف الطريق أو أوائله ، حتى أصبح الناس يعدون هذا الموضوع من الطلاسم التي ضاع سرها واستحال حلها . ولم يقدم على الكتابة فيه في عهد هذا التمدن الا كوسان دي برسفال (*) المستشرق الفرنسي الشهير في اواسط القرن الماضي ، فوضع كتابا في ثلاثة مجلدات خصص المجلدين الاول والثاني منه للعرب قبل الاسلام ، فكان له دوى في عالم المستشرقين لأن المؤلف بذل جهده في تبويب الكتاب وترتيبه وايضاح مشكلاته ، ولكنه كتبه قبل اكتشاف الآثار وحل رموزها ، فعول على اقوال العرب واليونان وفسرها تفسيراً يعتمد على ذكاء وعلم غزيرين ، على أنه لو قدر له أن يعيد النظر فيه اليوم لفضل كتابة سواء على تنقيحه

ولم يقدم احد بعد برسفال على التأليف في تاريخ العرب على النسق الذي نحن بصده ، الا ما ينشره أهل البحث من النقوش التي يقرأونها أو الاطلاع التي يكتشفونها ، أو ما يتناقشون فيه من الآراء في بعض أجزاء التاريخ بناء على ما قاله اليونان أو دلت عليه الآثار . ولم يكن ذلك الا ليزيد الناس رغبة في ظهور مثل هذا الكتاب ، حتى تبرع المغفور له اوسكار الثاني ملك اسوج (السويد) منذ نحو عشرين سنة بجائزة سنوية تمنح لمن يؤلف احسن كتاب في « ان العرب قبل الاسلام » ، فتصدى لاجابة الاقتراح غير واحد من ارباب الاقلام ، وعرضوا مؤلفاتهم في الوقت المعين على اللجنة المنوط بها فحص تلك المؤلفات وتعيين مستحق الجائزة منها . فقررت انه ليس بينها كتاب يستحقها على مقتضى الشروط المطلوبة ، لكنها اختصت كتابا منها بالذكر ألفه السيد محمود الالوسي فضلته على رفاقه وأجازت لصاحبه نشره ، فنشره في ثلاثة مجلدات واعتبر نفسه نال الجائزة ، وهو كتاب « بلوغ الأرب في احوال العرب » ،

(*) Coussin de Perceval, Essai sur l'histoire des arabes avant l'islamisme (1847-1848) في ثلاثة مجلدات ، وقد جمع فيه معظم ما في الكتب العربية عن العرب قبل الإسلام ، وانضاف اليه ما ظهر الى ايامه من نتائج أبحاث المستشرقين والباحثين الارببيين ، وقد اعيد طبع هذا الكتاب سنة ١٩٢٠ مع تعليقات اضافية لم تغير من صلب الكتاب شيئا

يشتمل على أكثر ما جاء في الكتب العربية من أخبار العرب قبل الإسلام وأيامهم ومشاهيرهم وأديانهم وأوابدهم وعاداتهم ، رتبها في أبوابها لكنه لم يتعرض لتجميعها وقلما تصدى للتاريخ أو التمدن على النمط الجديد

وكنّا في أثناء ذلك قد اخترنا الحظّة التي سرنا عليها في خدمة اللغة العربية ، نعى نشر التاريخ وآدابه وفلسفته ودرس تاريخ الشرق ولاسيما تاريخ العرب والإسلام وآداب اللغة العربية . وقد علمنا أن درسنا لا يكون واقياً أن لم نفهم تاريخ أصحاب هذه اللغة ، وهم الذين قاموا بالإسلام ونهضوا بالشرق . فوافق اقتراح ملك أسوج ما تمنناه أنفسنا ، ولبشنا ننظر ما تجود به قرائع الكتاب ، فلما رأينا خيبة الاقتراح كما تقدم عزمنا على درس الموضوع من كل وجوهه ، فلم نترك كتاباً أو رسالة تتعلق به مما كتبه العرب أو اليونان أو اكتشفه الرواد من الآثار الا اطلعنا عليه وتفهمناه ، غير ما دار بين العلماء المستشرقين من الأبحاث أو المناقشات في هذا الشأن . فلم يفتنا شيء منها نشر بالانجليزية أو الفرنسية أو الألمانية الا طالعناه ونحن صابرون ، حتى يستوفى البحث حقه ويتمكن العلماء من كشف ما يكفى من الآثار لايضاح ذلك التاريخ .. وإذا بالقراء بلحون في اقتراحهم علينا تأليف تاريخ الإسلام . ولا يكون هذا التاريخ واضحاً أن لم يتقدمه تاريخ العرب قبل الإسلام ، فاستخرنا الله في تأليف هذا الكتاب

وتبين لنا بعد استيعاب مواده انه لا يسعه جزء واحد ، فقسّمناه الى جزئين : الاول في تاريخ العرب يصدر الآن ، والاخر في آدابهم وعاداتهم يصدر في السنة القادمة ان شاء الله (✽)

موضوع هذا الجزء

فالجزء الاول الذي نحن بصدد موضوعه تاريخ العرب قبل الإسلام. وقد صدرناه بتمهيد في مصادر هذا التاريخ المدونة في الكتب والمنقوشة على الآثار ، والمدونة اما عربية او يونانية او لاتينية . وذكرنا أهم المؤلفين من العرب واليونان واللاتين الذين ذكروا شيئاً عن العرب أو بلادهم . وأما المصادر المنقوشة فمنها ما وجدوه في بلاد العرب ومنها ما وجدوه خارجها . وفصلنا تاريخ الاكتشافات الآثرية في اليمن وحضرموت وبطرا وغيرها ، وتكلمنا عن المصادر المنقوشة خارج بلاد العرب في بابل وآشور ومصر . وختمنا هذا الفصل بأسماء الكتب التي استعنا بها في تأليف هذا الكتاب - قسمناها حسب لغاتها ورتبناها باعتبار الهجاء ، وذكرنا بجانب كل كتاب اسم مؤلفه وسنة طبعه - حتى يتمكن الباحث من الرجوع إليها عند الحاجة

ثم افردنا فصلا خاصا بجغرافية بلاد العرب ، بينا فيه حدودها القديمة ، وما كان يعنيه القدماء بقولهم « بلاد العرب » ، وما معنى لفظ « العرب » في أصله وكيف تبدل الآن واتسع . وبحشنا في من هم العرب ، وأين هو مهد الساميين واختلاف الآراء فيه . ثم عمدنا الى موضوع الكتاب أى تاريخ العرب ، واعملنا الفكرة في أفضل الطرق لتقسيمه ، لأن تقسيم الكتاب وتبويبه اكبر خطوة في تأليفه ، فرائنا أن نقسمه الى ثلاثة عصور أو اطوار ، هى :

اولا - الطور الاول

سميناها الطبقة الاولى أو العرب البائدة أو عرب الشمال في الطور الاول . واردنا بهذه الطبقة أقدم أمم العرب وفي جعلتها الامم التى يسميها العرب بائدة ، ونعنى بها الدول العربية التى ظهرت ودالت قبل ظهور عرب اليمن القحطانية . واطلقنا على عرب الطبقة الاولى أيضا اسم « العمالة » وجعلناها قسمين كبيرين :

١ - عمالة العراق ، وهم دولة حمورابى في بابل منذ القرن الخامس والعشرين قبل الميلاد ، ووردنا الأدلة التاريخية واللغوية والاجتماعية على أن هذه الدولة عربية . ولا يخفى ما في ثبوت ذلك من الفخر للعرب ، لأنه اذا صح كان العرب أسبق الأمم الى وضع الشرائع وسن النظم وترقية شؤون الاجتماع . وقد أتينا بأمثلة من رقى تلك الدولة (*)

٢ - عمالة مصر، وهم الذين يسميهم المؤرخون ملوك الرعاة أو الهكسوس وسميئناهم « الشاسو » وختمنا الكلام في هذه الطبقة بأخبار بقايا العمالة ومنها عاد وثمود وطسم وجديس وغيرها من الأمم البائدة عند العرب ، وأضغنا اليها دولتين عربيتين لم يعرفهما العرب هما دولة الانباط في بطرا ودولة التدمريين في تدمر . وبحشنا في بطرا وأصلها من عهد الادوميين ، وفي الانباط وأصلهم وهل هم عرب ، وأتينا بأسماء ملوكهم وسنى حكمهم وتقوهم ولغتهم وحرفهم وتمدنهم . وفعلنا مثل ذلك في التدمريين ، وأصل تدمر وتاريخ زينوبيا وأذينة وحروبها وهل هى الزباء عند العرب ، وأضغنا فصلا في آثار تدمر وصورتها أهم انقاضها وأتينا بمثال من تقودها

وقبل التقدم الى الكلام عن الطبقة الثانية ذكرنا امما متفرقة في شمال جزيرة العرب عرفها اليونان ، ثم أجمعنا القول في الأمم التى غزت بلاد العرب

(*) سنملى على ملحق المؤلف هذا في موضعه من الكتاب . ويكفى أن نذكر الآن أن هذا الملحق الذى لم يؤيد الأبحاث وانصرف العلماء عنه ، يدل على الروح العربية القومية التى كان يمتاز بها جرجى زيدان ، فقد أراد ، عن طريق البحث العلمى أن يقبض الى العرب أمجاد حضارات الاشوريين والبابليين ويصطلحهم من أعظم الشعوب المنشئة للحضارات حتى قبل الاسلام

في عهد الطبقة الاولى ، فاشرنا الى الفراعنة الذين اكتسحوها بين القرن السابع عشر والثاني عشر قبل الميلاد ، ثم الذين غزوها من ملوك آشور وهم ستة ، اولهم تغلات بلاسر في القرن التاسع قبل الميلاد وآخرهم نبوخذنصر في القرن السادس قبل الميلاد ، ثم فتوح الفرس والروم وهي قليلة . ورسمنا لآخبار هذه الطبقة خريطة خاصة

ثانيا - الطبقة الثانية

وقد أردنا بالطبقة الثانية سكان بلاد اليمن الذين يسميهم العرب بنى قحطان ويسمون دولهم حمير والتبابعة ، فقدمنا الكلام بجغرافية مختصرة ، ثم اتينا بقول العرب عن دول اليمن وما يقوله اليونان عنها . وعمدنا بعد ذلك الى ما كشفه المنقبون في الآثار من الدول الاخرى ، وأخيرا بسطنا نتيجة ما وصلنا اليه بعد الجمع بين كل هذه المصادر وتمحيصها وتطبيقها ، فجعلنا الدول التي حكمت اليمن ثلاثا كبرى ، وهي الدولة المعينية والدولة السبابة والدولة الحميرية . وفصلنا أحوال كل دولة على حدة بأسماء ملوكها وأصولها ، وبيننا أن أصل الدولة المعينية من بابل هاجر أصحابها الى اليمن بعد ذهاب دولة حمورابي ، واستدللنا على ذلك من المشابهة بين شكل حكومة المعينيين وديانتهم ولغتهم وأسماء ملوكهم وما عند البابليين من ذلك ، وذكرنا أسماء ملوك معين

وأما الدولة السبابة فبحثنا أولا في أصلها ، وترجع عندنا أنها من جالية الحبشة نزل آباؤها بلاد اليمن قديما وتوطنوها واتخذوا عادات البلاد ولغتها وتمدينها ، حتى ظهرت فيهم دول تولت حكومتها أولا باسم سبا ثم باسم حمير ، وذكرنا أسماء ملوك كل منهما نقلا عن الآثار ، وقابلنا بين ما في الآثار عن ملوك حمير وما ذكره عنهم العرب ومحصناه وعينا سننى كل ملك منهم بالأدلة والقرائن . وختمنا تاريخ دول اليمن الكبرى بالكلام عن العصر الحبشى ، وسردنا علائق الاحباش باليمن منذ القدم حتى فتحوها في أوائل القرن السادس للميلاد ، وبسطنا سبب ذلك الفتح عند العرب وعند اليونان

ثم ذكرنا دول اليمن الصغرى ، فبدانا بالاذواء والاقبال واثبتنا دولا عرفها اليونان ولم يعرفها العرب وهي الجبائية والقنابية وغيرهما . وأخيرا وصفنا تمدن اليمن القديم ، وقسمنا الكلام فيه الى عدة أبواب : في النظام الاجتماعى والصناعة والزراعة والتعدين والعمارة والتجارة والحضارة والدين واللغة والكتابة ، وتركنا الكلام في الثلاثة الاخيرة للجزء الثانى من هذا الكتاب . أما تلك ففصلناها واثبتنا بأمثلة من نقود اليمن ، وصورنا مدينة مأرب بعد خرابها وبقايا حرم (قصر) بلقيس وأقاصى غمدان . ووصفنا قصور اليمن وأفرودنا فصلا خاصا للأسداد وخصوصا سد مأرب أو سيل العرم المشهور ، ورسمنا له خريطة واضحة تظهر فيها هندسة

ذلك الخزان العظيم وسبب تدممه ، ورسمنا لتاريخ هذه الطبقة خريطة خاصة ذكرنا فيها البلاد التي كانت عامرة على عهدها

ثالثا - الطبقة الثالثة

واردنا بالطبقة الثالثة العرب العدنانية أو الاسماعيلية او عرب الشمال في الطور الثاني . مهدنا الكلام في اصولهم والفروق بينهم وبين القحطانية من حيث البداوة والحضارة واللغة والدين ، واوردنا اقدم اخبار العدنانيين من ايام التوراة الى ظهور الاسلام ، واوضحنا تفرقهم وعلاقاتهم بشجر الانساب من قضاة وريعة ومضر وغيرها ، وذكرنا دول قضاة وسائر اخبارها وتشعب سائر العدنانية

وقبل التقدم الى اخبارها وايامها وحروبها تكلمنا عن دول القحطانية خارج اليمن ، نعني دول الفساسة والمناذرة وكندة وغيرها ، ولنا رأى في انسابها . وبحسنا في كل دولة بحثا دقيقا ، جمعنا فيه بين ما قاله العرب وما قاله اليونان والسيان او دلت عليه الآثار والنقوش او ارشدتنا اليه القرائن ، واوضحنا ذلك كله بالخرايط والرسوم والجداول . وفي الختام أثبتنا على اخبار العدنانية اهل البادية وايامهم ، وكيف تخلصوا من سيطرة اليمن حتى جاء الاسلام ، وافردنا فصلا لحضر العدنانية في مكة . ورسمنا لهذه الطبقة خريطة خاصة تعرف بها اماكن القبائل في نجد والحجاز ومشارف الشام والعراق ، وعينا اسماء الامكنة التي وقعت فيها الحروب بين تلك القبائل وغير ذلك

وقد بذلنا الجهد في تحقيق ما كتبناه وضبطه على ما وصل الينا علمه مما بين ايدينا من الكتب او النقوش ، مع علمنا أن ما بقى مدفونا من اخبار هذه الامم تحت الرمال أكثر كثيرا مما كشف لنا ، ولذلك فلا نستغرب اذا رأينا بين مكتشفات المستقبل ما يحملنا على تعديل رأينا في بعض النقاط المبهمة . واذا انتج بحثنا في هذا الموضوع فائدة فالفضل راجع الى رجال الهمة والنشاط الذين عرضوا حياتهم للخطر في التنقيب عن الآثار وحملها الى العالم المتمدن ، وللذين حلوا رموزها واستخرجوا كنوزها من العلماء والمستشرقين

ولا ينبغي لنا أن ننسى الفائدة التي استفدناها من دار الكتب الخديوية ، وما كان يعهده لنا حضرة ناظرها الدكتور مورتس تسهيلا للوقوف على الكتب اللازمة للمطالعة او المراجعة او يرشدنا الى ما صدر منها حديثا

وغاية ما نرجوه من وراء ذلك أن تزيد مواضع الإصابة في هذا الكتاب على مواضع الخطأ ، ولا نقول ان كل خطأ سهو جرى به القلم بل نعترف قولا . ما نجعل أكثر مما نعلم ، وما تمام العلم الا لمن علم الانسان ما لم يعلم

تمهيد
في
مصادر تاريخ العرب قبل الاسلام

سقم هذا التاريخ

ليس في تواريخ الأمم الراقية أسقم من تاريخ العرب قبل الإسلام ، حتى تهيب الكتّابون الخوض فيه لوعورة مسلكه وتناقض الأقوال فيه . وبمكس ذلك تاريخهم بعد الإسلام ، فانهم لم يتركوا خبراً من أخباره أو رواية أو واقعة إلا دونوها وفصلوها ، كأنهم شغلوا بهذا عن ذاك أو لعلهم أرادوا نحو مفاخر الجاهلية وإقامة مجد الإسلام مكانها . ولذلك لا نجد لهم كتاباً خاصاً بتاريخ العرب قبل الإسلام ، وإذا ذكروا شيئاً من أخبارهم إنما يريدون به العبرة والموعظة ، كأخبار عاد وثمود بما تحويه من غضب الله على قوم خالفوا أنبياءه وأن التبابعة مع ضخامة ملكهم صاروا إلى البوار . ولذلك رأيتهم يبالغون في تعظيم تلك الأمم ليعظم القصص الذي وقع عليها ، حتى أصبحت أخبارهم أشبه بالخرافات منها بالحقائق . وأكثر مبالغات العرب في القبائل البائدة ، حتى سبق إلى أذهان المحققين من غير المسلمين أنها مرسوعة . ولولا ورود بعضها في القرآن والحديث لقال المسلمون ذلك أيضاً . على أن ورود أسمائها وبعض أخبارها في كتب اليونان وغيرهم أثبت وجودها ، وجاءت الاكتشافات الأثرية بما يؤيد ذلك من إظهار المبالغة في روايات العرب ويحسن بنا في هذا المقام أن نجمل الكلام في مصادر تاريخ تلك الأمة على اختلاف العصور واللغات ، وهي تقسم إلى مصادر مدونة في الكتب أو منقوشة على الآثار . والمدونة في الكتب إما عربية أو غير عربية ، وهذه إما عبرانية أو يونانية أو غيرها . والمصادر المنقوشة إما في اليمن أو الحجاز أو وادي النيل أو ما بين النهرين أو الشام أو غيرها ، واليك البيان :

المصادر الكتابية أو الكتب المدونة

١ - الكتب العربية

أقدم المصادر العربية المدونة عن تاريخ العرب وأصحها القرآن ، فقد جاء فيه ذكر بعض القبائل البائدة كعاد وثمود وبعض أخبار ملوك اليمن كسبيل العرم وغيره . وإذا قرأت تلك الأخبار فيه لا تجد فيها شيئاً من المبالغات التي وصلت إلينا في كتب التاريخ ، بل تجد ما ذكره القرآن صحيحاً تؤيده الاكتشافات الحديثة كما أثبت معظم أخبار التوراة مما

ستراه في أماكنه من هذا الكتاب . ويدلك ذلك على أن تلك المبالغات أو الخرافات أدخلها أهل الإغراض أو الطامعون ممن دخل الإسلام من اليهود أو الجوس أو غيرهم ، لأن العرب كانوا يستفتونهم في تفسير ما أغمض عليهم فيفتونهم بما تعودوه في كتبهم من المبالغة في ضخامة الأجسام وطول الأعمار . فالقرآن لما ذكر عاداً قال : « عاد أرم ذات العماد » ، فأدخل المفسرون في شرحها وتفسيرها مبالغات رواها كعب الأحبار وعبد الله بن سلام اليهوديان ، وهب بن منبه المجوسى (١) وغيرهم ، فوصل إلينا من أخبارها أن رجالها كانوا أطوالاً كالنخل لم يكن للطبيعة تأثير على أبدانهم لقلظها ومثانتها ، وإن عاداً تزوج ألف امرأة ورأى أربعة آلاف ولد من صلبه ورأى البطن العاشر من أعقابهِ وعاش ١٢٠٠ سنة ، وخلفه أكبر أولاده فعاش ٨٥٠ سنة ، وعاش أخوه ٩٠٠ سنة (٢) ونحو ذلك

فهذه المبالغات أدخلها اليهود في أخبار العرب قياساً على ما في كتبهم كالتملود وغيره ، وناهيك بأمثالها في كتب المجوس .. فقد كان الفرس القدماء يبالغون في أعمار أسلافهم وتقدير أطوال أجسامهم ، فدخل كثير من هذه المبالغات في التاريخ بطريق التفسير أو الرواية ، وحفظت بعد الصدر الأول لاقتصار العرب يومئذ على الإسناد ، فتأدياً من انتقاد الأئمة في رواياتهم محافظة على صحة ما يروى من الأحاديث والأقوال ، فأفاد الإسناد في ضبط الحديث والتفسير ولكنه أضر باستبقاء الخرافات القديمة على حالها . ولما نشأت العلوم اللسانية واشتغل المسلمون بها واطلعوا على كتب المنطق والفلسفة وتعدوا الدليل والقياس ، أخرجوا أكثر هذه الخرافات من تفاسيرهم ولم يلتفتوا إلى تنقيح التاريخ منها

ولم يختص العرب ولا اليهود أو غيرهم من المشاركة بادخال الخرافات على التاريخ ، فقد كان ذلك شأن الأمم القديمة فيما يعتور كل خبر تنوّل أجيالاً بالسماع . اعتبر ذلك في ما كان عند أهل الأجيال (العصور) الوسطى في أوربا من حوادث لا تقل غرابة عن مبالغات ألف ليلة وليلة .. أدخلوا بعضها في تراجم مشاهيرهم ، فذكروا أن الإسكندر المقدوني لقي في أثناء فتوحه أقواماً رؤوسهم كرؤوس الكلاب أو الطيور أو غيرها وأبدانهم كالتنانين أو نحوها ، غير ما روه عن عجائب البحار كالحياتن التي تبتلع السفن الكبرى أو تغلقها ، وعرائس الماء أو الأسماك بوجوه العذارى الجميلات أو وجوه الشبان أو الشيوخ ، والسمك ذى الرؤوس السبعة وغير ذلك من الخرافات التي لم يصل العرب إلى مثلها في تواريخهم

(١) تاريخ التمدن الإسلامي ٦٥ ج ٢ (طبعة رابعة)

(٢) المسعودى ١٦٧ ج ١

وقلد العرب اليهود وغيرهم في كثير من طرق العلم ، فاقتبسوا منهم رد كل أمة إلى أب من آباء التوراة ، حتى المغول والترك والفرس . فردوا نسب انفرس مثلا إلى فارس بن ناسور بن سام ، وقالوا عن أهل الصين أنهم من ولد عابور بن يتويل بن يافث بن نوح (١) . وقس عليه تعليل أسماء البلاد وردّها إلى أسماء مؤسسيها ، بما يشبه قول اليهود أن مصر مثلا بناها مصرايم وأشور بناها آشور . وقد ينسبون بناء البلد إلى حادثة أو ظرف ، فعندهم مثلا أن دمشق سميت كذلك لأنهم دمشقوا بناءها ، والإندلس من التدليس وأن الهمزة والنون زائدتان ، ويشرب من قولهم « ولا تشرب » ، والحيرة من « تحير » ، والعراق من عرق القرية . وقس على ذلك أسماء الأشخاص . والواقع أن أندلس محرفة من « وندلوسا » نسبة إلى الواندال قوم سكنوا الأندلس قبل الإسلام ، ويشرب محرفة على الغالب من « أترييس » اسم بعض بلاد مصر ، والحيرة من « حيرتا » في السريانية أي المعسكر ، والعراق من لفظ فارسي « أبراه » وهي أيران من أصل واحد فعرّبها العرب « عراق » ، ومن هذا القبيل قولهم « يعرب » لمن تكلم بالعربية ، « وسبا » سميت بذلك لتفرقها أولكترة السبي ، وأمثلة ذلك كثيرة لا تحصى .

مصادر أخبار العرب

واقتبس مؤرخو العرب أخبار الجاهلية من عدة مصادر :

- ١ - أشعار العرب وأمثالهم وأقوال كانت شائعة بين العرب في صدر الإسلام يتناقلونها نظما أو نثرا ، ويدخل فيها أخبار البدو وأيام العرب وحروبهم ووقائعهم وعاداتهم وأخلاقهم ، فدونها في جملة ما دونوه نقلا عن الرواة كالاصمعي وأبي عبيدة وغيرهما ، وقد ضاع أكثر ما دونوه
- ٢ - الآثار الحميرية لأنهم كانوا في صدر الإسلام يقرأون الخط المسند ، وكان في اليمن جماعة من علماء الفرس عندهم العلم والحكمة ، فأخذوا عنهم وعن الآثار تاريخ اليمن وأخبار السد وغيره ، وأقدم من دون ذلك محمد ابن اسحق في السيرة النبوية

٣ - أخبار اليهود بالحجاز واليمن وغيرهما

- ٤ - كنائس النصارى بالعراق ، فقد كان في الحيرة لما ظهر الإسلام كتب في السريانية والفارسية واليونانية اقتبس المسلمون كثيرا منها . وأكثر الذين اشتغلوا بتدوين التاريخ في صدر الإسلام من الإعاجم لاشتغال العرب بالسياسة أو الحرب وأكثر ما أخذوه من الحيرة مختص بتاريخ الفرس والأنباط والروم ، وقد نقلوا كثيرا من كتب اليهود والفرس واليونان

(١) السمودي ٥٥ ج ١

(٢) تاريخ التمدن الإسلامي ٢٩ ج ٢ (طبعة رابعة)

والصريين ضمنوه توارىخهم وربما أشاروا الى ذلك في سياق الكلام
فما عرفه المسلمون من أخبار العرب قبل الاسلام منقول عن هذه
المصادر ، وقد وصل اليها مختلطاً غامضاً ، وقام من المسلمين ، بعد نضج
تمدنهم ، غير واحد من المؤرخين النقادين كابن الاثير وياقوت وغيرهما
فانتقدوا كثيراً من أخبار العرب . فذكر ياقوت مثلاً خبر مدينة النحاس
ثم قال : « ولها قصة بعيدة عن الصحة لفارقتها العادة وأنا برىء من
عهدتها ، إنما أكتب ما وجدته في الكتب المشهورة » ، ولما ذكر مطبخ كسرى
ومآندته وقصتها الغريبة قال : « أنها بالكذب أشبه منها بالصدق » ،
ولما ذكر ناعطا وأنها قصر على جبلين يسير الراكب في ظله أربعة فراسخ
قال : « وهذا من المحال » ، وقس عليه كثيراً من نقده . لكنه لم يتعرض
للمبالغات المتعلقة بالدين ، وهو السبب في بقاء كثير من المبالغات ونسبة
كثير من الوقائع الى الانبياء ، فكل مدينة فخمة ينسبون بناءها الى سام
ابن نوح أو الى سليمان بن داود أو اسكندر ذي القرنين

مصادر احوال العرب

وقد ساعد على زيادة الالتباس والاختلاط في روايات العرب الخط
العربي ، وكان يكتب أولاً بلا نقط ، ولم يكن عندهم ما يميز بين الباء
والتاء والثاء ، أو بين الجيم والحاء والهاء ، أو بين السين والشين ،
فيكتبون « بلقيس » مثلاً حروفاً بلا نقط فتقرأ : بلقيس ، أو يلقيس ،
أو نلقيس ، أو بلقيش .. الخ وفس عليه ما تختلف به قراءتها بنقل
النقط واختلاف مواضعها . فوقع بسبب ذلك التباس في قراءة الاسماء ،
وظهر اثره في اختلاف المؤرخين والنسابين في أسماء الاشخاص والقبائل
والأماكن .. فمن امثلة ذلك ان ابن خلدون يسمى أحد ملوك حمير افريقش
والمسعودي وابو الفداء يسميانه افريقس ، وابن خلدون يقول اللطاط
والمسعودي اللطاط ، وابن خلدون يقول ناشر النعم والطبري يسميه ياسر
انعم أو ياسر بنعم والمسعودي نافس النعم ويسميه ابن الاثير ياسر بن
عمرو ، وابن خلدون يقول كلكيكرب والطبري وابن الاثير يسميانه ملكيكرب
والمسعودي وابو الفداء يسميانه كليكرب وابن خلدون يسمي والد بلقيس
البشرح والطبري يسميه البليشرح وابن الاثير البليشرح ، وبلقيس يسميها
بعضهم بلقيمه ، وبعضهم يدعو أحد أبناء حمير وأئله وغيره يدعوه وأئله .
فلعتبر ذلك ايضاً في الاسماء الاعجمية وما قد تؤول اليه من تبديل الاعلام
وتشويش الاخبار ، وعلى هذا المبدأ تحول اسم « قابيل » الى « قابيل »
و « شاول » الى « طالوت » و « جليات » الى « جالوت » و « قورح »
الى « قارون » و « تقفور » أو « نيسوفورس » الى « يعفور »

ولا يخفى أن ذلك الخلل قد يتطرق الى الأفعال والأسماء المشتقة

فيغير المعانى ويبدلها ، والظاهر أن تاريخ الطبرى المطبوع بأوروبا منقول عن نسخة خطية غير منقطعة كلها أو بعضها ، لأن الناشر ملا الكتاب بالحواشى لايضاح ذلك الاختلاف في القراءة (١)

ومن أسباب الخلل في اخبار العرب تناقل الخبر اجيالا على اللسان بغير تدوين أو ضبط فيعرض له تحريف لا يخطر بالبال ، يشبهه ما يحدث لهذا العهد بين الأمم التى لا تكتب ، كالاسكيو مثلا فانهم يصفون الرجل الانجليزى بأبلغ من وصف العرب عادا وأبناءه ، فيقولون : « انه عظيم الهامة له أجنحة » ، اذا نظر الى الرجل قتله بنظرة ، وانه يتلع كلب الماء لكمة واحدة » ، فهذه المبالغة لا تنفى وجود الانجليز ، ولكنها تدل على قوتهم وشدة بطشهم ، فقس على ذلك مبالغات العرب . ويندر أن يضعوا شيئاً من عند انفسهم ، ولكن يظن ان ينقلوه على علته . وقد يشبهه عليهم الرجل بالآخر ، كقولهم ان اول من حكم الرومان أوغسطس قيصر ، وانت تعلم أنه ليس اول من حكمهم ولكنه اول قياصرتهم . فهذا وامثاله مما يروونه عن الأمم البعيدة عنهم لا يخلو من حقيقة يجب تجريدها منه . ولا ينبغي احتقار رواياتهم اذ قد يكون فيها الصحيح مبالغا فيه ، فاذا قالوا أن سبا بن قحطان حكم ١٨٠ سنة فلا ينبغي لنا أن ننشد هذا القول لبعده عن المعقول ، بل تؤوله الى أن المراد « دولة سبا » أو « أمة سبا »

ومن أسباب التعقيد والالتباس نسبة الحادثة الى غير صاحبها ، فاذا اشتهر رجل بمنقبه نسبوا اليه كل ما ينطوى تحت تلك المنقبة .. فالفتح ينسبون اليه كل فتح عظيم ، والحكيم يروون عنه كل حكمة ، كما ينسبون كل بناء الى سليمان أو ذى القرنين . وينبغي الانتباه الى ذلك في تحقيق الحوادث .. لما فتح ابراهيم باشا (ابن محمد على) الشام واشتهر بالصرامة والشدة كان من جملة ما ذكره من أدلة ذلك ان امرأة شكت اليه جنديا اغتصبها لبنا شربه ، فأمر الباشا بيقرب بطنه حتى اذا تحققت جنائته كان البقر قصاصا له والا قتل المرأة . فلما يقرب بطنه وجد اللبن فيه . وهذه الحكاية ذكرها ابن بطوطة في رحلته قبل ابراهيم باشا بنيف وخمسائة سنة ، وهو ينسبها الى أمير اسمه كيك سلطان ما بين النهرين في أيامه (٢) وقد اتفق كثير من أمثلة ذلك للعرب في اخبارهم القديمة ، فهم ينسبون بناء سد مأرب الى كل عظيم من عظماء اليمن

ومن أسباب الاختلال مزج الدين بالتاريخ ، فتوى فى ما يروونه عن القدماء أكثر ما يراد به اظهار التقوى والإرهاب من العقاب والتنبيه الى

(١) الهلال ١٣٧ سنة ٢

(٢) ابن بطوطة ٢٢٧ ج ١

زوال الدنيا ، فقد ذكروا كثيرا من مدافن حمير وقرأوا ما عليها من الآثار وتناقضوا فوصل الينا محشوا بمبالغات يراد بها العظة أو الوعيد

وإذا قرأت ما كتبه مؤرخو العرب عن تاريخ الجاهلية رأيت عجا من الخلط والتناقض والاختلاف ، ومن هذا القبيل اختلافهم في الأنساب وهو كثير في كتبهم ، ولم يتفق النسابون الا في القليل من أنساب الملوك أو الأمراء ، بل أنهم لا يتفقون غالبا الا في أنساب قريش . أما في أنساب الملوك الآخرين فيختلفون كثيرا ، فان ابن خلدون وابن اسحق يقولان في نسب نبيح أسعد أبي كرب انه أسعد بن عدى صيفى ، والطبرى وابن الكلبي وابن حزم وابن الأثير يقولون انه أسعد بن كليكرب بن زيد الاقرن بن عمرو ابن ذى الأذعار بن أبرهة ذى المنار الرائي بن قسي بن صيفى ، وبين هذين القولين بون عظيم . وهم في اختلاف في نسب زبيد بين أن يكون ابن سلمة بن مازن بن منبه بن صعب بن سعد العشرية ، أو ابن منبه بن صعب بن سعد ، أو ابن صعب بن سعد . وابن خلدون وغيره يقولون أن شجب بن يعرب ، ويقول ابن اسحق أن يعرب هو ابن شجب ، ونسابة اليهود يقولون أن عرب اليمن من نسل حام ، والعرب يقولون أنهم من نسل سام

وأغرب من ذلك أنهم يختلفون في نسب قحطان نفسه ، فمنهم من جعله ابن عامر بن شالح بن ارفكشاد بن سام ، وبعضهم جعله ابن يمن بن قيدار ، وآخرون زعموا أن قحطان من نسل اسماعيل ، والاكثر على أنه كان قبل اسماعيل بأجيال . وقد صرح ابن خلدون أن العرب تنصرف في الأسماء الأعجمية بتبديل حروفها وتغييرها ، وهو ما يؤيد قولنا . ومن أمثلة ذلك اختلافهم في ذى القرنين بين أن يكون الصعب بن مدائن من ملوك اليمن أو اسكندر المقدوني بن قليب أو غيرهما (*)

(*) يسود الشك الآن كل ما يذكروه مؤرخو العرب عن تقسيم العرب الى عدنانيين وقحطانيين ، كما سنبينه في موضعه ، وقد أصبح من الثابت أننا لا نستطيع التعميل على ما يذكروه مؤرخو العرب عن قحطان ونسبه . والموقف فيما يتعلق بقحطان ونسبه يتطلب فيما يلي :

١ - قحطان الذى يذكروه العرب هو بقطان الذى يرد ذكره في سفر التكوين ، ونسبه الذى يتفق عليه ابن هشام وابن السكيت والدينورى والسمرقندى والقشندى هو الذى ذكره جرير زبدان أولا ، مع خلاف بسيط هو أن ارفكشاد الذى يذكروه هو ارفخشذ أو ارفخشذ مندم ، وهو نفس النسب الوارد في سفر التكوين ، ٢٥/١٠

٢ - تذهب بعض الروايات العربية الى أن عامر هو هود النبي ، ويذهب بعضها الاخر الى أن قحطان هو ابن هود ، وقد استنتج الأستاذ جواد على أن رواية العرب استهدوا من ذلك ربط نسب قحطان بالانبياء ، وقال أنهم « وجدوا أن السعدانيين يغفرون عليهم مع ذلك بأن فيهم النبوة والانبياء ، منهم الرسول وفيهم اسماعيل جدهم » فأرادوا أن يكون لهم أجداد أنبياء ، أنبياء خلص قحطانيون ، أو أن يكون لهم نسب يتصل بنسبه اسماعيل على الأقل .

٣ - نحن لا نعرف من أمر قحطان شيئا غير هذا النسب الذى يردده الاخباريون ، وليس لدى العبرانيين من أمره الا أنه أحد أولاد عامر وآخر أولاده

٤ - لا يعرف العلماء معنى هذا الاسم أو أصله ، وهل هو اسم علم كانت تنسبى وتتميز به القبائل التى كانت تقيم جنوبى فلسطين ، أو أنه كان في الأصل اسم قبيلة =

واختلفوا في نسب الحرث الرائش أول ملوك التبابعة عندهم ، فقال ابن اسحق انه ابن عدي بن صيفي ، وابن الكلبي يقول ابن قيس بن صيفي ، والسهيلي يقول في « الروض الانف » انه ابن ذى سدد بن اللطاط بن عمر ابن ذى يقدم بن الصوار بن عبد شمس بن وائل ، والمسعودي يقول انه ابن شداد بن اللطاط بن عمر . وأغرب من ذلك ان الواحد منهم قد يقول في نسب الواحد قولين مختلفين ، فالطبري يقول في موضع ان الحرث الرائش من نسل سبا الأصغر ، ويقول في موضع آخر ما يؤخذ منه غير ذلك . واختلفوا في نسب إفريقش أحد ملوك التبابعة ، فقال ابن خلدون انه ابن ابرهة بن الحرث الرائش ، وقال ابن حزم انه أخو الحرث الرائش . وقد ذكروا أن الرائش حكم ١٢٥ سنة ، وابرة حكم ١٨٠ سنة ، فتكون بداية حكم إفريقش بعد بداية حكم أخيه بثلاثمائة وخمس سنين ، ناهيك بمدة حكمه هو فربما عاش على حسابهم خمسمائة سنة أو أكثر . وقس على ذلك اختلافهم في نسبة القبائل بعضها الى بعض ، فيزعم بعضهم أن قبيلة أنمار من بني قحطان ، وبعضهم يقول انها من عدنان على أن هذا التناقض أو الخلط لا يخلو من حقيقة تاريخية على المؤرخ انباحت تجريبها من تلك الشبهات

مواصل الينا من أخبار العرب

ثم ان ما كتبه المسلمون في تاريخ الجاهلية على قلة العناية في تحقيقه لم يصل الينا منه الا فصول في مقدمات كتب التاريخ العامة ، ولم يصلنا شيء مما كتب في هذا الشأن قبل القرن الثالث للهجرة . واقدم ما وصل الينا من أخبار الجاهلية على يد مؤرخي المسلمين فصول نشرها عبد الملك بن هشام المتوفى سنة ٢١٨ هـ في السيرة النبوية المشهورة ، تطرق اليها في

= فويت وسادت النائل الأخرى فقلب اسم الغالب على القلوب ، او انه اسم أرض لم اعتبر على عادة الساميين جدا أعلى لعدد من القبائل

٥ - لا يستطيع القطع بأن الانساب القحطانية كان مرفوعة عند الجاهليين ، فلم يشر الى ذلك القرآن الكريم ، ولم يرد له ذكر في الكتابات الجاهلية ، أما النسب الجاهلي فالذي جاء فيه هو الفخر أو الحميلة ، وربما كانت القحطانية مرفوعة في الجاهلية القريبة من الإسلام ، ولكن هذا لا يدل على أنها كانت مرفوعة في الجاهلية البعيدة عنه

وقد ناقش الاستاذ جواد على هذا الموضوع مناقشة شاملة وختم كلامه قائلا : « يرى نفر من المستشرقين ان الاخباريين جاموا بقحطانهم هذا من التوراة ، عن طريق قراءتها ، أو عن طريق اهل الكتاب ، إذ عرفوا منهم ان تلك القبائل أتت نسبت الى هذا الجد كانت تسكن بلاد العرب الجنوبية . وقد وجدوا بين أسماء القبائل البعانية قبيلة اسمها قريب من هذا الاسم ، وقد وجدوا نزاعا عنيقا بين أهل مكناهل اليمن في الجنوب ، ومنهم قبيلة قحطان ، فأقروا النسب وأصبح قحطان - وليد يقطن - جدا حقيقيا لليمنيين ومن نسبة نفسه اليهم من الأفراد والقبائل »

انظر : جواد على ، تاريخ العرب قبيل الإسلام ، ج ١ ص ٢٦٧ وما بعدها والمراجع المطبوعة هناك

سياق كلامه عن النسب النبوي رواها عن محمد بن اسحق المتوفى سنة ١٥١ هـ ، وهى قاصرة على نسب العرب الاسماعيلية وشيء عن القساسنة والمناذرة ، وقصة سد مأرب واستيلاء تبان اسعد على اليمن وغزوة يثرب الى ملك ذى نواس ، وقصة اصحاب الاخدود في نجران واستيلاء الحبشة على اليمن وعام الفيل وخروج الحبشة من اليمن ودخول الفرس اليها ، وشذرات عن ولد نزار ومضر كقصة عمرو بن لحي صاحب الاصنام ، وكلام في ابواب العرب وعاداتهم ، وبضعة فصول في عرب الحجاز وتاريخ مكة الى بيت عبد المطلب بن هاشم فظهور النبي ، وهذا كله لم يستغرق اكثر من ستين صفحة من سيرة ابن هشام ..

وعاصر ابن هشام جماعة من الرواة اشهرهم ابو عبيدة والاصمعي وتوفوا في اوائل القرن الثالث للهجرة ، وهم اصل ما تنوّل من اخبار العرب وأشعارهم وآدابهم وعاداتهم ، ويتخلل ذلك بعض تاريخهم لكنهم لم يتركوا شيئاً مدوناً . ويلي ابن هشام ابن قتيبة صاحب كتاب المعارف (توفى سنة ٢٧٦ هـ) وفيه فصل في انساب العرب حسب التسلسل والتعاقب بلا حوادث الا شذرات عن اليمن وغسان والحيرة . ونحو ذلك الزمن ظهر اليعقوبى المشهور بابن واضح المتوفى سنة ٢٧٧ هـ ، والف تاريخاً في جزأين ، الاول في التاريخ القديم وفي جملته فصل في قدماء العرب

ويلي هؤلاء طبقة نبغت في القرن الرابع للهجرة ، اولهم الطبرى المتوفى سنة ٣١٠ هـ ، فقد صدر كتابه الكبير بفصول في اخبار عاد وثمود وملوك اليمن والحجاز . وفعل مثل ذلك المسعودى المتوفى سنة ٣٤٦ هـ ، في الجزء الاول من كتابه مروج الذهب . ومن دون تلك الاخبار بشكل تاريخ حمزة الاصفهاني المتوفى في اواخر القرن العاشر للميلاد ، له كتاب موجز في «سنى ملوك الارض» ذكر فيه شيئاً عن انساب حمير ودول العرب من غسان ولخم وكندة فضلاً عن ملوك الفرس وغيرهم ، وانما هو يهتم بسنة الولاية والوفاة . وعاصر هؤلاء اثنان من كتاب الأدب ذكرا شيئاً عن حوادث الجاهلية ، وهما ابن عبد ربه صاحب العقد الفريد المتوفى سنة ٣٢٨ هـ ، وابوالفرج الاصفهاني صاحب الاغانى المتوفى سنة ٣٥٦ هـ ، فهؤلاء وشعراء الجاهلية هم مرجع المؤرخين في ما كتبه عن العرب قبل الاسلام . وعاصر هؤلاء كاتب له شأن كبير في هذا الموضوع ، نعتي الهمداني المتوفى سنة ٣٣٤ هـ صاحب كتاب «صفة جزيرة العرب» ويعرف بأبن العاتك ، فقد وصف تلك الجزيرة كما كانت في ايامه وصف عالِم محقق لم يفاد شاردة ولا واردة ، وله كتاب آخر عظيم الاهمية اسمه «الاكلیل» لم يوجد منه الا قطعة نشرها

المستشرق مولر وفيها وصف ابنية اليمن وآثار ملوكها كما كانت في أيامه
ثم جاء أبو عبيد البكري المتوفى سنة ٤٨٧ هـ ، صاحب القاموس
الجغرافي المعروف باسم « معجم ما استمعج » فصدر كتابه بمقدمة حسنة
في هذا الموضوع غير ما جاء في تضاعيف الكتاب ، وأقبله باقوت الحموى
صاحب « معجم البلدان » المتوفى سنة ٦٢٦ هـ ، فضمن كتابه فوائد كثيرة
مشتقة ، وأخذ ابن الأثير عن الطبري ، وعن ابن الأثير أخذ أبو الفداء
وأضاف شيئا من تاريخ الجاهلية أخذه من سواء . وأهم من كتب في تاريخ
الجاهلية بعد هؤلاء وأطال ابن خلدون ، فقد جمع في الجزء الثاني من تاريخه
الكبير خلاصة ما قاله المتقدمون الذين ذكرناهم ، فأفرد لكل دولة أو أمة
فصلا . فجاء ما كتبه أوفى من سواء ، ولكنه لا يزيد بجملة على مائة
وأربعين صفحة يقطع هذا الكتاب ، وهو أطول ما كتبه القدماء عنهم .
ويعد من المصادر العربية لتاريخ العرب قبل الإسلام أيضا أشعار
الجاهلية المجموعة في مثل حماسة أبي تمام وجمهرة أبي دريد وكامل المبرد
وطبقات ابن قتيبة ونحوها . وأفيدوا في هذا الموضوع القصيدة الحميرية
لنشوان بن سعيد الحميري من أهل القرن الخامس للهجرة ، ذكر فيها ملوك
حمر والأدواء والأقبال متسلسلة . ومن قبيل الفوائد التاريخية الأمثال
العربية وأجمعها كلها كتاب « مجمع الأمثال » للميداني (١)

(١) تنقسم الأخبار التي لدينا عن العرب خلال الفترة السابقة للإسلام مباشرة . وهي
التي تعرف بالجاهلية الثانية - إلى ثلاثة أقسام ، وهي :

الأول : تاريخ عرب الحجاز خلال القرنين السابقين على الإسلام وهو واضح بعض
الوضوح ، لأن مؤرخي الدولة الإسلامية تناولوا على أنه جزء مكمل لتاريخ الإسلام ، ثم أن
الانحمار التي رويت عن هذه الفترة وفيرة يخرج منها المؤرخ بحقائق عامة تكمل ما فات
رواة الأخبار . ثم أن آيات القرآن تلقى ضوءا باهرا على أحوال العرب خلال هذه الفترة
وكذلك بعض الأحاديث النبوية

الثاني : أخبار القبائل التي تسكن شمال شبه الجزيرة والإمارات التي أقاموها ، مثل أمانة
المناداة للخبين وأمانة الفساسة وهي واضحة بعض الشيء ، لقرب عهدنا بالإسلام من ناحية
ولاصالها ببلاد متحضرة عرفت تدوين التواريخ من ناحية أخرى

الثالث : أخبار متصل ببقية عرب شبه الجزيرة ، سواء من كان منهم في اليمن أو في
قلب الجزيرة أو أطرافها الشرقية والجنوبية، وهي مضطربة ناقصة أقرب إلى الأساطير منها
إلى التواريخ ، إلا فيما يتصل بما استقاه المؤرخون من الآثار وتقرؤوها فهي محققة إلى
حد بعيد

وقد ذكر جرجي زيدان المصنفات الرئيسية التي نستقي منها ما لدينا من مادة
عامة عن تاريخ العرب قبل الإسلام ، ولكنه لم يشر إلى المصادر التي نقلت منها أو إلى
أصحاب الروايات الإسلامية الأولى ، وهم المسئولون عما في هذه المصنفات من مادة
تاريخية ، وأهم هؤلاء :

حميد بن شربة ، وهو من أهل صنعاء على قول بعض المؤرخين أو من أهل الرقة على قول
بعض الآخر ، وكان قصاصا حافضا للأخبار أو أضعافها ، ما رواه في الرواية والوضع ،
وقد ظهر واشتهر أمره في بلاد معاوية بن أبي سفيان ، وتنسب إليه كتب كثيرة مثل كتاب
الامثال وكتاب الملوك وأخبار الماضين ، وقد نشر ذبلا على « كتاب التيجان في ملوك حمر »
في حيدرabad بعنوان : أخبار حميد بن شربة الجرهمي في أخبار اليمن وأشعارها وأنسابها
... وفيه أشعار موسوعة كثيرة منسوبة إلى لقمان وعاد وتمود والنبيات ومن إليهم . وهو
أقرب إلى القصص الشعبي منه إلى التاريخ، وهو مثار بالاسرائيليات =

٢ - القتب غير العربية

والمصادر غير العربية لتاريخ الجاهلية أقدمها التوراة ، وفيها شيء عن أحوال الأمم العربية في سفر التكوين ، وجاء ذكر بعض ملوكهم وقبائلهم في سفر الأيام وسفر نحemia وسفر المكابيين وغيرها وهو قليل

وبلى التوراة تاريخ هيرودتس (٤٨٠ - ٤٢٥ ق.م) الرحالة اليوناني أبي التاريخ ، المتوفى في أوائل القرن الخامس قبل الميلاد ، وقد جاء ذكر العرب فيه عرضا في أثناء الكلام عن الحروب بين الفرس والمصريين على عهد قمبيز في القرن السادس قبل الميلاد ، ثم بروسوس مؤرخ الكلدان المتوفى نحو سنة ٣٠٠ ق.م ذكر منهم دولة حكمت بابل ، ثم ثيوفراست ، وأراتوستينس ، وأغاثانرسيدس ، وديودورس الصقلي ، وكلهم من مؤرخي اليونان وجغرافيتهم قبل الميلاد ، ذكروا بعض قبائل العرب ومدنهم . وفي أوائل النصرانية نبخ استرابون الرحالة اليوناني المتوفى سنة ٢٤ م ، فافرد للعرب فصلا خاصا في الكتاب السادس عشر من مؤلفه الجغرافي ، ذكر فيه مدائن العرب وقبائلهم على عهده ووصف كثيرا من أحوالهم التجارية والاجتماعية

= وهب بن منبه من أهل دمار في اليمن ، ويرجح أنه يهودي الأصل ، واليه تنسب أكثر الأساليب التفردية في قتب العرب ، وكان يزعم أنه ينقل من التوراة وقال : « قراتين كتب الله تعالى النبيين وسبعين كتابا » . وكان يزعم أنه يتقن اليونانية والسريانية والحميرية ، ومظم أخباره عن اليمن وشعوب العرب التي بادلت ، وينسب إليه كتاب « الملوك المتوجه من حمير وأخبارهم وغير ذلك » و « كتاب الغزاة » الذي ذكر المستشرق الألماني كلود هينريش بكر أن هناك بضع أوراق منه في مكتبة هابيلبرج

أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي المتوفى سنة ٢٠٤ أو ٢٠٦ وهو أقرب أولئك الرواة إلى منهج المؤرخين ، وقد اتهم معاصروه بالكذب

أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي المتوفى سنة ٢٠٨ أو ٢٠٩ أو ٢١٠ ، ومظم أخباره عن الحيرة ، وهو مؤرخ مدقق وأن كان يافوت بتمه بانه كان شعوبيا يطن في الانساب

محمد بن اسحق صاحب سيرة الرسول (سلم) وقد وصلنا كتابه برواية ابن هشام ، وهو أقرب إلى الحديث منه إلى المؤرخين في منهجه ، وأخباره صحيحة في الغالب

أبو مالك كتب بن ثعلبة القرظي وابنه محمد ، وأصلهما يهوديان ، وهما يفسلان في زمره الآخياريين الذين يسميهم العرب أولاد الكاهنين ، ومظم أخبارهم من التوراة والكتب القديمة أبو محمد الحسن بن أحمد الهمداني المتوفى سنة ٣٢٤ للهجرة ، وكان من أوسع الناس علما بأخبار اليمن ومن أقدمهم على قراءة الخط المسند ، وهو صاحب كتاب « الألبيل » أوقف مراجعنا العربية عن تاريخ اليمن القديم

نشوان بن سعيد الحميري المتوفى سنة ٥٧٣ وهو صاحب « القصيدة الحميرية » التي لا يستغنى عن قراءتها من يريد أن يطلع على تاريخ اليمن القديم ، وله كتاب يسمى « شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم »

وفيما عدا ذلك هناك مصنفون آخرون أقل من هؤلاء أهمية ، انظر عنهم :

حسين نصار : الكتابة الفنية في الأدب العربي ، ص ١٧٥ وما بعدها

جواد علي : تاريخ العرب قبل الإسلام ، ج ١ ص ٣٩ وما بعدها

وحملة اليوس غالوس الشهيرة لفتح جزيرة العرب وما كان من فشله في نحو أربعين صفحة . وجاء بعده مؤلف مجهل اسمه ألف كتابا في وصف سواحل البحر الاحمر وشواطئ المحيط الهندي سماه « الطواف في بحر اريتريا ثم بليتيوس، ثم يوسيفوس الاسرائيلي (يسمى ايضا يوسف اليهودي) وكلهم توفوا في القرن الاول للميلاد . وقد ذكر يوسيفوس شيئا عن عمالة مصر في كتابه آثار اليهود وفي اواسط القرن الثاني للميلاد نبغ بطليموس القلوذي فالف جغرافيته الشهيرة جمع فيها كل ما عرفه اليونان قبله من احوال العالم ، كما فعل ياقوت بجغرافية العرب . وخصص بطليموس جزءا من كتابه لبلاد العرب ، فذكر مدنها وقبائلها وعين الاماكن باعتبار الدرجات طولا وعرضا بشرح واف ، ووصف كثيرا من احوال العرب التجارية وغيرها . ويليهِ اريان وهيروديان واوسابيوس ، واثناسيوس وزينوفون، وهيرونيوموس ، وفيلوسترجيوس، وبروكوبيوس، واستفانوس ما بين سنة ١٦٠ و ٥٦٧ للميلاد . وكل منهم اورد شيئا من احوال العرب عرضا لا يخلو من فائدة ، وانما المرجع فيما وصل الينا من كتابة اليونان عن العرب الى استرابون ، وبليتيوس، و بطليموس، وصاحب كتاب «الطواف» الأنف الذكر، فانهم جمعوا ما قاله سواهم وفصلوه . ولهؤلاء المؤلفين - على شتت ما كتبوه - فضل كبير على تاريخ العرب ، فانهم اوضحوا كثيرا من غوامضه فذكروا دولا وقبائل واماكن لم يعرفها مؤرخو العرب على الاطلاق، كدولة الانباط والعينيين والسبأين وغيرهم مما سنأتي على تفصيله

وهذا جدول بأسماء علماء اليونان الذين ذكروا العرب او تاريخهم او ما يتعلق بهم ، مرتبة حسب سني وفاتهم ، اذ قد يجيء ذكر احدهم في اثناء الكلام فيجب على القارئ ان يعرف سنة وفاته

الاسم	سنة الوفاة	الاسم	سنة الوفاة
هيروdotس	٤٠٦ ق م	ابولودورس	١٢٠ ب م
ثيوفراست	٣١٢ »	بطليموس القلوذي	١٤٠ » »
بروسوس	٣٠٠ »	اريان	١٧٥ » »
ارسطون	٢٥٠ »	هيروديان	٢٥٠ » »
ايراتوستنس	١٩٤ »	اوسابيوس	٣٤٠ » »
اغاثارسيدس	١٤٥ »	اثناسيوس	٣٧٣ » »
ديودورس الصقلي	٨٠ »	زينوفون	٣٥٩ » »
سترابون	٢٤ ب م	هيرونيوموس	٤٢٠ » »
بليسيوس	٧٩ »	فيلوسترجيوس	٤٢٥ » »
صاحب كتاب «الطواف»	٨٠ »	بروكوبيوس البيزنطي	٥٦٥ » »
يوسيفوس	٩٣ »	ستيفانوس البيزنطي (*)	٥٦٧ » »

(*) انظر من مؤلفي المؤرخين والجغرافيين من الاغريق واللاتين :

Ch. Forster : The historical geography of Arabia; 2 vols.

المصادر المنقوشة على الآثار

في بلاد العرب

قد رايت فيما تقدم انه ليس في الكتب العربية او غيرها مما كتبه القدماء كتاب واف بتاريخ العرب قبل الاسلام ، وانما هي تنف متفرقة يجتمع منها تاريخ ناقص ، كما كان تاريخ مصر القديم قبل حل الخط الهيروغليفي وقراءة الآثار المنقوشة به ، وكما كان تاريخ بابل واشور قبل حل الخط المسماري او الاسفيني . وللعرب آثار ربما لا تقل أهمية عن آثار مصر وبابل . قد طمرت الرمال في اليمن والحجاز وغيرها ، عليها نقوش حميرية مكتوبة بالقلم المسند او نقوش آرامية مكتوبة بالقلم النبطي او غيره ، لو اتيح كشفها ودرسها لانجلي تاريخ العرب القديم انجلاء حسنا كما انجلي تاريخ الفراعنة وتاريخ بابل واشور . ولكن الوصول الى تلك الصحاري القاحلة شاق وفيه خطر ، على ان ذوى الهمة والغيرة من اهل أوروبا لم ياءخروا وسعا في كشف ما تيسر من الآثار في انحاء مختلفة من بلاد العرب شمالا وجنوبا ، فواضحوا كثيرا من خفايا ذلك التاريخ وكشفوا أسماء ملوك ودول لم يكن العرب ولا اليونان يعرفونها . ولايضاح ذلك نذكر تاريخ التنقيب عن تلك الآثار ونقسم الكلام فيها الى قسمين : آثار الجنوب باليمن وحضرموت ، وآثار الشمال في الحجاز ومشارف الشام

آثار اليمن وحضرموت

الفضل الاكبر في فتح طريق الاكتشاف ببلاد العرب للألمان من اواسط القرن الثامن عشر . وكان السبب في ذلك ان الافرنج في اسفارهم الى الهند عن طريق البحر الاحمر ومصر ، سمعوا ما يتناقله اهل شواطئ اليمن وحضرموت عن آثار الابنية المدفونة في رمال تلك البقاع ، وعليها كتابة لم يستطع اليهود ولا العرب قراءتها . واول من خطر له تحقيق ذلك والبحث في تلك الآثار وقراءتها عالم الماني اسمه ميخائيلس ، من أسرة عربية في العلم والفلسفة واللاهوت ، ولد في سنة ١٧١٧ ، وتوفي سنة ١٧٩١ وكان فيه ميل الى نبذ التقاليد والعمل بأحكام العقل والبحث عن الحقائق ، ويعودونه الحلقة الموصلة بين اهل التقليد واهل النظر . وانتقل سنة ١٧٤٦ الى جوتنجن وتعين استاذا للفلسفة فيها ، وظل هناك حتى مات . ولكنه كان كثير العلاقات بسائر الممالك بما حازه من الشهرة العلمية ، وقد قرب به الملوك والأمراء فمنحه ملك السويد رتبة « فارس » . وكان كثير العناية في البحث عن آثار التوراة ، فبلغ مسامعة ما يتناقله الناس عن بلاد اليمن ، فاقترح على فريديريك الخامس ملك الدانمارك سنة ١٧٥٦ ، تشكيل لجنة تذهب لارتياح تلك البقاع ، فاجاب اقتراحه وامره بتشكيلها . فشكلها من

خمسة علماء برئاسة كارستن نيبوهر ، وجعل غرض تلك الرحلة تحقيق بعض المسائل المتعلقة بالتوراة ، من حيث الجغرافية وعدادات الشرق والمحصولات الوارد ذكرها في التوراة ، وبعض الأوبئة التي كانت وما زالت تنفد على الشرق ونحو ذلك

تشكلت اللجنة من الاساتذة فون هافن عالم باللغات الشرقية ، وفورسكال عالم بالتاريخ الطبيعي ، والدكتور كرامر طبيب الوفد ، وبورنفايند الرسام الحفار ، وأخيرا نيبوهر الجغراف . فأطلع الجماعة من كوبنهاجن في أول سنة ١٧٦١ ، فعروا بأزمير ، فالأستانة وعرجوا بمصر ومنها بالبحر الاحمر الى اليمن ، فوصلوها في آخر سنة ١٧٦٢ . وفي أواسط السنة التالية توفي فون هافن في مخا ، وفورسكال في ريم ، فشق ذلك على الباقيين واعتقدوا فساد اقليم اليمن ، وخافوا على انفسهم فظلوا في طريقهم الى بومباي . فتوفي في ذلك الطريق بورنفايند ، ثم كرامر سنة ١٧٦٤ في بومباي ، ولم يبق الا نيبوهر فلم يتمكن من الايفال في بلاد اليمن . ولما رجع كتب في رحلته كتابا وصف فيه ما شاهده أو سمعه عن بلاد العرب ، طبع غير مرة ونقل الى معظم لغات أوربا ، وهو أول كتاب يبحث في آثار العرب القدماء ، ومن جملة ما قاله : « ان مدينتي ظفار وحداقة فيها نقوش لا يقدر اليهود ولا العرب على قراءتها » (*)

وفي أوائل القرن التاسع عشر وفق شامبليون الفرنسي الى حل انهيروغليفيه ، فتعلقت آمال المستشرقين بحل كتابة اليمن ، وأخذت الحمية المستشرق الالماني زتسن فساغر الى اليمن سنة ١٨١٠ ، مستضيئا بما قاله نيبوهر ، فلم يجد في حداقة ولكنه عثر في ظفار على ثلاثة نقوش نسخ واحدا منها ونقل الآخرين ، ورجع الى مخا فوجد هناك خمسة نقوش لم يستطع نسخ غير اثنين منها ، ونظرا لتسريعه في النقل لم يستفد العلماء من تعب . وشاع ذلك في أهل الرحلة ، فأصبح الضباط الانجليز المسافرون الى الهند اذا مرت سفنهم بشواطئ اليمن بحثوا في آثارها ، فمشر ضابط منهم اسمه ولستند سنة ١٨٣٨ على نقوش حميرية في صخر من بقايا قلعة يقال لها حصن غراب ، واهتم العلماء بقراءة ذلك النقش فذهبوا فيه كل مذهب ، ولم يضبطوا قراءته الا بعد أعوام

وكان مع ولستند على تلك الباخرة ضابط اسمه كروتندن ، وجد في صنعاء بضعة نقوش قيل له انها محمولة من خرائب مارب التي كان فيها السد المشهور ، ووقف غير هؤلاء على أمثال هذه القطع مما لا أهمية

نبرى لها . فالبادىء بالتنقيب عن آثار اليمن الالمان ثم الانجليز ثم اتي دور الفرنسيين ، وكانت خدمتهم اوسع مجالا واكثر ثمرا . واول من اقدم على ذلك ارنو ، اخترق واسط زليمن سنة ١٨٤٢ ، وعاد معه ٥٦ نقشا نقلها عن آثار صنعاء والحربية ومأرب وحرم بلقيس . وكان ارنو صيدليا لامام صنعاء ، وله معرفة بالمسيو فرسنل قنصل فرنسا بجدة ، فاشار فرسنل عليه ان يذهب لاكتشاف آثار مأرب ، التي يتحدث الناس باخبارها وهي من عواصم مملكة اليمن الكبرى ، فاطاعه واصطحب قافلة اظهر ارجالها الفقر والسكنة ، فقاسى في تلك الرحلة مر العذاب من الخوف والتعب ، لانهم كانوا يكلفونه ما لا طاقة به ، ثم استغشوه واختلفوا في ماهيته ولم يتركوا له فرصة ينسخ فيها النقوش أو يطبعها ، فكان يفعل ذلك سرا تحت خطر القتل . وقد اثر الاقليم في عينيه فاصيب برمد ذهب ببصره ، فعاد الى صنعاء اعمى ، فارسل ما كان قد نسخه الى صديقه فرسنل . وقد نشرت اخبار تلك الرحلة ونقوشها بالمجلة الاسيوية في عدة اجزاء منها . وفي بعض هذه الاجزاء خريطة سد مأرب ، وهو اول من تمكن من مشاهدة آثار ذلك السد . وقد حل نقوش ارنو التي نحن في صدها المستشرق اوسياندر الشهير سنة ١٨٤٥ (*)

وتكاثرت النقوش عندهم ، ولكنهم لم يكتفوا بما حلوه منها فتشكلت للعمل في هذا السبيل جمعية الآثار السامية وجعلت من اهدافها تكوين « مجموع للنقوش السامية » واهتم وزير المصارف في باريس بارسال المستشرق يوسف هاليغي سنة ١٨٦٩ م ، في الطريق الذي مشى فيه ارنو قبله ، فسار حتى بلغ مأرب ورجع معه ٦٨٠ نقشا ، اكثرها لسوء الحظ منقول بأحرف عبرانية فقلل ذلك من اهميتها . وانما اضطر هاليغي لنقلها على هذه الصورة التماسا للسرعة ، وخوفا من مفاجأة العرب له وهو ينقل أو يرسم . وكان اذا رأى نقشا واراد نقله تظاهر بالرقاد أو احتال باظهار الصلاة ونقل ما ينقله خلسة . واكتشف هاليغي في رحلته هذه بلاد الجوف التي مر بها اليوس غالوس الفاتح الرومانى ، ولم يكن الجغرافيون يعرفونها ولا يعرفها اهل صنعاء انفسهم مع قربها منهم . وارتحل من الجوف الى نجران ، واكتشف « معين » عاصمة دولة المعينيين التي ذكرها اليونان بين دول اليمن ، والعرب لايعرفونها ، وسأنى تفصيل خبرها . وقرأ في

النقوش التي اكتشفها اسماء عدد غفير من ملوك اليمن وآلهتهم وبلادهم وقبائلهم لم يكن معروفا من قبل (*)

ثم عاد الالمان الى الاهتمام بآثار اليمن مثل اهتمامهم بسائر احوال الشرق ، واكثرهم عناء في خدمة هذه الآثار ادوارد جلازر فقد ارتاد اواسط اليمن مرارا وصل في بعضها الى مارب نفسها ، وهو ثالث افرنجي وطنها وتنفذ آثارها وعاد سالما . وقد نقل معه نحو الف نقش منها ومن غيرها ، بينها نقوش في غاية الاهمية بعضها تاريخي يذكر بناء سد مارب واصلاحه وبعضها غير ذلك ، ولم ينشر منها الا القليل . وألف كتابا في تاريخ بلاد العرب القديمة وجغرافيتها ، لم ينشر منه الا الجزء الثاني وهو القسم الجغرافي سنة ١٨٩٠ ، والناس في شوق عظيم للاطلاع على سائر النقوش وعلى القسم التاريخي من كتابه . على انه الف كتابا أخرى عن الحبشة وغيرها كلها بحث ودرس (***)

وحاول الوصول الى مارب جماعة غير هؤلاء الثلاثة فماتوا في الطريق ، منهم هوبر الفرنسي ، ولانجر النمساوي (١) . ومن الانجليز الذين ارتادوا جنوبي جزيرة العرب ثيودور بنت ، كشف في حضرموت آثارا هامة ، وكذلك هريس وغيره (٢)

ففي متاحف اوربا ومكاتبها الآن عدد كبير من آثار اليمن ، بعضها منقوش على الحجر أو البرونز في الواح أو أحجار ، وبعضها منقول بالرسم أو الطبع يزيد عددها على ألفين ، نشر منها جانب كبير في المجلات الشرقية الالمانية والفرنسية والانجليزية ، واشهر الذين اشتغلوا في حلها اوسياندر وهاليفي ومورتمان ومولر وجلازر وديرنبورج وهومل . ولهذا الاخير كتاب باللغة الالمانية في نحو اللغة المعينية والسبابة (الحميرية) وصفها وقراءتها جريل الفاندة

آثار شمالي جزيرة العرب

اما شمالي جزيرة العرب فقد أصابه مثل حظ الجنوب ، من حيث اهتمام المستشرقين بارتياحه ، فعثروا فيه على آثار هامة ، ووقفوا على بقايا دولة الانباط التي لايعرف العرب عنها شيئا . ولها في تاريخ اليونان ذكر كثير ،

Joseph Halévy, Voyage, dans Bulletin de la Société de la géographie (*) 1873 et 1877.

— Rapport sur une mission archéologique dans le Yemen, dans J.A. Série 6 vol. XIX 1874.

Eduard Glaser, Reise nach Marib in Mittheilungen der vorderasiatischen Gesellschaft (Beilage der Allgemeinen Zeitung) Berlin 1888 Num. 293

وكتابتها تعرف بالنبطية وجدوا منها نقوشا كثيرة على آثار بطرا مدينة الإنباط وآثار الحجر مدينة نمود (مدائن صالح) . واكتشفوا في العلا وحوران وغيرهما آثارا عليها نقوش بالمسند (الخط الحميري) مع بعض التغيير فسموه بأسماء اصطلاحوا عليها ، منها الآثار الصفوية في جبل الصفا بحوران ، واللحيانية والشمودية فضلا عن آثار تدمر وغيرها مما سيأتي تفصيله في مكانه

وأشهر الذين ارتادوا شمالي بلاد العرب أو اكتشفوا آثاره أو قرأوا نقوشه بوركهارت ، وجراهام ، ووتزشتاين ، وبلجراف ، وفوجه ، ووادنتن ، ودوتي ، وأوبتن ، وبلنت ، ودوسو ، فضلا عن هاليغي ، ومولر ، وليتمن ، وهومل ، وديرنبورج ، وغيرهم من الذين اشتغلوا بأحوال اليمن . والآثار التي اكتشفها هؤلاء وغيرهم في شمال جزيرة العرب ليست عربية وإنما هي سامية ، بعضها فينيقي ، والبعض الآخر آرامي عثروا عليها في فينيقية ، ومواب ، وزنجري ، وتيماء ، وفي بطرا ، والعلاء ، والحجر ، والصفا ، وبصرى ، وتدمر

وأقدم النقوش التي اكتشفوها في هذه الأماكن لا يتجاوز تاريخها القرن انتاسع قبل الميلاد ، وأحدثها في القرن الثالث بعده . وهي مكتوبة بأقلام مختلفة ، أشهرها الفينيقي ، والآرامي ، والنبطي ، والتدمري ، والمسند . وأكثرها ادعية أو أخبار محلية وفتية أو دينية ، قلما أفادت التاريخ على أجماله إلا من حيث ورود أسماء بعض الملوك أو القواد أو الآلهة التي تساعد على تحقيق الحوادث المدونة في الكتب

وبالجملة إن ما اكتشفوه من الآثار المنقوشة في بلاد العرب — على قلة وسائط الاكتشاف — قد أوضح كثيرا من الحقائق التاريخية وذكر دولا وحوادث لم يذكرها التاريخ العربي ولا اليوناني

المصادر المنقوشة خارج بلاد العرب

ونريد بها آثار بابل ، وأشور ، ومصر ، وفينيقية ، وقد يتبادر إلى الذهن أن هذه الآثار بعيدة عن أحوال العرب وتاريخهم ، ولكنهم وقفوا في آثار بابل على نقوش بالحرف المسماري ، استفادوا منها كثيرا عن تاريخ العرب القديم على عهد العمالة أو العرب البائدة ، مما لم يذكره العرب ولا اليونان ولا وجدوه في نقوش بلاد العرب باليمن أو الحبشة أو غيرها .

فاستدلوا مثلا من قراءة آثار بابل وأشور على تأييد ما ذكره بروسوس مؤرخ تلك الدول من قيام دولة عربية تولت بابل بضعة قرون في الألف الثالث قبل الميلاد . وآثار مصر أيدت سيادة العمالة على مصر نحو ذلك ألزم على ما سنفضله في مكانه . فضلا عما كان من اكتساح المصريين والآشوريين لبلاد العرب بعد زهاب سيادة هؤلاء عن ذينك البلدين

الخلاصة

فقد عولنا في تأليف هذا الكتاب على ما كتبه العرب بعد تمحيصه وتنقيحه ، وعلى ما جاء في التوراة ، وما كتبه اليونان والرومان ، وما استخرجه علماء الآثار من قراءة النقوش في بلاد العرب جنوبا وشمالا وما استخرجوه من آثار بابل وأشور ومصر الى هذا العام (١٩٠٨) - لم نترك كتابا يبحث في شيء من ذلك ، بالعربية أو الانجليزية أو الفرنسية أو الألمانية الا طالعناه وتفهمناه ، وهذه أهم الكتب التي استعنا بها في تأليف هذا الكتاب نذكرها بحسب لغاتها وترتيبها باعتبار الابجدية :

أولا - الكتب العربية

اسم الكتاب	اسم مؤلفه	مكان طبعه وسنة
الألفى ، ٢٠ جزءا	أبو الفرج الأصفهاني	بولاق ١٢٨٥ هـ
تاريخ سني الملوك	حمزة الأصفهاني	ليسك ١٨٤٨ م
» الامم والملوك ، ١١ ج	الطبري	ليدن ١٨٨٥ »
» اليعقوبي	ابن واضح اليعقوبي	ليدن ١٨٨٢ »
السيرة النبوية ، ٣ ج	ابن هشام	بولاق ١٢٩٥ هـ
صفة جزيرة العرب	أبو محمد الهمداني	ليدن ١٨٨٤ م
طبقات الشعراء	ابن قتيبة	ليدن ١٩٠٢ »
العير وديوان المتنبي والخبر ، ٧ ج	ابن خلدون	بولاق ١٢٨٤ هـ
المقد الفريد ، ٣ اجزاء	ابن عبد ربه	مصر ١٣٠٥ »
الكامل ، ١٢ جزءا	ابن الاثير	» ١٣٠٢ »
»	المبرد	» ١٢٨٦ »
كتاب الاستقلاق	ابن دريد	جوتنجن ١٨٥٤ م
» البلد والتاريخ ، ٤ ج	البخعي	شالون ١٩٠٧ »
» المعارف	ابن قتيبة	مصر ١٣٠٠ هـ
لطائف المعارف	الثعالبي	ليدن ١٨٦٧ م
المختصر في اخبار البشر ، ٥ ج	أبو الفداء	القسطنطينية ١٢٨٦ هـ
مروج الذهب ، جزآن	المسعودي	مصر ١٣٠٤ »
المشتركة ونسما	ياقوت الحمدي	جوتنجن ١٨٤٦ م
سجم البلدان ، ٦ اجزاء	ياقوت الحموي	ليسك ١٨٧٠ »
سجم ما استسجم ، جزآن	البكري	جوتنجن ١٨٧٧ »
نهاية الأرب في قبائل العرب	القلقشندي	خط
هيودوتس	هيودوتس	بيروت ١٨٨٧ »

ثاني - الكتب الإنجليزية

Alexander, Biblical Literature, 3 vol.,	Philadelphia	1866
Babylonian Expedition, vol. III	»	1905
Bent, The Sacred City of the Ethiopians,	London	1893
Browne, Literary Hist. of Persia, 2 vol.		1906.
Brugsch Bey, History of Egypt under the Pharaohs, 2 vol. »		1881
Burton, The Land of Midian,	London	1879
» The Gold mines of Midian,	»	1878.
Clane, Library of Universal History, 8 vol.,	New-York,	1897
Clay, Light on the Testament from Babel,	London,	1907
Cooke, North Semitic Inscriptions,	Oxford,	1903.
Doughty, Travels in Arabia Desert.	Cambridge,	1888
Edwards, The Hammurabi Code,	London,	1904
Forster, Historical Geography of Arabia, 2 vol.,	»	1844.
Gibbon, Roman Empire, 2 vol.,	»	
Harris, Journey through the Yaman,	London,	1893
Heeren, Historical Research, II,	Oxford,	1833
Hill, With the Bedwins,	London,	1891
Josephus, Antiquities of the Jews,	»	
Journal of the Royal Asiatic Society, several volumes,	»	1834-1907
King, Egypt and Western Asia in the light of recent discoveries		1907
Margoliouth, Mohamed & the Rise of Islam,	»	1905.
Maspero, The Dawn of Civilisation in Egypt & Chaldee,	»	1894
Merril, East of the Jordan,	New-York,	1881
Nicholson, Literary Hist. of the Arabs,	London,	1907
Old Testament and Semitic Studies, 2 vol.,	Chicago,	1908.
Palgrave, Personal Narrative of a Year's Journey, through Central and Eastern Arabia,	London,	1873.
Plate, Ptolemy's knowledge of Arabia,	»	1845.
Rawlinson, Five great Monarchies, 4 vol.,	»	1867
Redhause, Were Zenobia and Zebba'u Identical ? (J.R.A.S.)	»	1887.
Sharpe, History of Egypt, 2 vol.,	»	1885.
Sprenger, The Campaign of Aelius Gallus (J.R.A.S.)	»	1873.
Smith, Dictionary of the Bible, 8 vol.,	New York,	1868.
Universal History, vol. XVIII,	London,	1743
Wellsted, Travels in Arabia, 2 vol.	»	1838.
Wilkinson, The Ancient Egyptians, 2 vol.,	»	1878

ثالثا - الكتب الغربية

Arnaud, Plan de la Digue et de la Ville de Mareb	J. A. 7me Série, IV	Paris	1874
Arnaud, Relation d'un voyage à Mareb.	J. A. 8ème Série,	V Paris,	1845
Berger, Histoire de l'Ecriture dans l'antiquité			1861
> L'Arabie avant Mohamed d'après les Inscriptions			1885
Desverger, Histoire de l'Arcole,			1847
Dussaud, Les Arabes en Syrie avant l'Islam,			1907
Duval, La littérature Syrienne			1900
Ganneau, La Province romaine de l'Orient,			
(Et. Arch. Ar., II)			1897
Gaeje, Hadramut, Revue Coloniale Internationale, II,			1887
Halevy, Etudes Sabéennes, J.A. 7me Série I, II, IV, Paris			1873-74
> Essai sur Les Inscriptions du Saba,			
J. A. 7me S. X. XVII, Paris			1877-81
Journal Asiatique, plusieurs volumes,			1822-1907
Labourt, Le Christianisme dans l'Empire Perse,			1907
Lenormant, Manuel de l'Histoire Ancienne de l'Orient,			
3 vol.,			1869
Maspero, Histoire Ancienne des Peuples de l'Orient,			
3 vol.,			1863
Perceval, Essai sur l'histoire des Arabes, 3 vol.,			1847
Renan, Histoire des Langues Sémitiques,			1855
Strabon, Géographie, 4 vol.,			1886
Vogüé, Syrie centrale, 3 vol.,			1877
Volney, Voyage en Syrie et en Egypte, 2 vol.,			1798

رابعا - الكتب العربية

Blau, Die Wanderung der Sabaeischen Volkerstämme	(Z. D. M. G.	1868
Baedeker's Palästina und Syrien,	Leipzig,	1901
Brunnow & Pomarazski, Die Provincia Arabia, 3 vol.,		
Euting, Nabataische Inschriften aus Arabien,	Strasburg,	1906
Glaser, Der Damm von Marib, O. M. O. XXIII,	Berlin,	1897
> Abessinier in Arabien & Africa,	München,	1895
> Skizze der Geschichte und Geographie Arabiens von den ältesten Zeiten, Band II,	Berlin,	1890
> Südarabische Streiffragen,	Prag,	1887
> Zwei Inschriften über den Dammbruch von Marib,		
(Mith. Vordas. Ges.),		1887
Grimme, Weltgeschichte in Karaktersbildern, Mohamed	München,	1904
Hommel, Südarabische Chrestomatie,		1893

Der Gestirn diens den alten Araber & die alter Rachtische

Kremer, Die Südarabische Sage,	München, 1901
Lidzbarski, Handbuch der Nordesemiltische Epigraphik,	Leipzig, 1866
Mordtman, Himjarische Inschriften und altertümer in den Kon. Mus. Berlin,	Weimar, 1893
Müller Die Burgen und Schlosser Südarabiens	Berlin, 1893
nach dem Jklil des Hamandani, 2 heft,	Wien, 1881
» Südarabische Altertümer in kunthistorischen Hohemuseum, Wien,	1899
Nielson, Die altarabische Mondreligion und die Musaische Überlieferung	Strasburg, 1904
Noeldeke, Die Ghassanische Fürsten ans dem Hause Gafna's,	Berlin, 1887
Rothstein, die Dynastie der Lahmiden in Ahira,	» 1891
Sprenger, Die alte Geographie Arabiens,	Berlin, 187g
Wellhausen, Reste Arabischen Heidentum,	Berlin, 1897
Weber, Arabien vor dem Islam,	Leipzig, 1901
Wustenfeld, Genea. Tab. der Arabischen Stamme und Familien,	Gottengen, 1852
Zeitschrift Der D. M. Gesel.	Berlin, 1845—1907

هذه أهم الكتب التي استعنا بها في تأليف القسم التاريخي من هذا الكتاب ، فضلا عما رجعنا اليه من الموسوعات والمعاجم الكبرى التاريخية والأثرية وغيرها

وسنشير في ذيل الصفحات الى بعض هذه المصادر ، وتكتفى غالبا بذكر اسم المؤلف الا اذا كان اسم الكتاب غالبا على شهرة مؤلفه فنذكر اسم الكتاب ، واذا كان له غير كتاب ذكرنا بجانب اسمه ما يميز احدها عن الآخر فيجد ان طالعنا هذه الكتب وتفهمناها وقابلنا بينها ، تمثل لنا تاريخ العرب قبل الاسلام على شكل بسطناه في هذا الكتاب ، ربما خالف ما ذهب اليه سوانا في بعض الاحوال ، ولا سيما في التاريخ القديم لقلة النصوص الصريحة ، فعولنا على الاستنتاج والقياس ، ومتى زادنا الباحثون من استخراج آثار بلاد العرب ، وبابل ، واشور ، يزداد هذا التاريخ وضوحا .. لان الباقي تحت الرمال من تلك الآثار اكثر كثيرا مما كشفوه ، لكثرة الاعاصير السافية في جزيرة العرب التي تقذف الرمال الى الأودية فتتراكم فيها بتوالي الاعوام حتى تجعلها سهولا . وكل ما وصل اليها خبره من انقاض تلك البلاد وجدوه ظاهرا على القمم التي لم تغطها الاعاصير .. فما قولك اذا تقبوا عما في السهول والأودية ؟ . وقد يكون ما يكشفونه نافعا لبعض ما ذهبنا اليه فيصلح في حينه (*)

(*) سنضيف ما ظهر بعد ذلك من المراجع في مواضع من هذه الطبعة

جغرافية بلاد العرب

حدودها

إذا اردت ببلاد العرب جزيرتهم فقط ، فحدودها الطبيعية أربعة :
شرقي شمالي يبدأ في الجنوب بخليج فارس من شواطئ عمان فالبحرين
إلى مصب الفرات ودجلة ثم على طول الفرات إلى أعالي سوريا ، وغربي
شمالي يمتد من الفرات شرقي سوريا وفلسطين إلى خليج العقبة ، وشرقي
جنوبي على طول البحر الأحمر إلى باب المندب ، وجنوبي غربي هو بحر
العرب على شواطئ اليمن وحضرموت والشحر إلى شواطئ عمان

أما العرب فكانوا يدخلون في جزيرتهم بيرة سيناء وفلسطين وسوريا ،
فحدودها عندهم تبدأ من قنسرين في الشمال على شاطئ الفرات وهو
رأس حدها الشرقي ، ويمتد مع الفرات في مسيره جنوبا شرقيا حتى يصب
في البحر عند البصرة والإبلة ، ومنها على شاطئ خليج فارس مطيفا على
سعوان والقطيف وهجر وأسياف البحرين وقطين وعفان ، ثم ينطف غربا
جنوبيا بشواطئ بحر العرب على الشحر وحضرموت إلى عدن ، وينعطف
شمالا غربيا على شواطئ البحر الأحمر إلى خليج إبلة وساحل راية إلى
القلزم (السويس) ومنها إلى بحر الروم ، ويسير فيه على شواطئ فلسطين
وسوريا فيمر بسواحل عسقلان والأردن وبيروت إلى قنسرين حيث بدأ .
فهي عندهم تشتمل على شبه جزيرة سيناء وفلسطين وسوريا ، وذلك أقرب
إلى التحديد الطبيعي لأن الأصل في الحدود أن تكون أنهرًا أو أنهرًا أو جبالا عالية

على أننا إذا أردنا بجزيرة العرب البلاد التي كان يسكنها العرب على
الأطلاق فنرى حدودها تختلف باختلاف العصر والدول ، فقد كانت في
الزمن القديم تمتد من ضفاف الفرات غربا إلى ضفاف النيل ، لأن بعض
مبائلهم كانت على عهد الفراعنة تضرب خيامها في البادية بين النيل والبحر
الأحمر . وكان المصريون من قديم الزمان يعتبرون كل ما هو شرقي بلادهم
إلى حدود بابل بلادا واحدة يسكنها العرب على ما سنبينه في مايلي . وتكتفي
الآن بالحدود المعروفة ، وهي الفرات من قنسرين فخليج فارس فبحر العرب
فإنهر الأحمر فخليج العقبة فحدود فلسطين وسوريا إلى الفرات

اقسامها

واختلفت اقسامها أيضا باختلاف العصر ، فكانوا يقسمونها قديما —

باعتبار طبائع أقاليمها - الى البادية في الشمال والحاضرة في الجنوب .
والبادية تشمل القسم الشمالي من تلك الجزيرة ، من مشارف الشام الى
حدود نجد والحجاز . والقسم الجنوبي يشمل سائر جزيرة العرب ، وفيها
الحجاز ونجد واليمن وغيرها . ثم اُضاف اليونان الى هذين القسمين -
قسما ثالثا سموه العربية الحجرية - اوبلاط العرب الصخرية Arabia Petra
سبة الى بطرا في وادي موسى جنوبي فلسطين ، فأصبحت بلاد العرب عند
بطليموس القلوزي ثلاثة اقسام : البادية - بلاد العرب الصخرية Arabia Petra
وبلاط العرب الصحراوية Arabia Deserta ، وبلاد العرب السعيدة
Arabia Felix . ومما ذكره بطليموس من مدنها في ذلك العهد : تيماء
وحويلة ودوماتا (دومة الجندل) وأورانا (حوران) وغيرها في البادية ،
وبطرا وبصرى وجرش وعمان وأذرع وليزا وغيرها في العربية الحجرية ،
وسبأ ومأرب وظفار وحضرموت وعمان والحجر وغيرها في العربية السعيدة .
غير ما ذكره من أسماء القبائل والأمم ، ومنها ما لم يعرفه العرب - وظل
تقسيم بطليموس مرجعا في أوربا الى عهد غير بعيد

اما العرب فيقسمونها الى اقسام طبيعية باعتبار المواضع وأقاليمها .
واساس تقسيمها عندهم جبل السراة وهو أعظم جبال جزيرة العرب ،
عبارة عن سلسلة جبال تبدأ في اليمن وتمتد شمالا الى اطراف بادية
الشام ، فتقسم جزيرة العرب الى شطرين : غربي وشرقي . فالغربي -
وهو أصغرهما - ينحدر من سفح ذلك الجبل حتى يصل الى شاطئ البحر
الاحمر ، وقد صار هابطا أو غائرا فسموه الغور أو تهامة . والقسم الشرقي
أكبرهما ، يمتد شرقا وهو على ارتفاعه مسافة طويلة الى اطراف العراق
والسماوة ، فسموه نجدا لذلك السبب . وسموا الجبل الفاصل بين تهامة
ونجد « الحجاز » وهو جبال تتخللها المدن والقرى . وجعلوا ما تنتهي به
نجد في الشرق حتى يصل الى خليج فارس بلاد اليمامة والبحرين وعمان .
وما والاها ، ويسمونها العروض . وسموا القسم الجنوبي وراء الحجاز
ونجد بلاد اليمن وحضرموت والشحر

فجزيرة العرب تقسم بهذا الاعتبار الى خمسة اقسام كبرى :
الحجاز ، وتهامة ، ونجد ، والعروض ، واليمن . وكل منها يقسم الى
اقسام اختلفت أسماؤها وحدودها باختلاف الاصر والدول : فالحجاز
يشمل كل شمالي جزيرة العرب والطائف وجدة وينبع وغيرها . واليمن
يشمل معظم بلاد الجنوب ويعدون حضرموت والشحر منها وأشهر مدنها
الآن صنعاء وشبوة وغيرها . وتقسيم اليمن الى تخاليف - واحدها
مخلاف - وسنعود الى ذلك في أثناء تاريخها

العرب

إذا قلنا « العرب » اليوم أردنا سكان جزيرة العرب والعراق والشام ومصر والسودان والمغرب ، أما قبل الاسلام فكان يراد بالعرب سكان جزيرة العرب فقط ، لأن أهل العراق والشام كانوا من السريان والكلدان والأنباط واليهود واليونان ، وأهل مصر من الأقباط ، وأهل المغرب من البربر واليونان والوندال ، وأهل السودان من النوبة والزنوج وغيرهم . فلما ظهر الاسلام وانتشر العرب في الأرض توطنوا هذه البلاد وغلب لسانهم على السنة أهلها فسموا عربا

أما في التاريخ القديم - على عهد الفراعنة والآشوريين والفينيقيين - فكانوا يريدون بالعرب أهل البادية في القسم الشمالي من جزيرة العرب وشرقى وادى النيل ، في البقعة الممتدة بين الفرات في الشرق والنيل في الغرب (١) ، ويدخل فيها بادية العراق والشام وشبه جزيرة سيناء وما يتصل بها من شرقي الدلتا والبادية الشرقية بمصر بين النيل والبحر الأحمر . وكان وادى النيل هو الفاصل الطبيعي بين ليبيا في الغرب وبلاد العرب في الشرق . وكان المصريون يسمون الجبل الشرقي الذي يحده النيل في الشرق جبل العرب أو بلاد العرب ، ويسمون الجبل الغربي جبل ليبيا

ولفظ « عرب » في التاريخ القديم كان يرادف لفظ « بدو » أو « بادية » - في أيامنا وهو معنى اللفظ في اللغات السامية يقابلها في العربية « العرابة » في وادى موسى ، والاعراب سكان البادية خاصة ولا مفرد لها . على أن العرب كانوا يسمون جزيرتهم « عربية » (٢) ولما تحضر بعض قبائل العرب قديما واقاموا في مدن اليمن والحجاز وحوارن وغيرها ، لم يعد لفظ « العرب » محصورا في « البدو » ، فتنوع معناه كما تنوع مسماه ، فاضطروا الى كلمات تميز بين الحاليين ، فاستعملوا لفظ « الحضر » لأهل المدن و « البدو » لأهل البادية .

وأم يبق للفظ « العرب » من معنى البداوة الآن الا في مثل قولهم اعرابي . كما تقدم . وكان السبأون (دولة سبأ) الى تاريخ الميلاد اذا ذكروا بعض قبائل الحضر وبدوها قالوا : « القبيلة الفلانية واعرابها » . وكان أولئك العرب أو البدو سكان تلك البادية في شمالي جزيرة العرب يقسمون الى

(١) هيرودوتس ١١٢

(٢) باتوت ٦٣٣ ج ٢

قبائل وبطون وعشائر ، كما كان حالها قبل الاسلام وبعده

أما جنوبي جزيرة العرب ، بين خليج فارس والبحر الاحمر ، فكان اليونان القدماء يعدونه من اثيوبيا (الحبشة) فيجعلون الحبشة واليمن وضفاف خليج فارس اقليما واحدا يسمونه « اثيوبيا آسيا » (١) وسكانه آمم وقبائل تعرف بأسماء خاصة بها كالسبائين والحميريين والمعينيين وغيرهم كما سيأتى

وما لبث اليونان ان استبدوا بالتمدن الشرقى (٢) ، واقاموا في الاسكندرية على عهد البطالسة حتى غيروا تلك الاسماء واطلقوا على الجزيرة كلها اسم بلاد العرب ، وقسموها الى اقسامها الثلاثة التى تقدم ذكرها . ثم قسمها العرب الى خمسة اقسام وسعوا اهلها على الاجمال عربا ، باطلاق الجزء على الكل ، كما اطلق الجغرافيون لفظ « آسيا » على قارة آسيا وكانوا يريدون بها على عهد اليونان آسيا الصغرى ، واطلقوا افرقيا على القارة كلها وكانت اسم جزئها الشمالى فقط . ولنفس هذا السبب اطلق اليونان على أهل جزيرة العرب لفظ ساراسين Saracen وهو اسم قبيلة من سكان اعالي الجزيرة يظن بعضهم انها منحوتة من « الشرقيين » لأن تلك القبيلة كانت تقيم في شرقى جبل السراة (٣) ولذلك ايضا يعرف العرب عند السريانيين باسم « طابة » نسبة الى طيبى احدى قبائلهم . وعلى هذا اقتباس يسمى العرب أهل أوربا « افرنج » وهو فى الاصل اسم امة منهم هم « الفرانك » . ويعرف السوربون اليوم بأسماء تختلف باختلاف المهاجر ، فهم يسمون فى الاستانة « حلبية » لأن أقدم من نوح اليها منهم الحلبيون ، ويسمون فى العراق « البيارثة » نسبة الى بيروت ، وفى مصر « الشوام » نسبة الى الشام لأن اهلها أقدم من هاجر الى مصر من السوربين

من هم العرب ؟

واين هو مهد الساميين ؟

اصطلح المؤرخون فى هذا العصر ان يسموا الشعوب التى تنفاهم بالعربية والعبرانية والسريانية والحبشية - والتى كانت تنفاهم بالفينيقية والاشورية والآرامية - « شعوبا سامية » نسبة الى سام بن نوح ، لأن هذه الامم جاء فى التوراة انها من نسله ، وسموا لغاتهم اللغات السامية . ولا خلاف فى ان هذه اللغات متشابهة فى الفاظها وتراكيبها ، وانها من اصل واحد يسمونه « اللغة السامية » ، كما تشابه فروع اللغة اللاتينية أو فروع السنسكريتية ، فيقال مثلا أن اللغتين الإيطالية والاسبانية أختان أمهما اللغة اللاتينية ، وأن الفارسية والأوردية أختان أمهما السنسكريتية ، كما يقال أن لغات العامة فى

(١) Rawlinson, 1, 61 (٢) أى غلبت حضارتهم على حضارات شعوب الشرق

(٣) Glaser, Geo. 11, 230

انشام ومصر والمغرب والحجاز أخوات امهن اللغة العربية الفصحى . فهذه اللامهات لا تزال محفوظة يمكن رد بناتها اليها ، اما أم اللغات السامية فلا وجود لها الآن ، وقد ظن بعض فلاسفة اللغة انها العبرانية ، وزعم غيرهم انها العربية ، وغيرهم انها البابلية ، ولا تخرج أقوالهم عن حد التخمين

واختلفوا ايضا في موطن الساميين الاصلى ، ولهم في ذلك أبحاث طويلة لا فائدة من ابرادها . ويقال بالاجمال انها ترجع الى اثنين - الاول : رأى أصحاب التوراة ان مهد الانسان في ما بين النهرين ومنه تفرق في الارض ، فاشتق من الساميين الاشوريون والبابليون في العراق ، والآراميون في انشام ، والفينيقيون على شواطئ سوريا ، والعبرانيون في فلسطين ، والعرب في جزيرة العرب ، والاثيوبيون في الحبشة . ومرجعهم في اثبات ذلك الى أقوال التوراة . ولا يقول هذا القول من علماء هذا العصر الا قليلون (١)

اما المستشرقون فنظروا في ذلك باعتبار اللغات واشتقاقها ، فرات طائفة منهم مشابهة بين اللغات السامية والحامية (لغات افريقيا) فذهبوا الى ان مهد الساميين في افريقيا ، ونظرا لقرب الحبشة من بلاد العرب اقليما ولغة قالوا ان مهد الساميين الحبشة ، ومن أصحاب هذا المذهب سالت وريتر . وذهبت طائفة أخرى - وفي مقدمتها سبرنجر ، وشريد ، وونكلر - الآلمانيون وروبرتسن سميت الانجليزى - الى ان مهد الساميين جزيرة العرب ، ومنها تفرقوا في الارض كما تفرقوا في صدر الاسلام . ولهم على ذلك أدلة وجيهة ، بعضها لغوي والبعض الآخر اجتماعي أو اخلاقي ، وتطرف بعضهم في ذلك حتى حصروا ذلك المهد في بادية الشام الى نجد . ومن ادلتهم على صحة مذهبهم ان اللغة العربية اقرب أخواتها الى اللغة السامية الاصلية ، وان في العبرانية والآرامية آثار الحياة البدوية وهى عربية وذهبت طائفة أخرى - زعيمها اجنازيو جويدي المستشرق الإيطالى - الى ان مهد الساميين في جنوبى الفرات ، وأسند أقواله الى أسباب جغرافية طبيعية تتعلق بتفرق النبات والحيوان وأسمائها في اللغات السامية . وتوسع آخرون في آرائهم من هذا القبيل ، فقالوا ان اصل الساميين في الحبشة ، وانهم عبروا الى جزيرة العرب من بوزاز باب المندب الى اليمن قبل زمن التاريخ ، وتكاثروا هناك وانتقلوا من اليمن الى الحجاز ونجد والبحرين ، ثم نزحت طائفة منهم الى فلسطين وفيها الفلسطينيون القدماء ، وطائفة الى العراق واهل العراق يومئذ السومريون أو الأكاديون (٢) وهم طورانيون

(من جنس المغول) وقد تمدنوا وتحضروا ، وطائفة الى فينيقية - فلب الساميون على تلك البلاد وأنشأوا دول بابل وأشور وفينيقية وفلسطين وغيرها . ويرى اصحاب هذا المذهب أن العبرانيين نزحوا من الحجاز ، والآراميين من نجد لأن آرام معناها الجبال ونجد جبلية . ويستشهدون على صحة رأيهم بما ذكره هيرودوتس عن نزوح الفينيقيين في الاصل من شاطئ خليج العجم

ويقال بالاجمال أن مسألة مهد الساميين لا تزال من المسائل الفاضلة ، التي يجب تركها حتى تتسع معارفنا بما يكشفونه من الآثار العربية والاشورية والبابلية وغيرها . ومهما يكن من أمر ذلك المهد ، فإن الأمم التي تفرقت منه كانت تتكلم عند تفرقها لغة واحدة هي اللغة السامية الاصلية ، ثم تفرقت تلك اللغة حسب الاقاليم وعلى مقتضى ناموس الارتقاء ، وتباعدت الفاظها وتراكيبها ولا تزال تشترك في خصائص تميزها عن سواها من اللغات الآرية والطورانية (١)

البادية غذاء الحضارة

فلندع البحث في ما هو قبل التاريخ ، ولنأت الى زمن التاريخ . فيظهر لنا ان أقدم الأمم السامية التي تمدنت وخلفت آثارا هم البابليون ، فقد تمدنوا في الالف الثالث قبل الميلاد (١) وهو الزمن الذي نزح فيه الفينيقيون من خليج فارس الى سوريا (٢) على ما يظن . وكانت بابل بلاد حضارة وتمدن قبل ذلك الحين بأجيال وسكانها السومريون (٣) ، فأقام الساميون أولا في غربها ببادية العراق والشام ، وهم قبائل وحل يعيشون على السائمة والغزو مثل بدو هذه الايام هناك ، وكما كان بنو لحم وغسان في صدر الاسلام . فكان السومريون يستعينون بهم في محاربة أعدائهم ، كما كان الفرس والروم يستعينون باللخميين والفساسنة ، لأن الغلبة كانت يومئذ للقوة البدنية . والحضارة تبعث على الرخاء والترف والانغماس في اللذات والركون الى الراحة فتذهب تلك القوة وتؤول الى الضعف . والبادية تقوى الإنداد وتربى النفوس على الاستقلال ، فلذلك كان أهل الحضارة أو المدن يستعينون بأهل البادية أو الجبال فيما يحتاج الى جهد . حتى اذا شاخت الدولة المتحضرة خلفها جيرانها البدو أو الجبلون بالفتح أو نحوه ، وقاموا مقامها واقتبسوا عادات أهلها وديانتهم . ثم لا يلبثون أن يدرهم الهرم فيخلفهم سواهم من أهل البادية ، سنة الله في خلقه . كان أهل البادية أو الجبال مصدر الغذاء للمدن : يحيون أهلها بالنزول بينهم والتزوج منهم ،

(١) عن العربواصل تسميتهم ، انظر جرادعلى، تاريخ العرب قبل الاسلام ، ج ١ ص ١٦٦ وما يليها - ومن مهد الساميين ، انظر نفس المصدر والجزء ٢ ص ١٥٠ وما يليها

Clay, 71 (١) هيرودوتس ٢٨ (٢) Kleg, 135-143 (٣)

ويربون لهم الماشية والسامة لغذائهم وركوبهم . وكان المدن مهلكة للابدان والعقول : يأتيها البدو بنشاطهم وانفتهم فلا يلبثون أن يتحضروا ويركنوا الى الرخاء ، حتى تنحل عزائمهم ويتلاهم الضعف ويتفشى فيهم الدل ، فيأتي من يقوم مقامهم . وقد يتسرب ذلك الغذاء (*) تدريجا بمن يفد على المدن من اهل الجبال المجاورة كما يجري في سوريا لهذا العهد ، فان مدنها تجدد قواها بمن ينزلها من اهل لبنان ، واذا تأملت النهضة الاخيرة في الشام رايت القائمين بها اكثرهم من اهل ذلك الجبل النشط (**) .

هذا هو شأن العالم من قديم الزمان حتى الآن - فالعراق أو ما بين النهرين بلاد خصب ورخاء ، نزلها الطورانيون قديما : جاءوها وهم اهل بادية أو جبال ، فطاردوا قوما كانوا فيها من اهل الرخاء لم يصننا خبرهم ، وأنشأوا فيها تمدنا حسنا ، واتخذوا آلهة وشرائع ، واستنبطوا كتابة سورية تحولت بنوالى الاجيال الى الشكل المسماري المعروف . ولما تحضروا وغلب عليهم الرخاء ، جاءهم الساميون من البادية وغلبوهم على ما في أيديهم ، وأخذوا آلهتهم وشرائعهم وزادوا فيها أو حسنها . وقد تدرجوا في التغلب والتحضّر على الاسلوب الآتي :

كان الساميون في اعالى جزيرة العرب ، وقد خيم بعضهم في البادية بين العراق والشام ، فالقيومون منهم قرب الفرات كانوا يتسربون تدريجا الى المدن المجاورة ، فمن تحضر منهم هناك خدم دولتها في الحروب او غيرها مما يحتاج الى قوة بدنية ثم يتدمج في اهلها . وكان سكان المدن يسمون اهل تلك البادية «آراميين» (١) أي اهل الجبال ، وأهل ما بين النهرين يسمونهم «عمورو» أي اهل الغرب ، لان بلادهم واقعة غربي الفرات وهو اسمهم القديم في بابل - وقد يراد بالعمورو اهل غربي الفرات من بدو وحضر الى البحر المتوسط (٢) - ثم سموهم «عربى» أو عرب ، ومعناها ايضا في اللغة السامية الاصلية «الغربيون» ، وكانوا يسمون بلادهم «مات عربى» أي بلاد الغربيين أو بلاد العرب ، وبما ان تلك البلاد صحراء بادية صار لفظ «عرب» في اللغات السامية يدل على البادية أيضا ومنها الاعرابى في العربة كما تقدم . بهذا المعنى سماهم المصريون القدماء ايضا «شاسو» أي البدو أو اهل البادية كما سيأتي

ويشبه ذلك ما حدث في مصر لهذا العهد ، فانهم يعبرون عن الشمال عندهم

(*) أى فضيلة المدن بالناصر البدوية المنطقة

(**) يتابع المؤلف هنا نظرية ابن خلدون المشهورة في دورة العمران ، وقد فصلها ابن خلدون في الفصل الثلاثة الاولى من السبب الثاني من « المقدمة » وهذه الفصول هي :
« في ان اجيال البدو والحضر طبيعة » و « في ان جيل العرب في الخلقة طيبى » و « في قدم اهل البادية والبدو »

انظر « المقدمة » طبعة بيروت ، ج ١ ص ٢١٢ - ٢١٧

بالبحر لأن البحر في شمالي بلادهم ، وعن الجنوب بالقبلى ومدلوله في الأصل جهة قبلة الكعبة . ومنها تسمية شرقي الدلتا بالشرقية وأهلها شرقاوية ، وما يليها إلى الغرب « الغربية » ، ويسمون أهل شمالي أفريقيا مغاربة لأنهم في غربي بلادهم .
تلك كانت عادة القدماء في تسمية الأمم بمساكنهم بالنظر إلى غروب الشمس أو شروقها ، ولذلك كان العبرانيون يسمون العرب «أهل المشرق» لأن مقامهم في تلك البادية يقع شرقي فلسطين (*)

(*) هنا يوجب المؤلف آراء الباحثين والعلماء في أصول الساميين وهجراتهم وملاقاتهم ببلاد الرافدين والشام ومصر والحبشة ، وهي آراء كثيرة دارت حولها مناقشات طويلة لم تنته إلى نتيجة حاسمة إلى اليوم . ونظرا لكثرة ما كتب في الموضوع في كافة اللغات ، رأيت أن أدل القاريء على أهم النظريات ومن قال بها :

أولا : رأى القائلين بأن أصل الساميين بلاد الرافدين ، وأهمهم :
Alfred von Kremer : *Semitische Cultur-Entstehungen aus Pflanzen und Thierreiche in Das Ausland*, Band IV.
Ignazio Guidi : *Della Sede Primitiva dei Popoli Semitici*, Roma 1879.
Hommel, *Die Namen der Söeugthie re bei den südsemitischen Voelkern*, Leipzig 1879.
Die semitischen Voelkern und Sprachen, 1881.

ثانيا : رأى من عارضى هذا الرأي وذهب إلى خطئه :
Theodor Noeldeke : *Semitische Sprachen*, Leipzig 1879.

ثالثا : رأى من قال بأن الوطن الأصلي للساميين جزيرة العرب :
Alais Sprenger : *Das Leben und die Lehr Muhammads*, Berlin 186.
Syce : *Assyrian Grammar*, London 1872.
Eberhard Schraeder : *Die Abstammung der Chaldaer und der Ursitz der Semiten in ZDMG XXVII* 1873.

De Geoe : *Het Vaterland der Semitische Volken*.
Carl Brockelmann : *Grundriss der vergleichenden Grammatik der semitischen Sprachen*, Berlin 1908.
Ditlief Nielsen : *Handbuch der alt-arabischen altertumskunde*, Kopenhagen, 1927

Robertson Smith : *Kinship and Marriage in Early Arabia*.

رابعا : رأى القائلين بأن الوطن الأصلي للساميين ليس في جزيرة العرب ولا في بلاد الرافدين ، وإنما قد يكون في شرقي إفريقية في ناحية الصومال ، أو شمالي إفريقية :

Palgrave : *Arabia in Encyclopaedia Britannica*.
Brinton : *The Cradle of the Semites*, Philadelphia 1890.
Barton : *A sketch of Semitic Origins, Social and Religious Study* : N.Y. 1809.

خامسا : رأى القائلين بأن أصل الساميين بلاد أرمينية أو بلاد العموريين (الشام وحواسن القرات) :

John Peters : *Semitic Origins*, in *journal of the American Oriental Society*, XXXIX.

Clay : *Amurru, the home of the Northern Semites*, Philadelphia 1909.
ويبدو من خلال المناقشات أن الرأي السائد هو القائل بأن أصل الساميين في جزيرة العرب واستنادا إلى هذا الرأي بحث العلماء أسباب هجرات الساميين خارج شبه الجزيرة ، وهنا تختلف الآراء مرة أخرى ، واليك أهم الاتجاهات في هذا الموضوع :

أولا : رأى من قال بأن جزيرة العرب كانت في الأعمار السحيقة خصبة الأرض وافر الزرع مثل بلاد الهند اليوم ، ثم تغير مناخها ومال إلى الجفاف شيئا فشيئا ، فأخذ أهلها بهجرون منها في موجات يفصل أحداها من الأخرى الفدعام تقريبا . وعلى رأس القائلين بنظرية الجفاف هذه :

اقسام تاريخ العرب

اصطلح مؤرخو العرب أن يقسموا تاريخ العرب قبل الاسلام الى قسمين : العرب البائدة ، والعرب الباقية . ويريدون بالبائدة القبائل القديمة التي بادت قبل الاسلام ، والباقية عندهم قسمان :

- ١ - العرب القحطانية من حمير ونحوها من اهل اليمن وفروعها
- ٢ - العرب العدنانية في الحجاز وما يليها . واختلف نظر الباحثين في العرب من هذا القبيل اختلافا كثيرا لا فائدة من ذكره

وقد تبين لنا بدرس احوال العرب وتاريخهم من أقدم ازمانهم الى ظهور الاسلام أنهم مروا بثلاثة ادوار كبرى . . كانت السيادة في الدور الاول أو القديم لقبائل القسم الشمالي من جزيرة العرب وأكثرهم من العرب البائدة ، وفي الدور الثاني المتوسط كانت السيادة فيه لعرب القسم الجنوبي وأكثرهم من القحطانية ، والدور الثالث أو الاخير عادت السيادة فيه الى الشمال وينتهي بظهور الاسلام ، وأكثر قبائله من العدنانية . فلا بأس اذا تابعنا القدماء في تقسيمهم مع ما يقتضيه ذلك من التعديل في أثناء الكلام فنقسم هذا التاريخ الى ثلاث طبقات :

- (١) العرب البائدة أو عرب الشمال
- (٢) القحطانية أو دول الجنوب
- (٣) العدنانية أو عرب الشمال في الطور الثاني

Leoni Caetani : L'Arabia preistorica e l'essicamento della terre = Studi dei Storia Orientale.

ثانيا : رأى من عارض نظرية الجفاف، وذهب الى أنها لا تستند الى أسس علمية ، وأن سبب الهجرات هو ضعف حكومات اليمن وتحول طرق التجارة مما أدى الى القوضى والفساد والنظام العام :

وقد عالج هذه المشكلات وناقشها نفر من علماء العرب المحدثين ، دون أن يبدو فيها رأيا مؤيدا بأدلة علمية

انظر المناقشة عند :
جواد علي : العرب قبل الاسلام ، ج ١ ص ١٤٨ وما يليها

الطبقة الأولى
العرب البائدة

عرب الشمال

في الطور الاول

يقول العرب ان هذه الطبقة تشتمل على عاد وئمود والعمالقة وطسم وجديس واميم وجرهم الاولى وحضرموت ومن ينتمى اليهم ، ويسمونهم العرب العاربة ، وانهم من ابناء سام - قال ابن خلدون : « وكان لهذه الامم ملوك ودول في جزيرة العرب ، وامتد ملكهم فيها الى الشام ومصر في شعوب منهم ، ويقال انهم انتقلوا الى جزيرة بالقرب من بابل لما زاحمهم فيها بنو حام ، فسكنوا جزيرة العرب بادية مخيمين . ثم كان لكل فرقة منهم ملوك وأطام وقصور ، الى أن غلب عليهم بنو يعرب بن قحطان » (١) ، وقال في مكان آخر : « ان قوم عاد والعمالقة ملكوا العراق » (٢)

واذا تدبرت ما نقله العرب عن القبائل البائدة رايتهم يقسمونهم الى قسمين : العماليق من نسل لاوذ بن سام ، وسائر القبائل البائدة من نسل ارم بن سام (٣) . قال ابن خلدون : « كان يقال عاد ارم ، فلما هلكوا قيل نمود ارم ، فلما هلكوا قيل نمود ارم ، فلما هلكوا قيل سائر ولد ارم ارمان » (٤)

فالعرب يعدون العرب البائدة ساميين من نسل ارم ، اي آrameيين ، الا العمالقة فيقولون انهم من نسل لاوذ بن سام اخي ارم ، ويقولون انهم ملكوا العراق « بابل » ثم نزحوا منها الى جزيرة العرب . فهذا القول - على اختصاره - يوافق خلاصة ما وصلنا اليه بعد النظر في ما اكتشفه العلماء في بابل واشور من النقوش ، او قراؤه في كتب اليونان وغيرهم وايضاحا للموضوع تقدم الكلام في العمالقة ، لانهم في اعتقادنا أصل سائر العرب البائدة ، او هو اسم يشملهم جميعا (٥)

(١) ابن خلدون ٢٨ ج ١
(٢) ابن خلدون ٧١ ج ٢
(٣) يبعد بنا ان نقف هنا لحظة لنلقى نظرة على رأى المؤلف في العرب البائدة ومذهبه في تقسيمهم الى طيقتين
(٤) ينقسم عرب ما قبل الاسلام - في رايه الى : العرب البائدة او الطور الاول لمصرب الشمال ، والعرب العاربة وهم اولاد قحطان ، والعرب المستعربة وهم الاساميكية او الطور الثاني لعرب الشمال
(٥) فذهب المؤلف الى انهم جميعا فقيما يتعلق بالعرب البائدة ، او الطور الاول لعرب الشمال ، فيذهب المؤلف الى انهم جميعا من اولاد سام بن نوح ، وينقسمون بعد ذلك الى فريقين :
١ - اولاد لاوذ بن سام ، وهم العمالقة او العماليق
ب - اولاد ارم بن سام ، وهم بقية العرب البائدة
وقد اخذ هذا الراى ما قاله ابن خلدون في المقدمة ، وقال : « فهذا القول على اختصاره »

العائلة

يريد المؤرخون بالعائلة قدماء العرب ، وخصوصا اهل شمالى الحجاز مما
بلى جزيرة سينا الذين فتحوا مصر باسم الشاسو (البدو أو الرعاة)

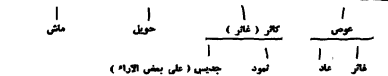
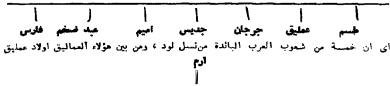
= يوافق ماوصلنا اليه بعد النظر فيما اكتشفه العلماء في بابل وأشور من النقوش ، أو قراوه
في كتب اليونان وخرهم ، وايضا للموضوع تقدم الكلام في العائلة ، لانهم في اعتقادنا اصل
سائر العرب البائدة أو هو اسم يشملهم جميعا
أى أنه أخذ برأى ابن خلدون في أن العائلة وبقية العرب البائدة أبناء عم
ثم انفرد بالقول بأن العائلة اصل العرب البائدة جميعا
وقد قسم العائلة الى : عائلة العراق (وأدخل فيهم الاشوريين والبابليين) ، وعائلة

مصر
أى أنه جعل دول آشور وبابل وما أنشأه الهيكسوس في مصر من اسرات دولا عربية
وبذلك وسع نطاق تاريخ العرب قبل الاسلام وزاد في عمقه الى درجة لم يذهب اليها مؤرخ
آخر ، وجعل العرب أصلا من أكبر اصول الحضارات في العالم القديم
وهذا المذهب جدير بالتقدير : وقد تركته في متن الكتاب على حاله ، لأنه مذهب واضح
لؤرخ كبير ، ولا زال تاريخ العرب قبل الاسلام غامضا مبهما تختلف الآراء حول كل نقطة من
نقطه ، ولا يدري احد أى هذه الآراء هو الصحيح على وجه التحقيق
ولا بد لنا مع هذا من أن نشير هنا آخرها انتهى اليه الراى في موضوع طبقات العرب
قبل الاسلام ، نذكره للمقارنة والإيضاح :
ينقسم العرب لثلاث طبقات هي : العرب البائدة - العرب العاربة - العرب المستعربة

١ - العرب البائدة

هم اولاد لود وادم ابني سام بن نوح ، وقد أنجب سام أبناء كثيرين أهمهم لود وادم
واغششد ، ومن الاولين تسلسلت قبائل العرب البائدة كما يلي :

لود (وهولاوذ)



أى أن اثنين من شعوب العرب البائدة من نسل لود ، هما عاد وتمود ، ويضاف اليهما
جديس على بعض الآراء
ويضاف الى أولئك الثلاثة جرم الاول جد قبيلة جرم الاول ، ومن غير جرم
الثانية وهي قحطانية
وبهذا ان تقف لحظة عند العماليق الذين جعلهم جرمي زيدان اصحاب حضارات بابل
وأشور وما أقامه الهيكسوس في مصر من دول
ورد اسم العماليق في التوراة ، وجعلهم الاخباريون أبناء لاوذ بن سام ، ومنهم من
جعله ابن ارفخشذ
وكان العماليق على اصح الآراء يسكنون جنوبي فلسطين ، ومن هنا كان العداء الشديد
بينهم وبين العبرانيين ، وهذا يفسر لنا سر مداوة التوراة لهم =

ويسمى اليونان «هيكسوس» . وأصل لفظ «العمالقة» مجهول ، والغالب في نظرنا أنهم نحتوه من اسم قبيلة عربية كانت مواطنها بجهات العقبة أو شمالها - حيث كان العماليق على قول التوراة - ويسمى البابليون «ماليق» أو «مالوق» (١) فأضاف إليها اليهود لفظ «عم» أى الشعب

و بسبب هذه العداوة كثر تردد اسم العماليق في التوراة ، ورويت عنهم القصص ، وبالحق الناس في أوصاف أجسامهم وخصامتها ، وجعلهم أقدم شموه الأرض ، وكانت لهم غارات على ما جاورهم من أراضي الرافدين ومصر : واستقر بعضهم فيها ، ونشأت عن ذلك أساطير كثيرة عن ملكهم في هذه البلاد وما أقاموه فيها من دول ، حتى ذهبوا إلى أنهم ملكوا بابل واشور دعرا طويلا

وهذا هو الذى جعل جرجى زيدان يذهب إلى أن حضارات البابليين والاشوريين عربية ، لأن الذين أقاموها في رايه هم العماليق من العرب البائدة ، ومنهم حمورابى وقد أبد المؤلف رايه بما فيه الكفاية

٢ - العرب العاربة

هم اولاد قحطان بن عابر (ويقال له هوداهضا) بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح - أى أنهم - على رأى نسبة العرب - ابتداء عومة العرب البائدة ، وبين جيل قحطان وجيل لود وارم جيلان

والى قحطان ينتسب اهل اليمن وقد اصطحب الاخباريون لقحطان نسباً إلى نوح ، فحملوه ابن الهميسع بن ثمن بن بنت ابن سام بن نوح وهم جيل قديم دخل الجزيرة بعد زوال امم العرب البائدة واستوطن اليمن

٣ - العرب المستعربة

هم العدنانية ، أبناء عدنان بن اسماعيل بن ابراهيم عليه السلام ، وهو اول من نزل منهم جزيرة العرب ، وسكن مع ابنائه مكة ، وتكاثروا فيها وفي شمال شبه الجزيرة . وقد عاش عدنان في ايام يختمر وقتل في معركة قامت بين قومه ويختمر ، فمضى أبناء معدو ويختما من كان من اهلهم في حراة وعادا بهم إلى مكة ومعدنك هو نزار

القحطانية والعدنانية

لم يقسم العرب أنفسهم أيام الجاهلية إلى عدنانية وقحطانية ، ولا تلحق شيئاً من ذلك إلى أيام الرسول صلى الله عليه وسلم
أول ما تلحق ذلك في الخلافت الأولى بين المهاجرين والأنصار ، فترى حسان بن ثابت ينتسفه لأنصار ويسمى شاعر الأنصار وشاعر اليمن وشاعر القرى
أما إذا ترى في ذلك الوقت الميكر ارباطا بين اليمن والأنصار والقرى وترى أيضاً بوادر العداء بين اليمن متشككين في الأنصار ، ومعد متشككين في قرى ، أى أن المنافسة بين مكة ويثرب أيقظت المنافسة بين اليمن ومعد ، فانتسب البثريون إلى يمن ، والمكثرون إلى معد وهو ضر ونزار ، وكلما زاد الصراع بين الجانبين في أيام الاسلام ذهب كل فريق يلتمس لنفسه انساباً أعلى وأقدم ، حتى صارت اليمن قحطانية وقرى عدنانية
ووجد القحطانيون أن العدنانيين يفخرون عليهم بالنسبة ، فجدعهم ابراهيم ومنهم الرسول (صلى الله عليه وسلم) فلهذا يربطون انسابهم بالانبياء ، ومنعوا لانفسهم النسب الذى يردده الاخباريون ، أى أن انقسام العرب إلى قحطانية وعدنانية لم يكن قبل الاسلام وإنما جاء بعده
وقد تكون له أسباب تاريخية ، ولكنها ليست بالقوة التى تنصور ، إنما هي ذكريات قديمة اجتهد الاجتيازيون في تزويدها بأساطير من التوراة حتى صارت إلى ما ترى
ومن هنا يشك معظم المؤرخين في انساب العرب كما تروى في كتب التاريخ الاسلامى ، ويرون أن العرب أخذوها من التوراة وما إليها من مصادر الاسرائيليات
وسأحب الفضل في بحث هذه الناحية هو جولدزهر في كتابه القد : «دراسات اسلامية»
Ignaz Goldziher : Muhammednische Studien 2 Bde.

وهو مستند الدكتور جواد على في مناقشاته الطويلة لهذا الموضوع الهام في الجزء الاول من «تاريخ العرب قبل الاسلام»

أو الأمة فقالوا : « عم مالىق » أو « عم مالوق » ، فقال العرب عماليق أو عمالقة ثم أطلقوه على طائفة كبيرة من العرب القدماء فجاءهم في هذه التسمية

وقد تقدم أن النسابين يرجعون بأنساب العرب البائدة إلى ارم وينسبون العماليق إلى أخيه لاوذ وهم في خلاف كثير من هذا القبيل . وسنعود على ما شهدته التاريخ من أحوال هذه الأمم وما كان لها من السلطان في ذلك العهد . وكان للعمالقة دولتان كبيرتان ، أحدهما في العراق ، والاخرى في مصر

العمالقة في العراق (١)

أقدم من ذكر سيادة العرب على العراق كاهن كلداني اسمه بروسوس Perossus من أهل القرن الرابع قبل الميلاد ، عاصر الاسكندر وبعض خلفائه . وكان عالما باللغة اليونانية ، فنقل تاريخ بلاده إليها وجعل كتابه هدية إلى انطيوخوس ملك سوريا . وقد ضاع ذلك الكتاب ، وإنما عرفه الناس من نصوص نقلها عنه أبولو دوروس وبوليسنور من أهل القرن الاول قبل الميلاد ، وعنهما نقل أوسابيوس ، وسنسلوس . وببساطة بروسوس تاريخه بالخليفة حتى ينتهي إلى أيامه . وقد وضع للدول التي توالى على ما بين النهرين جدولا هذا نصه :

اسم الدولة	عدد ملوكها	سنة حكمهم
دول قبل الطوفان	١٠	٤٣٢٠٠٠
دول بعد الطوفان	٨٦	٣٤٠٨٠
دولة بادى	٨	٢٠٤
دول أخرى	(ضاعت أرقامها)	
دولة الكلدان	٤٩	٤٥٨
دولة العرب	٩	٢٤٥
دولة الاشوريين	٤٥	٥٢٦

(١) يتابع المؤلف هنا رأيه في أصل الهيكسوس ، وهو رأى مستنتج من اقوال بعض مؤرخي العرب والمؤرخ الكلداني بروسوس الذي عاش بعد مصر الهيكسوس بنحو خمسة عشر قرنا ، ولم يمد بين المؤرخين من يقول بهذا الرأى ، خاصة وقد أثبت الإيجك الحديثة أن سبب دخول أولئك الرعاة مصر هجرة قبائل مغولية من قلب آسيا نحو الغرب ، فتدافست للشعوب التي كانت تسكن حضاب إيران وبلاد الرافدين ونواحي سوريا غربا قفريا ، وهكذا نزحت قبائل من رعاة بوادى الشام وشبه جزيرة سينا وصحراء مصر الشرقية وأرض الفلتا ، وكانت مصر إذ ذاك في فترة ضعف داخل في نهاية أيام الأسرة الثالثة عشرة . أى أن الهيكسوس ما هم الا بدو هذه الصحارى التي ذكرناها . وما يقال من أنهم ابتكروا المجلات وأدخلوها والحصان في مصر غير صحيح ، لانهم أدخلوا ذلك كله من قبل قلب آسيا

انظر : Etienne Drioton, L'Egypte,

وجون ويلسون ، الحضارة المصرية ، لمرب الدكتور احمد فخرى ، ص ٢٥٧ وما يليها

وقد انتقد المؤرخون هذا الجدول لما في قسمه الاول من المبالغات وعدوه خرافيا ، الا كلامه عن دولة مادي وما بعدها فقد عدوه تاريخيا . وفي جملة ذلك دول العرب التي يقول بروسوس ان عدد ملوكها تسعة وسنى حكمها ٢٤٥ سنة تأتي بعد دولة الكلدان وتنتهى بدولة الاشوريين . ودولة العرب المشار اليها توافق مايسميه المؤرخون الآن الدولة البابلية الاولى او دولة حمورابى ، نسبة الى حمورابى الشهير اكبر ملوكها وصاحب اقدم كتب الشريعة فى العالم (١) والمعول عليه اليوم ان حمورابى هذا من اهل القرن الثالث والعشرين قبل الميلاد . وبروسوس لم يذكر دولة العرب بتفصيل يدل على كيفية نسلطها على بابل بالفتح او بالصلح او بالغزو

وللمستشرقين اقوال فى دولة حمورابى هذه ، هل هى دولة العرب التي ذكرها بروسوس ؟ .. واختلفت آراؤهم فى ذلك . وقبل التقدم الى ابداء رأينا فى هذه الدولة نذكر فذلكة من تاريخ تلك البلاد وأحوالها فى اول أمرها

حكومة ما بين النهرين قديما

كانت حكومة ما بين النهرين قديما اقرب الى شكل الاقطاع منها الى الدولة المنظمة ، فكانت تقسم الى امارات او مشيخات تفصل بينها مجارى الماء او الجداول او الاقنية المشتقة من الفرات ودجلة ، تتألف كل مشيخة من هيكل وكهنة عليهم رئيس يسمونه « باتيسى » هو الحاكم وصاحب الاقطاع ، وتحتة نائب يباشر الحكومة وله قصر او قصور لخاصته من الشرفاء ، وحول تلك القصور اكواخ او بيوت صغيرة يقيم فيها العمال والفلاحون . وتسمى تلك « المملكة » الصغيرة باسم اله ذلك الهيكل . فكان فى ما بين النهرين عشرات او مئات من أمثال هذه المشيخات او الممالك الصغيرة ، يتفاوت رؤساؤها قوة وسطوة يتفاوت مواهبهم . فيتفق أن يطمع احدهم فى جيرانه ويكون فيه الاستعداد للفتح فيتغلب على بعضهم او كلهم وينشئ دولة يدفع خبرها ويبقى ذكرها (٢) فيصبح ذلك الرئيس ملكا عاما تعرف دولته باسم اله هيكله ! وتبقى سائر المشيخات او الامارات او الممالك الصغيرة مستقلة بأمورها الدينية تحت سيطرته . ذلك كان شأن ما بين النهرين قبل تمدنها ، فلما نزلها السومريون والاكاديون عمم كل منهما سطوته على أحد قسميها الشمالى والجنوبى وفتحوا ما حواليهما

ولما جاءه الساميون نزلوا أولا فى القسم الشمالى منها ثم الجنوبى وانتشروا انتشارا كثيرا . ثم نبغ سرجون الاول سنة ٣٨٠٠ ق.م. واستقل بمملكة بابل هو وابنه نرام سين . ويؤخذ من نصب اكتشفوه هناك فى العام

قبل الماضي ان هذا الملك سامى العنصر لانه كتب فتوحه بلغة سامية .
فيكون الساميون قد شاركوا السومريين فى الحكم من ذلك العهد البعيد (١)

وامتدت سلطة سرجون وابنائهم من بلاد الفرس فى الشرق الى البحر
المتوسط وجزيرة سينا فى الغرب ، واسم هذه الجزيرة عندهم معان (أو
معان) . ولسرجون هذا فى آثار بابل حكاية عن ولادته ونشأته تشبه قصة
موسى . وارتقت بابل فى ايامه ارتقاء عظيماً ، وتوالى عليها بعده ملوك ودول
لا محل لذكرها هنا ، حتى ضعف أمر السومريين فاتبع للساميين الاستبداد
بالسلطة . واول ملوكهم اسمه « ساموايى » أى « سام أبى » أو
« ابن سام » وهو رأس دولة حمورابى او الدولة البابلية الاولى

دولة حمورابي

أو الدولة البابلية الاولى (*)

من سنة ٢٤٦٠ ق.م - ٢٠٨١ ق.م

استولى ساموابي أولا على شمالي بابل نحو سنة ٢٤٦٠ ق.م ، وكان جنوبها يومئذ في حوزة ملك عيلامي . وخلف ساموابي ابنه « سامو ليل » وانتقل الى بابل فاتخذها كرسيا لمملكته وهو اول من فعل ذلك . وتوالى بعده خلفاؤه من أسرته كما سيأتي ، حتى أفضى الملك الى حمورابي وهو سادسهم ، فناهض العيلاميين في الجنوب وعليهم ملك اسمه في آثار بابل « كدر لاقمر » وهو « كدر لاقمر » التوراة . والظاهر ان كدر لاقمر فتح بابل أولا ثم غلبه حمورابي في السنة الثلاثين من عمره وذهب بدولة العيلاميين ، ثم مشى حمورابي بفتوحه غربا الى البحر المتوسط ودخلت آشور في حوزته . وخلف حمورابي ملوك من أسرته آخرهم « شمشوديتانا » خرجت السيادة منه الى دولة أخرى حكمت ٣٦٨ سنة ثم دولة القاصية سنة ١٨٠٠ ق.م . وفي أيامها خرجت سوريا وفلسطين من سلطة بابل واستقلت ، واستقلت آشور بحكومتها وأول من استقل بها رؤساء حكومتها وكانت بابل عاصمة غربي آسيا لا يثبت أمير على إمارته الا بعد ان يشخص اليها وينال التصديق على انه « ابن بعل » ، كما أصبحت رومية بعد انحلال المملكة الرومانية وبغداد في اواخر الدولة العباسية . وفي أثناء ذلك قامت بين آشور وبابل منازعات تغلبت فيها آشور سنة ١٢٨٠ ق.م . ففتح تغلات نزيب بابل ، وأصبحت من ذلك الحين ولاية آشورية . وأخيرا دخلت آشور كلها في سلطة كورش الفارسي سنة ٥٣٨ ق.م (١)

فالإراميون الذين نزلوا بادية العراق والشام تسرب بعضهم الى العراق ،

(*) يتابع المؤلف هنا مذكره المؤرخ بروكسوس - الذي يسمى أيضا بروحشا - ويوسفوس (يوسف اليهودي) فيما يذكرانه من تاريخ بابل القديم . وقد تغلبت معلوماتنا الآن تقديما حقيما جعل مذكره بروحشا ويوسف اليهودي مجرد أقاصيص تاريخية لم يثبت منها الا قوله ان دولة حمورابي كانت دولة سامية ، وهي الدولة الكبيرة الثانية التي أقامها الساميون في بلاد بابل وتسمى أيضا بالانتصار البابلي الثاني ، أما الدولة الاولى او الانتصار البابلي الاولى فينسب الى سرجون وصحة أسمه بالبابلية شروكين وممناها الرئيس المختار . ومن الثابت انه حكم ابتداء من سنة ٢٣٨٠ ق.م ، ولا يعرف على وجه التحديد من أين أتى قومه ، فيلعب بعض العلماء الى ان اسلم في اليمن أو جنوب الجزيرة العربية أو نجد أو صحراء الشام ، ومن الثابت ان الناس في دولة حمورابي في بابل كانوا يتكلمون لغة سامية قريبة من العميرية ، وكانوا يكتبونها بالعروفا المسماة ، وهذا قريب مما يقوله المؤلف هنا انظر : ل. ديلاپورت ، بلاد ما بين النهرين ، ترجمة محرم كمال ، مجموعة الآلف كتاب ، القاهرة ١٩٥٦ . ص ٢٧ وما يليها

Pritchard, Ancient Near-Eastern Documents New-York, 1950. (1)
Ency. Brit, ed. London, Supl. art, Babel

على جارى العادة فى تغذية المدن من نتاج البادية ، وتحضروا وتولى بعضهم الملك فى الالف الرابع قبل الميلاد (١) وظل سائرهم فى البادية غربى الفرات تستعين بهم الدولة عند الحاجة ، وامتازوا عن اخوانهم المتحضرين باسم اهل الغرب (عمورو ثم عربى) كما تقدم ، واختلفت لغة المتحضرين منهم عن لغة البدو ، كما اختلفت لغة العرب الذين نزلوا الشام ومصر بعد الاسلام عن لغة الذين ظلوا فى البادية

وفى اواسط الالف الثالث قبل الميلاد دخل الآراميون فى دور جديد ، فتدرجوا فى الرقى بما امتازوا به من النشاط ، فجازوا الارضين وملكوا الاقطاع ، وفى جملة المالكين « سموابى » جد عائلة حمورابى (*) ، فاستعان بآبناء قبيلته فى توسيع دائرة سلطته . وفعل خلفاؤه فعله ، حتى امتد لواء سلطانهم على معظم المدن العامرة فى غربى آسيا ، وعرفت دولتهم بالدولة البابلية الاولى ، وعدد ملوكها ١١ ملكا حكموا ثلاثة قرون ، بين القرن ٢٤ ، والقرن ٢١ قبل الميلاد ، وهذه أسماء ملوكهم ومدة حكمهم : (٢)

اسم الملك	مدة حكمه	من سنة ق.م	الى سنة ق.م
ساموابى	٣١	٢٤١٦	٢٣٨٥ -
شاموليلو	١٥	٢٣٨٥	٢٣٧٠ -
زابوم	٤٥	٢٣٧٠	٢٣٣٥ -
اميل سين	١٨	٢٣٣٥	٢٣١٧ -
سينوبليت	٣٠	٢٣١٧	٢٢٨٧ -

(١) King, 228.

(*) انشأ الدولة التى يتسبب اليها حمورابى ملك يسمى سومو - أبوم Soumon-Aboum وهو السمي هنا ساموابى ، وكان ملكا قويا بدأ حكمه سنة ٢٢٢٥ قبل الميلاد ومد نفوذه بابل على سومر وآكد ، وحقق بصورة نهائية وحدة بلاد الرافدين تحت صولجان واحد بعد محاولات متعددة دامت ألفى عام ، وقد تلاشى الجنس السوميرى بعد ذلك ، ولم يعد اسم سومر يذكر الا فى المراسيم ، واتسع مدلول اسم آكد حتى أصبح يشمل الاقليم كله ، وأصبحت بابل عاصمته السياسية والدينية... وقد مات سومو أبوم سنة ٢٢١٢ ق.م واليك أسماء من خلفوه حتى حمورابى :

سومو لا أيلوم	٢٢١١ - ٢١٧٦	ق.م
زيبور	٢١٧٥ - ٢١٦٢	»
ابيل سن	٢١٦١ - ٢١٤٤	»
سين موباليت	٢١٤٣ - ٢١٢٤	»
حمورابى	٢١٢٣ - ٢٠٨١	»

انظر : ديبابورت ، نفس المصدر ، ص ٤٢ وما يليها

وانظر من حمورابى ص ٤٨ وما يليها

Maspero.

(٢)

اسم الملك	مدة حكمه	من سنق. م.	الى سنق. م.
حمورابى	٥٥	٢٢٨٧	- ٢٢٣٢
شمسوايلونا	٣٥	٢٢٣٢	- ٢١٩٧
ابيشوع	٢٥	٢١٩٧	- ٢١٧٢
عمى ديتانا	٢٥	٢١٧٢	- ٢١٤٧
عمى صادوقا	٣٤	٢١٤٧	- ٢١١٣
شمسوديتانا	٣١	٢١١٣	- ٢٠٨٢

(المجموع) ٣٤٤

هذا ما أورده ماسيرو عن ملوك هذه الدولة ، وقد خالفه كلاى فى بعض التفاصيل من حيث مدد الحكم (١) مما لا يعتد به بالنظر لما نحن فيه

وفى أثناء هذه الدولة ظهر ابراهيم الخليل وهاجر من اور الكلدانيين . وقد بلغت الدولة البابلية قمة مجدها فى أيام حمورابى ، فانه كان فاتحا عظيما

ومصلحا كبيرا ، ومن جملة البلاد التى فتحها «سومر» أو «شومر» أى بلاد السومريين ، فصار من جملة القابه «ملك بابل وشومر» فذهب بعضهم لذلك أن حمورابى هذا هو «امرافيل» ملك شنعار الوارد ذكره فى الاصحاح الرابع عشر من سفر الخليقة ، لتقارب اللفظ والمعنى لأن حمورابى تكتب أيضا «امورابى» و «امورافى» ، وشومر تقلب الى «شينار» أو شنعار بسهولة (٢) والزمن متقارب بين الملكين

تمتد دولة حمورابى

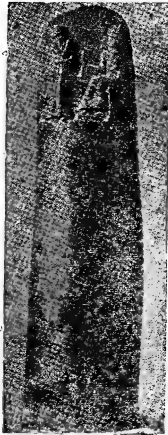
كان السومريون (✱) قبل هذه الدولة

Clay, 145. (١) Clay, 127 (٢)

(✱) السومريون جنس هندي أوربي أقبل من قلب اسيا واستقر في وسط بلاد الجزيرة وأنشأ به دولة نافست الآكديين على السلطان زمانطوبلا، والآكديون ساميون ولكنهم كانوا أضعف من السومريين . فلما استقر الساميون في بلاد الرافدين بدأ النزاع بينهم وبين السومريين، وهوتوا على السومريين . فلما انتهى بالقضاء على السومريين ولأرضهم وسيادة الساميين على البلاد كما ذكرناه

حمورابى بين يدي الله الشمس

حمورابى بين يدي الله الشمس



قد اتخذوا ديناً ووضعوا شريعة واخترعوا كتابة ولهم لغة خاصة . فلما غلبهم الحواريون اقتبسوا تمدنهم ونظمهم كما فعل العرب المسلمون بعدهم بدولة الفرس . وكان الحواريون في اول دولتهم يستخدمون اللغة السومرية في الكتابات ، ثم اعملوها بالتدريج حتى ذهبت وذهب معها العنصر السومري (١) وبقي العنصر السامي ، كما تغلب العنصر العربي بمصر والشام بعد الاسلام بتغلب اللغة العربية . ولكن الحواريين استبقوا الخط السومري وهو القلم المسامري ، لانهم استخدموه في تدوين لسانهم وزادوا فيه احرفاً لم تكن في السومرية



القلم المسامري القديم على عهد السومريين لا يزال شكله سوريا

وكان القلم المذكور في اصل وضعه سوريا مثل الهيروغليفي المصري كما ترى في الشكل ، ثم نشوه شكله بالاستعمال وباستخدام المسامير في طبعه على الطين فصار على هذه الصورة

اما المسلمون فاهملوا الاقلام (اى الخطوط) التي كانت شائعة قبلهم في العراق ، وفارس ، والشام ، ومصر ، وهي : الفهلوى ، والكلداني ، والبقلي ، وغيرها ، ونشروا قلما حملوه معهم كان يستخدمه عرب مشارف الشام ، واعالى الحجاز ، وهو الحرف النبطي ، وتكيف بتوالى الاجيال حتى صار الى الحرف العربي المعروف ، وعم العالم الاسلامي العربي وغير العربي

اما تمدن السومريين فاقتبسوا الحواريون ورقوه وزادوا فيه ، كما فعل المسلمون بتمدن الروم والفرس ، واكثرهم عناية في ذلك حواريي ، فانه جمع الشرائع ونظمها وبوبها فعرفت باسمه ، وقد رتبها في ٢٨٢ مادة وجدوا نسخة منها سنة ١٩٠١ في بلاد السوس منقوشة بالحرف المسامري على صلبة

من الحجر الأسود الصلب طولها سبع أقدام ، وتدل تلك الشريعة على تقدم تلك الأمة في سلم الاجتماع الى أرقى ما بلغت اليه تلك الصور ، ولا سيما في شروط الزواج والطلاق والتبني والارث . واليك خلاصة ذلك :

نظام الاجتماع

طبقات الناس

كان الناس في ذلك العصر ثلاث طبقات : الاحرار ، والعبيد ، وطبقة متوسطة بينهما عبرنا عنها بالموالي ، على نحو ما كان عليه العرب في صدر الاسلام ، فان المولى عندهم أرقى من العبد وأدنى من الحر . واسم المولى عند البابليين « ماشنك » ، وفسرها الأب شابل المستشرق الشهير بما يقابل لفظ « مسكن » في العبرانية ، ومعناها صعلوك أو فقير « مسكين » ، وقد يتبادر الى الذهن انهم يريدون بهذه الطبقة من الناس العامة غير الاشراف ، ولكننا رأيناهم يعبرون عن العامة بلفظ آخر هو في لسانهم « مار اومية » أى ابن الأمة أو الصانع ، فربما كان أقرب الى ما يعبر عنه عند الرومان بلفظ *PIEbe* ، على أن المولى عند البابليين كان يقتنى العبيد ويملك الارضين ، وقد يتزوج من بنات الاحرار ، ولكنه أحط منزلة وأقل مسؤولية منهم . في نظر القضاة . فالمجروح اذا مات من جرح وكان حرا فالدية نصف من فضة ، واذا كان مولى فالدية ثلث من فضة . واذا عالج طبيب مريضا وشفى على يده وكان حرا دفع عشرة شواقل فضة ، واذا كان مولى دفع خمسة شواقل او كان عبدا فشاقلين . واذا كسر احد عظم رجل حريكسر عظمه ، فاذا كان المكسور عظمه مولى يفرم الضارب منا من الفضة ، واذا كان عبدا فنصف من ، وقسر على ذلك . ويشبه هذا ماكان عليه اليهود في عصر التوراة ، فقد ذكروا لهم ثلاث طبقات : الاحرار ، فالعبيد ، وطبقة بينهما يسمونها بالعبرانية (جر أو غر) وقد ترجموها بلفظ « غريب أو أجنبى » ، وكثيرا ما كان أهل التقوى من اليهود يسمون أنفسهم بهذه الكلمة مضافة الى اسم الله او الملك ، فيقولون مثلا : « غر ملك » او « غر عشروت » ، على نحو ما يراد من قولنا عبد الملك او مولى اللات . ولكن الماشنك عند البابليين أرقى في الهيئة الاجتماعية من الغر عند اليهود

الزواج

العادة في الأمة المؤلفه من طبقات متباينة أن أهل كل طبقة تتزوج فيما بينها ، ويندر أن يحصل الزواج بين طبقة وأخرى ، الا ما قد يقتنيه

الاحرار من الجوارى على سبيل التملك . ولكن يؤخذ من شريعة حمورابى ان العبيد عند البابليين قد يتزوجون من بنات الاحرار زيجة شرعية ، ولكن يظهر ان ذلك خاص بعبيد القصر الملكى أو من يجرى مجراهم . والزواج فى كل حال لا يعتبر نافذا عندهم الا بعقد مكتوب ، شأن ارقى الأمم المتعدنة اليوم . والمحافظة على الحقوق الزوجية شرط واجب . وعقاب الزنا القتل ذبحا أو غرقا ، الا اذا التجأت المرأة الى رجل آخر وزوجها غائب فى أسر وليس عندها ما تقتات به ، فان شريعتهم تجيز لها المعيشة فى بيت ذلك الرجل عيشة الزوجين ، حتى اذا عاد زوجها من أسرهِ عادت اليه ، واذا كانت قد ولدت اولادا من ذلك تركتهم له . اما اذا كان غياب الزوج فراا من الحرب أو نحوه فانه اذا عاد لا ترجع اليه امراته ، ترغيبا فى الشجاعة

ومن شروط الزواج عندهم ان الرجل يقدم للفتاة مالا ، من قبيل المهر الشائع فى الشرق ، يسمونه « حق العروس » أى ثمنها ، وهى تأتى من بيت أبيها بمال يسمونه المهر (الدوطة) . فكان البابليين ألفوا فى حقوق الزواج عندهم بين عادات الشرق والغرب . والمهر وحق العروس كلاهما للمرأة ، ويحفظان باسمها الى حين الحاجة . واذا لم تتزوج الفتاة تأخذ المهر من أبيها ، كانه حق مفروض لها منذ الولادة ، واذا لم تأخذ مهرها فلها سهم فى الارث ، وكذلك حق العروس للشباب ، فانه يعين للغلام من صغره ليقدمه الى عروسه عند زواجه

والطلاق عندهم فى يد الرجل ، فاذا أراد تطليق امراته وقد ولدت اولادا دفع اليها مهرها وقال لها : انت طالق ، فتطلق . ولكنها تتولى تربية اولادها بنفسها ، ولها فى مقابل ذلك حصة من دخل زوجها . فاذا شب اولادها استولت على سهم مثل أسهمهم من الارث ، واذا لم يكن له اولاد منها دفع اليها حق العروس وأرجع اليها المهر وطلقها . على أن المرأة اذا أبغضت زوجها لا يعجزها طلاقه بالحق ، فانها تقول له : « لست لك » ويتقاضيان الى الكاهن أو القاضى ، فاذا كان زوجها مخطئا أخذت مهرها ورجعت الى بيت أبيها ، واذا كانت دعواها افتراء تطرح فى الماء . والرجل ليس مطلق الحرية فى الطلاق ، فهو لا يستطيع تطليق امراته اذا كانت مريضة ، بل يتزوج سواها اذا أراد ، وتبقى هى فى بيته باقى حياتها وهو يعولها . واذا أبت البقاء فى بيته دفع اليها مهرها وأعادها الى بيت أبيها

والزواج وثيق العرى عند البابليين ، فان الزوجين حقوقهما متبادلة وواجباتهما مشتركة ، وكل منهما مسئول عن الآخر حتى فى الحقوق المدنية .

فاذا كان على احدهما دين فالآخر مسئول عنه . فاذا تأخر الرجل عن وفاء دين عليه قبض الدائن على امرأته حتى تفي به . وكذلك المرأة اذا كانت مدينة وعجزت عن الدفع ، فالدائن يقبض على زوجها حتى يفيه حقه ، ولو كان الدين قبل الزواج . الا اذا تعاهد الزوجان الا يسال احدهما عما على صاحبه من الدين قبل الاقتران . اما الدين الذى يحدث بعد الزواج فهما متضامنان فيه ..

ليس للرجل عندهم ان يقتنى سرية الا اذا لم تلد امرأته اولادا ، فاتخاذ السرية لأجل النسل فقط ، ولذلك فالمرأة قد تاتى الى زوجها بجارية تلد اولادا ، فلا يجوز له حينئذ ان يقتنى سرية . على ان الجارية - ولو ولدت له اولادا - فليس لها حقوق الزوجة ولا منزلتها ، واذا ادعت ذلك فلمولاتها ان تكبلها بالحديد وتعيدها الى منزلة الاماء . فالمرأة عندهم مساوية للرجل فى الحقوق ، تتعاطى كثيرا من اعماله التجارية والزراعية فضلا عن اشغالها المنزلية ، وهى تنتظم فى سلك الكهان . وكهانة النساء عندهم اربع درجات : (١) الكهانة الكبرى ، ولا يشترط فيها البتولية ، ولا تمنع الكاهنة من مهرها الذى هو حق لها من بيت ابيها ، واسم كاهنة هذه الدرجة فى اللغة البابلية « نينان » اى السيدة المقدسة ، ويشترط فى سيرتها الطهارة والقداسة ، لذلك كانت الحكومة تحميهم وتدافع عن صيانتهم . (٢) كهانة العذارى ، واسمها « كالاني » ، وليس لصواحبها مهر من آباءهن . (٣) الكهانة المقدسة ، ويشترط فيها البتولية فصواحبها لا يتزوجن ، ويستولين على ثلث سهم الولد من الارث . (٤) النذر لمروдах ، فصاحبة النذر المذكور كالكاهنة المقدسة ، لكنها ترث من ابيها ارثا كاملا

التبنى

كان التبنى شائعا عند البابليين فى عصر حمورابى ، فاذا لم يرزق احدهم اولادا وكان فى نفسه ميل الى البنين لغرض من الاغراض ، أخذ من بعض الوالدين طفلا يربيه عنده ويتبناه . ولهم فى التبنى شروط حسنة ، من جعلتها رعاية حرمة الوالدين ، فاذا تبنى احدهم غلاما ثم آذى ابيه يرجع الغلام الى بيت ابيه . ويشترط فى ثبوت حق التبنى ان يسمى الولد باسم الوالد الجديد ، فاذا رباه وسماه باسمه لا يرجع . واذا كان المتبنى صائعا فعليه ان يعلم الولد صناعته ، فاذا فعل ذلك فالولد له . واذا تبنى الرجل ابنا وسماه باسمه ، ثم تزوج الرجل وولد له اولاد واراد ان يخرج ذلك الولد من بيته ، فلا يستطيع ذلك الا اذا اعطاه ثلث حصة الولد من مال ابيه غير العقار ، على ان الرجل عندهم كان يتبرا احيانا من ابنه

صلبه ، ولكنه لم يكن يستطيع ذلك الا بين يدي القاضي ، فيقول للقاضي : « انا اثبرا من ابني » ، فينظر القاضي في الاسباب فاذا لم يجد مسوغا رفض الطلب ، واذا وجد مسوغا اجل الحكم لعل الاب يرجع عن عزمه ، فاذا لم يرجع اجاز له التبرؤ منه . وأولاد الرجل من جاريته لا يكونون اولاده شرعا الا اذا دعاهم اولاده ، فاذا فعل ذلك كان لهم ما لأولاد الزوجة من حقوق الارث ، واذا لم يدعهم فلا يرثون ولكنهم يعتقون

الارث

لا يميز البابليون في حق الارث بين الذكر والانثى ، ولكن للوالد ان يمنع بعض اولاده من الارث اذا ثبت ما يستدعي ذلك ، على انهم كانوا يختلفون عن سائر الامم في مسألة المهر وحق العروس . فان الرجل اذا ولد له اولاد فأول ما يفعله أن يفرض للذكور حق العروس وللاناث المهر (الدوطة) ، فمن تزوج منهم في حياة والده اخذ حقه أو مهره ، فاذا توفي الأب فللعزب من اولاده أن يستولوا على حق العروس أو المهر ، فضلا عن أسهمهم من الارث . ثم ان المهر الذي تأتي به المرأة من بيت أبيها يكون ملكها وحدها ، ويورث على مقتضى ذلك . فاذا تزوج رجل امرأة وولدت له اولادا وتوفيت فمهرها لأولادها ، واذا توفيت ولم تلد أولادا فالمهر يرجع لأبيها وليس لزوجها . والهبة كانت عندهم نحو ما هي عندنا الآن ، فاذا وهب الأب شيئا لأحد اولاده ثم مات فتنقسم تركته على الاولاد ، وتبقى الهبة لصاحبها

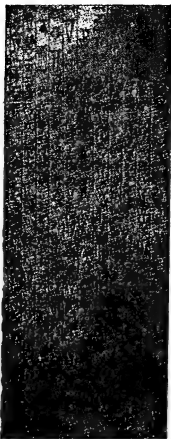
التجارة ونظام الحكومة والعلم

التجارة

والتجارة كانت عندهم قانونية بمقود وصكوك ، وعندهم شروط للرهن والوديعة مما لا يقل عما عند الامم المتقدمة اليوم ، مع مراعاة حال تلك الايام . فالبيع بلا عقد باطل ، والدين بلا صك لغو . ومن شروط اقتضاء الدين عندهم ، اذا عجز المدين عن تأدية ما عليه ، أن يقبض الدائن على امرأة المدين وأولاده ، فيخدمون في بيته حتى يستوفي حقه ، فاذا لم يوفه يخدمون ثلاث سنوات ثم يطلقون

ومما يعد من حسنات التجارة في ذلك العهد البعيد ، أن الحكومة هي التي تتولى تسعير السلع ، أو تقدير اجور الصناع وأصحاب المهن ، حتى الاطباء والبيطرة ، فقد فرضت للطبيب اجرة ، وللبناء اجرة ، وللنجار اجرة ، والقت عليهم تبعة ما يقع على يدهم من الخطر أو الضرر ، فالطبيب

إذا عالج مريضاً يسكين من معدن فأتلف عينه بها تقطع يده ، والبناء إذا بنى بيتاً وسقط على صاحبه فقتله يقتل البناء . وإذا سقط البيت ولم يقتل صاحبه بنّاه البناء من ماله ، وإذا بنى النجار سفينة غير محكمة فهو مسئول عن اصلاحها ، وقس على ذلك أجور الرعاة ، والملاحين ، والدواب ، والسفن ، وغيرها مما يطول شرحه . وكانت ادارة الحكومة منظمة في عهد هذه الدولة ، وفيها يريد لضبط المواصلات وسرعتها



قطعة من نص شريعة حمورابي

وقد كشفوا في آثار زيارا انقاض مدرسة لتعليم الاطفال ، وهذه أول مرة سمعنا بمدرسة مثل هذه في التمدن القديم ، اى منذ أربعة آلاف

سنة ، وكان فيها (قرميدات) عليها دروس للأطفال والاحداث في الحساب والهجاء وجداول الضرب ومعجمات ونحوها (١) واكتشفوا كثيراً من الكتب والرسائل المنقوشة على

الاحجار أو القراميد ، واكثرها لعموراي ، وفيها الصكوك والعقود والمسائل الرياضية والارصاد الفلكية والنصوص التاريخية والادعية الدينية . ومن اكبر ادلة الرقى في ذلك

العهد ان المرأة كانت متمتعة بحريتها واستقلالها ، مثل نساء هذا التمدن (٢) ، وكن يتعاطين المهن القلمية ، وانخرط جماعة منهن في خدمة الدواوين والمصالح الاميرية (٣)

فاذا صح ان هذه دولة عربية ، كما سنبينه في الفصل الآتى ، كان العرب أسبق أمم الأرض الى سن الشرائع وتنشيط العلم ، وانهم بلغوا في نظام الاجتماع ما لم يبلغ اليه معاصروهم ، وادركوا من الرقى الاجتماعى ما لا يزال بعض الأمم المتعدنة في هذا العصر بعيدين عنه

وما زالت الدولة البابلية الاولى (الحموارية) قائمة ، حتى غلبت على أمرها كما تقدم ، فخرج بعض أهل الدولة فرارا من ذل الغالب الى اخوانهم في جزيرة العرب ، وأنشأوا في اليمن دولة عربية سرفت بدولة المعينيين ، كان لها شأن كبير في تاريخ اليمن قبل دولة سبأ وحمير ، كما سيأتى في كلامنا عن الطبقة الثانية أو العرب القحطانية أو دول الجنوب - ويوافق ذلك قول العرب ان العمالة وغيرهم من العرب البائدة جاءوا جزيرة العرب من بابل لما زاحمهم فيها بنو حام (١) (*)

هل دولة حموارية عربية ؟

ان قولنا : « دولة حموارية عربية » لا يتبادر منه الى ذهن القارىء انه مثل قولنا : « دولة الاسلام عربية » ، واذا صحت عربية تلك فلا يستلزم ان تكون لغتها مثل لغة القرآن ، ولا ان عاداتها وديانتها مثل ما لعرب قريش ، فان بين الدولتين ٢٧ قرنا ، والامم تتغير عاداتها ولغاتها بتغير الاقاليم وتوالى العصور

لا خلاف في ان دولة حموارية سامية الاصل ، ولكنهم اختلفوا في نسبتها الى فرقة من الفرق السامية ، وعندنا انها من بدو الاراميين ، وهم عرب ذلك العصر او العمالة ، والادلة على ذلك هي :

(١) ان بروسوس (برحوشا) مؤرخ الكلدان ذكر بين الدول التي حكمت بابل دولة سماها «عربية» ، وذكر عدد ملوكها وسنى حكمها كما تقدم . ودولة حموارية اقرب دول بابل بهذا من الزمن الذي عينه بروسوس للدولة العربية ، وعدد ملوكها وسنو حكمها تقريبا مما لتلك ، فقد ذكر لتلك الدولة تسعة ملوك حكموا ٢٤٥ سنة ، وظهر من الآثار ان ملوك دولة حموارية ١١ ملكا حكموا ٣٣٤ سنة ، والفرق بين الحاليين اقل من الفرق بين قول العرب عن دولة حمير وبين ما ظهر من احوالها بعد قراءة الآثار الحجرية في اليمن

(٢) ان سكان بادية العراق كانوا يعرفون عند أهل بابل باسم «عمورو» اى ابناء المغرب . وهذا الاسم يشمل كل من سكن غربى الفرات من الامم السامية ، وفيهم الاراميون في الشام وبدوهم في باديتها . وفي التاريخ القديم ان الكنعانيين اكتسحوا فلسطين في القرن الخامس والعشرين قبل الميلاد ، واخرجوا أهلها الاصليين ، وبوافق ذلك نزول بدو الاراميين وانشاء تلك

(١) ابن خلدون ١٨ ج ٢

(*) وما يذكره المؤلف هنا عن الحضارة البابلية ، نقلا من كتاب كلاى « ضوء على الكتاب المقدس من بابل » (راجع قائمة المراجع) صحيح في جملة ، وان دخلت عليه تعديلات استخلصها العلماء من وثائق جديدة

انظر : دى لا بورت ، نفس المرجع ، ص ٨٨ وما يليها

الدولة فيها واسمهم عمورو كما تقدم ، ثم سموهم « عريبي » ومعناها أهل المغرب أيضا . والطبرى يسمى جد العمالة « عريب »

(٣) ان بين لغة بابل التى خلفتها دولة حمورابى فى ما بين النهرين واللغة العربية مشابهة لا توجد بينها وبين سائر اللغات السامية - منها ، أولا : حركات الاعراب (الرفع والنصب والجر) فانها فى لغة بابل كما هى فى العربية تماما ، ولا وجود لها فى سائر اللغات السامية قديما ولا حديثا ، الا آثارا منها فى لغة بطرا وتدمر (١) لان اهلها من بقايا العمالة وسيأتى بيان ذلك . ثانيا : التنوين فانه فى البابلية ميم وفى العربية نون وهما يتبادلان . ثالثا : علامة الجمع فى البابلية « ون » كما فى العربية ، وهى « ين » فى السريانية ، و « يم » فى العبرانية . رابعا : صيغ الافعال فى البابلية اقرب الى الصيغ العربية مما الى سائر اللغات السامية . خامسا : ان بعض الاسماء التى سقطت بعض حروفها بالاستعمال فى السريانية والعبرانية لاتزال محفوظة فى البابلية كما فى العربية ، مثل « انف » فانها كذلك فيها وقد سقطت نونها فى العبرانية والسريانية . ومما يستحق الالتفات ان معظم هذه الخصائص تشترك فيها العربية والبابلية (الاشورية) دون اللغة السريانية او الكلدانية ، مع ان هذه متخلفة عن البابلية . ولكن يظهر ان الكلدانية فقدت هذه الخصائص بتوالى الاجيال بالحضارة وحفظها العرب لبدوهم ، لان اللغة مع خضوعها لناموس الارتقاء فى التنوع والتغير فهى احفظ لنفسها فى البادية مما فى المدن ، بل هى تتغير بالانتقال من البداوة الى الحضارة وليس بتوالى الازمان عليها (٢)

(٤) ان اسماء ملوك هذه العائلة عربية التركيب والمعنى ، مثل « سامواي » اى « ابي سام » و« شمسو ايلونا » اى الشمس الهنا (٣) ، وقد عثروا فى آثار هذه الدولة ببابل على اعلام كثيرة تشبه الاعلام العربية مشابهة كلية لفظا ومعنى . ولا يخفى ما لهذا الدليل من قوة الحجة ، لان كل امة تمتاز بتسميات خاصة ، حتى اننا لنعرف جنس الرجل من معرفة اسمه ، فاذا كان اسمه نقولا يدس ، او قسطنطين ديس مثلا عرفنا انه يونانى ، واذا كان اسمه فرحان ، او لكيجيان ، او كركور ، عرفنا انه ارمنى . وبمثل ذلك نعلم ان وطنس ، وجكسن ، وروبرتسن من اسماء الانجليز ، ووستنفيلد ، وشيلر ، وبويفلد ، من اسماء الجرمان ، وبانيه ، وهاشت ، وفلاماريون ، من اسماء الفرنسيين . حتى انك تعرف مسقط رأس الرجل من اسمه . وعلى هذا القياس نحكم على عربية دولة حمورابى اذ كانت اسماء رجالها عربية ، وهذا جدول من اسمائهم وما يقابلها من الاسماء العربية فى اليمن وغيرها (٤) :

الاسماء البابلية	يقابلها في العربية	الشعب العربي الذي يتبعه صاحب الاسم
أبى يشوع	ابيشع	سبأ
عمى زادوما	عم صدق	سبأ
يدح ايلو	يدع ايل	»
شمسو	شمس	» والصفا
عبد ايل	عبد ايل	»
عبدو	عبد	»
خليلو	خليل	»
يديح	يدع	»
يديحت	يدعت	»
اخى ودابل	ودايل	»
عزرو	عزرائيل	»
يملك ايلو	ملك ايل	»
نفسان	نفس	»
بلال	بلال	عدنان
دريك	مدركة	»
تكارو	تكور	»
قرانو	قرين	»
صعصعة	صعصعة	»



(٥) ان معبودات البابليين كثيرة الشبه في اسمائها واسماء الذين ينتسبون اليها باقدم آلهة العرب في اليمن وغيرها ، مثل ايل ، وبل ، وشمس ، واشتار ، وسين ، وسمدان ، ونسر ، وبتع ، كما سنفصله في كلامنا عن ادیان العرب قبل الاسلام

(٦) ان الحموريين اتخذوا بابل قسبة لمملكتهم على حدود البادية ، قرب المكان الذي اختاره اللخميون كرسيا لدولتهم « الحيرة » بعد ذلك نحو ثلاثين قرنا ، والمكان الذي اختاره العرب المسلمون في أيام بداوتهم « الكوفة » عملا برأى عمر ، حتى « لا يكون بينه وبين المسلمين ماء ، فاذا احب أن يركب راحلته اليهم ركبها »

العلاقة في مصر

أو دولة الشاسو « هيكسوس »

من سنة ٢٢١٤ - ١٧٠٣ ق.م

الساميون في مصر

من الأقوال الشائعة أن سكان وادي النيل القدماء من الشعوب الحامية نسبة إلى حام ، أو الكوشية نسبة إلى ابنه كوش ، كما كان سكان وادي الفرات ودجلة من الشعوب الطورانية . وقد نشأ الساميون في البادية بين هذين الواديين كما تقدم ، وأخذوا يتسربون إليهما وإلى العاقر بينهما على شواطئ البحر المتوسط في سوريا وفلسطين ، وتدرجوا في ذلك من التسرب إلى المهجرة فالفتح والاستيلاء في بابل وفلسطين والشام

أما مصر فقد نزح الساميون إليها من عهد قديم جدا . ويؤخذ من الاكتشافات الأثرية الأخيرة أن العصر الحديدي بمصر يبدأ بدخول الساميين إليها ، أي أن المصريين قبل دخول الساميين لم يكونوا يعرفون الآلات الحديدية ، فاتاهم الساميون بالحداثة في أقدم أزمنة التاريخ المصري ، ولعلهم حملوا إليهم ذلك من وادي الفرات عن تمدن سومري الأصل ، اكتسبه الساميون بالمجاورة قبل فتح بابل وحملوه إلى مصر . ومما يستدلون به على قدم نزوح الساميين إلى مصر أن أقدم آلهة المصريين « فتاح » سامي الأصل (١)

جاء الساميون مصر من الشرق أما بطريق برزخ السويس أو بالبحر الأحمر ، ولذلك ما برح المصريون منذ القدم يسمون بلاد العرب « الأرض المقدسة » أو « أرض الآلهة » ، وعرفوا من الساميين عدة شعوب سموها كلا منها باسم ، وأطلقوا عليهم جميعا لفظ « عابو » أو « أمو » ، وهو سامي الأصل معناه الشعب (الأمة أو العامة) ، وذكروا أنهم نزلوا أطراف الدلتا وشرقيها بجوار بحيرة المنزلة . ولا تزال بعض الأماكن هناك تعرف بأسماء سامية (٢) وفي هليوبوليس (عين شمس) أدلة كثيرة على أصل سامي في عمرانها (٣) . وكانوا يميزون الشعوب السامية بأسماء خاصة منها « خار » أو « خال » يريدون به الفينيقيين

وكانوا يسمون أهل البادية من الساميين « شاسو » أي البدو وهم العرب أو العربي عند البابليين والمعنى واحد . وكان الشاسو ينتقلون في بادية

مصر الشرقية بين النيل والبحر الأحمر كما ينتقل فيها بدو هذه الأيام . وكان المصريون القدماء يسمون هذه البادية « تشر » أى الأرض الحمرءة تمييزاً لها عن وادى النيل وأسمه « كيمى » الأرض السوداء (١) ولم يكن أنشاسو يقتصر فى مضاربهم على تلك الصحراء بل كانوا يدخلون بينها وبين جزيرة سيناء وما وراءها وربما اتصلوا بأخوانهم بدو العراق لأنهم جميعاً من أصل واحد و « شاسو » و « عرب » بمعنى واحد

وكان للعرب فى جزيرة سيناء وما يليها سيادة وحكومة من أقدم أزمنة التاريخ . فقد جاء فى آثار بابل أن نرام سين بن سرجون المتقدم ذكره حارب قبيلة فى تلك الجزيرة وأسمها مفان سنة ٢٧٥٠ ق.م ، وأسر أميرها وحمل بعض أحجارها (٢) الى بلده . وجاء فى تلك الآثار أيضاً أن رجال هذه القبيلة كانوا يشتغلون بنقل التجارة برا الى بابل نحو سنة ٢٥٠٠ ق.م (٣) وكذلك قبيلة مالق المتقدم ذكرها . ويظهر أن الشاسو كانوا قبل نزولهم بادية مصر يقيمون فى أرض مديان وراء جزيرة سيناء لأن لفظ أنشاسو يطلق أيضاً على تلك الأرض وهى قديمة فى التاريخ جاء ذكرها فى آثار بابل سنة ٢٧٥٠ ق.م

دولة الشاسو

فهؤلاء البدو (أو الرعاة) كانوا ينتقلون فى شرقى وادى النيل كما كان بدو الآراميين ينتقلون غربى وادى الفرات ، وكان الشاسو كثيراً ما يسطون على المصريين فى مدنها أو يقطعون عليهم السبيل للفرز والنهب من عهد مينا أول ملوكهم (٤) والمصريون يدفعون هجراتهم ويعدونهم من الأشقياء وأهل الدعارة والسلب ويحتقرونهم لكنهم كانوا يخافونهم ، وكثيراً ما كان الفرعون يستعين بهم فى حروبهم بعضهم على بعض لما كانوا يعرفونه فيهم من الشدة والشجاعة مثل سائر أهل البادية

ظل الشاسو دهوراً على ما تقدم حتى سنحت لهم فرصة وثبوا بها على مصر وملكوها - وكيفية ذلك أن سنهات بن امنمحت ملك مصر لما مات أبوه فى أواخر الدولة الثانية عشرة المصرية فر الى فلسطين من وجه أوسر تسن (٥) الذى خلف أباه - وقلما كان المصريون يخرجون من وادى النيل قبل ذلك الحين - وتزوج سنهات هناك ابنة ملكها عموانشى وتولى بعض أعمال الشام - ولما شاخ سنهات نال العفو وعاد الى بلده ، فجر ذلك الى علائق

(١) Brugsch, 1, 16 (٢) King, 158

(٣) Grimme, II (٤) Brugsch, 1, 51

(٥) هذا هو الاسم القديم لهذا الملك ، وقد صحح اليوم الى سينوسرت



متبادلة بين البلدين . ففي عهد أوسرتسن الثاني شخص الى مصر ملك
عربى اسمه ابيشع وزار خنومعتت أمير ولاية اورينكس في مصر الوسطى ،
وترى ذلك منقوشا على قبر هذا الملك في بني حسن . وبعد قليل خرج
أوسرتسن الثالث لفتح فلسطين انتقاما من ملكها ، فتحالت المصالح . ونقم
المساميون جملة على المصريين ، فاغتنم العمالة هذه الفرصة ووثبوا على
مصر السفلى وملكوها بضعة قرون ، نحو الزمن الذى تملك به العرب بابل

ففى نهضة عربية منذ نيف وأربعة آلاف سنة تشبه نهضة العرب فى صدر
الاسلام - وللأمم ادوار تثب فيها وتقلب . فاغتنم العمالة ضعف دولة
النيل ودولة الفرات ، كما اغتنم المسلمون ضعف الروم والفرس بعد ذلك
بثلاثين قرنا وكانت مصر على عهد الشاسو مضطربة وحكامها فى ضعف
وانقسام ، كما كان الروم فى اواخر دولتهم . ووجد الشاسو فى مصر السفلى
من ينصرهم من ابناء لسانهم «الحار» او الفينيقيين ، كما وجد المسلمون فى
الشام والعراق من الأمم السامية المغلوبة على أمرها كالانباط والبرانيين .
فتفتح العمالة الوجه البحرى الى منف ، وتقهقر الفراعنة الى الصعيد فى
اوائل القرن الثالث والعشرين قبل الميلاد ، وما زالت مصر فى حوزتهم الى
اول القرن الثامن عشر ، وعرفت دولتهم بدولة البدو ، واليونان يسمونهم
هيكسوس Hyksos ، والعرب يسمونهم العمالة أو العرب البائدة

وأما ما يعلمه العرب من أخبارهم فهو « أن بعض ملوك القبط استنصر
ملك العمالة بالشام لمعهده - واسمه الوليد بن دوما ، ويقال ثوران بن
اراشة بن فادان بن عمرو بن عملاق - فجاء معه وملك مصر واستبعد
القبط ، ومن ثم ملك العماليق مصر . ويقال ان منهم فرعون ابراهيم ،
وهو سنان بن الاشل ، وفرعون يوسف وهو الريان بن الوليد ، وفرعون
موسى وهو الوليد بن مصعب . وذكر آخرون ان الريان بن الوليد يسميه
القبط نقراوش ، وأن وزيره كان اطفير وهو العزيز صاحب قصة يوسف
النخ » . (١) فهذه الرواية ، مع اختلاطها واختصارها - تشبه ما قراوه على
الانار عن الفرصة التى سنحت للعمالة حتى وثبوا على مصر

هل الشاسو عرب ؟

أول من نبه الاذهان الى أن الشاسو المشار اليهم عرب يوسفوس ، المؤرخ
الاسرائيلى المتوفى فى اواخر القرن الاول للميلاد ، نقلا عن ماثون المؤرخ

الاسكندرى المتوفى في اواسط القرن الثالث قبل الميلاد ، في معرض كلامه عن نشوء دولة الشاسو ، قال :

« وافق على عهد تيماموس أحد ملوكنا أن الاله غضب علينا ، فأذن لقوم ليعرف أصلهم جاءوا من الشرق وتجاسروا على محاربتنا ، وغلبونا على بلادنا وأذلوا ملوكنا وأحرقوا مدنا وهدموا هياكلنا وآلهتنا ، وساموا الناس ذلاً وخسفاً فقتلوا الرجال ، وسبوا النساء والاولاد ، ثم نصبوا عليهم ملكاً منهم اسمه « سلاطيس » أقام فى منفيس ، وضرب الجزية على مصر أعلاها وأسفلها ، وأقام الحامية فى المعازل لدفع الاشوريين عن وادى النيل اذا طمعوا فيه ، وبنى مدينة أوارس فى ولاية صان لهذه الغاية وحصنها بالابراج والقلاع والاسوار ، وأكثر من حاميتها حتى بلغ عددهم ٢٤.٠٠٠ ، وكان سلاطيس يأتى اليها فى الصيف لجمع الخنطة ودفع رواتب الجند وتمريضهم بالحرب . وبعد ١٣ سنة من حكمه خلفه ملك اسمه بيون وحكم ٤٤ سنة ، وجاء بعده أباخناس حكم ٣٦ سنة وسيمعة أشهر ، ثم أبوفيس ٦١ سنة ، وبانياس ٥ سنة وشهرا ، وأخيرا حكم أسيس ٤٩ سنة وشهرين . وهؤلاء الستة أول من حكم من ملوكهم ، ولم يكفوا عن محاربة المصريين لأنهم كانوا يلبثسون إبادتهم . وكانت هذه الأمة تسمى هيكسوس Hyksos أى ملوك الرعاة ، لأنها مؤلفة من « هيك » باللغة المقدسة ملك و « سوس » : « راعى » ، ولكن البعض يقولون أنهم عرب (١)

ويرى بروكش أن لفظ هيكسوس ترد فى الاصل الهيروغليفى الى لغتين : هيك ، وشاسو — الاول ملك ، والثانى « بادية » أو « بدو » ، وأن الهيكسوس هم البدو الذين كانوا ينتقلون فى الصحراء الشرقية الى العرب . ولم يعثروا على اسم هذه الدولة فى الآثار المصرية ولا وقفوا الا على النزر القليل من آثارها . وجاء فى الآثار أن اقواما غرباء تسلطوا على مصر السفلى حتى أخرجهم ملوك طيبة ، وكانوا يسمون بلغة العامة « مين » أو « منتى » من بلد اسمها بلسانهم « اشر » ويريد بها الشام ولكنها أقرب الى اشور . أما فى اللغة المقدسة (الهيروغليفية) فاسمهم روتنو ، أو لوتنو ، وهم أهل الشام فى اصطلاحهم . فالظاهر أن تلك الدولة كانت مؤلفة من الشاسو والفينيقيين وغيرهم من أهل الشام ، وكلهم ساميون وربما كان فيهم فرقة من عمالقة العراق ..

ولا خلاف فى أن العنصر السامى تكاثر بمصر على عهد الشاسو من اليهود وغيرهم ، ولكن سلطتهم انحصرت فى الوجه البحرى وظل المصريون متسلطين فى الصعيد ، كما ظل الروم بعد الفتح الاسلامى متسلطين فى القسطنطينية ،

وقد سنحت للفراعنة فرصة اخرجوا فيها العماليق من بلادهم ، ولم يستطع الروم ذلك مع المسلمين . والارجح في اعتقادنا أن العماليق لم يتوارثوا الحكم بمصر وانما كانوا يتناهبونه على غير نظام ، وربما اقتسم الساميون تلك السيادة ، فاستولى الفينيقيون وهم من حضر الساميين (خار) على منازلهم بجوار المنزلة ، واستولى العماليق وهم بدو الساميين على اطراف الدلتا . ولم يصل اليها من أسماء ملوكهم الا الذين عاصروا العائلة الخامسة عشرة ، وواحد من السادسة عشرة ، وواحد من السابعة عشرة ، ذكرهم مانيثون مع سنى حكمهم على هذه الصورة :

اسم الملك	مدة الحكم	اسم الملك	مدة الحكم
سلاطيس	١٣ سنة	بانياس	٥٠ سنة
بيون	٤٤ »	آسيس	٤٩ »
أباخناس	٣٦ »	أبابي الاول	٠٠ »
أبو فيس	٦١ »	أبابي الثاني	٠٠ »

وكانت مصر السفلى لا تزال عرضة للفيضان ، يغمرها الماء كل عام وتعطل بها الاعمال ، ولم يستطع المصريون اخراجهم منها ولكنهم منعوه من الصيد وهي اكثر عمرانا وثروة . ولم يقض الشاسو على التمدن المصري كما قضى اخوانهم الحمورابيون عمالقة العراق على التمدن السومري أو الاكادي . ولم يكن لهم تأثير في العمران المصري كما كان لأولئك قبلهم ، وكما كان للعرب للمسلمين بعدهم

وقد عنى الدكتور بروكش المشار اليه بدرس هذه المسألة ، وخلاصة ما رآه أن الملوك الغرباء الذين يسميهم المصريون « منتى » حكموا شرقي مصر مدة طويلة ، وقضية ملكهم زوان وهوار وأواريس على فرخ بلوسيوم وفيها حصونهم ، وقد تطبع أولئك الغرباء بطابع المصريين واقتبسوا عاداتهم ، وتكلموا لسانهم وكتبوه وقلدهم في نظام الحكومة ، وكانوا يحبون العمارة فاستخدموا المصريين في بناء المدن على النمط المصري ، الا تماثيل كبرائهم فجعلوا لها شعرا في الرأس والذقن وغيروا لباسها ، وكانوا يعبدون الآلهة نوب والالهين ست وسوتخ وسموه نوب (الذهب) وهو عند المصريين أصل الشرور ، وبنوا لهما في زوان وأواريس معابد فخمة ، ونحتوا التماثيل بشكل أبى الهول وغيره على حجارة من الصوان . وكانوا يؤرخون من زمن ملك اسمه (نوب) فبلغ تاريخهم بعده ٤٠٠ سنة ، واقتبس المصريون من مخالطة العمالقة معارف كثيرة ، ولا سيما من حيث الابنية ، فاخذوا عنهم اشكالا جديدة ، ويعد أبو الهول المجتج من مبتكراتهم .

على أن الآثار التي كشف عنها المنقبون من بقايا هذه الدولة قليلة ، ولعل السبب في ذلك أن الفراغة الذين جاءوا بعدهم نحوا أسماءهم عن تلك الآثار، إلا اسمين قراوهما : «رعكنن» من عائلة أبوبى و«نوبتى» أو «نوب» ومعه موظف اسمه «ست اليهودى» ، فالاسم الاول ينطق بلغة ممفيس «أفوق» يقرب بلفظه من أبو فيس الذى ذكره مانيثون . ومع غموض أخبار هذه الدولة ، وفق المرحوم دى روجه لحصل رموز قطعة من البردى فى المتحف البريطانى ، هى مخابرة بين أبوبى المذكور ونائب من نوابه مصرى ، جاء فيها انتقاد هذا الملك لأنه اختار «ست» الاله للعبادة دون سواء وتكريم سوتخ ، وأنه اجبر الوطنيين على اداء الحجاج فى حديث طويل أورده بروكش (١)

ويؤخذ من ابحاث بروكش أيضا أن يوسف الصديق جاء مصر فى زمن بوب سنة ١٧٥٠ ق.م ، وأن فى أيامه حدثت المجاعة

فالراعة أو الشاسو ساميون ، بدليل ما تقدم ، وبما عثروا عليه من الاسماء السامية المنقوشة على الآثار فى عهدهم ، ودخول الفاظ سامية اخذوها عن اليهود وغيرهم وأدخلوها فى لسانهم ، كالراس : والكاهن ، والبركة ، والبئر ، والبيت ، والباب ، وغيرها ، ومن أسماء الحيوانات : الجمل ، والفرس ، ومن أسماء الناس عديروما ، وبعل مهور ، وببت بعل ، وغيرها (*) — لكننا نرجح كونهم عربا للأسباب الآتية :

- ١ — ما ذكره يوسفوس نقلا عن مانيثون كما تقدم
- ٢ — ما رواه العرب فى كتبهم عن عمالة مصر وقد نقلناه
- ٣ — ان لفظ هيك شاسو كانوا يظنون معناها ملوك الرعاة ثم وجدوا انها «ملوك البدو أو البادية» (٢) وهم العرب
- ٤ — ورد فى الآثار المصرية أن الهيكسوس جاءوا قديما من بلاد العرب
- ٥ — ان الاسماء التى كان الساميون يعرفون بها تنتهى بالضم ، وهى حركة الاعراب للرفع مثل قولهم : عامو ، ولوتنو ، وشاسو ، وذلك خاص من اللغات السامية بالعربية والبابلية
- ٦ — ان المصريين لم يكونوا يستخدمون الخيل والمركبات إلا بعد دولة الرعاة (٢) والعرب انما غلبوهم بها (٤)
- ٧ — ان المصريين مازالوا بعد خروج العمالة من بلادهم وهم ينامسونهم

(١) Brugsch, 1.274
 (٢) لم استطع تحقيق هذه الاسماء فتركتها على حالها ، وعلى أى حال ، فقد نظرت المعلومات بالنسبة للهيكسوس تفرا تاما
 King, 140 (١) Maspero, II, 51 (٢) Brugsch, II, 402 (٣)

العداء ويخرجون اليهم في أرضهم كما فعل رعمسيس الثاني ،
وتوتمس . والعرب كانوا يهاجمونهم في بلادهم ويضايقونهم بغزواتهم .
وكلماء استنصرهم فاتح على مصر نصره كما فعلوا بنصرتهم الفرس
وجملة القول ، يرجع أن عمالة العراق ومصر من بدو الأراميين أو
انلاوذين فإذا صح أن مهد الساميين جزيرة العرب ، فهم من جملة من
نزع منها إلى الشام والعراق في الزمن القديم ، وظلوا على بداوتهم في
الصحراء . وإذا كان منبت الساميين ما بين النهرين أو غيرها ، فالساميون
وجدوا في القرن الأربعين أو الخمسين قبل الميلاد ، في بوادي الشام والعراق
وسينا ومصر ، فسكن بعضهم المدن وظل البعض الآخر بدوا حتى أتبع لهم
الاستيلاء على العراق في القرن ٢٥ ، ثم مصر في القرن ٢٣ ق.م . وكان
المصريون قبل العمالة محصورين في بلادهم لا يعرفون عن سائر العالم شيئا ،
فأصبوا بعد خروجهم أصحاب خيل ومركبات ، فحملوا على سوريا
وفلسطين وجزيرة العرب وبابل كما سنذكره (**))

بقايا العمالة

بعد خروجهم من العراق ومصر

لما خرج عمالة العراق من بين النهرين ، وعمالة مصر من وادي النيل ،
تفرقوا في جزيرة العرب قبائل وافخاذا ، وأنشأوا دولا في اليمن والحجاز
وسائر جزيرة العرب ، ومنها القبائل البائدة وهم الذين يعرفهم العرب .
أو لعل هذه القبائل من بدو الأراميين الذين لم يدخلوا العراق ولا مصر ،
وهي ترجع بأنسابها إلى أرم . وأهم القبائل البائدة عند العرب عاد وثمود
وطسم وجديس . ونضيف إليها دولا ذات شأن لم يعرفها العرب ، نعى
الانباط خلفاء الادوميين في جزيرة سينا إلى فلسطين ، ودولة تدمر بين
الشام والعراق كما سيأتي (**))

عاد

وادم ذات العمد

عاد من الأمم الآرامية ، ولذلك سميت أيضا «عاد أرم» ، وجاء ذكرها
في القرآن الكريم «عاد أرم ذات العمد» ، فالتبس على المؤرخين لفظ «أرم»
وظنوا ذات العمد صفة له ، فزعموا أنه اسم مدينة بناها عاد اختلطوا في

(*) وأضيفه إلى ما ذكره المؤلف أن ابن خلدون في حديثه عن مصر ذكر أن الشجعان منهم
كانوا يعمرون سينا ومصر مصر الشرقية ، ولكن هؤلاء لم يكونوا كبقية البدو أهل حضارة
ومعرفة بالمجالات وهم بما لهذا لم يدخلوها إلى مصر . أما ما يذكره من أن الهيكسوس
أدخلوا الحديد في مصر وعلّموا المصريين صهره واستعماله فمردود أسطورة قديمة تنسب اكتشاف
صهر الحديد إلى رجل يسمى طوب القين يقال أنه كان من أهل جزيرة سينا
(**) هذا غير ثابت تاريخيا ، والمؤلف يتسابع رواية العرب فيما يذكرونه من العرب
البائدة من أخير

مكانها. فقال بعضهم انها الاسكندرية ، وقال آخرون دمشق ، وربما ذهبوا
انى ذلك أيضا لأن آدم من أسماء دمشق بالبرانية . وذهب غيرهم انها في
اليمن ، وأن شدادا بن عاد بناها لينافس بها قصور الذهب والفضة في
الجنة التي تجرى من تحتها الأنهار - قالوا انه كتب الى عماله أن يجمعوا
جميع ما في أرضهم من الذهب ، والفضة ، والدر ، والياقوت ، والمسك ،
والعنبر ، والزعفران ، فيوجهوا به اليه ، ثم وجه الى جميع المعادن فاستخرج
ما فيها من الذهب ، والفضة ، ثم وجه ثلاثة من عماله الى الفواصين
فاستخرجوا الجواهر فجمعوا منها أمثال الجبال ، وحمل جميع ذلك اليه ثم
وجهوا الحفارين الى معادن الياقوت ، والزربرد ، وسائر الجواهر فاستخرجوا
منها أمرا عظيما ، فأمر بالذهب فحُرب أمثال اللبن ، ثم بنى بذلك المدينة .
وأمر بالدر ، والياقوت ، والجزع ، والزربرد ، والعقيق ، فقصص به
حيطانها ، وجعل لها غرضا من فوقها غرف بمعد ، جميع ذلك بأساطين
الزربرد ، والجزع ، والياقوت . ثم أجرى تحت المدينة واديا ساقه اليها من
تحت الأرض أربعين فرسخا كهيئة القناة العظيمة ، ثم أمر فأجرى في ذلك
الوادي سواقى في تلك السكك والشوارع والأزقة ، وأمر بحافتي ذلك النهر
وجميع السواقى فطلبت بالذهب الأحمر ، وجعل حصاه أنواع الجواهر
بالوانه ، ونصب على حافتي النهر والسواقى أشجارا من الذهب مشعة ،
وجعل ثمرها من تلك اليواقيت والجواهر ، وجعل طول المدينة ١٢ فرسخا
وعرضها مثل ذلك ، وصير سورها عاليا وبنى فيها ٣٠٠٠٠٠ قصر مرصعة
ومرصعة ، وبنى لنفسه في وسط المدينة على شاطئ ذلك النهر قصرا منيعا
يشرف على تلك القصور . وجعل بابها يشرع الى الوادي ، ونصب عليه
مصراعين من ذهب مفضضين بأنواع اليواقيت ، وأمر باتخاذ بنادق المسك
والزعفران فالتقت في تلك الشوارع . وجعل ارتفاع تلك البيوت في جميع
المدينة ٣٠٠ ذراع ، والسور ٣٠٠ ذراع ، مفضضا خارجه وداخله بأنواع
اليواقيت وغيرها ، وبنى خارج السور كما يدور ٣٠٠٠٠٠ منظره بلبن
الذهب لينزلها جنوده ، مكث في بنائها ٥٠٠ عام (١)

ففي هذه الأقوال مبالغات لم يسمع بمثله في المعقولات ، وانما عمدوا اليها
لاعتقادهم أن «آدم» مدينة ، وأروا أبنية الروم في الشام والغرائنة بمصر
فأرادوا أن تكون مدينة عاد أعظم منها وأقخم . والصحيح في اعتقادنا أن
«آدم» اسم القبيلة ، فقالوا : عاد آدم ، كما قالوا : نمود آدم (٢) . والقبائل
البائدة كلها عند العرب من نسل آدم ، ويعرفون بالآرام (٣) كما تقدم .
ويؤيد ذلك أن اليونانيين ذكروا في جملة قبائل اليمن حوالى تاريخ الميلاد
قبيلة يكتبونها بلسانهم Adramitai ، وقد يتبادر الى الذهن أن المراد بها
«حضر موت» ولكن هذه يكتبونها باليونانية Xadramotitai وباللاتينية

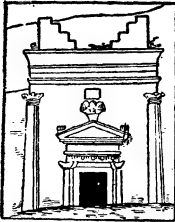
Chattamotitai ، وقد أوردوا اللفظين معا . فلو أرادوا قبيلة واحدة لما ذكروها معا ، فالأرجح أن Adramitai يراد بها العادرميون أو العاديون

والعرب يضرّبون المثل بقدم عاد ، ويزيدون انها أقدم من العمالة ، ولا سبيل الى تحقيق ذلك لأن ما ذكره عنها محشو بالبالغات والخرافات ، كقولهم ان طول الرجل منهم ٧٠ ذراعا الى مئة ذراع ، ورأس احدهم كالقبة العظيمة : وعينه تفرخ بها السباع . ولم يذكروا من ملوكها الا بضعة أولهم عاد ، قالوا انه عاش ١٢٠٠ سنة ، وانه تزوج الف مرة ، وولد له اربعة آلاف ولد ذكر لصلبه . واعتدل بعضهم فجعل عمره ٣٠٠ سنة ، ولا تخلو هذه الخرافة من حقيقة ، فالظاهر ان العرب كانوا يسمعون بقديم هذه الأمة ولا يعرفون من ملوكها الا نفرا قليلا ، فجعلوا اعمارهم طويلة لتسع ذلك القدم ، وترتب على طول اعمارهم تعدد الزوجات

ويقال نحو ذلك في ما ذكره من اعمار خلفاء عاد وهم شديد وشداد . والى شداد هذا ينسبون اعظم اعمال هذه الدولة ، ويقولون انه فتح كثيرا من بلاد الشام ، والعراق ، ومصر ، والهند ، قولا مبهما لم نجد في اخبار تلك الامم ما يؤيده ، او لعلمهم يريدون بعاد بعض العمالة . والقرآن انكرهم ذكر عاد في سياق العبرة بما اصابهم من القصاص ، لتكذيبهم هودا وهو نبي منهم دعاهم الى عبادة الله وترك ما كانوا يعبدونه من الحجارة والاشباح ، فأبوا فأصابهم حطط ثلاث سنوات أعقبته زوايج وأعصار نزلت بهم فاهلكتهم ، والقصة ملخصة في سورة الاعراف . وبقي هود وجماعة ممن آمن بدعوته أقاموا حيناً وعرفوا بعاد الثانية ، ويزعمون انهم هم الذين بنوا سد مأرب ، وظل حكمهم ألف سنة حتى غلبهم القحطانية فلجأوا الى حضرموت حتى انقرضوا (١)

وعشر المنتقبون في آثار بلاد العرب على تنف من بقايا كثير من الدول القديمة ، وعرفوا كثيرا من احوالهم الا عاذا فانهم لم يروا لها ذكرا . على ان العرب تعودوا اذا راوا اطلالا قديمة عليها نقوش لا يعرفون صاحبها ان يسموها «عاية» ، وجاء في معجم ياقوت بمادة جش قوله : «جش ارم ... جبل عند آجا أحد جلي طيء» ، أملى الأعلى سهل ، ترعاه الابل والحمر كثير الكلا ، وفي ذروته مساكن لعاد ارم ، فيه صور منحوتة في الصخر » . وقال في مادة سير : «والصير - جبل بآجا في ديار طيء» ، كهوف شبه البيوت » . ولعل بين تلك النقوش وهذه البيوت نسبة ، فعسى ان يوفق الرواد الى كشفها وقراءتها ، كما قرأوا مثلها في حوران والعلاء ومدائن صالح وتيماء واليمن

(١) وتري قصة عاد مطولة في ابن خلدون ٢٤ ج ٢ وياقوت ج ١ وابن الفداء ١٠٢ ج ١ وغيرهما



ذكرت ثمود في القرآن مع عاد ، لأن المراد بهما واحد من حيث العبرة والموعظة . فبعد أن ذكر خبر عاد عطف على ثمود فقال : « وإلى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب اليم . واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبواكم في الأرض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين . قال الملا الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم تعلمون أن صالحا مرسل من ربه قالوا نصر البتة في الحجر (مدائن صالح) انا بما أرسل به مؤمنون . قال الذين استكبروا انا بالذي آمنتم به كافرون . ففعلوا الناقة وعتوا عن أمر ربهم وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين . فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين . فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين ، هذا خبر ثمود ، ولم يزد المؤرخون عن أن وسعوه وشوهوه بمبالغات لا فائدة من ذكرها . والمشهور في كتب العرب أن ثمودا كان مقامها في الحجر المعروفة بمدائن صالح ، في وادي القرى بطريق الحاج الشامي الى مكة ، وقد وصلت السكة الحديدية الحجازية الى الحجر في سنة ١٩٠٧ ، وكان اليهود يسكنونها قبل الاسلام (١)

على أن ارتباطها بعاد يقتضى تقاربهما بالمكان ، ولذلك قالوا ان ثمودا كانت في اليمن قديما ، فلما ملكت جمع^٢ أخرجوها الى الحجاز (٢) . ولم يكشف لنا حتى الآن ما يؤيد هذا القول . وذكر ثمود في جملة البلاد التي قلبها سرجون الاشوري سنة ٧١٥ ق.م ، في الحجاز (٣) ، ويؤخذ من سياق الوصف انها كانت بجوار مكة أي جنوبي الحجر ، وجاء ذكرها في كتب اليونان نحو تاريخ أبلاد ويعده ، وعينوا مكانها في الحجر ، وهم يسمونها ثموديني Thamudeni والحجر يسمونها Agra . وبجانب الحجر مكان يسميه العرب فج الناقة

فسماه بطليموس *Badanata* ، وذكر أبو اسماعيل صاحب كتاب فتوح الشام أن ثمودا ملأوا الأرض بين بصرى وعدن (١) ، فلعلها كانت في طريق هجرتها نحو الشمال ، ولا يخرج الحكم في ذلك عن التخمين

وأما الثابت من قراءة الآثار أن مدائن صالح (الحجر) دخلت قبيل تاريخ الميلاد في حوزة النبطيين سكان بطرا الآتي ذكرهم ، بدليل ما على اطلال تلك المدائن من الكتابة النبطية . والاطلال المشار إليها زارها غير واحد من المستشرقين ، كما ذكرنا في مقدمة هذا الكتاب ، ودرسوا بقاياها وهي منقوشة في الصخر ، أهمها أنقاض تعرف بقصر البنت ، وقبر الباشا ، والقلعة ، والبرج

وقرأوا ما عليها من النقوش النبطية ، فإذا أكثرها أو كلها تبركات منقوشة على القبور . هذا مثال منها وجدوه في الحجر بالحرف النبطي وتاريخه حوالى الميلاد :

« هذا القبر الذى بنته كمكم بنت وائلة بنت حرم وكلية ابتنتها لأنفسهن وذريتهن في شهر طيبة من السنة التاسعة للحارث ملك النبطيين بحب شعبه فعى ذو الشرى وعرشه (٢) واللات وعمند ومنوت وقيس تلعن من بيع هذا القبر أو يشتريه أو يرهنه أو يخرج منه جثة أو عضوا أو يدفن فيه أحدا غير كمكم وابنتها وذريتها ومن يخالف ما كتب عليه فليلعنه ذو الشرى وهبل ومنوت خمس أعنان ويغرم الساحر (٣) غرامة مقدارها ألف درهم حارثى الا من كان يده تصريح من يد كمكم أو كلية ابتنتها بشأن هذا القبر والتصريح المذكور يجب أن يكون صحيحا - صنع ذلك وهب اللات بن عبد عبادة » (٤)

فليس في امثال هذه النصوص أهمية تاريخية الا بالنظر الى أسماء الاعلام الواردة في عرض الكلام ، ولم يقفوا على ما يستحق الذكر منها حتى الآن . واللغة المنقوشة على اطلال الحجر آرامية مثل لغة بطرا ، وسنعود الى الكلام عنها في كلامنا عن الدولة النبطية لأنها ليست لغة ثمود نفسها . اما ثمود فإذا كانت من عرب الجنوب فيقتضى أن تكون لغتها قريبة من لغة اليمن ، وكتابتها بالحرف المسند الذى كان يكتب به أهل اليمن القدماء ، وقد وجدوا تنوعات من هذا القلم في أماكن مختلفة من الحجاز ، منقوشة على الحجارة في العلاء جنوبى الحجر بتاريخ أوائل الميلاد (٥) فأروا في بعضها أسماء ملوك لحيان فسموها لحيانة ، وسموا البعض الآخر - وهو يختلف قليلا عن ذاك - ثمودية . وعثروا على كتابات لفرع ثالث من المسند فى جبل الصفا بحوران فسموه صفويا . فهذه فروع للخط المسند ، لاشك أن أهلها قدموا الحجاز وحوران من اليمن ، وسنعود الى ذلك

(١) فتوح الشام لأبي اسماعيل ٢٥٠ (٢) Cooke, 220

(٣) Dussaud, 66 & Litman, Mith. 1904 (٤)

غير أننا نستدل من وجود هذه الكتابة قرب الحجر على أن أهل ذلك المكان أصلهم من اليمن ، ولا يمكن الجزم بتاريخ هذه الكتابات لأن ما وقفوا عليه منها لا يشفى غليلا ، والناس يتوقعون من التوسع في حلها واكتشاف غيرها كشف كثير من غوامض هذه الدولة ، ويظن جلازر أن لحيان بقية تمود (١)

طسم وجديس

ان هذين الاسمين مقترنان في تاريخ العرب اقتران عاد وتمرود ، والاكتشافات الاثرية لم تصل اليهما بعد ، فنكتفى بما يستنتج من كلام العرب واليونان عنهما ، وهما من ارم مثل سائر العرب البائدة (٢) . وذكر انهما سكنتا اليمامة في شرقي نجد ، وقصبتها القرية ، وطسم صاحبة انسيادة . ظلوا على ذلك برهة من الزمان ، حتى انتهى الملك في طسم الى رجل ظلم غشوم قد جعل سنته أن لا تهدى بكر من جديس الى بعلها حتى يدخل هو عليها . ولما طال ذلك على جديس انقوا منه ، واتفقوا على أن ذفنوا سيوفهم في الرمل وعملوا طعاما للملك دعوه اليه ، فلما حضر في خواصه من طسم عمدت جديس الى سيوفهم وقتلوا الملك وغالب طسم . فهرب رجل من هؤلاء الى تبع ملك اليمن - قيل هو حسان بن أسعد - فشكا اليه ما فعلته جديس بملكهم واستنصره ، فسار ملك اليمن الى جديس ووقع بهم فافناهم فلم يبق لطسم وجديس ذكر (٣)

هذه خلاصة تاريخ هاتين الامتين ، ويختل ذلك حديث عن امرأة من جديس اسمها زرقاء اليمامة ، كانت تبصر على مسافة ثلاثة أيام ، وانها لما حمل تبع على جديس طلبوا اليها أن تكشف لهم عن القوم ، فأنبتهم بقومهم فلم يصدقوها ثم تحققوا صدقها

اما عصر هذه الدولة فيؤخذ من فنائها على يد تبع حسان انها بادت في اوائل القرن الخامس للميلاد . وذكر جغرافيو اليونان في جملة قبائل شرقي بلاد العرب قبيلة سموها Jodisite ، ولعلمهم يريدون Jolisiae لسهولة ابدال اللام اليونانية من الذال لتقاربهما في الصورة ، وهي جديس

ولهاتين الامتين آثار قلاع اشار ياقوت الى بعضها وهي المشقر ، قال انه قلعة من بناء طسم (٤) لها ذكر في أيام العرب ، والمعنى اعظم قصور اليمامة من بناء طسم على اكمة مرتفعة قال فيه الشاعر :

أبت شرفات من شمس ومعنق لدى القصر منا أن تضام وتضهدا (٥)

والشمس المذكور في البيت قصر آخر فخم من بناء جديس يحكم البناء .

(١) Glaser, Geo, 124 & 230 (٢) الدينوري ١٢ (٣) أبو الفداء ٥٠١ ج ١

(٤) ياقوت ١ ج ٤٥ (٥) ياقوت ٧٩ ج ٤

وكان تلك البلاد بعد أن باد أهلها هجرت ثم عثروا على اتقاها مدفة ،
وقد ذكر ذلك ياقوت في مادة حجر

ومن أشهر مدن طسم وجديس القرية في اليمامة ، ويقال لها خضراء
حجر ، وهي حاضرة طسم وجديس ، فيها آثارهم وحصونهم وتلهم
(الواحد بتيل ، وهو بناء مربع مثل الصومعة مستطيل في السماء من
طين ، وقد رآه المسلمون في القرن الثالث أو الرابع . وذكر أحدهم أنه
أدرك بتيلا طوله ٥٠٠ ذراع ، ولعل زرقاء اليمامة نظرت جيش تبع من
أحدها (١) . وفي اليمامة بلد اسمه جمدة ، فيه قصر يعبرون عنه
بالعادي لقدمه ، ويذكرون أنه من بناء طسم وجديس وأنه حصن منيع (٢) .
ومن مدن اليمامة الحجر لطسم وجديس ، فيها آثار ، (٣) والحجر بفتح أهل
اليمن القرية ، فلعل حجر والقرية من أصل واحد (٤)

وليس في أخبار سائر القبائل البائدة التي عرفها العرب ما يستحق
الذكر لضموضه ، فنترك من دولتي الانباط وتدمر

(١) الهمداني ١٦٠
(٢) ياقوت ١٥٢ ج ٤

(١) الهمداني ١٤٠
(٢) ياقوت ٢٠٨ ج ٢

دولة الأنباط

في مشارف الشام

هي دولة عربية لم يعرفها العرب ولا وجدنا لها ذكرا في كتبهم ، وإذا ذكروا الأنباط أرادوا بهم أهل العراق . وانما عرفنا خبرها من خلال ما كتبه اليونان عن البطالسة والسلوقيين والروم ، او من بعض أسفار الكتاب المقدس ، ومما وقف عليه المنقبون من آثارها ، او قراؤه من أساطيرها على أنقاض بطرا وغيرها من مدنها في حوران ومدائن صالح وغيرهما (*)

مقر هذه الدولة ومملكة أدوم

كان مقرها في الجنوب الشرقي من فلسطين ، تمتد من حدود فلسطين هناك الى رأس خليج العقبة ، ويحدها من الغرب وادي العرابية ، ومن الجنوب بادية الحجاز ، ومن الشرق بادية الشام ، ومن الشمال فلسطين . طولها من الشمال الى الجنوب نحو مائة ميل ، وعرضها ٢٠ ميلا . وهي نفس مملكة الإدوميين ، وقد اختلفت سميتها باختلاف الأعصر ، أرضها صخرية فيها الجبال والشعب ، وكانت تسمى قديما «بلاد الجبال» ، واليونان يسمونها بلاد العرب الصخرية Arabia Petraea نسبة الى عاصمتها فان اسمها عندهم بطرا (الحجر) ، وهي ترجمة اسمها بالعبرانية فقد كان اليهود يسمونها سلاخ وهو الحجر في لسانهم . أما مملكة أدوم كلها فكانت تعرف عند اليهود باسم «سمير» واليونان يسمونها إيدومايا Edomaea أقدم من سكن بلاد العرب الصخرية الحوريون ، وهم سكان الكهوف .

(*) ورد ذكر النبط في أمهات الحاجم العربية ، فمن أقوالهم أنهم جبل من العجم ينزل البطائح بين المرافين ، سمووا بذلك لكثرة النبط عندهم ، وهو الماء ، وسمى أولاد شيث أنباطا لأنهم نزلوا هناك . هذا أصله ، ثم استعمل في عوام الناس وأخطأهم (الستان/٢٣٥٠) و (تاج العرب ٢٢٩/٥) والقاموس ٣٧٨/٢ ، ولسان العرب ٢٨٨/٩ وما بعدها)

وكانت العرب تنفر من النبط وتزدريهم ، وإذا أراد أحدهم الاستهانة بآخر قال : يا نبطي . جواد علي ، العرب قبل الإسلام ، ج ٢ ص ١٠

ويؤيد جواد علي ما يقول جرسي زيدان من أن العرب يريدون بذلك نبط العراق

«التقدماء ويسميهون Troglodytes اليونان ، ويؤيد ذلك ما في تلك الجبال من الكهوف الطبيعية او المنحوتة وبينها الهياكل والمدافن . ثم جاء الادوميون فظلبوهم على ما في ايديهم ، واقاموا مكانهم في زمن لا يعرف اوله لقدم عهده ، وقد جاء ذكره في سفر التكوين . وكان الادوميون قبائل او فرقا على كل منها رئيس ، وفي التوراة اخبار متفرقة عن علائق الادوميين بالاسرائيليين ، الى ان حمل شاول على ادوم في القرن العاشر قبل الميلاد ولم يغز فوزا تاما ، فلما تولى داود حمل عليهم ودوخهم واقام في بلادهم حامية من جنده ، وجعل طريقه من اورشليم الى البحر الاحمر فيها ، فهان على ابنه سليمان انشاء فرضة على خليج العقبة تقلع منها السفن المسافرة الى اليمن او الحبشة او الهند . وهم قائد من الادوميين في عهد سليمان بخلع الطاعة فلم يفلح ، فما زالوا تحت سيطرة الاسرائيليين الى ايام يهوذا فاط ، فحالفوا اعداءه واعانوهم على حربه فلم يغزوا ، ولكنهم اغتنموا ضعف الاسرائيليين وعادوا الى الاستقلال . حتى اذا حمل نبوخذنصر (بختنصر) على اورشليم كان الادوميون عوناً له على اهلها ، واشتركوا في نهبها وذبح اهلها ، فكافاهم نبوخذنصر على نصرته بتأييد سلطتهم في ادوم وتوسيعها الى حدود مصر وشواطئ البحر المتوسط

وبينما هم ينشرون سلطانهم غربا داهمهم الانباط من الشرق ، واوغلوا في ادوم حتى ملكوها جميعا ، وذهبت دولة الادوميين (*) واندمج اهلها في الفاتحين وصاروا امة واحدة ، فانشا الانباط هناك مدينة عربية قبل القرن الرابع قبل الميلاد ، ظلت قائمة الى اوائل القرن الثاني بعده اذ دخلت في حوزة الرومان سنة ١٠٦ م

(*) حاول أنتيجوناس Antigonas - من ملوك السلوقيين الذين ودنوا الشام من دولة الاسكندر بعد موته - غزو بلاد الادوميين ففشل ، ثم تمكن بطليموس الثاني (٢٨٥ - ٢٤٦ ق. م) من السيطرة على سواحل بلادهم ومنعهم من التعرض لسفن البطالسة في البحر الاحمر ، وانشأ ميناء برنيق Berenica على البحر الاحمر فسيطروا على شغاله وعلى خليج العقبة ، ولكن البطالسة لم يستطيعوا القضاء على دولة الادوميين ، ثم نسب الصراع بين هؤلاء حروبين بين اسرائيل ، وقد فصل جواد على امر هذا الصراع (انظر نفس المرجع) من ٢٠ وما يليها) وخلاصة ما يذكره ان المكابيين من بني اسرائيل لم يستطيعوا الانتصار على الانباط ، بل تمكن ملكهم الحاخوث من توسيع رقعة مملكته حتى استولى على دمشق ، وبذلك حصر دولة بني اسرائيل في نطاق ضيق ، ثم اخذ النبطيون يتدخلون في شئون دولة بني اسرائيل (يهودا المستعمرتين في ذلك بما كان بين الفزوع بني اسرائيل من خصومة ، وقد استعان النبط بالرومان في ذلك ، مما مهد الطريق لاستيلاء الرومان على اورشليم عاصمة مملكة يهوذا وتطريفيها . وتضمنت اليهود سنة ٧٠ ق. م

Cf : Bernard Stade : Geschichte des Volkes Israel II, S. 438 ff.

مدينة بطرا (*)



خزنة فرعون في بطرا

وجهة نقوش وكتابات بالقلم النبطي
وبجانها مرسح منقور في الصخر أيضا ، ويستطرق من هناك الى سهل
واسع فيه عشرات من الكهوف الطبيعية او المنقورة ، وبعضها وجهات
منقوشة وجدران اكثرها ظهورا مكان يقال له «الدير» . وكانت هذه الكهوف
مسكن الحوريين القدماء ، ويلجأ اليها اليوم بعض الفقراء فرارا من المطر والبرد

هي الرقيم عند العرب

ليست بطرا من بناء الانباط ، وانما هي مدينة ادومية جاء في سفر
الملوك ص ١٤ ع ٧ ، انها كانت حصنا في ايام امصيا سنة ٨٢٨ ق.م ، والتوراة
تسميها سلاع (الحجر) فلما صارت الى الانباط وعرفها اليونان سموها بطرا
كما تقدم . أما العرب فليس لهذه المدينة ذكر في كتبهم ، وقد عثر بعض
المعاصرين على لفظ (البتراء) في سياق غزوة النبي بنى لحيان ، فتبادر الى
أذهانهم انها بطرا التي نحن في صدها ، ولكن المفهوم من مجمل الحديث (١)

(١) بطرا لفظ يوناني معناه الصخر ، وقد سمى البلد بذلك لان مياهه منحوتة في
الصخر ، واسمها في القديم سلع وسالع ، ومعنى أيضا الصخر
وكانت أول الامر عاصمة للادوميين ، ثم أصبحت عاصمة لآل لب ، وذكرها باقوت الحموي
باسم سلم ، وقال انها يقرب بيت المقدس . ولا زالت اطلالها الى اليوم في وادي موسى
في الأردن ، ويسمى أيضا وادي السيق
(١) ابن هشام ١٦٤ ج ٢ وباقوت والبكري مادة البتراء

انها بقرب المدينة ، وبينها وبين بطرا الانباط نحو ٥٠٠ ميل . وفي بلاد العرب غير مكان يسمى « سلع » وهو بمعنى بطرا ، من جعلتها مكان ذكر يافوت انه حصن في وادى موسى (١) فلعله يريد بطرا هذه

ولكن العرب شاهدوا آثار هذه المدينة بعد الاسلام وسموها « الرقيم » ، وهو تعريب احد اسمائها اليونانية ، لان اليونانيين كانوا يسمونها ايضا ارکه Arke فحرفه العرب وقالوا الرقيم ، وربما ارادوا بالرقيم خزنة مرمون على الخصوص . واشتهر هذا المكان في دولة بنى امية . وكان ينزله الخلفاء وفي جعلتهم يزيد بن عبد الملك ، وفيه يقول الشاعر (٢) :

امير المؤمنين اليك نهوى على البخت الصلادم والمعجوم
فكم غادرت دونك من جهيض ومن نعل مطرحة جذيم
يزرن على تنائية يزيدا باكتاف الموفر والرقيم
تهنئه الوفود اذا اتوه بنصر الله والملك العظيم

ونظرا لما شاهده من الابنية والاساطين والنقوش ، زعموا انه المكان الذى كان فيه اهل الكهف ، ورووا عنه اخبارا ذكرها المقدسى في كتابه « احسن التقاسيم » قال :

« والرقيم قرية على فرسخ من عمان ، على تخوم البادية ، فيها مغارة لها بابان صغير وكبير ، يزعمون ان من دخل الكبير لم يمكنه الدخول من الصغير . وفي المغارة ثلاثة قبور ، تسلسل لنا من اخبارها ان النبی (صلعم) قال : بينما نفر ثلاثة يتماشون اذ اخذهم المطر ، فمالوا الى غار في الجبل فانحطت الى قم غارهم صخرة من الجبل فاطبقت عليهم » ، ثم ذكر توسلهم الى الله بحسنات اتوها حتى أفرج عنهم بحديث طويل (٣) لا محل له هنا وقال الاسطخرى في وصفها : « الرقيم مدينة بقرب البلقاء ، وهي

صغيرة منحوتة بيوتها وجدرانها في صخر كأنها حجر واحد » (٤) . وقال التبريزى في عرض كلامه عن التيه : « ان بعض الممالك البحرية هربوا من القاهرة سنة ٦٥٢ هـ ، فمرت طائفة منهم بالتية فتأهوا فيه خمسة ايام ، ثم تراءى لهم في اليوم السادس سواد على بعد فقصدوه ، فاذا مدينة عظيمة لها سور وابواب كلها من رخام اخضر ، فدخلوا بها وطافوا فاذا هي قد غلب عليها الرمل حتى طم اسواقها ودورها ، ووجدوا بها اوانى وملابس . وكانوا اذا تناولوا منها شيئا تنائر من طول البلى ، ووجدوا في صينية بعض البرازين تسعة دنائير ذهبيا عليها صورة غزال وكتابة عبرانية . وحفروا

(٢) يافوت ٨٠٠ ج ٢
(٤) الاسطخرى ٦٤

(١) يافوت ١١٧ ج ٢
(٣) المقدسى ١٧٥

موضعا فاذا حجر على صهرج ماء ، فشربوا ماء أبرد من الثلج . ثم خرجوا ومشوا ليلة فاذا بطائفة من العربان فحملوهم الى مدينة الكرك ، فدفعوا الدنانير لبعض الصيارف فاذا عليها انها ضربت في أيام موسى (كذا) ودفع لهم في كل دينار مائة درهم ، وقيل لهم ان هذه المدينة الخضراء من مدن بني اسرائيل ، ولها طوفان رمل يزيد تارة وينقص اخرى لا يراها الا تائه » (١)

وفي هذا الوصف مثال لاختلاط الحقيقة بالخرافة في أمثال هذه الروايات ، فلا ريب ان الممالك شاهدوا اطلال بطرا ، ووجدوا الدنانير اما من ضرب اليهود أو النبطيين ، ولكن تعليل الصيارف عن ضربها وبناء المدينة فيشبه كثيرا من أمثال هذه الروايات

ذلك خلاصة ما عرفه المسلمون عن بطرا ، وقد زارها غير واحد من المستشرقين في القرن الماضي وقروا ما عليها من النقوش النبطية

الإنباط

جاء ذكر الإنباط على آثار آشور من عهد آشور بانيبال في أواخر القرن السابع قبل الميلاد في كلامه عن الملوك الذين غلبهم ، وذكر من جملتهم ناتان ملك النبطيين كما سيأتي ، ولعلمهم يريدون نبط العراق . وأما في التاريخ الصريح فأقدم ما عرف من أخبارهم لا يتجاوز أوائل القرن الرابع قبل الميلاد على أثر فتوح الاسكندر في الشرق . ذكرهم ديودورس الصقلي المتوفى في القرن الأول قبل الميلاد ، في كلامه عن إغارة انطيفونس سنة ٣١٢ ق.م ، على بطرا وارتداده عنها بالفشل ، فقال انهم عشرة آلاف مقاتل لا شبيه لهم في قبائل البدو ، وان بلدهم الوعر القاحل ساعدهم على التمتع بالحربة والاستقلال ، لانهم كانوا يستغنون عن سائر العالم بصهاريج منقورة في الصخور ، يملأونها من ماء المطر في الشتاء ويحكمون سدها ، ويعتصمون في الجبال حولها فلا يصل اليهم فاتح أو طامع . وانهم خلفوا الادوميين في بلادهم وكان انطيفونس خليفة الاسكندر قد حمل على بطليموس صاحب الاسكندرية ، فاضطر في مسيره ان يمر ببطرا وهي في أيدي النبطيين ، فلم ير بدا من محالفتهم أو قهرهم . وكان بطليموس لحسن سياسته قد اجتذب قلوبهم ، فعزم انطيفونس على قهرهم (٢) فافتنم خروج الرجال للغزو أو ملاقات بعض القوافل واكتسح مدينتهم ونهبها ، فلقبه النبطيون وهو عائدا منها فقتلوا رجاله عن آخرهم . فأعاد الكرة عليهم بحملة أخرى تحت قيادة ديمتريوس ، فخاف الإنباط كثرة الجند فأووا الى حصونهم وكتبوا الى انطيفونس كتابا بالارامية يعتذرون اليه عما فعلوه ، وانهم انما دافعوا عن انفسهم فلا يعد ذلك ذنبا لهم . فاجابهم جوابا ليينا وأضرم الغدر . فلم

تنطل عليهم حيلته فتحصنوا ، فجاءهم ديمتريوس وشدد الحصار عليهم والمدينة ممتنعة ، فلما طال الحصار اطل رجل منهم من السور وخاطب ديمتريوس قائلا : « ايها الملك لماذا تقاتلنا ونحن مقيمون في يادية لا مطمع فيها لأهل المدن ؟ اتحاربونا لغرانا من الرق الى بلد لا شيء فيه من مرافق الحياة ؟ .. فاقبل رعاك الله ما ندفعه اليك نظير انسحابك ، وثق اننا منذ الآن اصدقاءكم ، واذا أبيتم الا اطالة الحصار فلا تتلون غير التعب والفشل ، لانكم لن تجدوا سبيلا الينا ونحن في هذا الحصن المنيع . واذا قدر لكم الظفر فلا تتالونه الا بعد ان نموت جميعا ، ولا يبقى لكم غير هذه الصخور الصماء وانتم لا تستطيعون سكنها » . فآثر كلام الرجل في ديمتريوس وتأكد امتناع المدينة فانسحب برجاله عنها (❖) واستفحل أمر النبطيين بعد ذلك حتى انشأوا دولة منظمة ، ولولا عليهم منوكا ضربوا النقود واستوزروا الوزراء . وكان ملوكهم يسمون على الغالب باسم « الحارث » وهو باليونانية اريتاس Aretas ، او « عبادة » وفي اليونانية اوباداس Obadas ، او « مالك » وفي اليونانية ماليكوس Malichus واقدم من وقف الباحثون على اسمه من ملوكهم الحارث الاول حكم نحو سنة ١٦٩ ق.م ، وملك بعده زيدابيل ، ثم الحارث الثاني ويلقب ايروتيوس حكم سنة ١١٠ ق.م ، ثم عبادة الاول سنة ٩٠ ق.م ، ثم ريبال سنة ٨٧ - ونم يقفوا لهؤلاء على نقود مضروبة باسمائهم ، ثم توالى بعدهم بضعة عشر ملكا وجدوا اسماءهم على النقود ، الا آخرهم مالك الثالث غلبه الرومانيون على امره وذهبوا بدولته سنة ١٠٦ ب.م . وهذه أسماء ملوك النبطيين الذين اتصلت بنا اخبارهم (١) نقلا عن النقود وغيرها :

ملوك الأنباط

اسم الملك	سنة الحكم تقريبا
الحارث الاول	١٦٩
زيدابيل	١٤٦
الحارث الثاني الملقب ايروتيوس	١١٠ - ٩٦
عبادة الاول	٩٠ (❖❖)
رب ايل الاول بن عبادة الاول	٨٧
الحارث الثالث فيلهلين بن رب ايل	٨٧ - ٦٢

(❖) انظر تفصيل ذلك عند جواد على : العرب قبل الاسلام ، ج ٢ ص ١٧ وما يليه
 (١) Dussaud, J. A. 1904
 (❖❖) يقال ايضا سنة ٩٢ ق.م

اسم الملك	سنة الحكم تقريبا
عبادة الثاني بن الحارث الثالث	٦٢ - ٤٧ ق.م
مالك الاول بن عبادة الثاني	٤٧ - ٣٠
عبادة الثالث بن مالك الاول	٣٠ - ١
الحارث الرابع الملقب فيلوباتر شقيق عبادة الثالث	١ - ٤٠
الملكة خلدو امراته	ب.م
الملكة شقيلة امراته (*)	
مالك الثاني بن الحارث الرابع	٤٠ - ٧٥
الملكة شقيلة امراته (**)	
رب ايل الثاني الملقب سوتر بن مالك الثاني	
الملكة شقيلة والدته اثناء وصايتها عليه	٧٥ - ١٠١
« جميلة » امراته (***)	
مالك الثالث	١٠١ - ١٠٦

هؤلاء هم الملوك الذين قرا الباحثون اسماءهم على النقود او الآثار حتى اليوم ، وربما عثروا على غيرهم في المستقبل - وهذه خلاصة ما عرف من أخبارهم :

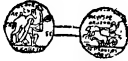
(١) الحارث الاول : كان الحارث الاول معاصرا لانطيوخوس ايفغانيس السلوقي ملك سوريا نحو سنة ١٦٩ ق.م ، وبطييموس فيلوماتر صاحب الاسكندرية ، ووقع بين البلدين قتال غلب فيه السلوقيون ، ولعلمهم استعانوا بالانباط في تلك الحرب

(٢) زيد ايل : كان معاصرا لالاسكندر ملك سوريا ، جاء ذكره في سفر المكابيين وكان على الاسكندرية في زمانه بطليموس اترجيت الثاني سابع البطالسة : (٣) الحارث الثاني : كان معاصرا لسوتر الثاني ، وهو بطليموس الثامن صاحب الاسكندرية المتوفى سنة ٨٢ ق.م ، والاسكندر يانيوس صاحب سوريا المتوفى سنة ٧٩ ق.م

(٤) الحارث الثالث : لهذا الحارث شأن عظيم في تاريخ هذه الدولة ، لانه تغلب على القناع بسوريا ، ودعاه الدمشقيون ليتولى امرهم وكانوا يكرهون بطليموس ، فملكهم سنة ٨٥ ق.م. وكانت دمشق قسبة السلوقيين فتولاها ، ولقبوه من اجل ذلك فيلهلين Philhellen أي محب اليونان. واشترك ايضا مع هركانوس في تنازعه على الملك مع اخيه أوستوبولس ، وحاصر اورشليم ، لكنه

(*) الأرجح ان زوجتي الحارث الرابع لم تحكمنا وانما رسمت صورهما على بعض النقود التي ضربت في عهده
انظر : جواد علي : العرب قبل الاسلام ، ج ٣ ص ٤٢
(**) يقال ايضا ان شقيلة كانت اخته ولم تحكم وانما ضرب اسمها على النقود
(***) لكتب في النصوص جميلت وهي اخت رب ايل الثاني ، وله شقيقة أخرى اسمها هاجر وشقيقة ثالثة اسمها فصائل وقد وردت اسموهن على النقود

عند وصول سكاوروس القائد الروماني تفهقر الى فيلادلفيا (عمان) مع هركانوس، فادركهما ارستوبولس في مكان اسمه بايرون وغلبهما وقتل ٦٠٠٠ من رجالهما. وبعد ثلاث سنوات كان سكاوروس المذكور قد أصبح واليا على



نقود الحارث وسكاوروس

البقاع تحت رعاية بومبيوس صاحب رومية، فحمل على بطرس فأعجزه فالوصول اليها لوعورة الطريق وقلة الزاد لجيشه، فرضى ان يرجع بمبلغ ٣٠٠ ريال دفعها اليه الحارث المشار اليه. وهو اول من ضرب النقود من الانباط، اقتبس ذلك

من ملوك اليونان في اثناء سلطانه على دمشق، وقد وجد بعضهم دينارا عليه نقش يرمز به عن اتفاق الحارث وسكاوروس وصورة جمل وشجرة عطرية

(٥) عبادة الثالث: لا تعرف خبرا يستحق الذكر جرى في ايام عبادة الثاني أو مالك الاول. اما عبادة الثالث ففي ايامه كانت حملة اليوس غالوس القائد الروماني على بلاد العرب، وقد استعان فيها بالنبطيين.

وكان استرابون الرحالة اليوناني معاصرا له، فذكرها في رحلته، قال ان اغسطس قيصر بعث سنة ١٨ ق.م، حملة بقيادة اليوس غالوس عاملة على

مصر لفتح جزيرة العرب، واستنصر النبطيين فآظفروا رغبتهم في نصرته على يد وزير لهم يومئذ اسمه سيلوس، وأن هذا الوزير خدعهم فذهب بهم

في طرق وعرة اعجزهم المرور فيها، ففقضوا اياما قاسوا فيها العذاب الشديد، واقصى مكان بلغوه بعد ذلك العذاب مدينة يسميها استرابون

بلد الرامانيين (Rhamanitae) وملكها اسمه اليزاروس (Elisaros) فحاصروها ستة ايام، لكن العطش حملهم على رفع الحصار والانسحاب. وينسب

استرابون هذا الفشل الى خيانة وزير النبطيين. ويرى العارفون ان استرابون انتحل ذلك العذر لتبرئة اليوس غالوس لانه صديقه. وبعد

تسعة ايام من انسحابه وصل الى نجران ومر بالجوف الجنوبي. وما زال يتنقل من بلد الى آخر حتى وصل الحجر، وهي يومئذ تابعة لبطرا، وسار

منها الى البحر الاحمر ومنه الى مصر بعد ان قضى في هذه الحملة ستين يوما، وقد فصل المستشرق سبرنجر هذه الحملة مطولا (١)

(٦) الحارث الرابع: ويسمى انبياس، وهو حمو هيرودس انتياس فاراد هذا ان يتزوج بهيروديا امرأة اخيه هيرود فيليب ابنة ارستوبولس

اخيها واخت اغريبا الكبير، فشق ذلك على ابنة الحارث فرجعت الى منزل ابيها. وانتشبت الحرب بين الحارث وهيرودس وكان الظفر فيها للحارث،

وفشل هيرودس فشلا عظيما فرجع امره الى رومية فبعث الامبراطور

(طيباريوس) الى فيتالس ان يرسل الحارث اليه مكبلا بالحديد واذا قتل فليرسل اليه راسه . فحمل فيتالس على بطرا لكنه تأخر في اورشليم لحضور الفصح ، وبلغه وهو هناك موت طيباريوس سنة ٣٧ م ، فاخذ البيعة على جنده واطلق سراجهم ليذهبوا الى منازل الشتاء ، وعاد الى انطاكية وظل الحارث في دمشق ، وفي اثناء وجوده هناك فر منها بولس انرسول على ما جاء في الكتاب المقدس

ولم يقف الباحثون على ما يستحق الذكر من اخبار ملوك الانباط بعد الحارث الرابع ، لان الدولة اخذت بعده في الضعف والانحلال وتدخل النساء في شئونها ، حتى ضربت النقود باسمائهن مع أسماء الرجال كما اشتهر معهم في السيادة (✳)

سمة مملكة الانباط

واتسعت مملكة الانباط في عهد اولئك الملوك ، حتى شملت جزيرة سينا من الغرب ، وحوران الى حدود العراق من الشرق ، وبلغت الى وادي القرى في الجنوب ، فدخلت الحجر مدينة الثموديين في حوزتهم ، وطمع فيهم الرومانيون بعد استيلائهم على مصر والشام ، وحاربوهم على ايام اوقسطس وارثدوا عنهم

وظلت مدينة بطرا مركزا تجاريا بين الشرق والغرب والجنوب والشمال ، حتى اعادوا الطريق من القصير على البحر الاحمر الى قفط على النيل فاخذت في التفتقر ، وكان الانباط قد تحضروا ، فذهبت عنهم خشونة البداوة وركنوا الى الزراعة وأدوا الى المنازل وانغمسوا في الترف ، فلما صارت الدولة الرومانية الى الامبراطور تراجان واصبح قادرا على الاستعانة بالجند المصري ، عجز النبطيون عن الوقوف في وجهه ، فجرد عليهم حملة غلبتهم على مدينتهم سنة ١٠٦م ، وضرب الروم نقودا خاصة بذلك الفتح على سبيل التذكارة ، فذهبت عصبية النبط وانحلت قواهم ، فأخذوا الى الدعة واختلطوا بأهل البلاد الاصليين من السريان والاراميين ، وانتشروا على حدود سوريا وفلسطين مما يلى البادية بين سينا والغرات . ولم تقم لهم قائمة من ذلك الحين ، وتحولت الطرق التجارية الى تدمر الاى ذكرها (✳)

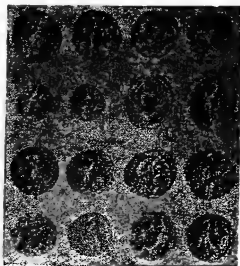
(✳) اورد جواد على تواريخ اولئك الملوك بتفصيل اكثر ، انظر ج ٢ ص ١٧ وما يليها (✳) استولى الحارث الثاني ملك الانباط على دمشق سنة ٨٦ بعد انتصاره على الملك انطيوخوس ديونيزوس Antiochos Dionysos من قرية كانا Cana ومد سلطانه على جنوبى سوريا وعلى جزء من فلسطين Uceze Syria = سوريا الحالية وبذلك احاطت مملكة النبطيين بمملكة اليهود المكابيين من ثلاث جهات كما تعيط الدول العربية باسرائيل اليوم . ثم بدأ الحارث في مهاجمة مملكة يهوذا للقضاء عليها ، وانتصر على رجالها في معركة حامية عند بلدة اديدا ، ثم اوغل في يهوذا بين سنتي ٦٦ و٦٥ قبل الميلاد مستعينا بما كان بين جماعات اليهود من خلاف وتنازع على العرش ، وكاد الحارث يستولى على اورشليم لولا ان اثرومان هاجموا سوريا من الشمال واستولوا على دمشق وتولى قائدهم سكاوروس امر القضاء على مملكة يهوذا ، وقد واصل الرومان سياستهم في القضاء على مملكة اليهود حتى تم لهم ذلك سنة ٧٠ ميلادية ، فدخلوا اورشليم وخرّبوا معبد سليمان ، ومن ذلك التاريخ تشتت يهودها في قنواحي الارض =

تمدن الانباط

قد رأيت أن مملكة الانباط شملت في إبان اتساعها معظم شمالي جزيرة العرب ، ويدخل فيها مواب والبلقاء وحوران وشبه جزيرة سينا وأرض مديان وأعالي الحجاز . وأشهر المدن التي دخلت في حوزتهم بطرا ، وبصرى ، وأذوع ، وعمان ، وجرش ، والكرك ، والشوبك ، وأيلة ، والحجر (مدائن صالح) تشهد بذلك النقوش الكتابية التي عثروا عليها بلسانهم على انقاض تلك المدن ، ولأسيما في بطرا ، والحجر ، والعلاء ، وجبران ، وصلخد ، ومادبا ، وامتان ، والوادي المكتب في سينا . وقد حل المستشرقون هذه النقوش في أواسط القرن الماضي وأواخره . ووجدوا نقوشا من لغتهم في دمر على حدود دمشق . ومما يدل على سعة علاقتهم التجارية أن بعض الباحثين عثر على كتابة نبطية في فرصة بتبولي في إيطاليا ، فحواها أن رجلا اسمه صيدو وقف في السنة الرابعة عشرة من حكم الحارث الرابع شيئا من مقتنياته على اسم هذا الملك وأمراته (١)

وأحسن من وصف آداب النبطيين وأخلاقهم ديودورس الصقلي في القرن الأول قبل الميلاد ، فكتب ماعرفه بنفسه وخلاصة قوله : « أن الانباط يعيشون في البادية الجرداء التي لا أنهر فيها ولا سيول ولا ينابيع . ومن أمهات قواتينهم منع زراعة الحبوب أو استثمار الأشجار وتحريم الحمر أو بناء المنازل ، ويعاقبون من يخالف ذلك بالقتل مع التشديد في العمل بهذه القوانين . ويقتات بعضهم بلحوم الأبل والبانها ، والبعض الآخر بالماشية أو الغنم ، ويشربون الماء المحلى بالبن . ومنهم قبائل عديدة تقيم في البادية ولكن النبطيين أغنى تلك القبائل ، وإن كان رجالها لا يزيد عددهم على ١٠٠٠ رجل . وثروتهم من الاتجار بالأطياب والمر وغيرهما من العطريات ، يحملونها من اليمن وغيرها إلى مصر وشواطئ البحر المتوسط . ولم تكن تمر تجارة في أيامهم بين الشرق والغرب إلا على يدهم ، ويحملون إلى مصر على الخصوص القار لأجل التحنيط . وهم ضنينون بحريتهم ، فإذا داهمهم عدو يخافون بطشهم قروا إلى الصحراء وهي أمتع حصن لهم ، لأنها خالية من الماء فلا يدخلها سواهم إلا مات عطشا . أما هم فيشربون من صهاريج سربة مربعة الشكل منقورة في الصخر تحت الأرض ، يخزنون الماء فيها ولها

١ - وهذه المملكة التي أضاعوها منذ نحو ١٩٠٠ سنة هي التي يطالبون بإعادة أمرها اليوم وقد هاجم الرومان مملكة النبط بعد ذلك ابتداء من أيام القائد بومبي حتى لم لهم القسوة عليها ، وبذلك قضوا على كل الإمارات والممالك التي كانت قائمة في الشام وأنشأوا ولاية كبيرة عرفت باسم الولاية العربية Provincia Arabia قبلية Cilicia وبلاد الشام Syria ومملكة اليهود Judaea وبلاد النبط وكان ذلك حوالي سنة ١١١ ميلادية انظر : جواد على : العرب قبل الإسلام ، ج ٣ ص ٢٥ - ٥٥ (١) Cooke, 257



تقود بمعنى ملوك التبطين

وهات ظاهرها ضيق وباطنها واسع ، اتساع احدها ثلاثون مترا مربعا .
 نملأونها بعماء المطر ويحكمون سدها بحيث يخفى مكانها على غير العارف ،
 لهم على فوهاتنا علامات ترشدكم اليها لا يعرفها سواهم »
 وللانباط سكة خاصة للتقود قلدوا بها اليونان ، وهذه أمثلة من تقودهم :
 (١) نقد الحارث الثالث الملقب فيلهلين ، على أحد وجهيه صورة رأسه
 متجها نحو اليمين ، على الوجه الآخر صورة امرأة ترمز الى النصر ، وقد
 قش وراءها اسم الملك الحارث باليونانية Basileos Aretou وأمامها لقبه :
 محب اليونان فيلهلين

(٢ و ٣ و ٤ و ٥) تقود للحارث المذكور أيضا ، تختلف في شكلها عن
 ذلك من بعض الوجوه لكن الكتابة عليها واحدة

(٦) نقد لعبادة الثاني ، على وجهه الابرر رأس وعلى اليمين صورة
 نسر أمامه نقش بالنبطية معناه « الملك عبادة » ، ووراءه « ملك الانباط »
 وعلى الرأس « السنة الثانية »

(٧) نقد آخر لعبادة المذكور ، على أحد وجهيه رأسان وعلى الوجه
 الآخر نسر ومثل تلك الكتابة

(٨) نقد مالك الاول ، على أحد وجهيه رأسان وعلى الآخر نسر وعليه
 كتابة معناها « الملك مالك ملك الانباط »

هل الانباط عرب ؟

اختلف المؤرخون في أصل هذه الامة ، فذهبت طائفة مذهب أهل التوراة ، انهم من نسل نايوط بن اسماعيل ، وذهب آخرون انهم من أهل العراق ، لأن النبط يطلق على سكان ما بين النهرين ، ولغة الانباط التي قراوها على آثارهم آرامية متخلفة عن لغة ما بين النهرين ، وانهم هاجروا من العراق الى ادم ، وهو رأى كاترمير الفرنسى . وذهب غيرهم أن النبط أصلهم من جبل شمر في اواسط بلاد العرب ، ونزحوا الى جزيرة العراق لما فيها من الخصب والرخاء ، فأقاموا هناك حتى داهمهم الاشوريون أو الماديون فأخرجوهم من ذلك الوادى . وذهبت طائفة أخرى أن الانباط أتوا من شواطئ خليج العجم . ويرى كوسان دى برسفال المستشرق الفرنسى انهم عراقيون ، أتى بهم نبوخذنصر (بختنصر) في القرن السادس قبل الميلاد لما اكتسح فلسطين فأنزلهم في بطرا وما يليها . وقال غيرهم غير ذلك مما يطول بنا تفصيله ، فنقتصر على ابداء رأينا بالاسناد الى ما وقفنا عليه من أحوال هذه الامة فنقول :

ان اوجه الاختلاف بين العلماء في أصل أولئك الانباط ترجع الى « هل هم عرب أو آراميون ؟ » . وعندنا انهم عرب ، والأدلة على ذلك :

اولا : قول الذين عرفوهم من مؤرخى اليونان ، فانهم حيثما ذكروهم سموهم عربا

ثانيا : ان أسماء ملوكهم عربية ، كالحارث ، وعباد ، ومالك ، وجميلة . وللأعلام دخل كبير في بيان أصول الأمم كما قلنا عند كلامنا على أصل الحمورابيين ، فالرجل الذى يسمى نيقولايدس نحكم أنه يونانى الأصل وان تزييا بزى الاتراك أو الروسيين ، والمسمى ارتين أو دمرجيان نحكم أنه أرمنى وان كانت لفته الفرنسية أو الانجليزية أو العربية ، اذ لكل أمة تسمية خاصة بها . وقد تسمى إبنائها بأسماء أمة أخرى ، كما يفعل نصارى الشرق لهذا العهد ، فيسمون إبنائهم بأسماء أفرنجية ، ولكن ذلك لا يكون الا بتقليد الضعيف القوى أو البسطاء لاهل التمدن ، ولا ينطبق ذلك على بطرا لأن العرب لم يكونوا يومئذ أهل تمدن وسطوة ، وانما كان التمدن في العالم السامى للآراميين أو البابليين

والقائلون بأراميتهم يحتجون بأن لفتهم آرامية ، وأن لفظ النبط يطلق عند العرب على أهل العراق ، وهو رأى وجيه لا ينقص بسهولة . ولكن مؤرخى اليونان الذين سموهم عربا قد عاصروهم وهم أعلم الناس بهم . نعم ان اللغة التى قراوها على آثارهم آرامية لكنها ليست هى لغة التكلم عندهم

وذلك أن النبطيين فرقة من عمالقة العراق بدو الآراميين ، الذين هجروا ضفاف الفرات بعد ذهاب دولة حمورابى من العراق ، وتفرقوا قبائل وبطونا في جزيرة العرب ، ولعلمهم المراد بقول العرب « أرمانيون »

فهم يريدون بالارمانيين القبائل المتسلسلة من ارم (١) . فالنبطيون قبيلة منهم لا يبعد انها اقامت زمنا على شواطئ خليج العجم ، وكانت ترتوق بنقل التجارة في البادية بين ذلك الخليج والبحر المتوسط والبحر الاحمر ، حتى عرفوا ادم وتوسطها بين خليج فارس والامم المتعددة في ذلك العهد بأشور وفينيقية ومصر ، فاستولوا عليها بكيفية لا نعرفها وجعلوا بطرا عاصمتهم . ومن كلام ابن خلدون : « وأول ملك للعرب بالشام فيما علمناه للعراق » ، ثم لبني ارم بن سام ويعرفون بالارمانيين « . وقال حمزة الاصفهاني : « الارمانيون نبط الشام ، والاردوانيون نبط العراق » (٢)

لغة الآباط

اما لسانهم الذي كانوا يتفاهمون به فانه عربى مثل اسمائهم ، ولا عبرة بما وجدوه منقوشا على آثارهم باللغة الآرامية فانها لغة الكتابة في ذلك العهد ، مثل اللغة الفصحى في أيامنا . فلو ذهب أهل هذا الجيل من سكان مصر والشام ، وذهب لسانهم الذى يتكلمونه ، واراد أهل الاجيال القادمة أن يستدلوا على جنسنا من آثارنا الكتابية ، لعدونا من أهل البادية أو من قريش ، لاعتمادهم على لغة الكتابة وهى لغة قريش . وذلك كان شأن الدول القديمة في الشرق ، ولا سيما فيما يتعلق بالآثار الدينية أو السياسية . ولكل دولة لغة رسمية تدع بين رعاياها ، فيتكاثرون بها أو ينقشونها على آثارهم ، كما تتكاثب دول أوروبا بالفرنسية ، ويتخابر أهل أشرق الأقصى بالفارسية (✽)

فاللغة البابلية هى اللغة التى كان يتكلمها أول من تسلط من الساميين في العراق وما يليها ، وأخذوا يكتبون أوامرهم ويدونون أخبارهم بها بالحرف المسمارى الذى اقتبسوه من السومريين . وشاع استعمالها في المملكة البابلية على اختلاف عناصر أهلها ، حتى صارت لغتها الرسمية يتكاثب بها أهل العراق وفارس وغيرهما - ظلوا على ذلك أكثر من ألفى سنة ، واللغة المذكورة واحدة لم يحدث في الفاظها أو تركيبها تغيير يستحق الذكر . ولا يعقل أن تبقى كذلك على ألسنة القوم ، بدليل ما شاهدناه من التغيير الذى طرأ على لغة قريش قبل انتضاء الألف الأول من لدولها على الألسنة ، فانها تفرعت الى لغات شتى . فبالقياس على ذلك تفرعت اللغة البابلية على السنة متكلميها الى عدة لغات من جملة اللغة الآرامية . واما لغة الكتابة فظلت اللغة البابلية تكتب بالقلم المسمارى

(٢) حمزة ١٧ وابن خلدون ١٧٠ ج ٢

(٣) ابن خلدون ٢٧٨ ج ٢

(✽) كان هذا صحيحا الى ما قبل الحرب العالمية الثانية ، وقد تغير الوضع اليوم ، فلم تعد الفرنسية اللغة الوحيدة الدبلوماسية ، ولم يعد أهل الشرق الأوسط (أفغانستان وباكستان وفارس) يستعملون اللغة الفارسية كلفة رسمية للمكاثبات الدولية وقد اثيرت البحت الحديث صحة رأى جرجى زيدان في القول بأن النبط عرب . انظر المناقشة في جواد على ، العرب قبل الإسلام ، ج ٢ ص ٩ وما يليها

ولما انتفضى العصر البابلي والاشورى احتلت اللغة الآرامية المذكورة محل اللغة البابلية في السياسة والتجارة . وقد أصبح في حكم الثابت الآن ، أن المخابرات السياسية الرسمية واللغة التجارية ، التي كانت تخاير بها الأمم الحية في القرون الاولى قبل الميلاد ، في بابل ، واشور ، وفارس ، ومصر ، وفلسطين ، انما هي اللغة الآرامية التي نحن في صدها ، وفي جملة ذلك بطرا . وهي التي كتبت بها الوثائق البردية التي عثروا عليها بالأمس في اصوان (١) . ويقلب أنها كانت لغة التكلم في بابل

ولما ضعف الاشوريون كانت الحروف الهجائية التي ينسبون اختراعها للفينيقيين ، قد شاعت في العالم المتمدن وتفرعت الى بضعة فروع من جعلتها القلم الآرامي ، وقد استخدمه البابليون لتدوين لغتهم الدارجة فضلا عن اللغة الرسمية ، شاع هذا القلم ولغته في الأمم التي تفرغت في مملكة بابل - وهذا مثال منه :

𐤀𐤁𐤁𐤁𐤁 𐤀𐤁𐤁𐤁𐤁 𐤀𐤁𐤁𐤁𐤁 𐤀𐤁𐤁𐤁𐤁 𐤀𐤁𐤁𐤁𐤁

𐤀𐤁𐤁𐤁𐤁 𐤀𐤁𐤁𐤁𐤁 𐤀𐤁𐤁𐤁𐤁 𐤀𐤁𐤁𐤁𐤁 𐤀𐤁𐤁𐤁𐤁

الحرف الآرامي

فالعرب الذين كانوا يخاطبون العالم المتمدن بالتجارة أو السياسة في ذلك العهد ، اضطروا الى معرفة لغة رجال الدولة وأهل الواجهة لاستخدامها في المخابرات والتدوين ، فتعلموا اللغة الآرامية وكتبوها بالقلم الآرامي لسهولة . ثم تنوعت هذه الأقلام بتوالي الأجيال ، وتفرعت الى عدة فروع عرفت بالأقلام الآرامية ، أشهرها عند الساميين القلم التدمري في تدمر ، والنبطي في بطرا وغيرها ، وأشكالها متشابهة مثل تشابه تلك اللغات . وهي في كل حال غير لغة التكلم ، وإن تقاربنا في أكثر التراكيب والألفاظ

ولثل هذا السبب اضطر الجرمانيون الذين هبطوا على المملكة الرومانية الى تعلم اللغة اللاتينية ، وجعلوها لغتهم الرسمية وكل طائفة منهم تتكلم لغتها الخاصة . وظلت اللاتينية لغة العلم والنقش على الآثار في أوروبا أجيالا بعد ذهاب دولتها ، ولكل أمة من أممها لسان خاص تتفاهم به ، ولم تهمل اللاتينية وتدوين اللغات العامية الا في نهضة هذا التمدن (أى الحضارة الراهنة) كما دونت اللغة العربية في نهضة الاسلام ، بعد أن كانت لغة الكلام والآرامية لغة التدوين

فاللغة التي تقرأها على آثار بطرا وغيرها من اطلال الانباط آرامية ، وأما لغة الكلام فكانت عربية ، والاثنتان مرتبطتان بأبهما القديمة لغة

بدو الآراميين ، أو اللغة البابلية القديمة ، بعلامة تشتركان فيها دون سائر اللغات السامية ، أعني حركات الأعراب في أواخر الكلم (١) في بعض الأحوال . واللغة الآرامية التي كتب بها الانباط غير الآرامية المعروفة اليوم ، وفي تلك أثر من لغة العرب التي كان يتكلمها ذلك الشعب . وهذا مثال من نقوش الانباط على آثارهم ، وهو عهد كتبه رجل اسمه عائذ بن كهيل على قبره في الحجر (مدائن صالح) في السنة الأولى قبل الميلاد في زمن الحارث الرابع الملقب فليوباتر :

١. 𐤀𐤁𐤁𐤁𐤁𐤁 𐤁𐤁𐤁𐤁𐤁 𐤁𐤁𐤁𐤁𐤁
 ٢. 𐤁𐤁𐤁𐤁𐤁 𐤁𐤁𐤁𐤁𐤁 𐤁𐤁𐤁𐤁𐤁 𐤁𐤁𐤁𐤁𐤁
 ٣. 𐤁𐤁𐤁𐤁𐤁 𐤁𐤁𐤁𐤁𐤁 𐤁𐤁𐤁𐤁𐤁 𐤁𐤁𐤁𐤁𐤁
 ٤. 𐤁𐤁𐤁𐤁𐤁 𐤁𐤁𐤁𐤁𐤁 𐤁𐤁𐤁𐤁𐤁 𐤁𐤁𐤁𐤁𐤁
 ٥. 𐤁𐤁𐤁𐤁𐤁 𐤁𐤁𐤁𐤁𐤁 𐤁𐤁𐤁𐤁𐤁 𐤁𐤁𐤁𐤁𐤁
 ٦. 𐤁𐤁𐤁𐤁𐤁 𐤁𐤁𐤁𐤁𐤁 𐤁𐤁𐤁𐤁𐤁 𐤁𐤁𐤁𐤁𐤁
 ٧. 𐤁𐤁𐤁𐤁𐤁 𐤁𐤁𐤁𐤁𐤁 𐤁𐤁𐤁𐤁𐤁 𐤁𐤁𐤁𐤁𐤁
 ٨. 𐤁𐤁𐤁𐤁𐤁 𐤁𐤁𐤁𐤁𐤁 𐤁𐤁𐤁𐤁𐤁 𐤁𐤁𐤁𐤁𐤁
 ٩. 𐤁𐤁𐤁𐤁𐤁 𐤁𐤁𐤁𐤁𐤁 𐤁𐤁𐤁𐤁𐤁 𐤁𐤁𐤁𐤁𐤁

كتابة نبطية على انقاص مدائن صالح

نطقها بالأحرف العربية كل سطر على حدة :

- ١ - دنة قبرا دى عبد عيدو بر كهيلو بر
 - ٢ - الكسى لنفسه وبلده واحره ولن دى يتفق بيده
 - ٣ - كتب تقف من يد عيدو قيم له ولن دى يتثن ويقيم به
 - ٤ - عيدو بخيوهى بريح نيسان شنة تشع لخرت ملك
 - ٥ - نبطو رحم عمه ولعنو ذو شرا ومنوتو وقيشه
 - ٦ - كل من دى يزين كفرا دنة او يزين او برهن او يتثن و
 - ٧ - يوجر او يتالف علو هى كتب كله او يقبر به انوش
 - ٨ - لهن لمن دى علا كتيب وكفرا وكتبه دنة حرم
 - ٩ - كحليقت حرم نبطو وشلمو لعلم علمين
- ترجمتها باللغة العربية كل سطر على حدة :
- ١ - هذا هو القبر الذى بناه عائذ بن كهيل بن
 - ٢ - القسى لنفسه وأولاده وأعقابيه ولن يكون في يده

٣ - كتاب من يد عائذ يبيع له ولاى واحد يخوله عائذ فى حياته أن يدفن فيه

٤ - فى شهر نيسان (ابريل) السنة التاسعة للحارث ملك

٥ - الانباط محب شعبه . ولعن ذو الشرى ومناة وقيس

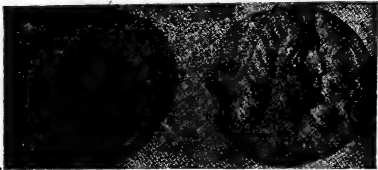
٦ - كل من يبيع هذا القبر أو يشتريه أو يرهنه أو يهبه أو

٧ - يؤجره أو ينقش عليه شيئا آخر أو يدفن فيه أحدا

٨ - إلا الذين كتبت أسماؤهم أعلاه . أن القبر وما كتب عليه حرم مقدس

٩ - حسب القاعدة التى يقدسها الانباط والاسلاميون الى ابد الأبد

على اننا لا نظن اللغة العربية التى كان يتفاهم بها النبطيون هى نفس اللغة العربية التى عرفناها فى صدر الاسلام ، ولابد من فرق بينهما اقتضاه ناموس الارتقاء . ولعلها كانت اقرب الى ما قرأوه على قبر عمرو ابن امرئ القيس فى خرائب نمارة بجوران ، وسندكر نصه ومعناه فى كلامنا عن دولة اللخمين من هذا الكتاب . فاذا قرأته تمثل لك تدرج اللغة فى التنوع والتحول عملا بناموس الارتقاء . وبسبب هذا الناموس تشعبت لغة بدو الآراميين الى اللغات البابلية والآرامية والسبائية أو الحميرية ولغات عرب الحجاز وغيرها ومن جملتها لغة صدر الاسلام . وقد أصاب هذه تغيير واقتضاه تنقلهم فى البادية بأبلهم وماشيئهم فبعدت عن اختها البابلية ، ولكنها لاتزال اقرب اليها فى بعض أحوالها من ابتيتها الكلدانية والسريانية ، لأن العرب قضوا تلك الأجيال فى البادية واللغة انما تغيرها الحضارة فالانباط عرب يتكلمون العربية ، ولغتهم الكتابية مع كونها آرامية فانها تنم عن أصحابها العرب ، ويؤيد ذلك اجماع مؤرخى اليونان على تسميتهم عربا ، وإن أسماء ملوكهم عربية ، وهم عمالقة أو فرقة منهم كما



نقود نبطية - المتحف البريطانى

قدمنا ، ويوافق ذلك قول يوسيفوس أن ادوم قسمان : قسم يسكنه
العمالة ، والآخر في جنوبي فلسطين (١)

وقد تشتم رائحة النبط من قول ابن خلدون في عرض كلامه عن ملوك
الروم النبطيين وهو يسميهم الكيتم . فبعد أن ذكر ما ملكوه من البلاد
قال : « أنهم ملكوا الاندلس ، وملكوا الشام ، وأرض الحجاز ، وفهروا
العرب في الحجاز (٢) . وليس في التاريخ ما يدل على أن الرومانيين قهروا
من العرب غير الانباط . وزد على ذلك أن أهل التوراة حينما ذكروا النبط
أو أبناء نيابوط أرادوا العرب ، فعندهم نيابوط وقيدار ابنا اسماعيل
جد عرب الحجاز

(١) Josephus Art. III 2

(٢) ابن خلدون ١٩٨ ج ٢

دولة تدمر

مدينة تدمر

كانت تدمر مدينة تجارية مثل بطرا ، واقعة في طرف البادية التي تفصل الشام عن العراق ، كأنها واحة في الصحراء أو جزيرة في الماء ، تبعد ١٥٠ ميلا من دمشق نحو الشمال الشرقي ، ونحو مائة ميل من حمص ، وسفر خمسة أيام على الإبل من الفرات . شكلها منبسطة تحيط بها جبال تفصل بينها وبين البادية. وهي عبارة عن طرف بادية الشام من الشمال ، فكل ما وراءها نحو الجنوب رمال قاحلة لا ماء فيها ولا نبات. كان تلك البادية مثلث رأسه تدمر في الشمال ، وساقاه حدود العراق في الشرق ومشارف الشام في الغرب ، وقاعدته شمالي جزيرة العرب. فالبادية المشار إليها أقرب الطرق بين الشام والعراق ، لكن جفافها ووعورة مسالكها جعلت المرور فيها شاقا ، فأصبحت القوافل المسافرة من الحيرة مثلا الى دمشق تجعل طريقها شمالا غربيا على حدود الفرات ، حتى تأتي تدمر فتستريح هناك وتنزود ، ثم تنعطف جنوبا الى دمشق — ذلك كان شأن القوافل التجارية أو الحملات العسكرية من قديم الزمان . لا بد للمسافر من الشام ، أو فلسطين الى العراق ، أو فارس ، أو خليج العجم من المرور بتدمر ، فأصبحت بسبب ذلك عاصمة الاهمية ، فسكنها الناس قديما ولم يعرف بانها . وأقدم من ذكرها صاحب سفر الايام الثاني وسمها تدمر أو تدمور وهو اسمها العربي. ولم يذكرها العرب الا بعد الاسلام ، ولهم في اصل بنائها أقوال مثل سائر مزاعمهم في بناء المدن القديمة ، اذ ينسبون في الغالب بناءها الى سليمان بن داود ، أو سام بن نوح ، أو الى الجن (ج) فتدمر عندهم من بناء سليمان ، مع انها خارج مملكته ووجودها بضر بسياسته ، لأنه كان ينوي احياء فلسطين

(ج) لآزال الاسم البعيد لتدمر مجهولا ، رغم البحوث الكثيرة التي قام بها العلماء حول الموضوع ، واسمها — سواء في الافرنجية Palmyra أو في العربية «تدمر» — لا زال موضع خلاف أيضا . فاما عن أصل الاسم العربي فلم يبحث بحثا جديا ، وأقمى مآذهبوا اليه من الفروض ان اسمها محرف عن تمر أو تدمور — أو تلمار — العبرائيتين بمعنى النخل وما الى ذلك وأما الاسم الافرنجي فلا شك ان له علاقة بلفظ Palma أي النخلة ، وان كان تطور الاسم الى Palmyra غير معروف . أما أصل المدينة فلا زال الكثيرون يتابعون ما ذهب اليه يوسف اليهودي ومؤرخو اليهود من ان سليمان عليه السلام هو الذي بناها ، وينسب بعض الاخباريين بناء تدمر الى امرأة تسمى تدمر بنت حسان بن أدبنة بن السميدع... بن سام بن نوح . وعلى أي الأحوال فان ما نعرفه عن تاريخ تدمر قبل الميلاد قليل جدا ، والقالية الكبرى مما لدينا من أخبارها ترجع الى ما بعد الميلاد ، وأول من ذكرها من مؤرخي اللاتين هو بلينيوس

راجع .. جواد علي . العرب قبل الاسلام ، ج ٢ من ٧١ وما بعدها

بتحويل تجارة الشرق الى البحر المتوسط بطريق البحر الاحمر . فبنى على شواطئه فرسا ومرافئ لهذا الغرض . وكانت تجارة الشرق تحمل في ايامه بالبحور ، فلما ذهبت دولته تحولت التجارة الى البر وعاشت بطرا ثم تدمر .

والظاهر ان القوازل كانت تمر بتدمر من القرن السادس قبل الميلاد ، تحمل حاصلات اليمن ، او الحيشة الى العراق ، فتتجاوز مشارف الشام الى تدمر ، ومنها الى جزيرة العراق ، او فارس ، او آسيا الصغرى ، لكنها لم تزه الا بعد سقوط بطرا في اول القرن الثاني للميلاد ، فتحوطت الطرق اليها واخذت ترتقى وتتسع تجارتها ، حتى بلغت قمة مجدها في القرن الثالث للميلاد

على ان الرومانيين طمعوا فيها كما طمعوا في بطرا ، وحاولوا فتحها في منتصف القرن الاول قبل الميلاد على يد ماركس انطونيوس ولم يفلحوا . ثم تدخلوا في شئونها في اواسط القرن الاول بعد الميلاد . وادخلها الامبراطور هادريان سنة ١٣٠ م ، في حمايته ، وشخص اليها وسماها «ادريان بوليس» نسبة اليه ، وبذل جهده في تنظيم شئونها ، ووضع الضرائب على التجار والمعمارك بأمر اصدره سنة ١٣٧ م ، عثروا على نصه منقوشا على حجر في آثار تدمر الباقية . وكانت حكومتها ترجع الى مجلس شيوخ عليه رئيس

وفي ايام سبتيموس سيفروس اصبحت تدمر مستعمرة رومانية ، وصارت رئاسة الحكومة فيها الى زعيم يقال له شراتجي . ولما نشبت الحرب بين الروم والفرس في صدر النصرانية ، زادت تدمر ثروة وأهمية ، لتوسطها بين الملكتين ، حتى صارت سيدة الشرق الروماني، وتمدن أهلها واتروا وطمعوا في رتب الدولة ومناصبها ، وزادهم طمعا في ذلك مرور قياصرة الروم بها في أثناء تلك الحروب ، مما جعل لأهلها دالة ونفوذاً . وكان القياصرة يكرمون من ينصرهم على الفرس ، ومن جملة الذين نالوا ذلك الاكرام ، وارتقوا مناصب الدولة أسرة وطنية كان لها شأو كبير في تاريخ تدمر ، من رجالها اذينة بن جيران بن وهب اللات بن نصر، فبلغ الى رتبة المشيخة الرومانية(*)

(*) لا يعرف على وجه التحديد التاريخ الذي دخلت فيه تدمر في حكم الرومان ، والرواية التي يرددها عامة المؤرخين عن استيلاء ماركس انطونيوس على تدمر حوالي ١١ قبل الميلاد ترجع الى المؤرخ اللاتيني ابيفانوس ، ولا يقيم منها هل كانت المدينة في طاعة الرومان قبل ذلك . وعلى أي الأحوال ، يبدو لنا تدمر بعد سنة ١١ قبل الميلاد داخلية في ملك الرومان . وقبل زارها الامبراطور هادريان سنة ١٣٠ ميلادية غير اسمها الى هادريانا بالمر *Hadriana* . ومدينة هادريان *Hadrianapolis* . وقد كان للمدينة اذ ذلك مجلس شيوخ من أهلها له سلطة سن القوانين ، وكان للمجلس رئيس وكاتب ، اما السلطة التنفيذية فكانت بيد شيخين يلقب الواحد منهما بالارخون *Archon* يماونهما ديوان من عشرة أعضاء ، اما القضاء فكان له وكلاء وموظفون يقومون بشئونه .

ويبلغ التنظيم العام للمدينة والقب موظفيها أن الرومان عندما دخلوها وجدوها منظمة على طريقة تنظيم المدن اليونانية المقتلة ، فربس مجلس الشيوخ يسمى البرودروس *Proedros*

ودخول تدمر في حوزة الروم لم يغير من حكومتها غير الظواهر ، لأن سيادتهم كانت سطحية فقط ، وأما صاحب النفوذ الحقيقي فهو الأمير صاحب القوافل ، أو رئيس الخفر الذي تسيطر القوافل في ظل سطوته ، فيفعل ما يشاء ولا يلتقي معارضا . وكان أذينة رئيس عصابة وطنية تسمى في خلق نير الروم ، فاكشف الروم عزمه وقتلوه في أواسط القرن الثالث للميلاد وفرقوا رجاله . وخلف أذينة ولدين اسم أحدهما حيران ، والآخر أذينة (كأبيه) وهو أصغرهما ، لكنه أشدهما نفعة على الروم ، فصمم على الانتقام لأبيه منذ كان غلاما ، فهجرت المدينة وسكن الجبال ، يقضي أيامه في الصيد والقنص ورمى النبال ، ومطاردة الغزلان وحمر الوحش ، حتى أصبح شديد العضل قوى العزيمة ، واجتذب قلوب البدو المخيمين حول تدمر ، وأطلعهم على سره فعاودوه على أن ينصروه عند الحاجة ، ثم رجع إلى تدمر فأقام فيها وهو يكتنم غرضه

وانفق سنة ٢٥٨ م ، خروج فاليريان الرومي لمحاربة سابور الفارسي ، فمر بتدمر وخلق على أذينة الخلع وسماه قنصلا ، وهى من أكبر رتب الدولة الرومانية . فلم يعبأ أذينة بتلك الخلع وفرق الهدايا في مشايخ القبائل . وانتهت تلك الحرب بظفر سابور وأسر فاليريان ، فلما علم أذينة بذلك بعث إلى سابور الهدايا وكتب كتابا يتقرب به إليه ، فسأه سابور الظن به ورفض طلبه ، فغضب أذينة ورجع إلى الروم فاستسلم لهم قلبا وقالباً ، وعرض عليهم نصرته في تلك الحرب ، وهو في الحقيقة يكره الدولتين وإنما يؤثر التي تفوض إليه السلطة في تدمر . وكانت دولة الروم قد اقتضت إلى غالينوس ، فسره اقتراح أذينة ، وبعث إليه حملة ضعيفة ضمها أذينة إلى رجاله المجربين ، وخرج على الفرس وأبلى فيهم بلاء حسنا ، وانتقم للروم ولنفسه واسترجع البلاد التي كان سابور قد فتحها من الجزيرة ، وأخضع نصيبين وحاصر المدائن مرتين ، وبعث الأسرى إلى غالينوس

فأصبح أذينة سيد الشرق الروماني ، وامتدت سلطته على سوريا وما يليها ، ولقب « ملك الملوك » ، واقتدى به قواد الروم يومئذ فطمعوا في السيادة لأنفسهم ، كل واحد على ما في يده ، واستأثر أذينة بسوريا وسائر آسيا الرومانية . وفي سنة ٢٦٤ م ، تسمى حاكما عاما عليها ، وهو

= والكتاب يسمى الجراماتيوس Grammateus ، والشيخ يسمى Archon ، ومجلس العشرة (الديوان التنفيذي) يسمى الديكابروتوي Dekaprotos

وقد رفع الرومان مركز تدمر إلى درجة مستعمرة ممتازة في عهد سبتيموس سيفروس أو في أيام هادريان . ولكن المدينة كانت دائما بلدا مستقلا بالفعل ، وأن دخلت في نطاق الإمبراطورية الرومانية . وقد غلبت حضارة الرومان على الطبقات الغنية من أهل البلد ، فانتقل أفرادها أسماء رومانية أضافوها إلى أسمائهم العربية أو الآرامية

انظر : Johnes, Cities of the Eastern Roman Empire, p. 276 sqq.
Février, Essai sur l'histoire de Palmyre

في الظاهر تحت سيطرة الروم ، ورجاله يعدونه صاحب السيادة المطلقة على آسيا الرومانية ، من أرمينيا الى جزيرة العرب . وكان كثير الاشتغال بمحاربة الفرس ورددهم عن بلاده ، فاذا خرج لحرب اتاب عنه في حكومة تدمر امراته زينوبيا المشهورة في تاريخ هذه المدينة (*)

زينوبيا

ونالت زينوبيا من امبراطور الرومان لقب « سبتيميا » وهو من اكبر انقباب الشرف عندهم ، وهي تدمرية المولد واسمها الاصلى « بنت زباى » ، وكانت سمراء اللون مع جمال وهيبة ، سوداء العينين نافذة اللحظ لؤلؤية الانسان قوية البدن ، مع علو في الهمة والحزم ، وكانت سطوتها ضخمة على تدمر وغيرها ، وكل سجاياها تنم عن اصلها العربى . وكانت تتكلم الآرامية والقبطية وبعض اللاتينية واليونانية ، ولها اطلاع واسع على تاريخ الشرق والغرب ، وقد ربت اولادها تربية حسنة ، وهم ثلاثة : وهب اللات ، وخيران ، وتيم الله ، فضلا عن هيروديس ابن زوجها من امرأة اخرى . ويندر اجتماع رجل وامرأة مثل اذينة وزينوبيا ، وكلاهما فريد في اطواره

لكن الدهر نكها نكبة لم تكن في حسابها ، فمات زوجها اذينة وابنه الاكبر هيروديس سنة ٢٦٧ م ، فخلفه ابنها وهب اللات - واسمه في اليونانية « ائنيودورس » - وهى وصية عليه ولها النفوذ الاكبر . وكانت رومة الى ذلك الحين في شاكل من مستعمراتها ، حتى اذا استتب الامر لأورليان لم يبق لتدمر الا ان تخضع له خضوعا حقيقيا او ان يحاربها ،

وفي سنة ٢٧١ م ، لقب وهب اللات نفسه « أوغسطس » من القاب انقياصرة ، وازال اسم أورليان من النقود ، وصارت زينوبيا قائدة الجند وصاحبة الصوت الاعلى . وفي تدمر تمثالان : أحدهما لها ، والآخر لأذينة ، على قاعدته نقش جاء اسمه فيه بالقاب معناها «ملك الملوك ومحبي الدولة»

وغرست زينوبيا اعلامها ونشرت سلطانها على مصر والشام والعراق وما بين النهرين وآسيا الصغرى الى انقرة . واوشكت بثينيا *Bythinia* ان تدخل تحت لوائها ، واذا بجيوش أورليان قد اجتمعت في بيزانتيين تناهب للحمل على الشرق . وكانت زينوبيا كثيرة الاعتماد على رجالها العرب والارمن ، ولم تكن تثق ببقاء اهل الشام على ولائها ، لان اهل المدن لم

(*) اذينة من بيت تدمري عريق تناوب اهل على الرئاسة وكبار الوظائف ، ومؤسس مجد هذا البيت يسمى اذينة ايضا ، وكان زعيما عظيما احترمه الرومان ومنحوه لقب بروكوراتور *Procurator* وتسمى هو بسبتيموس اذينة *Septemius Odenatus*

وخلفه ابنه سبتيموس خيران ، ثم خلفه اخوه اذينة الكبير الذى يتحدث عنه المؤلف هنا انظر تفصيل لتاريخ اذينة الكبير مع تصحيح لبعض الوقائع التى ذكرها المؤلف في : جواد على ، تاريخ العرب قبل الاسلام ، ج ٢ ص ٨٦ وما بعدها



تمثال لرأس امرأة من تدمر

يألفوا أشباه تلك السيادة البدوية . وكان في جند زنبوبيا جم غفير من
الروم ، فالتقت جنودها بجنود أورليان في انطاكية وجمص ، وتراجعت

مغلوبة . لكنها كتبت الى اورليان تقول انها لم تخسر من رجالها احدا . لان الذين قتلوا في المعارك انما هم الروم ، فهاج قولها اهل مدائن الشام ، فتكاتفوا وتقاتلوا في نصره اورليان ، خوفا من تغلب رجال زينوبيا ، وهم عرب جفاة اهل بادية ، فيستبدون بهم

وما اشبه حال بنى اذينة في تدمير بنى امية بالشام بعد ذلك بأربعة قرون ، وكلاهما عرب اهل تجارة ، وعلى كل قوم منهما امير له نفوذ على عرب البادية ، استعان بهم في تأييد سلطته . ولكن آل اذينة قاموا والدولة الرومانية لم تبلغ الضعف الذي وصلت اليه عند قيام الامويين . ومع ذلك فان زينوبيا ضيقت على اورليان بدهائها ، لكنه تمكن اخيرا من حصار تدمير بما بذله من المال في تفريق كلمة العرب ، فلم تر زينوبيا خيرا من الفرار الى الفرس ، فاقترض الروم آثاراها حتى قبضوا عليها ، فخاف التدمريون وسلموا سنة ٢٧٢ م ، وقبض اورليان على خزائن المدينة ، وغنا عن اهلها واطلق سراح زينوبيا ، لكنه قتل مشربها فقضت بقية حياتها مع ابنائها في طيبور ، كما يعيش اهل السكينة من ارباب المعاشات . ونهضت تدمير بعد قليل تلتمس الاستقلال ، ولكنها كانت نهضة الموت ، لان اورليان اذلها هذه المرة ، وهدم اسوارها وقتل معظم سكانها

وكانت زينوبيا غريبة في اطوارها ، لم ينبغ مثلها في النساء ، شجاعة ودهاء وشدة ، فضلا عن جمالها وهيبتها . وكانت سيرتها اقرب الى سير الابطال من سير النساء ، فلم تكن تركب في الاسفار غير الخيل ، ويندر أن تحمل في الهودج . وكانت تجالس قوادها واعوانها وتباحثهم واذا جادلتهم غلبتهم بقوة برهانها وفصاحة لسانها . وكثيرا ما ضم مجلسها رجالا من أمم شتى ، وبينهم وفود من ملوك الفرس او الارمن او غيرهما ، وقد يشربون حتى يسكروا وهي لا تسكر . وكانت اذا عقدت مجلسا اعتياديا للبحث في شئون الدولة ، ادخلت ابنها وهب اللات معها ، وعليها افخر اللباس وعلى كتفها المشملة القصرية الارجوانية وعلى رأسها التاج . ولم يقف بين يديها فادم الاخر ساجدا ، جريا على عادة الاكاسرة ، وكانت قد تشبهت بهم ، فجمعت في ايوانها بعض شيوخ الحصيان ، وكلت اليهم تدبير قصورها ، واذا مشت في ساحة قصرها أو دارت في الرواق الاتي ذكره ، حفت بها الفتيات من بنات الاشراف ، وهي تتقدمهن وتزري بجمالهن

وكانت اذا استعرضت جندها في الميادين بين يدي قصرها ، مرت امام الصفوف فوق جوادها ، وعليها لباس الحرب وعلى رأسها الخوذة الرومانية ، مرصعة بالدر والجوهر وعلى غلاتها اهداب منسوجة بأسحال ارجوانية وقد جردت احدى ذراعيها كما يفعل اليونان القدماء ، واخذت

تعرض جنودها على الصبر والثبات ، وثبت في نفوسهم روح الشجاعة ،
فاذا رآها الناس في ذلك الموقف تحسبوا الهة من الآلهة العظام ، فضلا
عن تفوقها في السياسة وسداد الرأي واللفظ وصحة التربية ، مما لم
يسمع باجتماعه في امرأة

الزباء وزينوبيا

وفي كتب العرب قصة ينسبونها الى امرأة اسمها « الزباء » يذكرون
خبرها في مقدمة تاريخ الحيرة عند الكلام عن جذيمة الابرش ، خلاصتها انه
كان لجذيمة اخت اسمها رقاش ، هويت شخصا من اباد كان جذيمة قد
اصطنعه يقال له عدى ، فواطاه على حيلة دبراهها على جذيمة حتى اذن
بزواجهما وهو سكران . فلما صحا هرب عدى فلحق به جذيمة حتى
قتله ، وحملت رقاش وولدت غلاما ربته وألبسته طوقا وسمته عمرا .

ثم فقد الغلام ، وتزعم العرب ان الجن اختطفته ، ثم وجده رجلان اتيا به
الى جذيمة ففرح به وقال لهما : « اقترحا ما تشاءان » ، قالا : « منادمتك
ما بقيت وبقينا » . وهما اللذان يضرب بهما المثل فيقال : كندمانى جذيمة -
قالوا : وكان قد ملك الجزيرة وأعالى الفرات ومشاور الشام رجل من
العمالقة يقال له عمرو بن الظرب بن حسان العمليقي ، وجرت بينه وبين
جذيمة حروب انتصر فيها جذيمة وقتل عمرو المذكور . وكان لعمرو بنت
يقال لها الزباء واسمها نائلة (وقالوا ليلي) ، فملكته بعده وبنت على
الفرات مدينتين متقابلتين ، واحتالت على جذيمة حتى اطعمته في نفسها ،

واغتر وقدم عليها فقتلته واخذت بثار ايها . وملك بعد جذيمة عمرو ابن
اخته رقاش ، فاحتال بمساعدة عبد لحاله اسمه قصر حتى انتقم منها
غدرها في مدينتها ، بان حمل الى حصنها رجالا في صناديق التجار ، ثم
خرجوا من الصناديق وقتلوا الزباء واخذوا المدينة عنوة . وأما مدينة
الزباء فقد قالوا انها المضيق بين الحانوقة وقرقيسيا على الفرات (١) وقال
ابن خلدون انها كانت تسكن على شاطئ الفرات . وقد بنت هناك قصرا ،
فكانت تربع عند بطن المجاز وتصيف في تدمر

هذه خلاصة ما رواه العرب (٢) من حديث الزباء ، وللباحثين مناقشات في
هل الزباء هذه هي زينوبيا ملكة تدمر ، أم هي غيرها ؟ ومن يرى انها غيرها
المستشرق الانجليزى ردهوس وله في ذلك رسالة ضافية (٣) وللأب سبستيان
رنزفال اليسوعى رسالة جزيلة الفائدة في زينوبيا أو الزباء ، نشرت تباعا
في السنة الاولى من المشرق . أما رأينا فلا يساعد القام على تفصيله ، وإنما

(١) ياقوت ٥٦٠ ج ٤

(٢) الاغانى ٨٢ ج ١ وابن الاثير ٤٩ ج ١ وابن خلدون ٢٦١ ج ٢ وأبو الفداء ٧٣ ج ١

(٣) اسمها Zenubia & Zebba'u Identical

نقول - بناء على ما ذكرناه في مقدمة هذا الكتاب من آفات الاخبار - ان القصة في اصلها واحدة ، وقد تشوهت بالانتقال على اللسان (*)

هل التدمير عرب ؟

يقال في التدميرين من حيث اصلهم ما قيل في النبطيين ، والمباشرة شديدة بين البلدين وبين سكانهما من أكثر الوجوه . فان بيوتات الشرف في تدمر عرب ، اصلهم من البادية من بقايا العمالة (١) واقاموا هناك للتجارة ، ففلبوا على أهل المدن بما كانوا فيه من خشونة البدارة وعلو الهمة وكبر النفس ، وتدرجوا في مناصب الدولة حتى صاروا ملوكا ، واتخذوا لغة الشام وهي حينئذ الآرامية للمخابرات الرسمية والتدوين ، كما اتخذها النبطيون ، ولكن اسماءهم وطبائعهم وسائر أحوالهم تدل على عربيتهم . وفي لغتهم الآرامية صبغة عربية (٢) نعى بقايا الاعراب في أواخر الكلم كما في النبطية

فدولة اذينة وزنبوبيا في تدمر دولة عربية ، وان كانت آثارها آرامية ، للاسباب التي بينها في كلامنا عن النبطيين . وزد على ذلك ان أهل تدمر يقسمون الى اخاذ ، وهو تقسيم خاص بالعرب . فهم من بقايا العماليق كالنبطيين ، وان كانت لغتهم الرسمية الآرامية مثل لغة الانباط الرسمية ، وأما لسان التكلم وجنسهم فعربيان

آثار تدمر

وقد وقف المتقنون على آثار تدمر قبل وقوفهم على آثار الانباط ، ووصفوا هياكلها وشوارعها وتماثيلها في القرن الثامن عشر ، وأشهر من زارها ووصف آثارها الفيلسوف فولتى الفرنسى في أواسط القرن المذكور ، وله في ذلك كلام فلسفى مشهور . ثم زارها سواه ووصفوها وصورها بقاياها - واليك أهم تلك البقايا :

أولا : هيكل الشمس أو هيكل بعل . وهو مربع الشكل طول كل ضلع من أضلاعه ٧٤٠ قدما ، يحيط به سور علوه سبعون قدما ، وفيه من الاساطين الضخمة الباقية الى الآن ما يزيد على مائة اسطوانة ، صفوفها منتظمة في اربعة على قممها نقوش يونانية : ويظن ان عدد هذه الاعمدة في الاصل يزيد على ٤٠٠ اسطوانة

(*) انظر عن الزبد الاب سباستيان وتقالى مجلة المشرق : « زنبوبيا وتدمر » السنة الاولى (١٨٩٨) ، ج ٢٠ ص ٩٢٠ وما يليها ، وبقيّة البحث في الامداد التالية من المشرق وقد استعمل فيه المؤلف كل ما قيل عن زنبوبيا ، وأثبت انها الزباد وانظر ايضا ، جواد على ، العرب قبل الاسلام ، ج ٢ ص ٩٩ وما يليها وفيه تفصيل واف من حياة زنبوبيا وتاريخها عند العرب والرومان مع مراجع وافية

(١) ابن خلدون ٢٥٩ ج ٢
(٢) Ency. Brit. Art. Semitic Languages

ومن أشهر المشتغلين بقراءة آثار تدمر الكونت ديفوجيه ، وهو يقسم تلك النقوش أو الكتابات الى أربعة مجاميع ، الاول : نقوش بنائية على قواعد الاساطين . الثاني : نقوش قبرية على المدافن . والثالث : نقوش دينية كالادعية والصلوات . والرابع : نقوش سياسية . واقدم كتابة قراوها حتى الآن وجدوها منقوشة على قبر تاريخه سنة ٣٠٤ من التاريخ السلوقي ، وهي تقابل السنة السابعة قبل الميلاد . وقراوا علم اثنين من اعمدة الرواق الاعظم اسمى اذينة وزينوبيا وبجانبهما تاريخ يقابل ٢٧١ للميلاد (٥٨٢ سلوقية) وهو أحدث تاريخ لهذه الدولة لأنها السنة التي سقطت فيها . وبين هذين التاريخين كثير من الآثار المنقوشة ، وبعضها نقشوا بجانب أصله الآرامي ترجمته اليونانية ، وفيها كثير من النصوص التاريخية والسياسية والاجتماعية ، في جملتها قرار من مجلس المدينة في ١٨ نيسان سنة ٤٤٨ سلوقية (أى ١٣٧ م) في عهد بونا بن بونا بن خيران النخ ... عن تعريف الضرائب وشروط جمعها ، وهي كتابة مطولة تدخل في مائة سطر وبجانبها الترجمة اليونانية (١)

تهدن تدمر

كانت تدمر مركز التجارة والسياسة في الشرق الروماني وما يليه ، فكانوا يحملون من جزيرة العرب الذهب والجزع واليشب واللبان والصمغ والصبر وعود اللند ، ويستجلبون من العراق لآلىء البحرين . ويحملون من وادى نهر السند وسواحل كرومندل أنواع المنسوجات التي يتاجر بها الى بومنا أهل تلك البلاد . ويستحضرون من أقاصي الهند القرنفل ، والبهار ، والحزير الصينى ، والنيل ، والفولاذ ، والعاج ، والإبنوس . وكانت هذه الاصناف تأتيهم عن طريق البر . اما ما كان يردعهم من طريق البحر فكان دون ذلك (٢) وكانوا ينقلون هذه الحاصلات والمصنوعات الى مصر والشام والعراق ، والى رومة وبيزنطة وغيرها من مدائن أوربا ، لأن معظم ما كانت تزددان به مجالس القياصرة والملوك وأهل الثروة من الرياش الفاخر كان يحمل اليهم من الشرق ، على يد الانباط والتدمريين فضلا عن المعينيين والسبائين ، وكلهم من أهل جزيرة العرب . وقدر بلينيوس قيمة ما كان يحمل الى رومة وحدها من تلك السلع بما يساوى ثلاثة أرباع المليون من الجنيهات في العام

وكانت التجارة في العالم القديم بين الشرق والغرب تسير في طريقين : الاول في البحر الاحمر الى مصر والاسكندرية ، والآخر من خليج العجم ببادية الشام الى مصر . فالتجارة البرية كانت قبل الميلاد وبعيدة تسير

Cooke, 313 (١)

(٢) الشرق ٥٣٧ سنة اولى

بطريق بطرا ، فلما سقطت في أوائل القرن الثاني للميلاد تحولت الى تدمر كما تقدم . وكانت التجارة تحمل بين تدمر والشام على مركبات تسير في طرق مرصوفة ، ولها محطات للراحة وقلاع فضلا عن القوافل . واما من جهة الفرات فلم يكن فيها شيء من ذلك . وكان لتدمر فائدة مضاعفة من تلك التجارة ، لأنهم كانوا يكتسبون المربحة بالبيع والشراء ، ويتقاضون على ما يمر بهم ضريبة معينة

إذا وقفت على اطلال تدمر ، ونظرت الى بقاياها وانتقاض هياكلها وقصورها وأروقعتها ، ورجعت بخيالك الى سابق مجدها ، تصورت الناس يروحون ويجيئون في شوارعها المحفوفة بالاساطين والاروقة ، بين أيديهم أحمال السلع من المنسوجات والمصنوعات والحاصلات ، من الزيت والخنطة والعنب والتين والحمر ، والأطياب والمطور ، والرقيق المحمول من مصر وآسيا الصغرى ، والناس يتزاحمون تتحاك منابهم وتنداس أقدامهم ، وفيهم اليهودى والارمنى والرومى والسبأى ، أو الحميرى والنبطى والبدوى ، وقد علا صياح الباعة أو السماسرة للمزايدة أو المساومة

ويؤخذ من استنطاق الآثار ان التدمريين كانوا طبقتين ، مثل سائر سكان المدن في تلك العصر : طبقة الخاصة ، وطبقة العامة - وكانت خاصة التدمريين عبارة عن بيوتات قليلة ، هم أصحاب الثروة والنفوذ ، يقيمون في القصور الفخمة وحولهم جمهور الامة من الفقراء والعمال ، يلون الى أكواخ صغيرة ، وهياتهم الاجتماعية مع تأثير التمدن الرومانى عليها ما زالت شرقية



تقود زينوبيا وهب اللات

واللدولة التدمرية تقود بشكل تقود الاسكندرية ، عليها كتابة وصور . وفى الشكل مثالا منها ، الاول نقد زينوبيا على أحد وجهيه صورة رأسها وكتفها . وحول الصورة اسمها بالاحرف اليونانية هكذا « زينوبيا » ، وعلى الوجه الآخر صورة أخرى . والنقد الآخر عليه صورة رأس وهب اللات واسمه ولقبه

أمم متفرقة

في شمال بلاد العرب

لو لم يخلف النبطيون والتدمريون آثارا منقوشة بالحرف الآرامي ، الذي اقتبسوه من اهل الحضارة ، لضاعت أخبارهم كما ضاعت أخبار ماث من القبائل التي كانت تقيم في اعالي الحجاز على عهد التمدن القديم . على ان بعضها ذكره اليونان في وصف جغرافية بلاد العرب ، والبعض الآخر جاء ذكره عرضا في اثناء الكلام عن الدول الاخرى . ووردت أسماء بعض الأمم العربية في جملة ما فتحه الاشوريون او المصريون من بلاد العرب ، سندكرها في كلامنا عن تلك الفتوح . أما قبائل العرب التي عرفها اليونان في شمال الحجاز ولا نعرف لها دولا فنذكر أهمها ، مبتدئين من حدود مصر ونسير شرقا الى القرات ، وبجانب كل واحد الاسم العربي الذي يظن انه محرف عنه :

الشرقيون	(السراسين)	Saracene
السكون	(سكانيته)	Sakanitae
عاد ؟	(واديته)	Oaditae
لحيان	(لبيانيته)	Laenitae
بنو خالد	(خولوتايه)	Chaulothaei
شمر	(سماريني)	Zamarini

وغيرها . وليس لهذه القبائل أخبار تستحق الذكر ، الا ما قد يجيء عرضا في الكلام عن الدول الاخرى . من ذلك ما وصل اليها عن قبيلة السراسين ، وهي من القبائل التي عرفها اليونان في جزيرة سينا ووراءها شرقا . واصل هذا الاسم مجهول ، ويظن بعضهم انه تحريف «الشرقيين» في العربية . وقال آخرون انه تحريف الصحراويين أو السراقيين أو الشركاء أو غيرهم . وقد اشتهر هذا الاسم عند اليونان ، حتى اطلقوه على كل سكان جزيرة العرب

ومن اخبار السراسين عند اليونان انهم كانوا لا ينفكون عن مهاجمة حدود مصر منذ القدم ، والدولة الرومانية لم تكن تستطيع كف اذاهم الا بمعاهدات عقدتها معهم تدل على ضعفها عن مناوأتهم وشعورهم بذلك النضعف . واتفق في اواسط القرن الرابع للميلاد أن ملكهم مات فخلفته امراته واسمها ماوية . وقد جاء هذا اللفظ اسما لماء السماء أم المنذر أحد ملوك الحيرة (١) - فحلت ماوية نفسها من قيود المعاهدة ، وحملت برجالها على فلسطين وسوريا ، واستولت على مدينة بطرا ، وبممت شطر مصر حتى أتت برزخ السويس ، فاضطر الامبراطور فالانس الى تجديد المعاهدة

بشروط اوفق للمهاجرين . وكان بين السراسين جماعة كبيرة من المسيحيين ، ولذلك كان في جملة تلك الشروط أن يكون لهم اسقف خاص بكنيستهم ، فسلموا لها اسقفا اسمه موسى ، واصبح اولئك العرب بعد هذا العهد حلفاء المصريين ينصرونهم على أعدائهم (١)

ويؤخذ من الامعان في تاريخ المملكة الرومانية الشرقية ، ان مدن سوريا كثيرا ما دخلت في سلطة العرب ، ولا سيما المدن القريبة من البادية ، مثل حمص وحماه والشام والرها ، فضلا عن مدن حوران والبلقاء وغيرها . ولما قدم بومبيوس على مصر ، في القرن الاول قبل الميلاد ، كانت حمص في حوزة دولة عربية ، وغيرها من مدن الشام في حوزة دول اخرى من اسماء ملوكها عند اليونانيين Azizus و Jamblichus و Sampsigeramus و Soemus وغيرها ، ويرى دوسو ان الدولة الآتورية عربية ، وكانت تحكم جبل الشيخ (٢) وهناك أم شتى لم يذكرها التاريخ ، سيأتي ذكرها عرضا في كلامنا عن فتوح الامم المجاورة ، وبعضها قديم العهد جدا عاصرت عمالة مصر (الشاسو) او تقدمتهم بأزمان ، مثل عرب مديان وادوم وسائر جزيرة سينا وما حوالها

غزو المصريين بلاد العرب

من سنة ١٧٠٠ الى سنة ١٦٦ ق. م

اقدم من غزا بلاد العرب من الدول المجاورة المصريين ، واول من فعل ذلك منهم احمس مؤسس الدولة الثامنة عشرة ومنتقل مصر من دولة العمالة (الشاسو) ، فانه بعد ان اخرجهم من القطر المصري طاردهم الى اواسط جزيرة سينا ، نحو سنة ١٧٠٠ ق. م ، ثم اضطر الى الرجوع لرد هجمات الآتيوبيين والنوبيين عن بلاده (٣) وكانت بلاد العرب وسائر المشرق قبل دولة العمالة مجهولة عند المصريين ، كما كانت اواسط افريقيا عند اهل الاجيال الوسطى .

فلما نهضوا لطاردة العرب واخرجوهم من حدود مصر ، تنبهوا لما وراء ذلك من الامم المتمدنة في بابل وفينيقية وغيرها ، كان استبداد العمالة حرك خوارهم وجعلهم امة حية ، ونبههم الى توسيع دائرة ملكهم . وظهر من تلك العمالة تحوطمس الثالث ، الفاتح المصري العظيم نابليون الفراغة ، وحمل بجيشه على الشرق في القرن السادس عشر قبل الميلاد ، فقطع برزخ السويس واكتسح اعلى جزيرة العرب وسوريا وفلسطين وفينيقية وما بين النهرين .

وذكر في جملة الدين غلبهم من الساميين عرب (الشاسو) الذين كانوا حكاما على بلاده . وبلغت الحملات التي جردها على بلاد الشرق ٥ حملة . وفي الآثار المصرية نقوش نقشها تحوطمس وذكر فيها البلاد التي فتحها

والفنائم التي حملها . ومن جملة البلاد المفتوحة ما بين النهرين وختا (بلاد الحثيين) وسنمار (شنعار) ولبنان وقبرص وفينيقية وعرب الشاسو ولوذم (اللاوذيون) . فضلا عن القوائم التي ذكر فيها ما فتحه من بلاد النوبة والحبشة وما وراعاها ، وعدتها جميعا ٢٦٦ مدينة (١)

ومنهم رمسيس الثالث من العائلة العشرين، وهو أكثر الفراعنة إقبالا في بلاد العرب ، واسمه في اللغة العربية هاكون ، نبغ نحو سنة ١٢٠٠ قبل الميلاد ، وهو آخر عظماء الفراعنة . وكانت مصر لما تولاها في ضنك واضطراب ، وقد طمع فيها جيرانها الساميون (٢) فشمر عن ساعد الجد وأصلح داخلتها . ثم حول اعنة خيله نحو البلاد التي كانت تهدد مصر برا وبحرا ، وبني أسطولا كبيرا أنزله البحر الأحمر ، وسافر فيه لارتياح بلاد بنت (الحبشة والصومال) والأرض المقدسة (بلاد العرب) وغرضه الرئيسي تسهيل سبل التجارة البحرية بين مصر وأقصى الشرق ، ولم يكن له بد من توطيد العلاقات الودية بين مصر وشواطئ ذلك البحر ، واليمن في جملتها .

وأنشأ أيضا طريقا للقافلة ، منتظما من القصر على البحر الأحمر الى فقط على النيل . وأنشأ خطوطا تجارية منتظمة بين الأوقيانوس الهندي والنيل بطريق بلاد العرب . وبعث الى جزيرة سيناء وفدا لاكتشاف معدن الذهب وغيره من الخيرات التي كان أسلافه يعرفونها ، وكثيرا ما كانت الدول القديمة تطمع في بلاد العرب رغبة في ذهبها . واقتدى به رمسيس الرابع سنة ١١٦٦ ق.م ، فاقتتح طريقا مختصرا الى بلاد العرب ، وكان الطريق إليها طويلا

غزو الاشوريين بلاد العرب

من سنة ٩٠٠ الى سنة ٦٥٢ ق. م

لما استولى الاشوريون على بابل توجهت مظامعهم الى بلاد العرب ، رغبة في الفنائم والتماسا للمعادن الثمينة ، لاشتهار تلك البلاد يومئذ بمناجم الذهب كما سنبينه في فصل خاص . أما الملوك الاشوريون الذين غزوا بلاد العرب أو فتحوها فهم :

١ - تغلات بلارس : هو أول من حمل عليها منهم ، ويعرف بتغلات بلارس الثاني . غزاها في القرن التاسع قبل الميلاد ، على اثر حربه في سوريا ، فأصاب قبيلة من العرب على حدود مصر عليها ملكة اسمها حبيبة (٣) وظن بعضهم بأنها قبيلة السراسين التي ذكرنا حربها مع مصر ، لأنها كثيرا ما كانت تولى النساء على حكومتها ، ولكن الزمن بين الحادثتين يزيد على ١٢ قرنا . فخلع تغلات بلارس الملكة ، وأقام مكانها رجلا من خاصته

Brugsch, I. 148-175 (٢)

Brugsch, I. 405 (١)

Rawlinson, II, 396 (٣)



سرجون الثاني ملك اشور بيده الصولجان.

(٢) سرجون : ويعرف بسرجون الثاني (حكم من سنة ٧٢٢ - ٧٠٥ ق.م) واتفق في أيام هذا الملك ان العرب في اعالى الحجاز غزوا السامرة ونهبوها ، وكانت في حماية الاشوريين ، فعمل سرجون على الانتقام بالشدة والعنف ، وعزم على اكتساح بلاد العرب كلها ، فاوغل فيها سنة ٧١٥ ق.م ، حتى قطع البوادي الى اقصى البلاد العامرة ، وهو اول من بلغ الى هناك من الفاتحين . وذكر في جملة القبائل التي اخضعها او الملوك الذين ضرب عليهم الجزية : ثمود ، ويشعر السبائي ، وشسمية ملكة العرب - لعلها من خلائف حبيبة التي تقدم ذكرها . وهذا نص قوله على القرميدة (*) كما قراوها ، فبعد ان ذكر فتوحه في الشام ومصر وبلاد العرب قال :

« وضعت الجزية على فرعون ملك مصر ، وشسمية ملكة العرب (عربي) ويشعر السبائي (او يشعر السبائيين) ، واخذت حاصلات الذهب من جبالهم والحيول والجمال »

وقال في قرميدة اخرى :

« ان قبائل ثمود وعباديد مرسمان وخيابا من قبائل العرب سكان البادية الذين لم يصل خبرهم الى حكيم ولا عالم ولم يدفعوا الجزية لاحد قبلى ، كل هذه الامم غلبتها باسم اشور الهى وتقلت بقاياها الى سامريا » (١)

(*) أى طوبة من اللبن ، وكانوا ينقشون كتابتهم على الطوب النىء لم يحرقونه في النار او يدعونه حتى يجف

(٣) سنحاريب (٧٠٥ - ٧٠١ ق.م) وولى سنحاريب بعد سرجون ، وله وقائع وفتوح في الشام وفلسطين وغيرهما مذكورة في الكتاب المقدس . وقد وقعوا في آثار بابل على ما يؤيد ذلك بقرميدة اسطوانية مسدسة الجوانب ، ذكر فيها فتوحه في ارض الحثيين وصيدا وقبرص وارواد ومواب وادوم وعسقلان وغيرها ، حتى بلغ الى اعماله في غربي بلاد العرب وشمالها اي حوالى جزيرة سينا ، وهى من اقدم بلاد العرب عمرانا ، فكان من جملة البلاد التى حاربها مالوق - او مالوكا التى تقدم ذكرها - وتمننا ، ذكر انه حاصرها وفصل حربه في غزوة يهوذا وامتدح شجاعة العرب الذين نصروا تلك الامم عليه (١)

(٤) اسرحدون (٦٨١ - ٦٦٨ ق.م) واقتفى اسرحدون اثر اسلافه في الفتوح ، فحارب مصر وفينيقية ، وصور نفسه بقود ترهاكة ملك مصر وبعل ملك صور بجبل ، ونقش اعماله على صور مختلفة . وبعد ان ذكر حربه بمصر وصور وقبرص ، فصل فتوحه في الشام ، فذكر اسم كل بلد وملكها ، واوغل في بلاد العرب . وبين البلاد التى فتحها هناك بلد سماه « بازو » ، قال انه في اقصى المعمورة وراء البادية ، قطع اليه ٤٩٠ ميلا في ببدء تكثر فيها ريح السموم ، و ٧٠ ميلا في ارض عامرة ، ولم يبق وراء ذلك غير الجبال ، والمظنون انه يعنى البحرين او ما يجاورها ، وهو اول من بلغ الى هناك من ملوك اشور . وذكر ان قصبة بلاد البازو تدعى « يدبع » ، يحكمها ملك اسمه « ليل » ، فآخضعه لسلطانه (٢)

وجاء في جملة اخبار فتوحه مدن اكتسحها في اليمامة واخضع ملوكها ، وهم : قيس ملك فدل ، واكبر ملك النبط ، ومن ساق ملك مجلان ، ويافع ملك دixer ، وخبس ملك قحطبة وغيرهم (٣)

(٥) اشور بانيبال (٦٦٨ - ٦٠٥ ق.م) غزا قبيلة من العرب كانت قد اعانت عدوا نازعه الملك واميرها اسمه ويتحة : له خلفاء من قبائل العرب ، منهم ناتان ملك النبطيين ، وبوتحا بن حزابل ملك قيذار (اي عرب شمالى الجزيرة) ، فجرت معارك كبيرة ما بين الفرات وخليج العجم الى الشام ، فغلبهم الاشوريون واستولوا على ادوم وبطرا ومواب ، وآخر معركة جرت في مكان اسمه خوخورونا قرب دمشق ، انهزم فيه العرب وقبض الاشوريون على الاميرين اللذين نصرا عدوهم ، وحملوهما الى نينوى وقتلوهما على مرأى من الناس (٤)

(٦) نبوخذنصر (٦٠٥ - ٥٦٢ ق.م) كل ما تقدم ذكره من فتوح الاجانب في جزيرة العرب لم يعرفه مؤرخو العرب ، ولا ذكروا شيئا منه في كتبهم

Library of Universal History, I.179 (٧)

Clay, 343 (١)

Rawlinson II, 493 (٤)

Glaser Geo, II. 5. (٣)

أو أوردوه في أخبارهم ، إلا نبوخذنصر هذا - وهم يسمونه بختنصر - فقد ذكروا أنه حارب معد بن عدنان ، وهذا قولهم : « وسار بختنصر إلى معد ، فلقى جموع العرب فقاتلهم وهزمهم وأكثر فيهم ، وسار إلى الحجاز . فجمع عدنان العرب ، والتقى هو وبختنصر في ذات عرق ، فاقتلوا قتالا شديدا ، فانهزم عدنان وتبعه بختنصر إلى حصون هناك ، واجتمع عليه العرب . وخذق كل واحد من الفريقين على نفسه وأصحابه ، فكمن بختنصر كميناً - وهو أول كمين عمل - وأخذتهم السيوف ، فنادوا بالويل . ونهى عدنان عن بختنصر ، وبختنصر عن عدنان ، واقتربا » (١)

ولم يعثر المنقبون في الآثار على ما يؤيد ذلك ، وأما بروسوس مؤرخ السككديان فقد ذكر في كتابه أن بختنصر حارب العرب وغزا بلادهم (٢)

غزو الفرس وغيرهم بلاد العرب

الفرس

قد رأيت في ما تقدم ، أن جزيرة العرب - مما يلي العراق - أصبحت من القرن التاسع قبل الميلاد مسرحا للوكر آشور ، يكتسحها الواحد بعد الآخر ، وقاتلها تؤدي الجزية ولو مؤقتا على غير نظام . فلما انتقلت آشور إلى حكم الفرس على يد قورش ، دخل جيرانها العرب في ما دخلت فيه ، فكانوا يؤدون الجزية للفرس من بخورهم ولبانهم ، كل سنة ألف وزنة (٣) . ولذلك لما حمل قمبيز على مصر ، كان العرب عوناً له على المصريين ، يعدون له الماء في البادية (٤) . ولما حمل الفرس على اليونان كانت العرب في جملة تلك الحملة بابلهم وأعمالهم ، وجعلوهم في المؤخرة لئلا تجفل الجمال فيضطرب الجيش (٥)

ثم تبدلت الأحوال ، فشق العرب عصا الطاعة على الفرس ، وطمعوا في الخروج إلى بلاد فارس من البحرين ، في أيام سابور ذي الاكتاف - وكان صغيراً فاستضعفه - فسار منهم جمع غفير من عبد القيس ، عبروا خليج العجم إلى بلاد فارس وسواحل أردشير قره ، وغلبوا أهلها على مواشيهم ومعاشيهم ، وغلبت إباد على سواد العراق ، وأكثروا من الفساد فيها ، فمكثوا حيناً لا يفزؤهم أحد ، فلما كبر سابور واشتد ساعده ، أوقع في أولئك العرب ، وقتل وأسر ، وقطع الخليج إلى البحرين (٦) والبيعة والقطيظ من فرسان عسكره عدة اختارها وسار بهم إلى العرب ، وقتل من وجده منهم . ووصل إلى الأحساء والقطيظ ، وشرع يقتل ولا

Rawlinson III. 490 (٢)

(٤) هيرودوتس ١١٧

(٦) ابن الأثير ١٧٢ ج ١

(١) ابن الأثير ١١٧ ج ١

(٣) هيرودوتس ٢٢٧

(٥) هيرودوتس ٤٦٧

يقبل فداء ، وورد المشقر باليمامة ، وبه اناس من تميم وبكر بن وائل وعبد القيس ، فسفك من دمائهم ما لا يحصى وكذلك سار الى اليمامة ، وسفك بها . ولم يعر بماء للعرب الا غورة ، ولا بشر الا طمها . ثم عطف على ديار بكر وربيعه ، فيما بين مملكة فارس ومملكة الروم في الجزيرة ، وصار ينزع اكتاف العرب ، قالوا : ولذلك سمي ذا الاكتاف (١) . وذكروا نحو هذه الفزوة لاردشير على البحرين ، فحاصرها مدة والتقى ملكها نفسه في البحر (٢)

الروم

اما اليونان فقد رايت انهم حاولوا فتح بلاد العرب ولم يظفروا ، او نوى احدهم ولم يشرع - كما اصاب الاسكندر الكبير - فقد ذكروا انه كان عازما على فتحها فعاجله الموت . والرومان لم يطمعوا فيها الا ايام اوغسطس ، فانفذ تلك الحملة بقيادة اليوس غالوس فعادت بالفشل ، وقد ذكرنا خبرها في كلامنا عن دولة الانباط (*)

فترى مما تقدم ان لعرب الحجاز وما يليه تاريخا طويلا ، لم يعرفه العرب ولا ذكروه في كتبهم . واثت حروبهم طبعاً الى اختلاطهم بالأمم المجاورة ، ونزوح بعضهم الى الاطراف شرقا وغربا ، يفتنمون ضعف أهل الخضر - شأنهم في كل زمان - فنزل بعضهم في وادي النيل ، وتجاوز البعض الآخر ما بين النهرين الى بلاد فارس . فقد جاء في تاريخ الفراعنة ، ان العرب لما راوا ضعف مصر بعد دولة الرعامسة ، وطمع الدول المعاصرة فيها ، اخذوا يقدون اليها بأنعامهم وخيامهم ، يسطون على مدنها ويشاغلوها ، كما فعلوا عند انقسامها قبل دولة العمالة (٣) فنزلوا فقط وملكوها اجيالا ، وكانت مركزا تجاريا تغد اليها القوافل القادمة من اليمن فالقصور فقط ، حتى اصبح أهل فقط أكثرهم من العرب (٤)

(١) أبو الفداء ٥١ ج ١

(٢) ابن خلدون ١٦٩ ج ١

(٣) تركب هذه الفصول الثلاثة - من ص ٩٠ الى ٩٥ - على حالها على ما فيها من متابعة بعض مؤرخي العرب دون تحجيس ، لان المؤلف لم يرد منها الاستقصاء ، وانما مجرد اعطاء فكرة عما كان من حلات المصريين والبابليين والاشوريين والفرس والرومان على بلاد العرب . وقد اورد المؤلف اهم هذه الحوادث بتفصيل أكثر وتحجيس كبير في مواضع أخرى من الكتاب

Sharpe, II. 237. (٤)

Sharpe, I. 206, II 90 & 186. (٣)

الطبقة الثانية
دول اليمن وأجمنوب

دول اليمن أو الجنوب

ملحة جغرافية

يراد باليمن في التاريخ القديم ما يسميه اليونان Arabia Felix أى العربية السمعية ، ولعلها ترجمة « اليمن » من البركة ، لكثرة خيراتها بالنظر الى البادية في الشمال ، كأنهم يريدون بها بلاد العرب العامرة أو الحضرة . ويجدها عندهم خليج العجم من الشرق ، وبحر العرب من الجنوب ، والبحر الأحمر من الغرب ويسمونه خليج العرب . وأما من الشمال فتحتها البادية ، وهي بادية الشام والعراق ، وبلاد العرب الصحرية (بلاد بطرا) ، ويدخل في بلاد اليمن على هذا التحديد اليمن وحضرموت والشحر وعمان والعروض ومعظم الحجاز وتهامة ونجد وغيرها (*)

واختلفت أقسام بلاد اليمن وأسماء مدنها باختلاف الأعصر ، وأكثر المدن القديمة التي كانت قبل الإسلام خربت الآن ، وغطتها الرمال فأصبحت بادية بلا ماء ولا عمارة ، وفيها يبحث المنقبون عن اطلال مدائن الدول القديمة ، ومنها نقل أدنو وهاليقي وجلاذر وغيرهم نقوش المسند ، واستدلوا بها على أخبار تلك العصور الحالية ، مما لم يذكره العرب ولا اليونان

أما العرب فيريدون باليمن الجزء الجنوبي الشرقي من جزيرة العرب فقط ، وهو يقسم عندهم الى ٨٤ مخرلافا ذكرها اليعقوبى كلها (١) والمخلاف تحته مدن ومخالف وقرى ، وفيه الأودية والجبال والسدود والسيول . وأشهر مخاليف اليمن مخلاف شبوة ومخلاف مأرب ومخاليف المعافر والسحول وذى رعين وجيشان ورداع وذمار والهان وحراز وهوزن وحضور وأقيان وخولان وغيرها . وقد فصل الهمداني كل مخلاف بقراء وأوديته وجباله في كتابه « صفة جزيرة العرب » على ما كانت عليه في أيامه في أوائل القرن الرابع للهجرة ، وهو أوثق المصادر عن جزيرة العرب وأوقافها . واليعقوبى أقدم منه ، وقد ذكر مخاليف اليمن كما كانت في أواسط القرن

(*) ورد اسم اليمن في النصوص السبائية القديمة : يمنات ويمنات وهو أصل لفظ اليمن . وكان الاسم يطلق أزل الأمر على جزء من اليمن الحالية ، أو اليمن بغيرهما عند الجغرافيين والمؤرخين من العرب ، فتقول النصوص أن ملوك سبأ وذى ريدان « أصبحوا يسمون ملوك سبأ وذى ريدان وحضرموت ويمنات وأعرابها في الجبال وفي تهامة » ، أى أن يمنات لم تكن إلا جزءا مما عرف بعد ذلك باليمن ، ويرى جلاذر أن يمنات كلمة عامة أطلقت على الجزء الجنوبي الغربي من جزيرة العرب من باب المنتهى الى حضرموت . وكانت تتألف من مخاليف عديدة يحكمها القبائل وأذواء مستقلون بشؤونهم ، ولكنهم يعترفون بسيادة ظفار أو مينة عليهم .

انظر : جواد على ، العرب قبل الاسلام ، ج ٣ ص ١٣٦ - ١٣٧

(١) تاريخ اليعقوبى ٢٢٧ ج ١

ينسب عرب اليمن الى يعرب بن قحطان ، ويعرفون بالعرب المتعربة لأنهم تعربوا ، أى اقتبسوا اللغة العربية من العرب العاربة وهى البائدة .
 ويزعم مؤرخو العرب أن بنى قحطان لما نزلوا اليمن كان فيها بقية من العرب العاربة ، والدولة فيهم ، والقحطانيون يومئذ بعيدون عن رتبة الملك وانترفه الذى كان لأولئك (أى العرب العاربة) فأصبحوا بمنجاة من الهرم الذى يسوق اليه الترف والنضارة ، فتشعبت فى أرض الفضاء فصائلهم وتعددت أفخاذهم وعشائرهم ونما عددهم وكثر اخوانهم من العمالة فى آخر ذلك الجيل ، وزاحمهم بمنابكهم ، واستجدوا خلق الدولة بما استأنفوه من عزهم ، وكانت الدولة لبنى قحطان متصلة فيهم ، وكان يعرب ابن قحطان من أعظم ملوك العرب ، يقال انه أول من حياه قومه بتحية الملك .. قال ابن سعيد : « وولى اخوته على جميع أعمالهم ، وولى جرهما على الحجاز ، وعاد بن قحطان ، على الشحر ، وحضرموت بن قحطان على جبال الشحر ، وعمان بن قحطان على عمان ... هكذا ذكر البيهقي » (١)

وذكروا بعده ابنه يشجب بن يعرب ، وبعده ابنه عبد شمس وهو سبأ ، زعموا انه سبى بذلك لكثرة سبيه وانه هو الذى بنى السد الشهير فى أرض مارب . وخلف سبأ المذكور عدة أولاد ، أشهرهم حمير وكهلان ، ولما مات سبأ خلفه ابنه حمير مؤسس دولة حمير . وهى عندهم طيقتان : الملوك والتبابعة . وملوك حمير اختلفوا فى عددهم وعصورهم وتوابعهم ، ولكنهم اتفقوا فى أن آخرهم « الحارث الرائي » وهو أول التبابعة . وهذا جدول قابلنا فيه بين توالى ملوك هذه الدولة باختلاف الرواة بين حمير والحارث الرائي :

القائمة الحميرية	أبو الفداء	ابن خلدون	السعودى
حمير	حمير	حمير	حمير
الهميسع	وائل	وائل	كهلان
إيمن	السكك	السكك	أبو مالك
زهير	يعفر	يعفر	جبار بن غالب
غريب	ذو رياش	النعمان	الحارث
الغوث	النعمان	ذو رياش	
وائل	اشمع	اشمع	
عبد شمس	شداد	الحارث	
زهير الصوار	لقمان		
ذو يقدم	ذو سد		
ذو أنس	الحارس		
عمرو			

المطاط

القليص

سدد

الحارس الرائس (*)

(*) لم يمد أحد يأخذ بهذه القوائم التي رواها الإخباريون وأثبتها مؤرخو العرب في كتبهم، وقد ذهب جواد على أن أن سبأ أو شبا اسم لشعب لا لرجل وأن هذا الشعب كان يحكم ناحية صغيرة من اليمن، ثم اتسع شيئا فشيئا، وعرض كذلك للروايات المختلفة التي تروى عن ملكة سبأ وزيارتها سليمان عليه السلام، وعرض لآراء الباحثين في هذا الموضوع، وخاصة لما يرد في التوراة من تفاصيل عن زيارتها لسليمان، وذكر ما انتهى إليه نفر من العلماء من أن ملكة سبأ هذه كانت أميرة أمارة صغيرة شمالي جزيرة العرب، وذكر ما يرويه الإخباريون من أن بينهم الملكة من سلالة سليمان وزوجته ملكة شبا ويسمونها «مائدة»، وما يذكره يوسف اليوسفي من أن ملكة شبا التي ذهبت إلى سليمان كانت ملكة الحبشة ومصر. هذا وقد ذكر القرآن الكريم زيارة ملكة سبأ لسليمان عليه السلام دون أن يذكر اسمها، ولكن المفسرين ذهبوا إلى أن اسمها بلقيس وأنها من بيت التيبانية، ثم ختم دراسته المستفيضة بقوله: «لقد بدل حكام سبأ ألقابهم مرارا، فبعد أن كان قضاؤهم يلقبون أنفسهم بلقب «مكرب سبأ» تلقب من جاء بعدهم حوالي سنة ٦٥٠ قبل الميلاد أو قبل ذلك بقليل بلقب «ملكة سبأ» ثم أبدل خلفاؤهم هذا اللقب في سنة ١١٥ ق.م وقضوا عليه لقب ملك سبأ وذى ريدان، وحوالي سنة ٣٠٠ ميلادية تلقب ملوك سبأ وذى ريدان بلقبه جديد هو «ملك سبأ» وذى ريدان وحضرموت ويمنت وأغرابها طوم وتيمث «أي ملك سبأ وذى ريدان وحضرموت ويمنت» اليمن «وأغرابها في الجبال ونهامة وقتل منه الإقليم أودارا في تاريخ سبأ»

انظر: تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٢ ص ١٠٠ - ١٠٧

أي أن سبأ كانت في أول أمرها أمارة أو مشيخة صغيرة، ثم أخذت تتسع شيئا فشيئا حتى شملت اليمن كله وحضرموت ونهامة

وقد فسر جواد على لقب المكرب الذي تلقب به أصحاب سبأ في أول أمرهم بأنه المقرب من الآلهة، أو المقرب من الآلهة والناس، وقال إن هؤلاء الحكام كانوا كهانا وهم يشبهون «القسا» ملوك العمانيين الأولين. وكانت عاصمتهم الأولى صرواح بين صنعاء ومارب

وقد ذكر أسماء سبعة عشر مكربا استقى أسماءهم من النصوص التي عثر عليها الباحثون، وليس بين أسمائهم أي شبه بأسماء ملوك سبأ التي أوردتها مؤرخو العرب، وأوردتها جرجي زيدان في النص نقلًا عنهم، وأولهم المكرب سمع على الذي ذكر جون فليبان مبدأ حكمه كان حوالي سنة ٨٢٥ قبل الميلاد. هؤلاء المكربون هم الذين بدأوا سياسة استصلاح الأراضي واعطائها للفلاحين لاستغلالها وابتنوا المعابد لآلهتهم، وهم الذين بدأوا إقامة السدود، وقد بدأت السدود عمليات هندسية صغيرة غرضها احتجاز مياه الأمطار الموسمية، وأول سد تشييد اليه النصوص سد «رحب» أو «رحيم» وهو جزء من مجموعة السدود التي عرفت فيما بعد باسم سد مارب، ثم أنشئ بعد ذلك جزء آخر من هذه المجموعة هو سد حبيش أو حبيشة في عهد المكرب «ينع امر بين» وقد عاجم هذا المكرب بلاد القتيانيين وأخضع فيهم، ثم هاجم ملكة معين «ووسع مساحة مملكة سبأ إلى أرضي نجران»، وبني كذلك بابين للمدنة مارب وحصنها بصور وبروج، وأقام هو وابنه سلسلة من السدود أكملت سد مارب وجعلته في الصورة التي عرفناه في التاريخ، وصارت مملكة مارب في عصرهما - نتيجة لإكمال مجموعة السدود التي تكون سد مارب - مملكة واسعة الأرجاء عظيمة الرخاء

وفي ذلك العهد أيضا أصبحت صرواح العاصمة القديمة، واتجه الاهتمام كله نحو العاصمة الحديثة مارب، واتخذ أصحابها لقب ملوك مارب وذى ريدان، وفي عهد المكرب «كرب ال» وأولاده عزاز ملوك سبأ ملكة معين وقضوا عليها وضموها إلى بلادهم وضمو إليها كذلك بلاد نجران

وفي عهد المكرب «كرب ال وتر» ترك أصحاب سبأ لقب مكرب سبأ وسموا أنفسهم ملوك سبأ.

حوالي سنة ٣٠٠ ميلادية استولى ملوك سبأ على ذو ريدان وأصبح لقبهم الرسمي ملوك سبأ وذى ريدان

انظر: حواد على، نفس المصدر، ج ٢ ص ١٠٠ - ٢١٢

ولو راجعت اخبار دولة حمير في سائر ما كتبه المؤرخون لما وجدت اثنين متفقين في مددهم واسمائهم وتماقيهم ، ويقول حمزة الاصفهاني ان بين حمير والحارث الرائي ١٥ ابا . اما اخبار هذه الدولة فهي اكثر تعقيدا واختلاطا من اسماء ملوكها ، ويقولون انها كانت قبل الحارث الرائي شطرين ، يحكم احدهما في سبا والآخر في حضرموت ، فلما ظهر الحارث المذكور فتح البلدين جميعا وتبعوه ، ولذلك سمي تبعاً (١) . وهو أول التباينة (٢)

التباينة عند العرب

والتباينة عند العرب اولهم الحارث الرائي وآخرهم ذو جدن ، حكم بعد ذي نواس الذي غلبه الاحباش وأخذوا اليمن منه . وعندهم بين الحارث المذكور وذو جدن تباينة اختلفوا في اسمائهم وتماقيهم ، وهذا جدول اسمائهم وسنى حكمهم عن حمزة الاصفهاني :

مدة الحكم	اسم الملك	مدة الحكم	اسم الملك
١٢٥	الحارس الرائي	١٢٠	اسعد ابو كرب
١٨٣	ابرهة ذو المنار	٧٠	حسان بن تبع
١٦٤	أفريقس بن ابرهة	٦٢	عمرو بن تبع
٢٥	العبد ذو الازهار	٧٤	عبيد كلال
٧٥	هداد بن شراجيل	٧٨	تبع بن حسان
٢٠	بلقيس بنت هداد	٤١	مرشد بن عبيد
٨٥	ناشر بنعم	٢٧	وليعة بن مرشد
٣٧	شمير يرعش	...	ابرهة بن الصباح
٥٥	ابو مالك	١٥	صهبان بن محرت
٥٣	تبع بن الاقرن	٥٧	حسان بن عمرو بن تبع
٧٠	ذو جيشان	٢٧	ذو شناتر
١٦٣	الاقرن بن ابي مالك	٢٠	ذو نواس
٣٥	كليكو	٨	ذو جدن آخر التباينة

فعدد التباينة على هذا الجدول ١٦ تبعاً ، حكموا نحو ١٧٠ سنة (٣) (٤)

(١) حمزة ١٢٤

(*) عرف ملوك حمير عند العرب بالتباينة ، جمع تبع ، ورد ذكر تبع في القرآن الكريم (سورة النمل ، آية ٢٧) وذكر الاخباريون ان تبع كان رجلاً من حمير فتح الحيرة وخرب سمرقند ، وذهب بعضهم الى انه نبي وان أول التباينة اسعد ابو كرب . وذكروا انه أول من كسا البيت ، وذكروا أيضاً ان تبع لقب ملوك حمير مثل كسرى للفرس وقيسر للروم ، ولا يسمى تبع إلا اذا كانت له حمير وحضرموت ، وقيل سبا أيضاً ، واذا لم تدن له هاتان فلا يسمى تبعاً . ولد ترد كلمة تبع في نصوص المسند ، لان ملوك حمير كانوا يلقبون فيها بالملوك ، ولهذا يرى المستشرقون ان تبع هو يتبع اسم قبيلة بهمدان . وأول ملوك سبا وذو ريدان وحضرموت ويمنان هو الملك شمير بهرعش تامن التباينة الواردين في قائمة حمزة الاصفهاني التي أوردتها جرجي زيدان في النص

أنظر : جواد علي ، العرب قبل الاسلام ج ٣ ص ١٣٦ - ١٣٨

(*) لا تؤيد أبحاث الاثريين وما قرأوه من نصوص هذه المعلومات التي أوردتها مؤرخيو العرب عن التباينة ملوك حمير ، ولم يجدوا من أسماء هؤلاء الملوك إلا لفظاً كتبت مثل شمير بهرعش

فتح الاحباش اليمن حسب رواية العرب

وبلى التبابعة في اليمن الاحباش ، دعاهم الى فتحها رجل من اليمن اسمه ذو ثعلبان انتقاما من ذي نواس ، لانه اضطهد نصارى نجران وعديهم ، فحمل صاحب الحبشة على اليمن بسبعين الفا من الرجال ، ففر ذو نواس حتى اقتحم البحر وغرق فيه ، فخلعه ذو جدن فقلوبه ايضا ، واقام الحبشة في اليمن وقائدهم ابرهة الاشرم . واراد ابرهة هدم الكعبة ، فسار اليها في عام الفيل ، فهلك جيشه بالطير الابابيل ، وخلعه يكسوم ابنه واساء معاملة اليمنيين ، فذهب سيف بن ذي يزن ابن احد ملوكهم الى كسرى ، واستنصره فنصره وارسل معه جندا اخرج الاحباش من اليمن ، وولى سيفا المذكور تحت سيطرته ، فقدر بسيف رجال بطانته - وهم من الاحباش - فقتلوه ، ولم يملك احد بعده بل استقل اهل كل ناحية بما لديهم ، على مثال ملوك الطوائف . وظلت سيطرة الفرس على اليمن ، حتى ظهر الاسلام فدخلت في حوزة المسلمين

وقد جمع اخبار هذه الدولة نشوان بن سعيد الحميري ، من اهل القرن الخامس للهجرة ، في قصيدة تعرف بالقصيدة الحميرية ، اتى فيها على مقدمة في بضعة ابيات حكمية زهدية ، مآلها التذكير بفناء الدنيا ومصر كل شيء الى البوار ، يلى ذلك ايراد امثلة من الدول الضخمة التى افناها الزمان كعاد وثمود ، حتى يصل الى دولة حمير ، فيذكر قحطان فيعرب ومن بعده من التبابعة والاذواء والاقبال وغيرهم ، في نحو ١٣٥ بيتا ، ضمنها خلاصة اخبارهم اغفلنا نشرها لطولها ، فمن اراد الاطلاع عليها فليراجعها في مكانها (١) (✽)

والذى حرقه الاخباريون الى شعر يرعش ، ويأسر بهنهم الذى حرقه الاخباريون الى ناسرهم او ناسر النعم . وذهب جواد على ان أسماء هؤلاء الملوك وما ينسب اليهم من اعمال (وخاصة يأسر بهنهم) من وضع وهب بن منبه وابن الكلبي ، وذكر ان يأسر بهنهم كان يحكم حوالى سنة ٢٧٦ ميلادية ، وان الحرب كانت قائمة في أيامه بين الهمدانيين والحميريين «ومن الواضح ان ما ينسب الاخباريون الى يأسر بهنهم من فتوح وصلت الى حدود الصين والقسطنطينية غير صحيح ، لان ملكه لم يجاوز سبأ» وقد ريلمان وحرموت وبنات

ولا تذكر النصوص شيئا عما حدث من أواخر أيام شعر يرعش وسنة ٣٤٠ ميلادية ، وهي السنة التى غزا الاحباش اليمن فيها ، وظلوا يحكمونها الى نحو ٣٧٨ ميلادية
انظر : جواد على ، نفس المرجع ، ج ٣ ص ١٢٩ - ١٤٦

Himjarische Kasideh, Von Kremer, Leipzig, 1865 (١)

(✽) تناول جواد على في كتابه : تاريخ العرب قبل الاسلام (ج ٣ ص ١٥٠ وما يليها) مسائل علاقة الاحباش باليمن والتصرانية واليهودية في جنوب الجزيرة واتى على كل الاثار التى أوردها العلماء فى ذلك بتفصيل كامل ، ونحن نورد خلاصة ذلك فيما يلى :

- ١ - من العلماء من يذهب الى ان اصل الاحباش من جنوبى الجزيرة ، هاجروا الى الصدارة الافريقية لاسباب كثيرة ، منها امتيلاء البريتيين على سواحل بلاد العرب الشرقية ، ومن هؤلاء العلماء ، دودارد جيلارز في كتابه « الاحباش »
- ٢ - ان لفظ التوبيا يونانى معناه الوجه المحترق أو الاسود ، وقد أطلق على ارض الحبشة وعلى مناطق واسعة لاتدخل في الحبشة اليوم تشمل جنوب مصر وسواحل افريقيا المطلة على =

هذه خلاصة تاريخ اليمن في كتب العرب ، وإذا قابلت بين رواياتهم رأيت اختلافا كثيرا وتناقضا كبيرا . فهم يختلفون في أسماء الملوك والتبابعة ،

= البحر الأحمر والمحيط الهندي جنوبي بلاد العرب، وهي تقابل لفظ كوش الوارد في التوراة، مما يدل على أن الاتصال كان وثيقا من قديم الزمان بين الشعوب التي تسكن هذه النواحي

٣ - أن أصل الإحباش اللين هاجروا من جنوبي جزيرة العرب إلى افريقية غير معروف

٤ - لا يعرف على وجه التحديد مكان أرض « حيش » في جزيرة العرب ، والموضع الذي نزلوا فيه أول ما عبروا باب المنجب . ويرى Hommel أن الحضارة القديمة أقرب العرب الجنوبيين إلى الحبش الجنوبيين ، بدليل تقارب اللهجة الحضرية القديمة الحبشية في المسند واللغة الحبشية

٥ - يلقب جلزور إلى أن الحبش هاجروا إلى افريقية بين سنتي ٢٧٠ و ٢٧٨ ميلادية ، ويرى هومل أن زحلتهم منها كانت سنة ٢٧٥ ، وكان ذلك في عهد ملكين من طوك الحبش هما « الأصيلة » وابنة عيزان وكان Aizanas عيزان يلقب بملك أكسوم وحدير وريدان والحيشة وسلع وتيباء وصيمو والبة وقسو . وكان مركز الدولة في أكسوم ، أي أن ما شغل في زمامها من بلاد العرب كان تابعا لها

٦ - وحوالي سنة ٢٧٨ قام زعيم عربي اسمه « ملك كرب يهأمن » بطرد الإحباش من اليمن وأنشأ ملكا عربيا ، وتلقب بملك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنا ، وخلفه أبناء أبو كرب أسعد ، ورا أمر إيسن ، وكانوا يعبدون الها يسمى ذو سوي أي إله السماء ، ولوحظ أن بلاد اليمن أخذت تسير بعد ذلك نحو ديانة التوحيد

٧ - يرى المستشرقون أن أبا كرب أسعد هو أسعد كامل تبع ، الذي يرى الاختاريون أنه أول من تهود من ملوك اليمن ، وليس لدينا دليل على ذلك ، والثابت أن هذا الملك كان يتبع لاله يسمى ذو سموت أو إله السماء

٨ - وكانت لهؤلاء الملوك جيما عناية بمجموعة السود التي تعرف بسند مارب . وأول أخبار نسمها عن تصدعه حوالي سنة ٤٥٠ أو ٤٥٦ ميلادية في عهد الملك شرجيل يفر ، فاستعان بالحميريين وقبائل حضرموت لإصلاح الصدوع

٩ - كانت عاصمة سبأ مدينة مارب حتى نهاية القرن الثالث للميلاد، ثم حلت محلها مدينة ظفار، ويرى جلزور أن نجم مارب أخذ في الأفول منذ القرن الأول للميلاد ، وأن سبب هسها هو غزو الجيش لليمن . ويرى هارتمان أن السبب ثورة الهمدانيين على الحيريين وأنصارهم ، ويرى

جواد علي أن السبب قد يكون تحول التجارة عن مارب بسبب تغير طرق التجارة وتأثير الطرق البحرية التي أخذت تنافس الطرق البرية ، وكانت سفن البيزنطيين قد أخذت طريقها في البحر الأحمر «سلبت من اليمنيين ثروة عظيمة ولم يبق في إمكانهم الاتفاق على السد لادامته والحفاظة عليه ، وهنا ما اضطر القبائل إلى الهجرة من هذه الجنة التي ولجها الجفاف بالتدريج ولكن الملوك لم يهجروا مارب دفعة واحدة ، إذ تدل النصوص على أنهم أقاموا بها أمدا من الوقت بعد ذلك

١٠ - وآخر ملوك حير، كما يقول الاختاريون هو ذو نواس (وإن كان بعضهم يلعب إلى أن ابنه ذا جثن خلفه) وللاختاريين عنه قصص طريفة، وفي أيامه غزا الإحباش اليمن من جديد، ولم تورد للنصوص المكونة بالمسند لدى نواس ذكرا ، والنص الذي يحدثنا عن غزو الإحباش لليمن هذه المرة يسمى نص « حصن غراب » وتاريخه سنة ٢٥٥ بعد الميلاد

١١ - ولا يذكر مؤرخو الرومان أن ملك حير - عندما غزا الإحباش اليمن - كان يهوديا ويكتفي بروكوبيوس بالقول بأن النجاشي كان نصرانيا ، ويلفه أن الحميريين كانوا يمشطهون الصبار ويصنونه ، ولذلك أرسل أسطولا استولى على أرض حير وأقام عليها ملكا حميريا نصرانيا ، وذكر أن بعض الحميريين كانوا على اليهودية ، أما بقيةهم فكانوا وثنيين على مذهب =

وفي تنابهم ، وفي مدد حكمهم ، وفي سير المشاهير منهم ، واكثره مبالغ فيه ، وبعضه اقرب الى الخرافات منه الى الحقائق ، كتقديرهم مدد حكم التبابعة الاول اكثر من خمسمائة سنة ، غير حكم تبع بين الاقرن واسعد ابو كرب . وقولهم مثلا ان افريقس بن ابرهة غزا أرض المغرب ، وبنى مدينة افريقية ، وساق البربر اليها من أرض كنعان ، وابتعد المغار في تلك البلاد الى أقصى العمران . وان شمر يرعش غزا المشرق ، فدوخ خراسان ، وهدم مدينة الصفد ، وبنى سمرقند ، وانه وجد في مصنعه كتابة حميرية ابتداءها « باسم الله ، هذا ما بناه شمر يرعش لسيدة الشمس » . وقولهم ان اسعد ابو كرب غزا الصين والترك (١) وغير ذلك مما يخالف العقل ، فضلا عن نصوص التاريخ العامة . على انه لا يخلو من حقيقة لابد لنا من استخراجها ، ولا يكون ذلك الا بالمقابلة بينها وبين مصادر تاريخية غير عربية او قراءة الآثار الباقية

ما يقوله اليونان عن تاريخ اليمن

لم يخصص اليونان ولا سواهم من اعم التاريخ كتباً في تاريخ اليمن او

١٢ - الهيلينيون . اما الرواية الحبشية فتذهب الى ان معظم اهل سبا كانوا وثنيين ، وان بعضهم كانوا يهودا ، وان اليهودية دخلت اليمن بعد تشتت اليهود عقب قبضاء الرومان على دولة اسرائيل وهم الامباطور تيتوس لميعد سليمان في اورشليم . والظهور ان اليهودية دخلت اليمن عن طريق الحجاز

١٣ - اما النصرانية فلم تسئل اليمن من طريق واحد ، وانما دخلتها من البحر والبر ، ودخلتها من البر من ديار الشام فالحجاز فاليمن . ومن العراق ايضا مع القوافل التجارية المستمرة التي كانت بين اليمن والعراق ، ودخلتها من البحر بواسطة السفن اليونانية والرومانية ، ودخلتها كذلك مع الاحباش الذين تنصروا ايضا في القرن الرابع للميلاد .

١٤ - وقد قامت بين اليهودية والنصرانية مناقشة في اليمن ، وانتصرت اليهودية بتولي ذي نواس اليهودي العرش ، وتسمية كتابات اليونان والريان دميانوس ودمنوس . وقد اضطهد ذو نواس النصارى ، فكان ذلك سبباً في غزو الاحباش لليمن سنة ٥٢٥ على ما ذكرناه

١٥ - واقام الاحباش ابرهة الحبيري حاكماً على اليمن ، وكان نصرانياً . ثم اختلف ابرهة مع الحبش ، فأرسل هذا الاخير جيشاً بقيادة ارباط ليقضي على ابرهة . وتمكن ابرهة من قتل ارباط ثم استعرض الحبش . وقد ترك لنا ابرهة نصاً على درجة كبيرة من الاهمية . اورده جواد على كاملا ، يذكر فيه ترميمه لسد مارب مرتين ، وكان ابرهة نائباً لملك الحبشة ولكنه تلقى ملك سبا ودعى ريدان وشمرموت ويمناث وأعرابها في التجاد وفي نهامة ، وهو القبط القديم لملوك حبش المستقلين . وقد عظم شأن ابرهة وولدت عليه وفود ملك الفرس والمسلمين والحارث بن جبلة ورؤساء القبائل . وقد انتشرت المسيحية في اليمن بعد ذلك وبنيت الكنائس الكثيرة واحدها الكنيسة المعروفة بالقليس . وتركزت النصرانية بصورة خاصة في نجران على ما هو معروف

١٥ - وقد طل سلطان الاحباش على اليمن حتى ثار عليهم سيف بن ذئب يزن وحرد بلادهم ، واستعان بالفرس ، مما أدى الى غزوهم اليمن على ما هو معروف

غيره من بلاد العرب ، ولكنهم ذكروها عرضا أثناء كلامهم عن الجغرافية العامة أو الرحلات أو غيرها ، وقد اشرنا الى ذلك في كلامنا عن مصادر تاريخ العرب . واكثر كتاب اليونان ذكرا لبلاد العرب سترابون وبلينيوس وبطليموس ، وصاحب كتاب « الطواف حول البحر الاريترى » ذكر كل منهم مدنا أو امما أو احوالا أخرى من احوال بلاد اليمن ، بعضها يوافق ما ذكره العرب وبعضه يخالفه ، وذكروا مدنا وامما لم يعرفها العرب ، اى انها لم ترد في تواريخهم أو جغرافيتهم ، وهذه اهم الامم العربية التى ذكرها اليونان في القسم الجنوبي من جزيرة العرب :

الاسم اليونانى	ما يقابله فى العربية	الاسم اليونانى	ما يقابله فى العربية
Minael	المعينيون	Omanitae	العمانيون
Sabaei	السبائيون	Sapharitae	الفقاريون
Homeritae	الحميريون	ومن المدن التى ذكروها هناك :	
Chatramotitae	الحضرميون	Mariaba	مارب
Gebanitae	الجبائيون	Sabotta	شبوة
Gerraei	الغريون	Carnus	القرن
Catabani	القتابيون	Nascus	نشق

وذكروا الطرق التجارية ، ووصفوا الاحوال الاجتماعية ، مما سنأتى عليه في محله . فترى بين ما ذكره اليونان من الامم أو المدن امما أو مدنا لم يذكرها العرب ، أو ذكروها عرضا بلا اهمية ، واليونان يقدمونها على اهم ما ذكره العرب . فالسبائيون مثلا لم يعرف العرب عنهم شيئا يستحق الذكر ، والمعينيون لم يعرفهم العرب مطلقا وهم عند اليونان امة عظيمة ذات تجارة واسعة وشان كبير ، ومثلهم الغريون والجبائيون . واعتبر ذلك في المدن ايضا ، فان مارب لم يذكرها العرب الا في عرض الكلام عن سدها وانفجاره ، وكذلك مدن شبوة والقرن ونشق وهى من اهم مدن اليمن في ابان مجدها

على ان الامم والمدن التى تفرد اليونان بذكرها ، لم يستطع العلماء المستشرقون تعيين اماكنها ، ومعرفة ما يقابلها من الاسماء العربية ، الا بعد استنطاق الآثار بتوالى التنقيب وقراءة الخط المسند المعروف بالحميرى . وقد بلغ عدد ما اكتشفوه من النقوش في جنوبى بلاد العرب ، وحملوه أو حملوا صورته الى اوربا نحو ٢٠٠٠ نقش أو قطعة . وهذه اسماء الذين نقلوها ومقدار ما نقله كل منهم :

عدد النقوش	اسم الرحلة
١٠٣٢	ادورد جلاند
٦٨٦	يوسف هاليغي اكثرها عن المعينيين
٦٩	بوليوس اوبن اكثرها عن المعينيين
٥٦	توماس اردنو
١٨٩	آخرون
١٠٣٢ (*) (الجملة)	

فاذا اخرج من هذا العدد النسخ التي جاءت مكررة وعددها نحو ٤٥٠ ، فالباقي ١٥٦٠ نقشا أصليا . وقد توصلوا بالتنقيب الى اكتشاف معين عاصمة المعينيين ، ونشق والقرن - او القرنة - وشبوة وظفار وغيرها . واكتشفوا مدنا أخرى ، لم يعرفها مؤرخو العرب ولا ذكرها اليونان ، وانما قرأوا اسماءها على الآثار واكتشفوا اطلالها بين الرمال . وعرفوا ممالك وملوكا واخبارا لم يرد لها ذكر في التاريخ العربي ولا الياباني . ونحن باسطون فيما يلي ما وصلنا اليه ، بعد الاطلاع على ماكتبه العرب واليونان ، وما اكتشفه المنقبون من أساطير اليمن واحافيرها واطلالها ، وما جاء عن هذه البلاد وسكانها عرضا في آثار الأمم القديمة في آشور وبابل ومصر وغيرها

تمهيد في اصل حكومات اليمن

كانت اليمن في اقدم ازمانها واصل نظامها تقسم الى محافد (جمع محفد) ، والمحفد الى قصور ، والقصر كالحصن او القلعة يحيط به سور ، ويقم فيه شيخ او امير او وجيه ، تحف به الاعوان والحاشية والخدم ، كما كانت حكومات بابل قديما على ما بيناه في كلامنا عن دولة حمورابي . وهو يشبه نظام الاقطاع في الاجيال الوسطى بأوربا . ويعرف صاحب المحفد او القصر بلغظ « ذو » اى صاحب ، يضاف الى اسم المحفد فيقال : « ذو غمدان » اى صاحب غمدان ، و « ذو معين » اى صاحب معين ، وتعرف هذه الطبقة من الحكام بالاذواء او الذوين ، وهم كالبارونات او اللوردات في نظام الاقطاع . وكانت هذه المحافد عديدة ، لكل منها حكومة قائمة بنفسها ، واشهر المحافد او القصور التي وصلت اليها اسماءها : غمدان وتلفم

(*) عشر الباحثون بعد ذلك على نصوص أخرى كثيرة ، وقد اشار الى معظمها جواد على في كتابه الآف الذكر

وناعط وصرواح وسلحين وظفار وشباب وبينون وريام وبراقش وروثان وارباب وعمران وغيرها ، وبعض هذه القصور بقى الى ما بعد الاسلام ، وذكره العرب ووصفوه ، كما سيجىء فى كلامنا عن عمران اليمن

وقد تجتمع عدة محافد يتولى شؤونها أمير واحد يسمى « قيل » جمعه « اقبال » ، ويسمى مجموع المحافد مع ما يلحقها من القرى والمزارع « مخلاف » ، وهو كالكرة أو الرستاق أو القضاء ، يحكمه قيل أو ملك صغير . وينسب المخلاف الى أكبر محافده ، أو الى المحفد الذى يقيم فيه القيل أو الملك ، وقد يتحول القصر أو المحفد الى مدينة بعد ظهور الدولة ، وقد يبدل اسمه كما تحول قصر « ريدان » الى مدينة « ظفار » ، وسلحين الى « مارب »

وكان الاقبال يتفازون ويتنازعون ، فيغير احدهم على جازره ، وربما رجع عن غزوه لغير سبب . وقد اشار الطبرى الى ما تقدم بقوله : « لم يكن للوك اليمن نظام ، وانما كان الرئيس منهم يكون ملكا على مخلاف لا يتجاوز » ، وان تجاوز بعضهم عن مخلافه بمسافة يسيرة ، من غير أن يرث ذلك الملك عن آبائه ولا يرثه أبناؤه ، انما هو شأن شداد المتلصصة يغيرون على النواحي باستغفال أهلها ، فاذا أقدمهم الطلب لم يكن لهم ثبات . وكذلك كان أمر ملوك اليمن : يخرج احدهم من مخلافه بعض الأحيان ، ويبعد عن الغزو والاغارة ، فيصيب ما يمر به ، ثم يتشمر عند خوف الطلب زاحفا الى مكانه ، من غير أن يدين له أحد من غير مخلافه ، أو يؤدى اليه خراجا » (١)

وكان اكثر اشتغال الاذواء والاقبال بالتجارة ، لتوسط بلاد اليمن بين الهند والحبشة والصومال ومصر والشام والعراق ، فكانوا ينقلون التجارة بين هذه البلاد ، بعد دخولها الى جزيرة العرب بالتقوافل فى طرق خاصة . وقد ينبغ بين الاقبال أو الدوين رجل ذو مطامع أهل للسيادة العامة ، فيمد سلطته على جرائنه ويسمى نفسه ملكا ، وينظم مملكة يجعل محفده قصبته ، وتنسب المملكة اليه كما تقدم . ويتوالى الحكم فى أعقابها وأهله ، فيتألف منهم دولة يطول بقاؤها أو يقصر ، ويتسع نفوذها أو يتنصر حسب الأحوال . فنشأ على هذه الكيفية عدة دول ، لم يصلنا من أخبارها الا القليل ، ولم يعرف العرب منها الا دولة حمير . والذي بلغنا خبره من دول اليمن - بما لدينا من أسباب العلم فى الكتب أو الآثار حتى الآن - ثلاث دول رئيسية ، وهى : المينية والنسابة والحميرية ، غير الدول الصغرى

(١) الطبرى نقله ابن خلدون ٥٨ ج ٢

الدولة المعينية

تنبه العلماء الى هذه الدولة مما ذكره اليونان عنها ، قال استرابون في كلامه عن بلاد اليمن : « يشمل القسم الجنوبي من جزيرة العرب أربعة شعوب : المعينيون *Minaei* وعاصمتهم قرنا ، والسبائيون *Sabaei* وعاصمتهم مأرب ، والقنابيون *Catabani* وعاصمتهم تمنا ، والحضرموتيون وعاصمتهم شبوة » . وذكر في مكان آخر ان المعينيين يحملون التجارة الى بطرا مدينة الانباط (١) ، وذكر بلينيوس ان المعينيين يقيمون في بلاد كثيرة الغاب والأغراس ، وذكرهم ايضا ديونيسيوس وبطليموس واطروا سلطتهم وسعة تجارتهم . ولم يكن العلماء يعرفون «معين» ولا اكتشفوا انقاضها ، فذهب بعضهم الى أن المراد بلفظ *Minaei* المنانيون نسبة الى منى بقرب مكة . وقال آخرون غير ذلك ، حتى وفق المستشرق هاليغي الى ارتياد بلاد الجوف الجنوبي في شرقي صنعاء ، واكتشف انقاض معين ، وقرأ اسمها عليها بالسند ، وبجانبها براقش ، فتوجهت الانظار اليها . وبلغت النقوش الكتابية التي اكتشفها هاليغي في سفرته الى بلاد الجوف وحدها ٣٠٣ نقوش : ٧٩ نقشا في معين نفسها ، ١٥٤ في براقش بالقرب منها : و ٧٠ في السودان - وهي القرن في الآثار وكرنا أو قارنا عند اليونان . وكشف مدينة نشق ، وهي ناسكوس *Nascus* عند اليونان ، ويسمىها العرب الآن البيضاء . فذهب هاليغي - ووافق جلازر وغيره - ان معين هي البلد التي تنسب اليها تلك الأمة ، وهم المعينيون ، وان هذه المدن التي اكتشفها هاليغي في الجوف مدن معينية ، ولا سيما براقش واسمها على انقاضها « بئيل » . ويؤيد ذلك ورود اسم معين وبراقيش معا في جملة ما حفظه العرب من أسماء المحافد في الجوف . قال الهمداني في كتاب الاكليل : « محافد اليمن براقش ومعين ، وهما بأسفل جوف الرحب مقبلتان ، فمعين بين مدينة نشان وبين درب شراقة » . وفيها يقول مالك بن حريم الدلاني :

ونحى الجوف مادامت معين بأسفله مقابلة عرادا

أما براقش فقائمة في أصل جبل هيلان ، قال فروة بن مسيك :

أحل يحابر جدى عطيفا معين الملك من بين البئينا
وملكتنا براقش دون أعلى وانهم أخوتي وبنى أئينا

وقال علقمة :

وقد اسوا براقتن حين اسوا ببلقعة ومنبسط انيق
وحلوا من معين حين حلوا لعزم لدى الفج العميق (١)
وفرا هاليفي فيما اكتشفه من الآثار كثيرا من اسماء ملوك هذه الدولة
والهتها وعادات اهلها وغير ذلك ، حتى لم يبق شك في ان المعينيين ينسبون
الى هذا المكان ، وهو الراى المعول عليه الآن

ملوك معين

لم يذكر اليونان شيئا عن ملوك هذه الدولة ، ولا أوردوا أسماءهم .
ولكن المتقبين في الآثار وقفوا على أسماء كثير منهم ، وبلغ عدد الملوك الذين
عثروا على أسمائهم في انقاض الجوف بمعين وغيرها ٢٦ ملكا ، يشترك كل
بضعة منهم في اسم واحد ، ويتميزون بعضهم عن بعض بالالاقاب ، اذ كان
للكهمل نموت تفخيم ، مثل قولنا الفازي ، والقاتح ، والناصر ، والمنتصر ،
ونحو ذلك . وهذه أسماءهم الآتية مرتبة حسب تشابهها :

اب يدع	(بدون لقب)	حفن بن اب يدع	(ريام)
اب يدع	يشيع (اي المنقذ)	حفن صديق بن يشيع كرب	
اب يدع	ريام (اي السامي)	حفن ريام بن اليفع ياسر	
اليفع	(بدون لقب)	يشيع ايل	(بدون لقب)
اليفع	بفيس (اي الشهير)	يشيع ايل	صديق
اليفع	باسر (اي السعيد)	يشيع ايل	ريام
اليفع	يشيع (اي المنقذ)	خال كرب	صديق
اليفع	ريام (اي السامي)	هوفعتت بن اليفع	ريام
وقه ايل	يشيع (اي المنقذ)	معدى كرب	بن اليفع يشيع
وقه ايل	نبسط	تبع كرب	بن يشيع ايل ريام
وقه ايل	صديق (اي الصادق)	ام يشيع	بن ابو كرب
وقه ايل	ريام (اي السامي)	ابو كرب	
حفن بن اب يدع	(بدون لقب)	يشيع كرب	(الجملة ٢٦ ملكا) (٢)

وقد وجد الاستاذ مولر - بعد درس النقوش المعينية - ان الحكومة
في هذه الدولة كانت وراثية تنتقل من الاب الى الابن ، وقد يتولى الاثنان
معاً . وان ملوك هذه الدولة كانوا يعرفون في صدرها الاول بلقب «مزواد» ،
كما كان ملوك سبأ في أوائل دولتهم يسمون «مكرب» ، ولعل هذين

اللقين يتضمنان معنى الكهانة فضلا عن الحكومة ، فيكون المراد بقولهم « مزواد معين » حاكم معين وكاهنها ، قبل تحول الدولة الى الملك العضود ، مثل الباتيسي في بابل أيام الامارات الصغرى

وامتد نفوذ المعينيين في ابان دولتهم الى شواطئ البحر المتوسط ، وشواطئ خليج العجم ، وبحر العرب ، اى انها شملت كل جزيرة العرب . ولا يظهر انها كانت دولة حرب وفتح ، بل كانت دولة تجارة ، مثل دولة الفينيقيين على شواطئ سوريا ، ودولة الانباط في بطرا ، واكثر دول اليمن . وكانت طرقها التجارية ممتدة في اواسط جزيرة العرب بين تلك البحور ، وانتشرت سيادتها ومستعمراتها شمالا الى اعالي الحجاز ، بدليل ما وقعوا عليه من النقوش المعينية في العلاء قرب وادى القرى ، وفي الصفا وفي حوران وغيرها ، وسنأتى على ذلك في كلامنا عن التجارة

ومع كثرة النقوش المعينية التى عثروا عليها وقراوها ، ليس ثمة اثر تاريخي يساعد على تنسيق حوادثها او مبدا امرها ، على انهم استدلوا على قدم عهدها بالاسباب التى تقدم ذكرها . ويؤخذ من نقش اثرى قراه جلاذر (رقم ١٠٠) ان السبايين افنوا المعينيين يوم كان ملوك السبايين لا يزالون يلقون « مكرب » (١) والظاهر انهم غلبوهم على دولتهم ، وظل القوم يتعاطون اعمالهم التجارية ، فقد جاء ذكرهم مع القرين في اواسط القرن الثانى قبل الميلاد ، والسبايون يومئذ في ابان دولتهم (٢)

ويرى الاستاذ مولر ان كارنا - او قرنا التى ذكر استرابون انها قصبة المعينيين - هى عاصمتها الحديثة ، وان معين هى عاصمتها القديمة (٣)

ولغة المعينيين كثيرة الشبه باللغة السبائية (لغة حمير) وحروفهما واحدة تقريبا ، لكنها تختلف عنها اختلافا واضحا في ضمير المذكر الغائب ، فانه في المعينية « السين » بدل الهاء في السبائية وسائر اللغات السامية الا البابلية والحبشية

اصل المعينيين

المشهور في تاريخ العرب ان دول اليمن - بعد القبائل البائدة - ترجع بانسابها الى قحطان ، فاذا صح هذا على دولتى سبا وحمير فانه لا يصح على دولة معين ، لانها اقدم كثيرا من بنى قحطان . وقد جاء ذكر المعينيين في سفر الاخبار الثانى ٢٦ عدد ٧ حيث يقول : « واعانه الله (عزيا) على الفلسطينيين وعلى العرب المقيمين بجوار بعل وعلى الموئيين ». ويظهر انهم

Muller. Burg. II, 58 (٣) Glaser, Geo. II, 10 (٢) Glaser, Geo. II, 451 (١)

أقدم من ذلك كثيرا ، لانهم عثروا على امة بهذا الاسم ، ذكرت في اقدم آثار بابل بين اخبار نرام سين سنة ٣٧٥٠ ق.م على نصب عليه نفوش مسمارية جاء فيها ان نرام سين حمل على معان (في جزيرة سينا) ، وقهر ملكها معنيوم Manium (والميم للثنتين في البابلية) ، وانه اقتطع حجرة من جبالها حملها الى مدينة اكاد ، ونحت حجرا منها جعله نصبا نقش على قاعدته خبر هذا الفتح (١). وجاء ذكر هذه الامة ايضا مع امة ماليق في آثار بابل مرة أخرى سنة ٢٥٠٠ ق.م ، وقد اشرنا الى ذلك فيما تقدم

وقد يتبادر الى الذهن انهم المراد بقول المصريين القدماء « من » او « ممن » Men ، ويريدون بها امة من الشاسو عمالقة مصر في اثناء استيلائهم على وادي النيل (٢) كما ظن جلاذر ، ولكننا نستدل مما وقفنا عليه من احوالهم الاجتماعية والسياسية والدينية ، ومن أسماء رجالهم وآلهم ، ان اصلهم من عمالقة العراق بدو الآراميين ، الذين كانوا في اعالي جزيرة العرب قبل ظهور دولة حمورابي بعدة قرون . فلما ظهرت هذه الدولة في بابل ، واقتبست ديانة السومريين وشرائعهم وانظمتهم وسائر احوال اجتماعهم ، كان المينيون في جملة القبائل التي نالت حظا من ذلك كله ، وتنوع لغتهم بالحضارة وخالطة السومريين - او الاكديين - وغيرهم من سكان بين النهرين الاصليين فذهب منها الاعراب . ولم يظهر ذلك التغير في اللغة البابلية ، لانها ظلت محفوظة بالتقليد لاستخدامها في المخابرات الرسمية كما تقدم ، ولكنه ظهر في لغة التكلم

فلما ذهب دولة العرب في العراق ، نزح المينيون في جملة القبائل التي نزحت ، وقد تعودت الحضارة فلم يعد يعطى لها التجول في البادية ، فالتصمت مقرا تقيم فيه ، فنزلت اليمن وتوطنت الجوف ، وشادت القصور والمحاند ، على مثال ما عرفته في بابل . وتعاطى رجالها التجارة عملا بما تقتضيه طبيعة الاقليم ، واضطروا الى الكتابة لتدوين حساباتهم التجارية او المخابرات السياسية ، فاقتبسوا الابجدية الفينيقية ، لسهولة استعمالها وقرب تناولها بالنسبة الى الحرف المسماري ، فدوّنوا بها لغتهم ، وهي في الاصل لغة عامية بالنسبة الى لغة بابل المدونة . وتنوع تلك الابجدية بتوالي الاجيال ، حتى صارت الى الحرف المسند المشهور ، كما تولدت للاقلام الآرامية ، واخذة عنهم السبايون والاحباش - وهذه هي الابجدية الحميرية مع ما طرا على حروفها من التنوع حتى أصبح بعضها عدة اشكال :

أ	𐤀	ا	𐤁
ب	𐤂	ب	𐤃 𐤄 𐤅 𐤆 𐤇 𐤈 𐤉
ط	𐤊 𐤋 𐤌	ت	𐤎 𐤏
ع	𐤐	ث	𐤒 𐤓
خ	𐤔 𐤕 𐤖 𐤗 𐤘 𐤙	ج	𐤛 𐤜
ف	𐤞 𐤟	ح	𐤡 𐤢 𐤣
ق	𐤤	خ	𐤥 𐤦 𐤧 𐤨 𐤩
ك	𐤫 𐤬 𐤭 𐤮	د	𐤰 𐤱 𐤲 𐤳
ل	𐤴 𐤵 𐤶 𐤷	ذ	𐤹 𐤺 𐤻 𐤼 𐤽
م	𐤿 𐁀 𐁁 𐁂 𐁃 𐁄	ر	𐁅 𐁆 𐁇 𐁈 𐁉 𐁊 𐁋
ن	𐁌 𐁍 𐁎	ز	𐁏 𐁐 𐁑 𐁒
و	𐁓 𐁔 𐁕	س	𐁖 𐁗 𐁘 𐁙 𐁚
ي	𐁛	ش	𐁜 𐁝 𐁞 𐁟 𐁠 𐁡 𐁢 𐁣 𐁤 𐁥
		ص	𐁦 𐁧 𐁨 𐁩

الابجدية الحميرية أو الحرف المستند

وتنوعت اللغة أيضا ، جريا على ناموس الارتقاء ، فزادت بعدا عن لغة بابل ، لكنها ما زالت تشترك معها في علامة خاصة دون سائر اللغات السامية (الا الحبشية) نعني بها «السين» ضمير الغائب ، فانها كذلك في البابلية أيضا ، فيقولون : « بيتس » في قولنا « بيته » . والسين المذكورة دخيلة على الاصل السامي ، فلعل البابليين اقتبسوها من اللغة الطورانية (السومرية) اذ لا وجود لها في سائر اللغات السامية الا الحبشية ، كان الحبشة عمرت في الاصل من قوم نزحوا اليها من معين او لسبب آخر

وبدل على اشتراك المعنيين وبدو الآراميين في اصولهما أيضا تشابه الاسماء في الامتين ، كما بيناه في كلامنا عن الاسماء الحمورية . ويؤيد ذلك اشتراك الامتين في أسماء المعبودات واسس الاعتقادات وطرق العبادة ، فان الشبه كثير بين الديانة المعينية وديانة بدو الآراميين سكان غربي الفرات ومن تحضر منهم في اور الكلدانيين وحران ، كما سنبينه مفصلا عن كلامنا في ديانة العرب القدماء

فالعمينيون اذا صح انهم كانوا نحو الالف الرابع قبل الميلاد في جزيرة سيناء ، فالأرجح انهم جاءوا اليمن بعد نزولهم العراق واقتباسهم شيئا

من تمدن السومريين أو البابليين ودبانتهم ، مع وقوع التغيير في لسانهم ،
بتوالى الاجيال ، وسيأتى تفصيل ذلك عند كلامنا عن لغات العرب

فلما نزل المعينيون بلاد اليمن ساعدهم ذلك التمدن في التغلب على من
كان فيها قبلهم ، وما لبثوا أن امتدت سيادتهم على معظم جزيرة العرب
قبل قيام دولة سبأ باجيال . واختلف العلماء في تقدير عمر الآثار التى
عثروا عليها في اطلال هذه الدولة ، فذهب جماعة الى انها تبدأ بالقرن
الرابع عشر قبل الميلاد ، وقال آخرون بل من القرن السابع او الثامن (١) .

ووفق الباحثون في انقراض معين وغيرها من اطلال المعينيين الى العثور
على كثير من أسماء الملوك والمعبودات ، مما يؤيد أصلها البابلى

الدولة السبئية (*)

ذكر العرب سبأً ذكرًا مبهماً ، فقالوا انه حكم ٤٨٤ سنة ، ثم ملك بعده حمير (١) . يريدون بسبأ دولة سبأ ، أو أمة سبأ على اصطلاحهم في مثل هذه الحال ، ولكنهم لم يذكروا من ملوكها احداً . وقد ذكرها اليونان حوالى تاريخ الميلاد ، ولم يتعرضوا لملوكها ، وانما ذكروها في جملة الأمم الاربع التى قالوا انها أكبر أمم اليمن ، وهم : المعينيون ، والسبأيون ، والغنابيون ، والقريون . وقالوا ان عاصمتهم ماريابا «مارب» . وذكر اسنرابون كثيرا من أحوالهم الاجتماعية والاقتصادية سنأتى عليها في مكانها . وأما الدولة وملوكها فلم يتعرض لها اليونان ، والفضل في معرفتها للأثار التى قرأوها في اطلال اليمن وبعض اطلال اشور وغيرها

اصل السبائين

يقول العرب ان سبأ من قحطان ، ويسمونهم العرب المتعربة ، تميزا لهم عن العرب الذين كانوا قبلهم . ولم يقولوا لنا من أين أتوا ، ولكنهم ذكروا ان قحطان أبو اليمن كلهم ، وانهم كانوا يتكلمون غير العربية ، فلما نزلوا اليمن كان فيها العرب العاربة ، فتعلموا العربية منهم . وذهب بعضهم الى ان قحطان تعرب بقطان من أبناء سام ، ولا سبيل الى تحقيق ذلك . ولكن يؤخذ من قراءة الآثار وغيرها ان دولة سبأ تبدأ نحو القرن الثامن قبل الميلاد ، ولم يقفوا لها على خير ثابت أقدم من هذا التاريخ . ولعل تلك الامة نزلت اليمن قبل ذلك العهد ، واقامت بجوار المعينيين حينما من الدهر ، واختلطوا بهم وبغيرهم من اهل تلك الجزيرة ، واقتبسوا لغتهم وعاداتهم . وديانتهم ، وتنوسى أصلهم — كما يصيب من ينزل مصر والشام لهذا العهد ، فاذا توالى أعقابهم بضعة اجيال وتدينوا بدين البلاد عدوا من أهلها ، وان كان جدهم تركيا أو كرديا

وأقرب جيران اليمن الحبشة ، وكانت العلائق التجارية متينة بين البلدين

(*) اتينا في تعليقاتنا على ملوك سبأ وحمير بأخر أقوال المؤرخين والباحثين في تاريخ سبأ وملوكها ، ولهذا تركنا هنا الفصل على حاله اكفاء بما ذكرنا هناك

من أقدم أزمنة التاريخ ، حتى عدوا اليمن من اثيوبيا . فلا يبعد أن يكون
التحطانيون طائفة من الإحباش ، عبروا بوغاز باب المندب الى اليمن قديما ،
واقاموا فيها أجيالا ريشما تعربوا ، ثم انشأوا الدولة . ولعلمهم في الأصل
ساميون ، أو عرب نزّلوا الحبشة بطريق الصحراء الشرقية المصرية ، لأنها
كانت قسما من جزيرة العرب كما علمت . أو كان الشاسو عمالقة مصر -
لما غلبهم المصريون وطاردوهم - نزحت قبائل منهم نحو الجنوب في الصحراء
الشرقية الى الحبشة ، فاقاموا فيها أجيالا وتوالدوا هناك ، ثم نزح
بعضهم الى اليمن تدريجا لسبب من الاسباب ، وما زالوا ينقون حتى
أفضت اليهم الدولة . ويؤيد ذلك ان لفظي تبع وحمر حبشيان ، الاول
معناه « القادر » والثاني « غبش » أى معتم من لون البشرة (١)

مدا دولة سبا

ومهما يكن من أصل السبائين ، فقد ثبت انهم انشأوا في اليمن دولة
كبرى جاء ذكرها في أخبار آشور بقرميدة للملك سرجون الثانى (٧٢١ -
٧٠٥ ق.م) ذكر فيها الأمم التى تؤدى اليه الجزية ، وفي جعلتها فرعون
ملك مصر وشمسية ملكة العرب (عربى) ويشعر السبأى ، وأنه أسر حانو
ملك غزة كما تقدم (٢) فيدل هذا القول على وجود السبائين في بلاد العرب
في القرن الثامن قبل الميلاد . ويؤيد ذلك انهم عثروا في مأرب على نقش
جاء فيه ذكر ملك - أو غير ملك - اسمه « يشعمر » سبأى ذكره

ولكن الراجح عند العلماء اليوم أن سرجون لم يصل بفتوحه الى اليمن ،
فالظاهر أن السبائين كانوا يدفعون الجزية عن تجارتهم في شمالي جزيرة
العرب ، حتى يؤذن لهم بالمرور الى شواطئ البحر المتوسط ، وخصوصا
الى غزة لأنها فرضة تجارية قديمة

وبلغ عدد الملوك الذين قرأوا اسماءهم على آثار هذه الدولة بمأرب
وصرواح وغيرهما بضعة وثلاثين ملكا ، ويستدل من مقابلة اسمائهم والقابهم
أن السبائين تدرجوا في الحكم من الإمارة البسيطة أو الكهانة الى الملك
الواسع ، ولا يراد بسعة الملك انهم دوخوا البلاد كما فعل اليونان والرومان ،
أر كما فعل عرب الحجاز بعد الاسلام ، لأن سبا ليست دولة فتح بل هى
دولة قوافل وتجارة ، ولا تجد للحرب أو الفتح ذكرا في آثارها ، الا قليلا ،
خلافا للأشوريين والمصريين معاصريها ، فانك لا تكاد تقرأ على آثارهم غير

قولهم : « فتحت ، وغلبت ، ضربت الجزية ، وحملت الغنمية » . وأما السبأيون فأكثر ما وصل إلينا من أخبارهم قولهم : « بنيت » ، ووقفت ، و « رمعت » . وإنما يراد بسعة ملك سبأ نشر نفوذها فيما يجاورها من المحافد أو المخالف

والظاهر أن القحطانيين قضا زمنًا طويلاً وهم من قبيل الإذواء أصحاب القصور والمحافد ، كما كان المعينون في أوائل دولتهم ، حتى إذا نبغ « سبأ » صاحب قصر صرواح شرقي صنعاء ، وكان قوياً طامعاً ، فاستولى على جيرانه . فلما اشتد ساعده أو ساعد خلفائه ، ذهبوا بدولة المعينيين فأصبحت صرواح قسبة مملكتهم ، ثم صاروا إلى مارب فقهرها

ويستدل مما قرأوه على الآثار حتى الآن أن السبأيين مروا على أربعة أطوار تتميز بالقباب ملوكها ، فكان ملكهم في الطور الأول يسمى « مكرب سبأ » ، ثم قالوا : « ملك سبأ » ، ثم « ملك سبأ وريدان » - وكان وريدان محفداً من محافدهم الكبرى ، سمي بعد ذلك ظفار - ثم قالوا : « ملك سبأ وريدان وحضرموت وأعرابها في الجبال وتهامة »

وللتوفيق بين ما وصل إليه الباحثون في الآثار المنقوشة وبين ما ذكره العرب منه في أخبار هذه الأمة ، تقسم هذه الأطوار إلى عصرين : الأول العصر السبأى الحقيقي الذى كان صاحب سبأ فيه يسمى « مكرب سبأ » ويشمل الطورين الأولين ، ونعد الدولة فيهما « الدولة السبائية الحقيقية » . والعصر الثانى الذى صارت القباب الملوك فيه « ملك سبأ وريدان » أو « ملك سبأ وريدان وحضرموت وغيرها » إلى انقضاء الدولة تسميه العصر الحميرى ، مراعاة لتسمية العرب دولة حمير

دولة سبأ الحقيقية أو العصر السبأى

من نحو سنة ٨٥٠ - ١١٥ ق م

إن أول هذه الدولة لا يستطاع تحقيقه ، وإذا اعتبرنا « يشعر » (*) الذى دفع الجزية إلى سرجون أقدم رؤسائها كان أولها في القرن الثامن قبل الميلاد ، لكننا نجد في التوراة ذكر ملكة سبأ في أيام سليمان ، أى في القرن التاسع قبل الميلاد ، فإذا كان المراد بها سبأ جزيرة العرب كانت بداية هذه الدولة أقدم من ذلك ، فنغرض أنها بدأت في أواسط القرن التاسع

أما ملوكها فقد بلغ عدد الذين وصلت إلينا أسماءهم من استنطاق الآثار

(*) أنظر عن ذلك الملك ، جواد على ، تاريخ العرب قبل الإسلام ، ج ٢ ص ١٦٤ وما بعدها

٢٧ ، منهم ١٥ مكربا و ١٢ ملكا ، وهذه أسماءهم بحسب تعاقبهم باعتبار التوارث . ولهم القاب خاصة بهم غير القاب الدولة المعينية ، وهى هنا خمسة : وتار (العظيم) ، وبين (المناز) ، وذرج (الشريف) ، ويوهنم (الحسن) ، وينوف (السامى) كما ترى فيما يلى :

ملوك سبا

مكارب سبا

ذمر على	يشعمر
ذرح	ذمر على
سمهلى ذرح	يدع ايل بن ذمر على
كرب ايل بن سمهلى ذرح	سمهلى ينوف بن ذمر على
الشرح بن سمهلى	كرب ايل وتار بن ذمر على
يدع ايل وتار	يشعمر بين بن سمهلى ينوف
يشعمر	سمهلى
كرب ايل وتار	يشعمر وتار بن سمهلى
يشعمر بين	يدع ايل ذرح بن سمهلى
يكرب ملك وتار	سمهلى ينوف بن يدع ايل ذرح
يدع ايل بين	يشعمر وتار بن يدع ايل ذرح
يريم امين	يدع ايل بين بن يشعمر
	سمهلى ينوف بن يشعمر
	كرب ايل بين
	ذمر على وتار بن كرب ايل (*)

فهؤلاء الكربون والملوك ، اذا اعتبرنا تعاقبهم من الآباء الى الابناء ، راينا مدتهم لا تتجاوز ٢٣ جيلا ، وبتقدير الجيل ٢٥ سنة ، وان هناك أجيالا لم تصل معرفتها الينا ، لا نبالغ اذا قدرنا سنى الدولة نحو ٧٠٠ سنة . وقد دقق جلالتى فى تحقيق الزمن الذى انتقلت فيه الدولة الى العصر الحمرى ، من مقابلة ما لديه من الاساطير المنشورة وغير المنشورة ، فترجع له ان دولة سبا الحقيقية تنتهى سنة ١١٥ ق.م (١) وبها تبتدىء دولة حمير أى « ملوك سبا وريدان » ، وسيأتى الكلام عليها

سبب انقضاء دولة سبا الحقيقية

ان هؤلاء الملوك — على كثرتهم — لم تقف حتى الآن على شيء من أخبارهم

(*) قارن هذه القائمة بقوائم ملوك سبا التى أورعها جواد على فى كتابه الاتف الدكتور ج ٢ ص ١٤٧ وما يليها

غير عنايتهم اجمالا بالتجارة ، مثل اسلافهم المعينيين ، فنترك اعمالهم التفصيلية لما عساه أن يكشفه المستقبل ، وننظر في سبب انقضاء هذه الدولة . والمشهور عند كتاب العرب أن سبب انقضائها - وهم يعنون انقضاء دولة حمير - انفجار سد مأرب (سيل العرم) ونزوح القبائل الى العراق والشام والحجاز وغيرها دفعة واحدة حوالى تاريخ الميلاد . وذلك بعيد ، اذ لا يعقل أن تعجز الدولة في ابان سطوتها عن انقضاء مثل هذا السيل ، واذا تصدع السد فلا تعجز عن ترميمه ، وسيتضح لك ذلك في الكلام عن السدود . والغالب في اعتقادنا أن دولة السبائين ذهبت تدريجا بذهاب اسباب قوتها ، لانها خلفت المعينيين في نقل التجارة بين الهند والحبشة ومصر والشام والعراق ، حتى أصبحت في القرون الاولى قبل الميلاد اكبر وسائل الاتصال بين تلك الأمم هناك . فكانت السلع والاطياب تأتي من الهند والحبشة الى شواطئ جزيرة العرب ، فينقلها السبائيون على قوافلهم الى مصر والشام والعراق . ولم يكن عالم التجارة يستغنى عنهم ، فرزت بلادهم واتسعت ثروتهم وامتدت سيادتهم الى اطراف الجزيرة شمالا وشرقا ، واحتفروا الترع وبنوا السدود وحولوا الرمال الى تربة خصبة ، وبنوا القصور والمحافد والهيكل ، وتفننوا في تزيينها وزخرفتها وشادوا حولها الاسوار واغترسوا الحدائق ، حتى صارت البادية التي يهلك سالكها من العطش الآن جنة أهلة عامرة

وما زالوا في عز وثروة ، واذا تصدع السد رمموه ، حتى اخذت طرق التجارة تتحول من البر الى البحر فأخذوا في الضعف . وكان أصحاب « ريدان » - وهى اقرب الى البحر جنوبا - قد اشتد ساعدهم ، وهم من حمير فرع السبائين ، فغلبوهم على مدينتهم أو اتحدوا معهم دولة واحدة ، كان يقيم ملوكها تارة في مأرب وطورا في ريدان (ظفار) على التوالي . ثم اقتصروا على الإقامة في ظفار ، وذلك دليل على أن لقب « ملك سبا وريدان » حدث في أواخر الدولة ، بعد أن وجهت عنايتها نحو الجنوب على اثر تداعى السد . وبالجمله ان قصة السبائين كانت قبل انشاء دولتهم صرواح ، ورئيسهم يسمى « ذو صرواح » ، فلما انشأوا الدولة بنوا مأرب - واسمها ايضا سبا - فصار كبيرهم يسمى « مكرب سبا » ، ثم صار « ملك سبا » ، وهما الطوران الاول والثاني أو العصر السبائي الحقيقي ، ثم صارت القبايم « ملك سبا وريدان » ، ثم « ملك سبا وريدان وحضرموت الخ » - وهو العصر الحميري

دولة حمير أو العصر الحميري

من سنة ١١٥ ق.م - ٥٢٥ م

قد تقدم ان العصر الحميري يبدأ سنة ١١٥ ق.م ، بانتقال عاصمة السبأين الى ريدان (ظفار) والحميريون فرع من السبأين ، وحمير عند العرب ابن سبأ ، ويؤيد ذلك ان اليونان لم يذكروا الحميريين في كتبهم الى سنة ٢٠ ق.م (١) . والظاهر ان الحميريين كانوا يقيمون في ريدان قبل ذلك التاريخ بأجيال ، وهم اقبال أو اذواء ، وكبيرهم يسمى « ذو ريدان » ، حتى سنحت لهم فرصة تغلبوا بها على اخوانهم السبأين أو اتحدوا معهم في أواخر دولتهم ، فصار لقب كبيرهم « ملك سبأ وذو ريدان » ، ولما ملكوا حضرموت قيل : « ملك سبأ وريدان وحضرموت » ، ثم ملكوا غيرها ، وكلما ملكوا بلدا اضافوا اسمه الى القابهم

وتختلف دولة حمير عن دولة سبأ انها اقرب منها الى الدول الفاتحة ، فقد نبغ من ملوكها قواد فتحوا الممالك وحاربوا الفرس والاحباش وغيرهما ، وتنتهى دولة حمير بذي نواس سنة ٥٢٥ م ، فكانها حكمت ٦٤٠ سنة تقسم الى مدينتين متساويتين تقريبا ، كان ملوكها في المدة الاولى يلقبون « ملك سبأ وريدان » ، وهم ملوك الطبقة الاولى من حمير . وتنتهى هذه المدة بضم حضرموت الى القابهم ، وبضعها بتبدىء المدة الثانية ، ونسب الملك فيها « ملك سبأ وريدان وحضرموت » ، واصحابها ملوك الطبقة الثانية من حمير . وأول من نال هذا اللقب « شمر يرعش » فهو آخر ملوك الطبقة الثانية من حمير

بقى علينا النظر في من هو اول ملوك حمير ، ولا يمكننا الاعتماد في ذلك على روايات العرب لاختلاطها وتخالفها ، ولم تدلنا الآثار المنقوشة على شيء صريح بهذا الشأن ، فما لنا الا الجنوح الى الاستنتاج مما قرأناه فيها من اسماء الملوك واتسابهم وتواليهم ، وتخمين مدد حكمهم ، ولا يخفى ما في ذلك من اسباب الخطأ ، لان كثيرا من تلك الاسماء للوك تعاصروا او كانوا اخوة من اب واحد

على ان ملوك الطبقة الاولى من حمير ، الذين عثروا على اسمائهم في الآثار المنقوشة ، اقل عددا مما تقتضيه المدة التى قدروها لتلك الطبقة من دولة حمير . فاضافوا اليها اسماء وجدوها على النقود وغيرها ، فاجتمع لديهم

ما بين ٣٠ و ٤٠ اسما ، وفيهم كثيرون من المتعاصرين أو الاخوة ، وليس لاحدهم تاريخ مذكور يرجع اليه أو يقاس عليه ، فرجع الباحثون الى ما عرفه اليونان من ملوك هذه الدولة ومقارنته بما وجدوه على الآثار . وقد فعل ذلك جلانز في كتابه « الاحباش » (١) فوجد ملكين ذكرهما صاحب كتاب « الطواف حول البحر الاريتري » في اواسط القرن الاول للميلاد ، احدهما اسمه « كريبايل Charibael ملك سبا وريدان » والاخر « ايليازوس Eleazos ملك حضرموت » . ورأى من الجهة الاخرى ان بين اسماء ملوك هذه الطبقة على الآثار ملكين ، احدهما اسمه « كرب ايل » والاخر « اليعزو باليط » ، فترجع له انهما نفس الملكين اللذين ذكرهما صاحب كتاب « الطواف » ، وهما معاصران له ، أى من اهل اواسط القرن الاول للميلاد . فعمل هذا التاريخ نقطة متوسطة يقاس عليها ويقابل بها ، فتوصل الى تحقيق ازمة عدة ملوك من الطبقة الاولى الحميرية ، فأضغناها الى ما حققه في جغرافيته (٢) ووصلنا بينهما بما استنتجناه من مطالعائنا الخصوصية ، وفي جملتها اننا عثرنا على ملك عربي ذكره استرابون في أثناء كلامه عن حملة اليوس غالوس على بلاد اليمن وسماه Elisaros اليزاروس ، يشبه ان يكون محرفا عن « البشرح » ، وبوأق ذلك ورود هذا الاسم لملك تولى سبا نحو ذلك الزمن ، أى في أثناء تلك الحملة قبيل تاريخ الميلاد . فرتبنا ملوك حمير بحسب مدد حكمهم وتعاقبهم ، كما في الجدولين الآتيين كل جدول لطبقة (٣)

(١) Glaser, Geo. II, 542 (٢) Glaser, ABB. 33

(٣) سبق أن أوردنا فيما سبق تاريخ التطور السياسي لدولة سبا - وبني أن نضيف أن آخر الأبحاث دلت على أن العهد الاول من تاريخ سبا ، الذي كان ملوكها يطلقون فيه بملوك سبا فقط ، ينتهى سنة ١١٥ قبل الميلاد ، ثم استولوا على ريدان واتسعت مملكتهم وأصبح ملوكها يسمون بملوك سبا وذوى ريدان ، واستمر ذلك حتى سنة ٣٠٠ بعد الميلاد ، ثم اتسعت رقعة مملكتهم فسميت حضرموت ويمنات، وانتقلت العاصمة الى ظفار وأصبح الملوك يسمون (ملوك سبا وذوى ريدان وحضرموت ويمنات) ثم غلب اسم يمنات على المملكة كلها وأصبح ما جنوبى عسير من جزيرة العرب يسمى يمنات أو اليمن ولم يتم هذا التوسع الا بعد حروب طويلة بين ملوك سبا ورؤساء النواحي التى ضبوها الى بلادهم بالتدريج ، وهذه الحروب المستمرة هي التى أدت الى ضعف البلاد بصفة عامة ، وصرفت ملوكها عن العناية بالسدود مما أدى الى تهدمها ، وهى التى جرت الاحباش ثم الفرس على غزو البلاد على ما هو معروف

وقد تعاقبت على العرش أسر مختلفة اولاما من ناحية سبا ، وقد استمر رؤساء ريدان وحمير ينازعونها العرش حتى غلبوها عليه فى آخر أيام عليهما نهبان ، وصارت رئاسة المملكة للملك من أصل حميرى ، وغلب اسم حمير على المملكة من ذلك الحين

أما قوائم ملوك حمير بطبقتهم التى يوردها المؤلف فقد حققها جواد على فى كتابه الانف الذكر (ج ٢ ص ٢٢٦ وما يليها) ، وقد أورد قوائمه تختلف بعض الشيء عما أوردته جرجى زيدان ، ولكنه رغم دراسته المستبجرة لكل ملك وما أثر عنه من تفصؤ لم ينته الى قول قاطع فى اسمائهم أو ترتيبها أو الاعمال التى تنسب الى كل منهم ، ولهذا رأينا أن ندفع قائمتى المؤلف كما هما حتى ينتهى البحث الى رأى حاسم فى الموضوع

الطبقة الاولى من ملوك حمير

ملوك سبا وفو ريدان

من سنة ١١٥ ق م - ٢٧٥ ب م

اسم الملك	مدة الحكم
علهان نهقان	١١٥ - ٨٠ ق م
شعرا وتار بن علهان نهقان	٨٠ - ٥٠ ق م
بريم ايمن بن علهان نهقان	
فرع ينهب	٥٠ - ٣٥ ق م
اليشرح يخضب Elisaros وابنه يزل بين	٣٥ - ١٥ ق م
اليشرح يحمل بن يزل بين	١٥ - ٥ ق م
وتار	٥ - ٣٥ ب م
كرب ايل وتار يوهنعم (وهو Charibael برييلوس)	٣٥ - ٧٠ ب م
ذمر على ذرح بن كرب ايل	٧٠ - ٩٥ ب م
هلك امير بن كرب ايل	٩٥ - ١٢٠ ب م
ذمر على بين	١٢٠ - ١٤٥ ب م
وهب ايل بحز	١٤٥ - ١٧٠ ب م
١ ملوك مجهولون)	١٧٠ - ٢٥٠ ب م
ياسر انعم	٢٥٠ - ٢٧٥ ب م

الطبقة الثانية من ملوك حمير

ملوك سبا وريدان وحضرموت وغيرها من سنة ٢٧٥ - ٥٢٥ م

اسم الملك	مدة الحكم
شمر يرعش	٢٧٥ - ٣٠٠ ب م
ذر القرنين او افريقس (الصعب)	٣٠٠ - ٣٢٠ ب م
عمرو زوج بلقيس	٣٢٠ - ٣٣٠ ب م
بلقيس وتسمى الفارعة	٣٣٠ - ٣٤٥ ب م
الهدهاد اخوها	٣٤٥ - ٣٧٤ ب م
ملكيكرب يوهنعم (ينعم)	٣٧٤ - ٣٨٥ ب م
ابو كرب اسعد بن ملكيكرب	٣٨٥ - ٤٢٠ ب م
حسان بن اسعد	٤٢٠ - ٤٢٥ ب م
شرحبيل يعفر بن اسعد	٤٢٥ - ٤٥٥ ب م
شرحبيل ينوف	٤٥٥ - ٤٧٠ ب م

اسم الملك	مدة الحكم
معدى كرب ينعم وأبنة لحيمة	٤٧٠ - ٤٩٥ ب م
مرثد اللات ينوف	٤٩٥ - ٥١٥ ب م
ذر نواس (ويسميه اليونان دميانوس) (١)	٥١٥ - ٥٢٥ ب م
ذو جدن (لم يكن له حكم)	٥٢٥ - ٥٣٣ ب م

فترى ان هذا الجدول يخالف ما ذكره العرب من بعض الوجوه ، ولكنه اقرب الى الصواب لانه مبنى على التحقيق ومقابلة ما كتبه العرب واليونان وما نقش على الآثار . ولعل السبب في زيادة عدد ملوك حمير عند العرب عما أثبتناه هنا انهم ادخلوا في عداد أولئك الملوك اقبالا أو اذواء اشتهروا في اثناء تلك الدولة ، فحسبوه منها وادخلوهم في عداد ملوكها

وإذا امعنت النظر رأيت الطبقة الثانية من ملوك حمير تقابل دولة انتبابعة في كتب العرب . لان العرب يشترطون في التنبابعة أن تكون حصرموت والشحر في سلطنتهم (٢) وهذا هو الواقع في ملوك الطبقة الثانية كما رأيت . أما الأولى فتقابل ما قبل التنبابعة عند العرب ، وإن اختلفت الاسماء والازمنة ، ويسمونهم حمير وعاصمتهم ظفار

اعمال دولة حمير

لا مشاحة في ان هذه الدولة أقرب الى الدول الفاتحة من دولتي سبا ومعين سابقتها ، ولكن العرب بالقوا في وصف فتوحها الى مايفوق طور التصديق . وليس لدينا من اخبار الفتح غير ما كتبه العرب ، ولذلك فلا سبيل الى تحقيقه أو اصلاحه الا اذا كشف المنقبون آثارا أخرى فيها نصوص تاريخية يمكن الرجوع اليها في هذا الاصلاح . وأشهر ملوك حمير - على رواية العرب - شمر يهرعش . ذكروا أنه وطئ أرض العجم وفارس وخراسان وافتتح مدائنها ، وخرّب مدينة الصفد وراء جبحون ، فقالت العرب « شمر كند » أي شمر خرب ، وبني مدينة هنالك سميت باسمه وعربها العرب فصارَت سمرقند ، وقال بعضهم انه ملك بلاد الروم (٣) . هذا ما رواه العرب ، ولا نقول انه مستحيل على ملك عربي ، فان العرب اتوا ما هو اعظم من ذلك كثيرا ، ولكننا نستبعد حدوثه لاننا لا نجد في تواريخ الأمم المعاصرة ما يؤيده ، فان مثل هذه الفتوح لو وقعت لا يعقل أن يهمل ذكرها ملوك العراق وخراسان والترك والروى وغيرهم .

(١) Sharpe. 11.352 (٢) المسعودي ٢٠٨ ج ١ (٣) ابن خلدون ٥٢ ج ٢

ومن مشاهيرهم افريقس ذو القرنين ، ويسمونه الصعب ، وهو عندهم فاتح بلاد المغرب بافريقية وناقل قبائل العرب اليها

ومنهم اسعد أبو كرب ، زعموا انه غزا اندريجان ، ولقى الترك وهزمهم ، وقتل وسبى ثم رجع الى اليمن ، وهابته الملوك وهادنه ملوك الهند ، ثم رجع لغزو الترك . وبعث ابنه حسانا الى الصفد ، وابنه يعفر الى الروم ، وابن اخيه شعر ذي الجناح الى الفرس . وان شعرا لقي كيقباد ملك الفرس فهزمه ، وملك سمرقند وقتله ، وجاز الى الصين فوجد اخاه حسانا قد سبقه اليها ، فانخنا في القتل والسبى ، وانصرفا بما معهم من الفنائم الى ابيهما . وبعث ابنه يعفر الى القسطنطينية فتلقوه بالجزية والانتاة ، فسار الى رومة وحصرها ، ووقع الطاعون في عساكره فاستضعفهم الروم ، ووثبوا عليهم فقتلوه ولم يفلت منهم احد . ثم رجع الى اليمن ، وزعموا انه ترك في بلاد الصين قوما من حمير ، وانهم بها الى هذا العهد الخ (١) (ﷺ)

والقارى يدرك لأول وهلة حظ هذه الاقوال من الصحة ، اذ يتبين له بعدها عن المعقولات ، كان ابطال هذه الحوادث من الجان ، وكان الصين والهند على ساعات من اليمن ، وكان اهلها حشرات لا يستطيعون دفاعا . وناهيك بالانتاة التي وضعوها على القسطنطينية ، وحصار رومة ، والمدنتان في ابان تمدنهما ولم تعلما بهذه الفتوح

والى اسعد هذا يتسبون غزوات كثيرة واعمالا عظيمة ، منها انه غزا المدينة (يثرب) وكسا الكعبة ، وانه اول من تهود من العرب في حديث لا محل لذكره (٢) وقد يكون على اجماله صحيحا لقربه من المألوف . اما تنمة الفرائب من اخباره فهي انه عاش عمرا مضاعفا ، قال بعضهم ١٢٠ سنة ، وقال آخرون ٣٢٠ سنة

وقس على ذلك ما ينسبونه الى حسان بن تبع اسعد ، الذي ذكروا انه استباح طسما ونصر جديسا ، كما اشرنا الى ذلك في كلامنا عن هاتين الامتين . ومثله تبع بن حسان وغيره مما لا فائدة من الخوض فيه

(١) ابن خلدون ٥٣ ج ٢

(ﷺ) اسمه في النصوص اب كرب اسعد ، وذكره بعض مؤرخي العرب باسم اسعد كامل تبع ، وينسبون الى انه اول من تهود ونشر اليهودية بين اهل اليمن من التبابعة ، ولم تثبت النصوص ذلك . وانما دلت على ان الحميريين في ايامه كانوا يتميدون لاله واحد يسمى ذو سموت ، اى اله السماء وقد حكم فيها بين سنتي ٤٠٠ و ٤١٥ او ٤٢٠ بعد الميلاد ، وهو الذي اضاف الى لقب « ملك سبأ » ذو ريدان وخضرموت وبنات « عبارة » « اعريهو طودم وتهتم » اى « اعزها في الجبال ولى تهامة » . وخلفه ابنه حسان يهامن

انظر : جواد على : العرب قبل الاسلام ، ج ٣ ص ١٥٤ وما بعدها

(٢) ابن خلدون ٥٤ ج ٢

العصر الحبشى فى اليمن

الاجباش واليمن

لا يعرف العرب من سيادة الاجباش على اليمن الا فتحها ، فى ايام ذى نواس باوائل القرن السادس للميلاد ، وقلما ذكروا علاقة بين الاملتين قبل ذلك . والواقع ان العلائق بين البلدين قديمة جدا ، والقدماء يعنون اليمن والحبشة بلدا واحدا ، حتى ذهب سالت وريتر وغيرهما من علماء التاريخ ان الحبشة مهد الساميين واصل منبتهم (١) . وقد اشرنا الى ذلك قبل . ويذهب آخرون الى ان الاجباش عرب ، هاجروا من اليمن الى الحبشة قبل زمن التاريخ ، استدلووا على ذلك من تشابه اللسانين الحبشى والحميرى ، واحرف الكتابة تكاد تكون واحدة عندهما

وقد رايت اننا نعد دولة سبا حبشية المنبت ، نزع اباؤها من اليمن قبل الميلاد بعدة قرون ، وظلت العلاقات متبادلة بين البلدين بعد ذلك . وقد استدلووا من اثر سياتى ذكره ، عثر عليه الرحالة بنت Bennet فى « بحا » بالحبشة ، انه كتب فى القرن السادس قبل الميلاد (٢) وصاحب ذلك الاثر من مهاجرى اليمن الى الحبشة - كل ذلك من قبيل الظنون التى لم تتأيد بالنصوص التاريخية المدونة فى الكتب او المنقوشة على الاحجار ، ولعلمهم يعثرون فى المستقبل على ما يؤيدها او ينقضها

على اننا نستفيد من كتب اليونان والسرمان وغيرهم ، ان الاجباش اخذوا يستخفون بالحميريين ويطعمون فى بلادهم من اوائل النصرانية ، على اثر تضعضع السبايين وذهاب دولتهم وتفرق كلمتهم ، والاجباش يؤمئذ فى ابان سطوتهم وعاصمتهم « اكسوم » . والمظنون ان جماعة من الاجباش احتلوا شواطئ اليمن الجنوبية عند مهرا ، فى القرن الاول قبل الميلاد ، ومعهم الجند يترقبون فرصة بثبون بها على الحميريين ، كان لهم عليهم ثارا او لعلهم فعلوا ذلك طمعا فى ثروة تلك البلاد ومعادنها ، او للاستئثار بما تبقى من تجارتها ، وقد اتبجح لهم ذلك فى اوائل النصرانية

واقدم اخبارهم الصحيحة فى هذا الشأن ان نجاشيا (٣) حمل على شواطئ اليمن فى اوائل القرن الثانى للميلاد (٤) فراوا ذلك على اثر منقوش فى ادوليس (زبلع) . ويؤخذ من مصادر اخرى ان نجاشيا آخر حمل عليها فى اواخر القرن الثالث ، ففتح بعض اليمن وبعض تهامة وسهل العلاقات

Glaser, Abb. 13 (٢) Renan, I. 306 (١)

Muller, Burg. II. 33 (٤) النجاشى تعريب نجوس بالحبشة اى ملك (٣)

التجارية بينهما ، فتعاون الحميريون عليه وغلبوه على ما في يديه وأخرجوه من بلادهم . ولم تمض خمسون سنة أخرى حتى عاد الاحباش ، ولم يمتنعهم ما فتحوه حديثا فاكسحوا اليمن كلها ، وذكروا خبر ذلك الفتح على آثارهم ونقشوا أسماءهم على أبنية اكسوم باليونانية ولقبوا انفسهم « ملك اكسوم وحمير وريدان وأثيوبيا وسبأ وزيلع وغيرها » . وعثر المنقبون على اثر باللغة الحبشية نحو ذلك الزمن تسمى به ملك الحبشة « ملك اكسوم وحمير وريدان وسلحين » (١)

وتوالت الوقائع بين الاحباش وحمير في أواسط القرن الرابع للميلاد ، جرت فيها معارك كانت الحرب فيها سجالا . وممن واقف الحميريين من ملوك الاحباش ملك اسمه « العلى اسكندى » حارب الهداه ملك حمير سنة ٣٤٠ م ، وخلفه العلى عميدة (حكم من سنة ٣٤٠ - ٣٤٨ م) حارب الهدهاد وبلقيس ، وفتح اليمن سنة ٣٤٥ بمساعدة قيصر الروم قسطنطيوس رغبة في نشر النصرانية ، وكانت قد دخلت الحبشة من عهد قريب على يد كاهن رومى اسمه فرومنتوس ، وسموه اسقفا عليها سنة ٣٥٤ في اكسوم وتولى الحبشة واليمن بعد العلى عميدة اولاده ، وهم عيزاناس (اذينة) حكم من سنة ٣٤٨ - ٣٦٥ م ، وسازاناس (شاذان) من ٣٥٠ - ٣٧٤ م (٢) وهو آخر من تولى اليمن من هذه العائلة ، فعادت الى اصحابها الحميريين ، وتولاها ملكيكر بيوهنم سنة ٣٧٤ . وما زالت في قبضة الحميريين حتى فتحها الاحباش المرة الأخيرة سنة ٥٢٥ التي عرفها العرب وذكروها

فتح الاحباش الاخير

١ - ما يقوله العرب عنه

اختلف الرواة في سبب هذا الفتح ، فالعرب ينسبونه الى اضطهاد اليهود للنصارى ، وكانت اليهودية قد دخلت اليمن على يد أحد ملوك حمير ، ورغب الناس فيها فانتشرت في اليمن كلها ، وكانت دولة الروم قد تنصر قيصرتها واخذوا يهتمون بنشرها وتأييدها ، ويستعينون بها على نشر نفوذهم وتوسيع دائرة تجارتهم ، فأرسل بعضهم فرومنتوس الذي ذكرناه الى الحبشة فنشر النصرانية فيها ، ثم أخذت تسرب الى جزيرة العرب وخصوصا نجران وعدن ، وأرسلوا اليهما الكهنة والرهبان ، وبنوا في نجران مزارا أو حجا عرف بكعبة نجران ، فيه القسيسون والرهبان

وافضت حكومة حمير في اوائل القرن السادس للميلاد الى ملك منهم اسمه ذو نواس ، والروم يسمونه دميانوس ، كان شديد التعصب لليهودية ، فغزا اهل نجران فحصرهم ، ثم انه ظفر بهم فخذل لهم الاخاذيد ، وعرض عليهم اليهودية فامتنعوا فحرقهم في النار ، وحرق الابجيل وهدم بيعتهم ، ثم انصرف الى اليمن . وافلت منه رجل اسمه دوس ثعلبان على فرس ركضه حتى اعجزهم في الرمل ، ومضى الى قيصر الروم يستغيثه ويخبره بما صنع ذو نواس بنجران واهلها ، فاعتذر القيصر بعد الشقة ، ولكنه كتب الى ملك الحبشة يحرضه على نصرته وفتح اليمن . فلما وصل كتاب القيصر الى النجاشي امر احد قواده المسمى ارباط ان يخرج معه فينصره ، فخرج ارباط في سبعين الفا من الحبشة ، وقود على جنده قوادا من رؤسائهم ، واقبل وفي جيشه عدد من الفيلة ، وكان معه ابرهة ابن الصباح . وكان في عهد ملك الحبشة الى ارباط : « اذا دخلت اليمن فاقتل ثلث رجالها واخرب ثلث بلادها وابعث الى ثلث نساائها » ، فخرج ارباط في الجنود فحملهم في السفن في البحر ، وعبر بهم حتى ورد اليمن ، وقد قدم مقدمات الحبشة ، فرأى اهل اليمن جندا كثيرا . فلما تلاحقوا قام ارباط في جنده خطيبا فقال : « يا معشر الحبشة ، قد علمتم انكم لن ترجعوا الى بلادكم ابدا . هذا البحر بين ايديكم : ان دخلتموه غرقتم ، وان سلكنم البر هلكتم ، واتخذكم العرب عبيدا . وليس لكم الا الصبر حتى تموتوا او تقتلوا عدوكم » فجمع ذو نواس جمعا كثيرا ، ثم سار اليهم فاقتتلوا قتالا شديدا ، فكانت الدولة للحبشة . فظفر ارباط وقتل اصحاب ذي نواس ، وانهزموا في كل وجه . فلما تخوف ذو نواس ان يؤسر ، ركض فرسه واستعرض به البحر وقال : « الموت في البحر احسن من الاسر » ، ثم اقحم فرسه لجة البحر فمضى به فرسه ، وكان آخر العهد به . ثم خرج اليهم ذو جدن الهمداني في قومه فتناوشهم ، وتفرقت عنه همدان ، فلما تخوف على نفسه قال : « ما الامر الا ما صنع ذو نواس » ، فاقحم فرسه البحر فكان آخر العهد به . ودخل ارباط اليمن ، فقتل ثلثا وبعث ثلث السبي الى ملك الحبشة وخرب ثلثا ، وملك اليمن وقتل اهلها وهدم حصونها (١٤)

(١٤) اوجزت فيما سبق الكلام عن علاقة الاحباش باليمن ، وبقي ان نضيف هنا ان ذا نواس يعرف في النصوص النصرانية باسم Dmianos و Damnos و Dimnus و Damian ومصروق، ويرى جواد علي (وغيره) ان دميانوس هو ذو نواس . وتذهب الروايات الحبشية واليونانية الى انه لم يقتل نفسه، بل امره الاحباش وقتلوه . وقد نصب ملك الحبشة بعد موته ذي نواس رجلا اسمه السيفيع اشوع Esimiphaeus حاكما على اليمن . وكان يمتينا نصرانيا ، وحكم اليمن تايبا ملوك اكسوم

وذكر بعض مؤرخي اليونان - ومنهم يوحنا الانسوس Johannes Ephesus ان اسم ذلك الحاكم لم يكن السيفيع ، بل ابرامويس Abramios وهو ابرهة المعروف عند الاشعباريين

ذلك ما يرويه العرب عن أسباب الفتح ، وأما اليونان فينسبونه الى سبب تجارى مالى ، وذلك ان البعثيين لما تضعضت احوالهم ، بتقهقر دولتهم وخروج مقاليد التجارة من ايديهم ، كان الروم قد اخذوا ينشرون نفوذهم في الشرق بواسطة النصرانية ، وتيسر لتجارهم المرور في بلاد اليمن بين خليج العجم والبحر الاحمر ، يحملون تجارة الهند الى الحبشة ثم الى مصر ، والعرب يشق ذلك عليهم ولا حيلة لهم في منعهم ، فجعلوا يضائقونهم في تسيارهم

واراد الفرس في أثناء ذلك ان يعرقلوا مساعى الروم ، اعدائهم القدماء ، في متاجرهم عن طريق جزيرة العرب ، فنزل جند منهم بشواطىء خليج العجم من جزيرة العرب ، فأرسل القيصر جوستين الى بنى حمير ان يردوا الفرس عنهم ، ويعت من الجهة الاخرى الى الاحباش ان يأخذوا بيد تجار الروم في ذلك السبيل . وكذلك فعل جوستينيان لما تولى (١) ولم يطل عهد الوفاق ،

فعاد العرب الى معارضة قوافل الروم - قال ثيوفانس : « وانفق في اوائل القرن السادس ان الحميريين تعدوا على تجار الروم ، في أثناء اجتيازهم اليمن بتجارهم الهندية ، وقتلوا جماعة منهم ، فتوقفت حركة التجارة ، فشق ذلك على الاحباش فتجنبدوا لفتح الطريق ، وقطعوا البحر الاحمر تحت راية ملكهم هداد ، وحاربوا الحميريين فقتلوا ملكهم دميانوس (ذى نواس) وجددوا المعاهدة مع قيصر القسطنطينية جستنيان على شرط ان ينتصر أهل اكسوم ، وأرسلوا الى الاسكندرية وفدا يطلبون قسيما بعمدهم ويعلمهم ، فأرسل اليهم رجلا تقياً عاقلاً اسمه يوحنا ، صار بعدئذ أسقفاً على اكسوم (٢)

وبعد ان اقتصر الاحباش من الحميريين انسحبوا الى بلادهم ، فعاد الحميريون الى ما كانوا عليه وعادت التجارة الى الانقطاع . فعاد اليبساس (*) ملك الحبشة الكرة ، وفتح بلاد اليمن فتحاً بحملة كبيرة

== المسلمين - والاراء مختلفة في امر أبرهة . فمن قائل ان ملك الحبشة لم يقه ملكاً على اليبس . وأما اقام « ارباط ابا صحم » فساء السيرة ، فثار عليه أبرهة وقتله وتولى الامر . ومن قائل ان المكس هو الصحيح ، وان ملك الحبشة اقام أبرهة على ان يؤدى له جزية سنوية ، ثم قطعها فأرسل اليه ملك الحبشة جيشاً بقيادة ارباط . وتكثرت أبرهة من التغلب على ارباط واسترعى ملك الحبشة فاقره على حكمها ، فأقام فيها وتزوج امرأةً من نساءها من زوجها أبى مرة بن ذى رزن ، ذى جن فولدت له ابناً يسمى مسروق وبنتاً تسمى بسباسه ، وخلفه على العرش ابنه الأكبر يكسوم ثم ابنه الثانى مسروق

Sharpe, II. 352 (٢)

Sharpe, II. 353 (١)

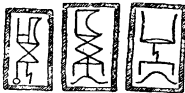
(*) اليبساس المشار اليه هنا هو Hellestheasens او Elisbahay على ما ذكره الاسم ملك الحبشة الذى عين أبرهة حاكماً على الحبشة . وينحى جواد على ان ذلك الاسم تحريف لاسم Ela-Asbah الحبشى وذلك بعيد في رأينا . لان هذا الاسم الاخير هو الذى يطلق على أبرهة فيسمى أبرهة الصباح . وربما جاز تفسير جواد على اعتبار ان أصل اسم أبرهة الصباح شيء في معنى أبرهة عامل الصباح انظر : جواد على . نفس المصدر ، ج ٢ ص ١٦٠ وما بعدها

حارب بها الحميريين ، وغلبهم على بلادهم وولى عليها اميرا مسيحيا من امرائه اسمه اسيمافىوس (السميع) وأوعز اليه ان يحمل أهلها على النصرانية ، استنجادا بالدين على السياسة ، واستعان بأسقف اسمه جريجنطوس كان خطيبا مغوها وعالما كبيرا على ان يبذل جهده في هذا السبيل . وعقد مجلسا جمع فيه بين هذا الاسقف وحبر يهودى اسمه هريان وأمرهما بالمناقشة في الدين ، فتناقشا وكتب الاسقف بعد ذلك كتابا نسب فيه الفوز لنفسه ، وذكر أعجوبة حدثت في أثناء الجدل عمى بها كل الحاضرين من اليهود ، فصى الاسقف والتمس شفاهم فعادت اليهم ابصارهم فأفحموا وتنصروا . ولم يطل حكم اسيمافىوس على حمير ، لأنهم ثاروا عليه وخلعوه فأرسل اليسابنس جندا لاختصاصهم ، فانضم الجند الى العصاة فلما يس الملك من اذلالهم قنع بعقد الصلح بينه وبينهم (١)

تلك هى اقوال اليونان عن اسباب ذلك الفتح ، ولعلها اقرب الى الواقع لأنها مأخوذة عن مصادر كتبها أصحاب الشأن المعاصرون

وعثر الضابط ولستد في شواطئ اليمن على مرتفع اسمه حصن غراب ، أو حصن الغراب ، عليه نقوش بالحميرية قراها المستشرقون بعد ذلك فاذاعوا فحواها : « ان سميع اشوى وأولاده ... نقشوا هذا التذكار في حصن مويجت (حصن غراب) لما رمعوا أسوارهم وزواياهم ودروبهم في الجبال ، وتحصنوا فيه بعد ان فتحوا الحشة وغلبوا أهلها ، وفتحوا طريق التجارة في ارض حمير وقتلوا ملكها وأقباله الحميريين والارحبيين في شهر حجتين سنة ٦٤٠ » (٢) . فاذا كان المراد بالسميع وأولاده قواد حملة الاجباش فيكون ذلك اقرب الى ما ذكره اليونان ، لأن السميع يشبه لفظ اسيمافىوس المتقدم ذكره

لكنهم قراوا على آثار اليمن اسم القائد الحبشى كما ذكره العرب « ابرهة » مكتوبا في خرطوش بالخط الحميرى ، كما كان الفراغة يكتبون أسماءهم ، وبجانب اسم ابرهة خرطوش باسم اراحيس زبيمان ، الملك الذى أرسله وللتوفيق بين الروایتين ينبغي ان



خرطوش ابرهة و اراحيس زبيمان

نعتبر لكل من ابرهة وملكه اسمين او اسما ولقبيا ، ولعل هنالك التباسا بين قائدین او ملكين . وقد فصل العرب تمرد الاجباش المشار اليهم ، مع تبديل في الاسماء . قالوا ان بعض قواد ارباطنعموا عليه تمييز بعضهم

بالعطاء أو الضائم ، فاجتمعوا بقيادة أحدهم « ابرهة » وحاربوه ، وتولى ابرهة مبارزته وغلبه ، وتولى حمير قيادة الجند مكانه ، وظل في ذلك المنصب عشرين سنة ، وخلفه ابنه يكسوم ، ثم أخوه مسروق بن ابرهة وعمل الاحباش في اثناء حكمهم على نشر النصرانية في حمير ، فبنى ابرهة في صنعاء كنيسة كبيرة سماها « القليس » - تحريف اسم الكنيسة في اليونانية - وبالف في تزيينها واتقانها ، فنقشها بالذهب والفضة والزجاج والفسيفساء واللوان الاصباغ وصنوف الجواهر ، وجعل فيها خشبا له رؤوس كرؤوس الناس ، ولونها بأنواع الاصباغ ، وجعل على خارج القبة برنسا ، فاذا كان يوم العيد كشف البرنس فيتلالا رخامها مع اللوان الاصباغ حتى تكاد تلمع البصر . وكتب على بابها بالمسند : « بنيت هذا لك من مالك ليذكر فيه اسمك ، وأنا عبدك » (١)

دخول اليمن في حوزة الفرس

ومل الحميريون سلطة الاحباش ، وكان في امراء حمير رجل من الاذواء اسمه سيف بن ذى يزن ، استنجده قومه فسمى في اتقاذهم من سلطة ذلك الاجنبى ، وأشاروا عليه أن يستنصر قيصر الروم فاستنصره فردّه ، ففضى الى كسرى فنصره بجند تحت قيادة رجل اسمه وهرز ، فهدم الحبشة وأخرجهم واحتل مكانهم وكتب الى كسرى يقول : « انى قد ملكت للملك اليمن ، وهى أرض العرب القديمة التى تكون فيها ملوكهم » . وبعث اليه بجوهر وعنبر ومال وعود وزباد ، وهى جلود لها رائحة طيبة . فكتب اليه كسرى يأمره أن يملك سيف بن ذى يزن ويقدم هو اليه ، فخلف سييفا على اليمن . فلما خلا سيف باليمن وملكها عدا على الحبشة ، فحمل يفتل رجالها ويقتل نساءها عما في بطونهن حتى أفناها ، الا بقايا منها أهل ذلة وقلة فاتخذهم خلا . فمكث على ذلك غير كثير ، وركب يوما وتلك الحبشة معه ومعهم حراهم يسعون بها بين يديه ، حتى اذا كان وسطا منهم مالوا عليه فطعنوه حتى قتلوه (٢) . ولم يبق على الحميريين ملك حتى كان الاسلام ، ودخلوا في حوزة المسلمين . ومدة حكم الاحباش على قول العرب ٧٤ سنة : منها ٢٠ سنة لارباط ، و ٢٣ لابرهة ، و ١٩ ليكسوم ، و ١٢ لمسروق . وصارت عاصمة اليمن منذ فتحها الاحباش « صنعاء » والملك يجلس في قصر غمدان ، وقد نظم امية بن أبى الصلت قصيدة بهنىء بها سيف بن ذى يزن تغلبه - قال في مطلعها :

لا يطلب السار الا كابن ذى يزن فى البحر خيم للأعداء أحوالا

دول اليمن الصغرى

الأفيال والأفواه :

تلك دول اليمن الكبرى : من معين ، وسبأ ، وحمر . وقد عاصرتهم دول صغرى ، أو أمارات ، ورؤساؤها أصحاب القصور أو المحافذ ويعرفون بالأذواء - جمع « ذو » من قولهم ذو غمدان وذو سلحين - وهم حكام البلاد الاصليون ، ومنهم نبغ الملوك الذين أسسوا الدول كما تقدم . ولا غرو اذا عجزنا عن معرفة تاريخ تلك الامارات الصغرى ، ونحن عن معرفة تاريخ الدول الكبرى عاجزون . ولكننا وقفنا على أسماء بعضهم مشتتة في الكتب ، ورأينا بعضها مجموعا في القصيدة الحميرية ، والأذواء فيها طبقتان : طبقة سماها الملوك المشائمة ، وهم ثمانية أذواء كانوا أقوياء ناهضوا حمير في أيام دولتهم على ما يظهر . والطبقة الثانية أذواء مستقلون . والأذواء المشائمة ضمنهم الشاعر في الأبيات الآتية :

ذلوا لصرف الدهر بعد جماح	ابن المشائمة الملوك وملكهم
شجر، وذو جدن ، وذو صرواح	ذو ثعلبان ، وذو خليل ، ثم ذو
ولقد محا ذا عثكلان مح	أو ذو مفار بعد ، أو ذو جرفز

وأما سائر الأذواء فأكبرهم ذو مراند جد الناظم ، وهذا قوله فيهم :

شجر، أبو الأذواء رجب الساح	أو ذومراند، جدنا القليل بن ذى
عمران أهل مكارم أسماح	وبنوهم ذو فين ، ذو سفر، وذو
راح الحمام اليه بالروح	والقليل ذو ربيان من ابنائه
سقينا بكاس للمنون ذباح	أم ابن ذوالرمحين ، أو ذو يرحم
نوش ، وذو نوح ، وذو الأنواح	أم ابن ذو بهر، وذو يزن ، وذو
لم ينح بالأمساء والأصباح	أم ابن ذو فيقان ، أو ذو أصبح
لم يلتئم لثقف الاقداح	أم ابن ذو الشعبين أصبح صدعه
أو ذو مناح لم ينج بمراح	أو ذو حوال حيل دون مرامه
أو ذو رعين لم يغز بفلاح	أم ابن ذوغمدان ، أو ذو فائش
أضحوا وهم للثأيات أضاحي	أو ذوالكناس، وذوالكلام ويحصب
أو ذو الجناح هزير كل كفاح	أم ابن ذو أفنان ، أو ذو أقرع
دهر بعيد اليسر كالذلاح	أو ذو العبير ، وذو ذرانج خانه

أم اين ذو بينين ، أم ذو اسمر .
 أم اين ذو ثاب ، وذو هكر ، وذو
 أم اين ذو غيمان ، اوذوشودن ال
 أم اين ذو شهران ، او ذو ماور
 أم اين ذو فهد ، وشمال ابنه
 أم اين ذو شحط ، وذو تبع معا
 أم اين ذو اوسان ، او ذو ماذن
 وبنو شراحيل ، وآل شراح
 نمر ، وذو ضر ، وذو المسراح
 سلاهي بييض في النساء ملاح
 اضحت ديارهم بلا قداح
 فلقد عفاهم دهرهم بمتاح
 او ذو ملاح لهو خير ملاح
 أم اين ذو التيجان والابراج

اما الاقيال فهم صفار الملوك الذين يقتصرون على مملكة صغيرة كاللحفند
 الكبير ، او مؤلفة من بضعة قصور ، وفيهم طائفة من العياهل او الملوك
 لحضرموت وقد ذكر الحميري بعضهم بقوله :

وعياهل من حضرموت من بني
 والعز من جدن وابنا مرة
 وبنى الهزين وآل فهد منهمو
 اجماد ذى الاشبا وآل صباح
 وبنى شيب والاولى بمتاح
 من كل هش بالندي مرتاح (١)

ناهيك ببيوتات اليمن وأهل الشرف والسؤدد ، ممن لم تكن لهم دولة
 ولكنهم كانوا هم والأذواء والاقيال يعترفون بسيادة ملوك حمير أو سبأ ،
 مع استقلال كل منهم بشؤونه الداخلية ، كما كان شأن ملوك المسلمين في
 العصور الاسلامية الوسطى مع خلفاء بني العباس . أو هم كملوك الطوائف
 في الدول الكبرى (٢) فلم تخل اليمن من الأذواء حتى في ابان سيادة الدول
 الكبرى ، ولما ذهبت دولة حمير ودخلت اليمن في حوزة الاحباش ، ظل
 اولئك الأذواء او الاقيال يتصرفون بشؤون انفسهم ولهم ثروة ونفوذ ، الى
 ما بعد الاسلام بقرن وبعض القرن (٣)

الجبايون والقبائليون

هما امتان تجاريتان من امم اليمن ، لم يعرفهما العرب وانما ذكرهما
 اليونان حوالى تاريخ الميلاد في عرض كلامهم عن المعينيين والسبائين ، قال
 بلينيوس : « ان المر المعيني هو في الحقيقة غلة الجباية والحضرموتية » وكانت
 الاطياب على العموم تحمل للتجارة على ايدي الجبايين وحدهم ، فيدل ذلك
 على علاقة بينهم وبين المعينيين . ويرى جلاذر ان الجباية طائفة من المعينيين ،
 لانه وجد اسمهم بالحرف المسند مرارا بجانب اسم المعينيين ، بقرائن تدل
 على اشتراكهم في التجارة . ولم يكن الجبايون دولة ، وانما هم عشيرة او
 طائفة تمنتغل بنقل التجارة ، لها زعيم كأمير القبيلة . ويظن مولر ان الاسم
 مشتق من جبا أى جمع الاطياب ، وجاء ذكرهم مرة ، وعليهم ملك منهم ،
 وقد اشدت ساعدهم . وكانت تجارة افريقيا تنقل على يديهم ، وفرستهم

(١) Kremer, Him, Kasideh (٢) حمزة ١٢٩ (٣) اين خلدون ٢٤٢ ج ٢

التي يختزنون بها بضائعهم « عقيل » . وفي صفة جزيرة العرب للهمداني :
 « جأ مدينة الفاخر ، وهي لال الكرندى من بنى ثمامة آل حمير الأصغر » (١)
 أما القتابة فنسبتهم الى السبايين مثل نسبة الجبابة الى المعنيين .
 وظنهم سبرنجر بنى قضاة عند العرب ، وخالفه مولر وجلازير . وبرهن
 مولر انهم طائفة سبابة قائمة بنفسها ، ووجد اسمهم على الآثار بالسند
 « قتابان » ولعل سد قتاب الآتى ذكره من سدودهم . وكانوا يقيمون في
 عقيل نحو القرن الثاني قبل الميلاد ، ثم جاءهم الجبابة وأخرجوهم منها ،
 فأقاموا في تمنا ، فلحقهم الجبابة اليها وأخرجوهم منها . وكان من
 امرائهم أمير اسمه صحر ياليل بوهر جب أى المشعر ، ويظن مولر أن
 القتابة بطن من السبابة ، خرجوا من ظفار بلاد حمير ، ودخلوا في حوزة
 السبايين ، ثم نزحوا الى مأرب ، حتى تغلبت عليهم الجبابة (٢) (✽)

٣ - القريون

نسب

وذكر استرابون أمة عربية سماها جرهين Gerrhae قال انهم أغنى
 العرب ، يقتنون الرياش الفاخرة ويتمتعون بكل أسباب الرخاء والترف ،
 ويكثرون من آتية الذهب والفضة والفرش الثمينة ، ويوزنون جدران
 منازلهم بالعاج والذهب والفضة والحجارة الكريمة (٢) وقال أيضا أن
 مدينتهم جرا Gerra أو جرها ، واقعة في بقعة كثيرة الملح تبعد نحو ٢٠٠
 ستادة عن البحر . وقال اغاثر سيدس انهم أغنى أهل الأرض ، وسبب
 غناهم اتجارهم بفلال بلاد العرب والهند ، فيحملونها على القوافل الى
 الغرب ، أو يحرا الى بابل بفرصة جرا ، ولهم سفن ضخمة تسير في المحيط
 الهندى ومراكب تسير في الأنهر يصلون بها الى بابل . وقد يصعدون بها في
 دجلة الى مدينة اوبيس ، ومنها تنقل البضائع الهندية والعربية وتنتشر في
 بلاد مادي وأرمينيا وما جاورها ، وأن هذه الأمة أصلها من بابل

(١) الهمداني ٥٤

Strabon III, 382 (٣)

Müller Burg. II. 71-78 (٢)

(✽) الجبانيون يسون أيضا الجانيون ، وربما كان هنا هو الأصح في اسمهم . فقد ورد
 في النصوص اللاتينية Gebbanitae أى الجبانيين ، وذكروا أيضا أنهم كانت لهم مدن
 كثيرة مثل Timna, Thomas, Nagia وكانت مدينة كبيرة بدليل أن عدد مساكنها بلغ
 خمسة وستين ، والغالب أن الجبانيين أو الجبانيين كانوا شعبا من القتبانيين

أما القتبانيون فمصح معروف كان يسيطر على جانب كبير من التجارة اليمنية ، وكانت
 عاصمتهم « تمنع » وتطور فيها أعمال الحفر والتعقيب اليوم ، وقد قامت دولة قتباني قبل دولة
 سبا ثم تلاشت واندمجت فيها

انظر : جراد على ، نفس المصدر ، ج ٣ ص ٨ وما يليها عن القتبانيين ، و ص ٩٦ وما يليها
 عن الجبانيين

ولم يذكر العرب أمة ولا دولة ولا عشيرة بهذا الاسم . وقد ذهب المستشرقون الى انها من امم البحرين على خليج فارس ، وان « جرا » أو « جرها » هي « الجرعاء » فرضة من فرض تلك الناحية بالإحساء ، ولها ذكر في شعر العرب . ولكننا نرى ان الجرهيين هم اهل اليمامة - تحريف القرين نسبة الى « قرية » ، اسم اليمامة القديم - ويؤيد ذلك قدم سكان اليمامة وعمرانها القديم في أيام طسم وجديس كما تقدم . وفي كتب العرب ان ملك طسم كان عمليقا ، والعماليق اصلهم من بابل وهناك دول أخرى تولت بعض اقسام اليمن ، جاء ذكرها عرضا في كتب اليونان أو العرب ، لا نعرف من أخبارها شيئا نثق بصحته ، كالدولة الحضرمية التي ذكرها اليونان Chatramotitae (١) ولعلها التي يريدونها العرب بقولهم « أمة حضرموت » ، ويمدونها من العرب العاربة غير البائدة . قال ابن خلدون : « وأما حضرموت فمعدودة في العرب العاربة لقرب أزمانهم ، وليسوا من العرب البائدة لأنهم باقون في الأجيال المتأخرة . إلا انه يقال ان جمهورهم قد ذهب من بعد عصورهم الأولى ، واندرجوا في كندة وصاروا من عدادهم ، فهم بهذا الاعتبار قد هلكوا وبادوا ، والله اعلم » . ثم أتى بشيء من أخبارهم ، وذكر ملوكهم ذكرا يفتر الى تمحيص ، فاكثفينا بالإشارة إليها (٢) وقد رأيت ذكر عياهل حضرموت في القصيدة الحميرية

وقل نحو ذلك في ما ذكره العرب عن حضورا وجرهم وغيرهما ، وسيأتي ذكر جرهم في اثناء كلامنا عن الطبقة الثالثة من العرب

(١) Strabon III, 360

(٢) ابن خلدون ٢٠ ج ٢

تمدن اليمن القديم

إذا عددنا دولة حمورابي عربية - كما ترجع عندنا ، للأسباب التي ذكرناها في كلامنا عن هذه الدولة - كان العرب من اسبق الأمم الى التمدن ، لانهم انشأوا الدول ، وشادوا المدن ، ونظموا الحكومة ، وسنوا الشرائع ، وبنوا المدارس والهيكل ، ورقوا الهيئة الاجتماعية بترقية شأن المرأة منذ اربعة آلاف سنة . وقد اتينا بأمثلة من ذلك في صدر هذا الكتاب ، وتقتصر هنا على تمدن عرب اليمن الذين لا خلاف في عربيتهم . وقد رايت أنهم كانوا أهل تمدن ودولة لا تقل عن دول معاصريهم في آشور وفينيقية ومصر وفارس ، فابنوا المدن وشادوا القصور والهيكل ، وتبسطوا في العيش مثلهم ، ولكن تمدنهم لم يكن حربيا كتمدن الاشوريين والفرس والمصريين ، بل كان تجاريا كتمدن الفينيقيين . فكانوا واسطة التجارة بين الشرق والغرب والشمال والجنوب ، في عهد ذلك التمدن ، فانقطعوا لأعمالهم وتفرغوا لاستثمار أرضهم ، بغرس الحبوب ، وحفر المناجم ، واصطناع العطور والأطياب ، وركوب القوافل في القفار ، والسفن في البحار لنقل السلع . وتوالت أجيال منهم كانوا هم وحدهم تجار العالم ، كما كان اخوانهم الفينيقيون في أجيال أخرى ، وقد تعاصروا حيناً وتعاونوا على ذلك دهرًا طويلاً على أن هذا التمدن لم يرد له ذكر في كتب العرب الا قليلاً ، وإنما استنتجناه مما كتبه اليونان عن التاريخ القديم ، وما اكتشفه العلماء عن آثار المدن ، وما قرأوه على أطلالها من أخبارها . ونقسم الكلام في ذلك الى سبعة أبواب :

- ١ - النظام الاجتماعي ، ٢ - الصناعة والزراعة والتعدين ، ٣ - العمارة
- ٤ - التجارة ، ٥ - الحضارة ، ٦ - الدين ، ٧ - اللغة والكتابة

١ - النظام الاجتماعي

الدولة

لم يصل الينا شيء من أحوال الحكومة ونظامها في تمدن اليمن ، الا ما قد يستفاد من قرائن الأحوال . والظاهر أن المعينيين مؤسسى ذلك التمدن في اليمن اتوا به من بابل أو نسجوه على منوال تمدنها . فقد كانت المملكة عندهم مؤلفة من قصور أو محافد ، يملك كلا منها شيخ أو أمير هو صاحب

القصر او المحفد كما تقدم ، وفي المحفد هيكلا أو معبود . وينسب القصر الى صاحبه او الى ذلك المعبود . ونشأ من اصحاب تلك القصور او المحافد رجال طمعوا في جيرانهم واخضعوهم وانشأوا الدول الكبرى ، كالمينية والسبائية والحمرية . على ان هذه الدول كلها تجارية ، فاذا مدت سلطتها الى خارج اليمن فللاستعمار التجاري ، الا نادرا

رأس الحكومة عندهم الملك ، وهو مطلق الحكم ، لا يخرج من قصره في منرب او غيرها من قصباتهم الا نادرا . وقلما كانوا يعتنون بتنظيم الجند ، لقلة الحروب والفتوح ، الا ما يدفعون به عن انفسهم عند الحاجة ، او لحماية القوافل في اسفارها ، وانما كانوا يجمعون الرجال لاستخدامهم في بناء المدن او القصور ، او في انشاء السدود او ترميمها . وكانت الحكومة عندهم وراثية تنتقل الى الابناء او الاخوة ، الا حضرموت قبيل النصرانية ، فقد ذكر استرايون ان الملك فيها لا ينتقل من الاب الى الابن او احد اهله ، وانما هو ينتقل الى اول مولود من الاشراف ولد في اثناء حكمه ، وان من عذائهم عند الاحتفال ببسعة الملك ان يرفعوا اليه قائمة باسماء نساء الاشراف الحوامل ، فيعين لكل منهن من يخدمها ويراقب وضعها ، ليعلموا السابقة الى الوضع وهل وضعت غلاما او جارية ، فاذا كان غلاما امر الملك بمن يعتنى بتربيته واعداه للملك ، كما يربى ولاة العهد اليوم (١)

وكان للملك القاب ذكرنا امثلة منها بجانب اسمائهم ، مثل شيع وريام وصديق في الدولة المينية ، وبين وبنوف ونار في الدولة السبائية ، مثل القاب خلفاء المسلمين في صدر دولتهم كالفاروق والصديق والولى ، والقاب العباسيين كالمصور والرشيد والمأمون وغيرهم

وقد ضرب اليمنيون نقودا نقشوا عليها صور الملوك واسماءهم واسماء المدن التي ضربت فيها بالحرف المسند ، وزينوها برموز سياسية أو اجتماعية كصورة البومة أو الصقر أو رأس الثور رمز الزراعة والفلاحة ، أو صورة الهلال وهو رمز ديني عندهم . وبجانب تلك الرموز كتابة بالقلم المسند كالخراطيش . ومن هذه النقود مجموعة حسنة في المتحف الادبي في فينا (٢) ويؤخذ من صورهم على النقود التي وصلت الينا ، ان ملوك اليمن كانوا يصفرون شعورهم جدائل يرسلونها على أفقيتهم أو على جانبي رؤوسهم أو خديهم ، ويظهر أنهم لم يكونوا يرسلون لحاهم ولا شواربهم ، لاننا لم

تجد لها صورة على النقود ولا غيرها من الصور التي اكتشفوها في اليمن حتى الآن . فهم يشبهون المصريين أو الاثيوبيين من هذا القبيل ، أكثر مما يشبهون الاشوريين وتلك الآثار من بقايا الدولة السبائية أو الحميرية دون المعينية ، وذلك يؤيد قولنا ان اصل السبائين من الحبشة وكانوا يركبون الافراس أو المركبات تجرها الخيول أو الافيال ، ولا سيما بعد اختلاطهم بالاحباش على عهد الدولة الحميرية . وقد ذكر ثيوفانس خبر الوفد الذي أرسله جوستن قيصر القسطنطينية في اوائل القرن السادس للميلاد الى ملك حمير ، ورئيس الوفد اسمه يوليانوس ، قال انه رأى الملك واقفا على مركبة يجرها اربعة افيال ، وليس عليه من الالبسة الا منزر محوك بالذهب حول حقويه ، وأساور ثمينة في ذراعيه يحمل بيده ترسا ورمحين ، وحوله رجال من حاشيته وعليهم الاسلحة يتفنون باطرائه وتفخيجه . فلما وصل السفير وقدم له كتاب القيصر ، تناوله الملك وقبله ثم قبل السفير نفسه وقبل الهدايا التي حملها ، وفحوى الكتاب أن يرسل رجاله لدفع الغرس عن حدود بلاده ، ويحفظ طريق التجارة مفتوحا لتجار الاسكندرية كما تقدم ، فوجد السفير انه فاعل ذلك (١)

الامة

كانت الامة في دول اليمن مؤلفة من أربع طبقات أو طوائف : (١) الجند المسلح لحفظ النظام وحماية القلاع وجراسة القوافل (٢) الفلاحون لزراعة الارض واستغلالها ، (٣) الصناع ، (٤) التجار . ولكل طائفة حدود لا تتعداها ولا ينتقل أحد منها الى سواها

وذكر استرابون ضربا من الاشتراكية عند أولئك العرب غريبا في بابه ، فبعد ان اورد اشتراك كل عائلة بالاموال والمتاع بين أفرادها ، وان رئيسها أكبر رجالها سنا ، قال : « والزواج مشترك عندهم .. يتزوج الاخوة امرأة واحدة ، فمن دخل منهم اليها أولا ترك عصاه بالباب . والليل خاص بأكبرهم وهو شيخهم ، وقد يأتون أمهاتهم . ومن تزوج من غير عائلته عوقب بالموت . كان لأحد ملوك العرب ابنة بارعة في الجمال لها ١٥ اخا كل واحد منهم يهاواها ، حتى ملتهم واحتالت على منعهم بعض اصطنعتها تشبه عصيهم ، وكان لكل منهم عصا عليها علامته . فكانت اذا خرج أحدهم من عندها حمل عصاه ومضى ، فتضع هي مكانها العصا التي اصطنعتها على

مثالها ، فيتوهم سائر الاخوة انه لا يزال عندها . وقد بجىء احدهم يتفقد الباب ولما يرى العصا بجانبه يرجع ، فتبدل العصا الاولى بعصا مثل عصاه وهكذا . فاتفق مرة ان الاخوة كانوا جميعا في ساحة ، ورأى احدهم بيباب أخته عصا ، وليس من اخوته احد غائبا ، فظن فيها السوء فشكاها الى أبيها ، ولما اطلع على عذرها براها « . هذه حكاية استرابون ، ولم نذكرها الا لغرابيتها ولا نعلم مقدار ما فيها من الصحة

٢ - الصناعة والزراعة والتعدين

١ - الصناعة

ليست جزيرة العرب بلدا صناعيا ، وانما صناعتها تحضر بعض اصناف التجارة : كالبخور، واللبان ، والطيوب ، وغيرها ، وكان ذلك مشهورا عنها بين الامم القديمة لا يشاركها فيه احد ، قال هيرودوتس : « بلاد العرب فيها وحدها البخور، والمر، والقرفة ، والدارصيني ، واللادن ، والعرب يجنون كل هذه الاشياء تنبع جزيل ، الا المر . ولاجتناء البخور يحرقون تحت الاشجار التي تولده صمغا يسمى ميمعة ، يأتي به الفينيقيون الى الاغارقة ، فيحرقون هذا الصمغ تنفيرا لنوع من الحيات الطائرة التي تاوى الى تلك الاشجار ولا تذهب منها الا بدخان الميمعة . اما القرفة فحين يذهبون لجنيها يفلتون ابدانهم ووجوههم الا الحدق بجلود الثيران والماعز ، والقرفة تنبت في بحيرة قليلة المياه تسرح حولها حيوانات كالخفافيش تصيح صباحا هائلا وهي شديدة الاذى ، فيتقى العرب اذاها بهذه الجلود ريشا يجنون القرفة . واما الدار صيني فيجنى بطريقة اعجب من الاولى ، والعرب انفسهم لا يعرفون من اين يؤتى به . ويزعم البعض انه ينبت في البلاد التي تربى بها باخوس ، وان طيوراً تحمل عيدان الدار صيني لتبنى بها أعشاشها مع الطين ، فيجبال وعرة بعيدة عن المدن لا يستطيع الانسان الوصول اليها ، فالعرب يقال انهم يحتالون في الحصول على هذه العيدان بقطع من لحوم البقر او الحمير ، يضعونها في اقرب مكان من العش ، فيأتي الطير ويحملها الى فراخه ، وحالما يضعها في العش تثقله فيسقط ، فيتناول العرب عيدانه ويتجرون بها . اما اللادن فطريقة جنيها اعجب من هذه ، لانهم يجدونه في لحي التيوس والاعناز كالعفن الذي يتولد على الخشب ، فيدخلونه في تركيب طيوب كثيرة ، والعرب ينطبقون باللادن خصوصا . وبلاد العرب زكية الرائحة حيثما سرت . وفيها نوعان من الفم : أحدهما ذيله يزيد طوله على ثلاثة اذرع ،

إذا أرسلته انسحبت وراء الغنم وتفرح ، والنوع الآخر عرض ذبله ذراع» (١)

٢ - الزراعة

ومن قبيل الاعمال الصناعية أيضا الزراعة ، ومن يجوب بلاد العرب حتى يأتى حيث كانت مدائن معين وسبأ وحمر وغيرها من الدول القديمة ، لا يرى الا رمالا محرقة وجبالا جرداء ، فيستغرب ما يسمعه عن ثروة تلك الأمم وسعة سلطانها . والحقيقة ان تلك البادية المحرقة كانت على عهد ذلك التمدن بساتين وغياضا ، فيها الاغراس من الاشجار والرياحين والحنطة والازهار . وكانت الزراعة فى رفى حسن ، مع مشقة الترى فى بلاد لا نيل فيها ولا فرات ، وانما هى تسقى من السيول فى الشتاء . فاذا اقبل الصيف شحت المياه وبس الزرع ، فبلغ من رغبتهم فى العمارة وعلو همتهم انهم انشأوا سدودا كالجبال ، يحجزون بها المياه فى الاودية ، حتى ترتفع ويسقوا بها المرتفعات ، يصرفون الماء اليها من نوافذ حسب الحاجة ، كما يفعلون بخزانات هذه الايام . والعرب اول من انشأ الخزانات - وهى انسداد - وأعظمها سد مأرب ، وسنذكرها فى الكلام على العمارة

وبلاد سبأ ذكر استرايون انها اخصب بلاد العرب ، وذكر من محصولاتها المر ، والبخور ، والقرنفل ، والبلسم ، وسائر المطريات ، فضلا عن النخيل والغاب .. ووصف الهمداني وادى زهر باليمن - وقد شاهده شهادة عين - فذكر فيه نهرا عظيما يسقى جانبى الوادى وعليهما من الاعناب نحو عشرين نوعا ، قال : « وفيه اصناف العضاء من الخوخ الحميرى والفارسى والخلاسى والتين والبلس والكمثرى التى ليس فى الأرض مثلهما ، يقول ذلك من يفد من صنعاء من الغبراء ، والاجاص والبرقوق وانتفاخ واللوز والجوز والسفرجل والرمان »

٣ - التعدين

ومن قبيل الصناعة أيضا التعدين ، اى استخراج المعادن من بطن الارض . وقد اشتهرت بلاد العرب بمعادنها وجواهرها عند القدماء ، وان ظهر ذلك غربا الآن لتقلب الاحوال وتحول الازمان ، ولكن التاريخ اصدق شاهد على ما كان فى جزيرة العرب من الثروة فى جوفها ، فضلا عن سطحها . كان فيها كثير من مناجم الذهب والفضة والحجارة الكريمة ، وكان ذلك

من اهم اسباب طمع الفاتحين فيها في ذلك العهد ، وقد شبهها بعضهم بكتغورنيا هذا الزمان لكثرة مناجمها . واقدم هذه المناجم في بلاد مديان ، ولها شهرة واسعة في التاريخ القديم ، حتى لف بعضهم كتابا خاصة في معادنها وزهبيها وآثارها ، وذكروا كثيرا من آثار هذه المناجم ، واكتشفوا مدنا كانت آهلة لم يبق غير اطلالها (١) (*)

وذكر الهمداني في صفة جزيرة العرب ، وياقوت في معجم البلدان - وغيرهما كثيرا من مناجم الذهب ، بعضها في اليمن والبعض الآخر في اليمامة أو تهامة أو البحرين. منها معدن (أى منجم) نحب في ديار بنى كلاب ، ومنجم حنيت في تلك الديار أيضا ، ومعدن بيث في مخاليف اليمن، ومعدن قفاعة في اليمن ، ناهيك بذهب خولان الوارد ذكره في التوراة باسم حويلة

وفي اليمامة كثير من المعادن خصص لها الهمداني فصلا سماه معادن اليمامة وديار ربعة ، وهى : معدن الحسن - أو الاحسن - هو معدن ذهب غزير ، ومعدن الحفير بناحية عماية وهو معدن ذهب غزير أيضا ، ومعدن الضبيب عن يسار هضب القلب ، ومعدن الثنية - ثنية ابن عصام الباهلى، ومعدن العوسجة من أرض غنى فوقى المقرأ ببطن السرداج ، ثم معدن شمام للفضة والصفى ، ومعدن تياس ، ومعدن العقيق ، ومعدن المحجة بين المعق وبين افيعية ، ومعدن بيثة ، ومعدن الهجيرة ، ومعدن بنى سليم ، فهذه معادن نجد (٢) . وقول العرب « معدن » كذا يراد به معدن الذهب ، الا اذا عرفوه بالفضة أو الصفى (أى النحاس) أو غيرهما

وفي بلاد العرب - فضلا عن مناجم الذهب - مناجم الجواهر (المعادن) الأخرى ، كمعدن الفضة في الرضراض لا مثيل له ، ومعادن الحديد غير معمولة في تقم وحمدان ، وفيها فصوص البقران ، ويبلغ المثلث منها مالا كثيرا ، وهو أن يكون وجه أحمر فوق عرق أبيض فوق عرق أسود . والبقران الوان ، ومعدنه بجبل انس والسعوانية - من سعوان واد جنب صنعاء ، وهو فص أسود فيه عرق أبيض ، ومعدنه بشهارة وعيشان من بلد حاشد . والجشمش في شرق همدان ، والبلور يوجد في مواضع منها . والمسنى الذى يعمل منه نصب (ابدى) السكاكين يوجد في مواضع منها . والعقيق الأحمر والاصفر . وبها الجزع الموشى والسير ، منه التعمى والسعوانى والضمهرى والخولانى والجرتى . والشزب يعمل منه الألواح وصغائح وقوادم سيوف ونصف سكاكين ومداهن وغير ذلك . وليس سواه

Burton Mines. 22 & 134 (١)

(*) هذا التشبيه غريب فى العصر الذى ألف بيرتون كتابه فيه (أوائل القرن العشرين) ولم يكن أحد يعلم إذ ذاك أن فى جزيرة العرب من البترول ما يجعلها تشبه كاليفورنيا

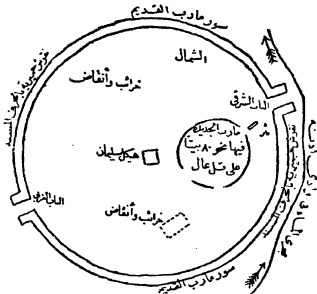
(٢) الهمداني ١٥٣

إلا في بلد الهند ، والهندي بعرق واحد (١) . فضلا عن مغاوص اللؤلؤ في البحرين وهي أشهر من أن تذكر (*)

٣ - العمارة

مدن اليمن

انشأت العرب باليمن وغيرها مدنا أكثرها اندثر ولم يبق الا خبره ، مثل مارب ومعين وبراقش وظفار وشبوة وناعط وبينون وصنعاء وغيرها ، وقد تقدم ذكر بعضها . وأصل لعمارة في مدن اليمن والقصور والحفاد ، وهي



الخريطة الثالثة - مدينة مارب أو سبا بعد خرابها

أشبه بالقلاع أو الهياكل يقيم فيها الأذواء كما تقدم . وربما احتوت المدينة الكبيرة على عدة قصور وهياكل فخمة البناء كثيرة الزينة . وقد أطرى استرابون زخرف تلك القصور وقال انها تشبه بشكلها القصور المصرية (٢) وذكر بلينيوس ان في مدينتي ناجية وتمعاء باليمن ٦٥ هيكلا ، وفي شبوة قصبة حضرموت ٦٠ هيكلا (٣)

(١) الهمداني ٢٠٢

(*) أنظر : السيد محمود شكري الالوسي : بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب (ط ٢ النافذة ١٩٢٤) ج ١ ص ٢٠٤

Glaser, Geo. II, 88 (٣)

Strabon, III, 630 (٢)

مأرب : وتسمى أيضا « سبأ » ، وهي أشهر مدائن اليمن . ويلوح لنا أن لفظها آرامي الاصل ، مركب من « ماء » و « راب » ، أي الماء الكثير أو السيل الكبير . ويؤخذ مما عثر عليه من انقاضها أنها كانت مستديرة الشكل ، قطرها نحو كيلو متر ، يحدها سور له بابان ، أحدهما شرقي والآخر غربي ، وبجانب الباب الغربي كتابة تفسرها أنه من بناء يثعمر بين ابن سمهلي بنوف مركب سبأ (١) ، وفي وسطها آثار هيكل يسميه أهل تلك الناحية الآن هيكل سليمان

وقد قال الطمحان يذكر مأرب :

أما ترى مأربا ما كان أحصنه وما حوالبه من سور وبنيان
وبذلك إشارة الى سورها المتبوع . وكان السيل في وادي اذنه يجري في شرقها كأنها في جنان وغياض . غير ما كان فيها من الابنية الضخمة من الرخام ، كقصور سلحين والهجر والقشيب . قال علقمة :

ومنا الذي دانت له الارض كلها بمأرب يبنى بالرخام ديارا

وقد شاهد الهمداني انقاض مأرب في القرن الرابع للهجرة ، فذكر في الاكليل بين تلك الانقاض اعمدة للعرش ، ولعله يريد قصر سلحين وهو القصر الذي كان يقيم فيه الملك . قال : « انها لا تزال قائمة ، ولو اجتمع جبل على ان يصرعوا واحدة منها لم يقدروا ، لان كل عمود منها تقبوا له في الصفا ، ثم اقم اسفله وصب بينه القطر » . ويسمون قصر سلحين أيضا قصر بلقيس . وقد افاض الشعراء في وصف مأرب وآثارها ، قال علقمة :

وقصر سلحين قد عفاه رب الزمان الذي يرب
تعوى الثعالب في قراها ما في مساكنها غريب
وذا تبع :

ومأرب قد نطقت بالرخام وفي سقفها الذهب الاحمر
وقال علقمة :

أو ما ترين وكل شيء للبالا سلحين خاوية كان لم تعمر (٢)

ومن مدن اليمن القديمة معين وبراقش وظفار وصنعاء ، وهذه الاخيرة لا تزال باقية الى الآن . اما معين فقد خربت وغطتها الرمال حتى خفيت عن أهل اليمن أنفسهم ، فكشفها هاليقي كما تقدم في الكلام عن دولة المعينيين ، وذكرنا ما قيل فيها وفي براقش

صنعاء : أما صنعاء فأحدث عواصم اليمن قبل الاسلام ، نزلها الاحباش بعد فتح اليمن وفيها عدة قصور أشهرها غمدان * والمدينة طيبة الهواء تغنى الشعراء في وصفها واطراء طقسها ورغدها ، قال أبو محمد اليزيدي : (١)

قلت ونفسي جم تأوها	تصبو الى اهلها وأندوها :
سقىا لصنعاء لا أرى بلدا	أوطنه الوطنون يشبهها
خفضا ولينا ولا كيهجتها	أرغد أرض عيشا وأرفهها
كانها فضة معوهة	أحسن تمويهها معوهها
كم دون صنعاء سملقا جددا	تنبو بمن رامها معوهها
أرض بها العين والظباء معا	فوضى مطافيلها وولها
كيف بها كيف وهي نازحة	مشبه تيهها ومهمها

وفي صنعاء بنى ابرهة الحبشي كما مر



الخريطة الرابعة - حرم بلقيس

وعلى نصف ساعة من مارب - نحو الشرق الشمالي - انقاض بناء عظيم يقال له « حرم بلقيس » ، وهو غير قصر بلقيس . ويظهر من بقاياه انه اهليلجى الشكل ، طوله من الشرق الى الغرب ، ومحيطه ٣٠٠ قدم ، حوله سور له بابان ، شمالي وجنوبي ، وعلى السور نقوش كتابية بالحرف المسند يستدل منها أن المكان كان هيكلا للعبادة ، منها نقش هذا تفسيره : « ان كروب ايل وتارويهنم ملك سبأ وريدان بن ذمر على بين . وهلك امير ابن كروب ايل أعاد بناء هذا الحائط لائقه (أو للمقه وهو الاله) من أجل تقديس قصر سلحين ومدينة مارب » ، ونقش آخر يمثل هذا المعنى باسم الشرح بن سمه على ذرح ملك سبأ ، وآخر باسم تبع كاهن ذات غضرن (٢) ، وعليه نقوش كثيرة غير هذه لا محل لايرادها

أما قصور اليمن فهي كثيرة جدا ، ذكر العرب عشرات منها في أشعارهم ، ووصفوا بعضها وصفا يوهم القارئ لأول وهلة انه بعيد عن الحقيقة ، لما سيق الى اذهان الناس من اعتقاد المبالغة في أقوال العرب ، ولكنه عند التأمل لا يرى فيه غرابة وان دل على فخامة وعظمة لا يبعدها الناس في العرب قبل الاسلام . وسنعول في ما ننقله من اخبارها على رجل شاهدها بنفسه ، وقد ثبت صدقه من قرائن كثيرة ، نعني الهمداني صاحب « كتاب صفة جزيرة العرب » و« كتاب الاكليل » . وهذا الاخير أجمع كتاب في وصف محافد اليمن ومساندها ودقائقها ، ولم يعثر العلماء الا على جزء صغير منه عن المستشرق موار بشره والتعليق عليه ، وفيه وصف كثير من الأثار الحميرية وفي جعلتها سد مأرب ، وكان الناس يحسبون في كلامه مبالغة ، حتى ذهب أرنو وهاليقي وجلالزر وشاهدوا آثار ذلك السد وبعض انقاض تلك القصور ، فوجدوا الرجل صادقا في ما ذكره عنها ، فاعتقدوا صدقه في سائر ما قاله ، وهو يقول ان أشهر قصور اليمن وأعجبها قصر غمدان

قصر غمدان : هو في صنعاء ، ذكر الهمداني وياقوت ان بانيه اليشرح يحصب (١) . فاذا صح قولهما كان بناؤه في القرن الاول للميلاد ، وظل باقيا الى أيام عثمان بن عفان (٢) في اوائل القرن الاول للهجرة ، فيكون قد عاش نحو ٦٢٠ سنة . وشاهد الهمداني بقاياها تلا عظيما كالجيل ، وقال في وصفه انه كان عشرين سقفا ، غرغا بعضها فوق بعض ، اى عشرين طبقة مثل أكبر ابنية العالم المتمدن واعلاها ، بين كل سققين عشرة أذرع . وقال ان بانيه لما بلغ غرفته العليا اطبق سقفا برخامة واحدة شفافة ، وكان يستلطف على فراشه في الغرفة فيمر به الطائر فيعرف الغراب من الحداة وهو تحت الرخام . وكانت على حروفه (اى أركانه) أربعة تماثيل اسود من نحاس مجوفة ، رجلا الاسد في الدار ورأسه وصدره خارجان من القصر ، وما بين فيه الى مؤخره حركات مدبرة . فاذا هبت الريح فدخلت اجواف الاسود سمع لها زئير كزئير الاسد ، وكان يصبح (اى يوقد) فيها بالقناديل فترى من رأس عجيب . وكانت غرفة الرأس العليا مجلس الملك اثني عشر ذراعا . وكان للغرفة أربعة ابواب ، قبالة : الصبا ، والدبور ، والشعال ، والجنوب ، وعند كل باب منها تمثال من نحاس ، اذا هبت الريح زار . وفيها مقبل من الساج والابنوس . وكان فيها ستور لها اجراس ، اذا ضربت الريح تلك الستور تسمع الاصوات عن بعد . وقال فيه اليشرح شعرا بالحميرية بقى منه هذا البيت :

(٢) المسعودي ٢٦١ ج ١

(١) Müller, Burg. I. 57 وياقوت ٨٦١ ج ٢

وانى انا القليل الشرح حصنك (أى حصنت) غمدان بمبهمت (١)
ومما قيل فى وصف قصر غمدان :

يسمو الى كبد السماء مصعدا عشرين سقفا سمكها لا يقصر
ومن السحاب مصعب بعمامة ومن الغمام منطى ومؤزر
متلاحكا بالقطر منه صخره والجزع بين صروحه والمرمر

قصر ناعط : ويلى غمدان فى العظمة والشهرة « ناعط » ، وهو محفد
مؤلف من عدة قصور . قال الهمدانى فى وصفه انه مصنعة بيضاء مدورة ،
منقطعة فى رأس جبل ثنين بهمدان . وضمن قصور ناعط قصر المملكة
الكبير الذى يسمى « يعرق » ، ومنها قصر ذى لوعة المكعب بكعاب خارجة
فى معازب حجارته ، على هيئة الدرق الصفار . قال : وذرعت فى معرب منه
سبعة أذرع الاثنا . وبها غير هذا القصر ما يزيد على عشرين قصرا كبارا ،
سوى اماكن الحاشية ، وكان عليها سور ملاحك (مبنى) بالصخر المنحوت ،
وما فيها قصر الا وتحتة كريف للماء (صهريج) مجوف فى الصخر فيبتلع
الماء الذى ينزل من السطح ، وفيه الاسطوانات العظيمة طول كل واحدة
نيف وعشرين ذراعا ، لا يحضن الواحدة منها الا رجلان . وفيها بقايا
مسامير حديد ، قيل انها كانت مراقى الى رؤوسها ، وانها كان ينفث عليها
الشمع اذا أرادوا الصرخة (اى الاستنجاد) فتتظفر النار من جبل سفيان
ومن جبل حضور ورأس مدع وغيرها . وفيها يقول الهمدانى ، على حد
الخبرة ورأى العين ، ويصف ما شاهده عليها من التماثيل والصور : (٢)

فمن كان ذا جهل بأيام حمير وآثارهم فى الارض فليات ناعطا
يجد عمدا تغلو القنا مرمية وكرسى رخام حولها وبلائطا
ملاحكها لا ينفذ الماء بينها ومبهومة مثل القراخ خرائطا
على كرف من تحتها ومصانع لها بسقوف السطح لبس وعابطا
ترى كل تمثال عليها وصورة سباعا ووحشا فى الصفاخ خلاطا
بجانب ما تنفض تنظر قابضا لاحدى يديه فى الجبال وباسطا
ومستغعات من عقاب وأجلد على أرتب هم ذا فراخ وقامطا
وسرب ظباء قد نهلن لمخفف وغضف ضراء قد تعلقن باسطا
وذا عقدة بين الجياد مواكبا وسامى هاد للركاب مواخطا

ويظهر ان ناعطا أقدم عهدا من غمدان ، لأن علهان نهفان أدخل فيه إصلاحا
— وهو من ملوك حمير فى أوائل القرن الثانى قبل الميلاد — فهل تقل هذه

الآثار كثيرا عن بقايا تدمر وأثينا والاقصر وبعلبك وغيرها من مفاخر الدول القديمة ؟

ريدة أو تلغم (※) : قال الهمداني : « قصر ريذة من أقدم قصور اليمن ، وهو قصر تلغم . وليس من قصور اليمن قصر في أصل جبله بشر سوى تلغم ، وماؤها أعذب مياه اليمن وأغزرها » . قال : « وحدثني بعض أهله أنه وجد حجرا في تلغم مكتوب عليه : بناء يريم » . فإذا صح ذلك كان هذا القصر من بناء أواسط القرن الاول قبل الميلاد ، لأن يريم بن عليان . وأصبح هذا القصر بعد الاسلام دارا للعلويين

مدر : هو محفد مؤلف من ١٤ قصرا ، شاهدها الهمداني وقال في وصفها : « منها ماهو مشعب ومنها ماهو عامر . أما قصرها العامر فقد دخلته ، وهو بوجوه من الحجارة البلوطية خارجة ومثله في داخله ، وقد أجرى عليه المماشق فلست ترى عليها فصلا ما بين الحجرين ، حتى لو كان داخله كرفعا للماء ماخان ولا نفذ . وفيها اعداد تلك القصور كرف للماء ، بأعمدة حجارة طوال ، مضجعة على أعمدة قيام ، بضعة عشر ذراعا مربعة . وفي مسجد مدر أساطين مما نزع من تلك القصور ، ليس في المسجد الحرام مثلها ، هي أطول منها وأكثف ، وأحسن نجرا ، كأنها مفرغة في قالب . وقبالة قصر الملك منها بلاطة مستقبلة للشرق ، عليها صورة الشمس والقمر يقابلانه إذا خرج »

صرواح (※※) : هو قصر عظيم من أقدم ابنية اليمن ، ما بين صنعاء ومأرب . ذهب قديما ، وله ذكر في اشعار العرب ، قال علقمة :

من يأمن الحسدان بعد بد ملوك صرواح ومأرب

وقال عمرو بن النعمان بن سعد بن خولان :

ابونا الذي كانت بصرواح داره وفي جبلى نعمان عز تمكنا
ونحن وورثنا عز خولان ذي الندى مآثر عز مثلها - لم يدمننا
فأورثها سعد بن خولان جدنا بنيه فضاؤها دهورا وأزمننا (١)

وقصور اليمن كثيرة ، وقد جمع أبو علكم المراني أهمها في قصيدة قال منها :

نحن القاويل والاملاك قد علمت نحن المواشي بأنا أهل غمدانا
واننا رب بينون وأضرعة والشيد من هكر ناهيك بنيانا
براقش ومعين نحن عامرها ونحن ارباب صرواح وروثانا
وناعط نحن شيدنا مخالفا وقصرها وقرى نشق ونوفانا
وتلغم اليون والقصرين من خمر وتنعمنا وقرى شرح ودعانا
والهندتين بنى ذو التاج من بتع وقصر ذى الورد تاما رأس ملحانا

(※) يكتب أيضا تلغم بالعين . انظر : الاطوس ج ١ ص ٢٠٥

(※※) يكتب أيضا صرواح بالغاء

Müller, Burg. I. 66 (١)

وصبح نحو ونجرا فوق قبتها
وفي ريام وفي التجدين من مدر
وفي ظفار بنت أباؤنا غرغا
وقصر بينون علاه وشيده
وقصر أحوراس القيل ذو يزن
وقصر سلحين علاه وشيده
فأصبحت مأرب للريح مخترقا
ساق المياه الى سد بمأربنا

بنى لنا وشباما بيت اقيانا
على النار وحف الشيد ابوانا
في كوكبان وقصر الملك ريدانا
ذوالفخر عمرو وسوى قصر غمدانا
وقصر ذي فائش ارياب قد كانا
كهلان والدنا احب بكهلانا
بعد القصور وبعد الشيد ميدانا
للجنتين مغانينا وبغيانا (١)

واكثر هذه القصور لها اوصاف اغضينا عنها خوف التطويل . غير
القصور خارج بلاد اليمن ، كقصر الشمس في اليمامة ، والبئر التي كان
يبنيها طسم وجديس وقد تقدم ذكرها في كلامنا عن هاتين الامتين . ناهيك
بما خلفوه من أماكن الحج والنسك والكهانة ، مثل كعبة نجران للنصارى ،
وريام بيت نسك كان يحج اليه الناس في رأس جبل اتوة من همدان ،
ينسب الى ريام بن نهقان وحوله مواضع كانت الوفود تحل فيها . وقدام
باب القصر حائط فيه بلاطة عليها صور الشمس والهلال ، هي من بقايا
الصابئة كما سيأتي الكلام عن الدين

هذا كله غير القلاع والمصانع ، وبعضها لا يزال قائما الى الآن ، منها
• صنعة (اى مبنى) وحاطة واسمها سباع تشابه ناعط في القصور والكرف
(اى الصهاريج) كريفا اسمع درداع مساحته ٦٠٠ ذراع في مثلها ، وقلعة
خدد معاندة لقلعة وحاطة بينهما ساعة من نهار ، وفيها قصر عظيم يقصر
عنه الوصف . وللقلعة طريقان ، على باب كل طريق ماء : فالطريق الجنوبي
عليه كريف يسمى الوفيت ، منقور في الصخر الاسود ، عمقه في الارض
خمسون ذراعا وعرضه عشرون ، وطوله خمسون ، محجوز على جوانبه
جدار يمنع السقوط فيه . والماء الثانى من شمال الحصن على باب الحصن
الثانى ، في جوبة من صفا كالبر مطوى بالبلابل ، ودرج ينزل فيه من رأس
الحصن بالسر في الليل والنهار على مسيرة ساعة حتى يؤتى الى الماء ،
ولا يعلم من يكون على باب البئر من فوق (٢)

دع عنك ما في اليمن من آثار الهمة العالية والمهارة في البناء ، من قطع
الجبال كما قطعوا باب عدن ، وهو شق في جبل محيط بموضع عدن ، في
ساحل لم يكن له طريق الى البر الا للرجل الواحد ، اذا ركب ظهر الجبل ،
فقطعوا من الجبل بابا في عرض الجبل ، حتى سلكته الدواب والحمايل
وغيرها . ومثله قطع بينون ، جبل قطعه بعض ملوك حمير ، حتى اخرج

فيه سبيلا من بلد وراءه الى ارض بينون . فهو اشبه بما ينقره اهل هذا التمدن من الاتفاق في الجبال ، لمرور المياه او قطر المسك الحديدية . ومن هذا القبيل حصن غراب ، وهو بقية قلعة منحوتة في الصخر عليها نقش بالمسند لغاتح اليمن الحبشى - ذكر فيه خبر فتحه كما تقدم . واكتشف المستشرق هريس في هران - قرب دامار - صهاريج من الماء لها آبار عميقة ، كانوا يخزنون الماء فيها للجند اثناء الحصار ، وهى التى يسميها العرب الكرف وقد ذكرنا امثالها في ناعط وغيرها

الاسداد

ومن ادلة العمارة في بلاد اليمن الاسداد ، وهى جدران ضخمة كانوا يقيمونها في عرض الاودية لحجز السيول ورفع المياه ، لرى الاراضى المرتفعة كما يفعل اهل التمدن الحديث في بناء الخزانات . وانما عمد العرب الى بناء الاسداد لقلّة المياه فى بلادهم ، مع رغبتهم فى احياء زراعتها . فلم يدعوا وادبا يمكن استثمار جانيه بالماء الا حجزوا سيله بسد ، فتكاثر الاسداد بتكاثر الاودية حتى تجاوزت المئات . وذكر الهمدانى في يحسب العلو من مخاليف اليمن وحده ثمانين سدا ، والى ذلك اشار شاعرهم بقوله :

وبالقعة الخضراء من ارض يحسب ثمانون سدا تقذف الماء سائلا

وكانوا يسمون كل سد باسم خاص به ، او بالاضافة الى بلده . فمن كبار هذه الاسداد : قصعان ، وربوان (وهو سد قتاب) وشحران ، وطمحات ، وسد عباد ، وسد لحج (وهو سد عرايس) وسد سحر ، وسد ذى شهال ، وسد ذى رعين ، وسد تقاطة (عند قرية ذى ربيع) وسد نضار وهران ، وسد الشعبانى ، وسد المليكى ، وسد النواسى ، وسد المهباد ، وباقيها لطاف . واشهر اسداد اليمن « العرم » ، وهو سد مأرب الشهير وسنعمود اليه . وسد الخائق بصعدة ، بناه نوال بن عتيك مولى سيف بن ذى يزن فى القرن السادس للميلاد ، ومظهره فى الحظفرين من رحبان ، وقد اخبره ابراهيم بن موسى العلوى بعد هدم صعدة . وسد ريعان لابن ذى ماذن ، وسد سيان . واسداد بلاد عئس ، منها : سد خيرة ، وسد بيت كلاب فى ظاهر همدان ، وآخر فى ظاهر دعان (١) وسد شبام قرب صنعاء على ثمانية فراسخ منها (٢)

ولم يقتصر بناء العرب للأسداد على ما بنوه فى جزيرة العرب ، ففى مكران وبلوخستان فى عدوة خليج فارس الشرقية آثار اسداد كثيرة لا يعرف عنها اهل تلك الناحية شيئا ، فلعل بعض العرب نزحوا الى تلك البقاع قديما وابتنوا فيها تلك الاسداد

سد مأرب أو سد العرم

هو أعظم أسداد بلاد العرب وأشهرها ، وقد كثر ذكره في أخبار العرب وأشعارهم على سبيل العبرة لما أصاب مأرب بانفجاره ، واليه أشار القرآن الكريم في سبأ بقوله :

« لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور . فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط وائل وشيء من سدس قليل . ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازى إلا الكفور . وجعلنا بينهم وبين القرى التى باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير ، سيروا فيها ليالى وأياما آمنين . فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور »

ذلك أقدم ما لدينا من خبر هذا السد ، واختلف المسلمون في تفسيره التاريخي ، ودخل خبره كثير من المبالغات والخرافات . قال بعضهم ان يانبه سبأ بن يشجب ، وقال غيرهم بناء لقمان بن عاد ، وجعله فرسخا في فرسخ ، وجعل له ثلاثين مثقبا (أى فتحة) وجعل بناءه بالصخر والقار ، يحبس سيول العيون والأمطار حتى يصرفوها من خروق في ذلك السد ، على مقدار ما يحتاجون اليه في سقيهم . قالوا : ومكث كذلك ما شاء الله أيام حمير ، فلما انحل نظام مملكتهم وتقلص ظلمهم وذهب الحفظة القائمون بأمر السد ، أنندروا بخرابه على عهد عمرو بن مزينة ملكهم . زعموا أن كهنة اسمها طريفة أندرتهم بذلك في حديث طويل (١) لا فائدة من ذكره ، جاء في جملته قصة جرذ رآوها تنقب في السد فخافوا انفجاره

واختلفوا في وقت حدوث ذلك السيل ، قال حمزة الازهراني انه حدث قبل الاسلام بأربعمائة سنة (٢) أى في القرن الثالث للميلاد . وذكر ياقوت انه وقع في ملك حبشان ، ولعله يريد الإحباش ، لأنهم لما فتحوا اليمن في القرن السادس خربوا كثيرا من قصورها وأبنيتها (٣) أو لعله أراد حسان بتصحيف اللفظ كما أراد ابن خلدون ، فقد ذكر أن السد تهدم في أيام حسان بن ثيان أسعد (في القرن الخامس للميلاد) وقال آخرون غير ذلك مما يطول بنا إيراده (٤)

(٢) حمزة ١٢٦

(١) ياقوت ٢٨٢ ح ٤

(٣) الأغاني ٧٢ ص ١٦

(٤) ذكرنا فيما سلف من تعليقاتنا بعض التواريخ النابتة الخاصة بانشاء سلسلة السدود التي تعرف بسد مأرب هذا

رواية الهمداني عن سد مأرب

وأوثق روايات العرب عن سد مأرب ما قاله الهمداني في كتاب الاكليل ، وقد شاهد انتقاضه بنفسه في اوائل القرن الرابع للهجرة ، وكان يقرأ المسند ويفهمه ، فوصف تلك الانتقاض مع تطبيقها على قول القرآن . وهذان القولان اصدق ماجاء عن خبر هذا السد ، وأكثر مطابقة لما وجدته المنقبون الذين اكتشفوا آثار ذلك الخزان في القرن الماضي - قال الهمداني : (١)

« قال الله تعالى : (لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان من يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور) وهي (أي سبأ) كثيرة العجائب ، والجنتان من يمين السد ويساره . وهما اليوم غامرتان ، والغامر العاقى ، وإنما عفتا لما اندحق السد فارتفع عن ايدي السيول . ووجدت في احدهما غريق اراك ، وفي اصله جذع نخلة اسود قد كبست باقيه السواقي ، فقال بعض من كان معي : لا اظنه الا من بقايا نخل الجنتين ، وما اظنه بقي من العصر القديم . اما مقاسم الماء من مداخر السد فيما بين الضياع فقائمة كان صانعها فرغ من عملها بالامس . ورايت بناء أحد الصدفين ، وهو الذي يخرج منه الماء ، قائما بحاله على اوثق ما يكون ولا يتغير الا ان شاء الله . وإنما وقع الكسر في العرم ، وقد بقي من العرم شيء معا يصالي الجنة اليسرى يكون عرض اسفله خمسة عشر ذراعا . قال تبارك وتعالى : « فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي اكل خمط وائل وشيء من سدر قليل » فليل الخمط الاراك ، والائل الطرفاء ، والسدر المعروف وهو العلب وبها من الاراك ما ليس ببلد . ومن الحمام الطوق في الاراك ما يجلب عن الصفة . وكان السيل يجمع من اماكن كثيرة ومواضع جمعة باليمن ، من (عروش وجانب ردمان وشرعة وذمار وجهران وكومان واسبيل وكثير من مخاليف خولا) والوادي اسمه (اذنة) ، وفي هذا السد يقول الاعشى :

كفى ذلك للعوثى اسوة	ومأرب ففى عليها العرم
رخام بنائه له حصير	اذا جاء مأوهم لم يرم
فأروى الحروث واعنابهم	على ساعة مأوهم ينقسم
فعاثوا بذلك في غبطة	فجار بهم جارف منهزم
فطار للقول وقيالها	بيهما فيها سراب يظم

وكان العرم مسندا الى حائط ما بين عضاد بالمدرع بمعاذيب من الصخر عظام ملحمة ملئ الاساس بالقطر » انتهى كلام الهمداني

وظل الناس مع ذلك في شك من أمر هذا السد ، حتى تمكن المستشرق الفرنسي اردو من الوصول الى مأرب سنة ١٨٤٣ ، وشاهد آثاره ورسم له خريطة نشرت في المجلة الآسيوية الفرنسية سنة ١٨٧٤ ، وزار مأرب بعده هاليغي وجلاز وواقفاه في قوله وصادقا على وصفه ، وهو يطابق ما قاله الهمداني من أكثر الوجوه ، وعثروا في أثناء ذلك على نقوش كتابية في خرائب السد وغيره تحققوا بها خبره . وأكثرهم اشتغالا في هذا السبيل جلاز ، وبين الاساطير التي وقف عليها اثنتان جاء فيهما خبر ترميم السد في زمن الاحباش في القرن السادس للميلاد . فيدل ذلك على انه ظل قائما الى قرب ظهور الاسلام . ولعل السبب في نسبة بنائه وتهدمه الى عصور مختلفة وأشخاص مختلفين كثرة تصدعه وترميمه ، فكانوا يعدون كل تصدع تهديما وكل ترميم بناء . وبعد ما قدمناه من اقوال المؤرخين والمنقبين بشأنه يحسن بنا الايمان على اصل وضعه وما هو عليه الآن ، ونوضح ذلك بالخريطة الخامسة

اصل وضع سد مأرب

في الجنوب الغربي من مأرب سلسلة جبال هي شعاب من جبل السراة الشهير ، تمتد مئات من الأميال نحو الشرق الشمالي . وبين هذه الجبال اودية تصب في واد كبير يعبر عنه العرب بالميزاب الشرقي ، وهو أعظم اودية الشرق تميزا له عن ميزاب مور ، أعظم اودية الغرب المتشعبة من جبل السراة المذكور . وشعاب الميزاب الشرقي كثيرة ، تتجه في مصابها ومنحدراتها نحو الشرق الشمالي . وأشهر جبالها ومواقعها في ناحية رداغ العرش وردمان وقرن ، والجبال المشرفة على سوق ، وفي ناحية ذمار بلد عتس جميعا ، وهو مخلاف واسع وبه بينون وهكر ، وفيها المحافد العنسية وبلد كومان وبلد الحدا ، وجبل اسبيل ورجمة ، وجبال بني وابش من مراد وغيرها ، ومخلاف ذي جرة وجهران وهران ، ومساقط بلد خولان من جنوبيه وما تيامن من القحف (١)

فشعاب هذه المواضع واوديتها ، اذا امطرت السماء تجمعت فيها السيول وانحدرت حتى تنتهي أخيرا الى وادي اذنة ، وهو يعلو نحو ١١٠٠ متر عن سطح البحر ، فتسير فيه المياه نحو الشرق الشمالي ، حتى تنتهي الى مكان قبل مأرب بثلاث ساعات ، هو مضيق بين جبلين يقال لكل منهما بلق ، عبرنا عن أحدهما بالايمن ، وعن الآخر باليسر ، والمسافة بينهما

أو سبأ) في الجانب الغربى أو الأيسر من وادى اذنة ، فاذا جرى السيل حاذى بابها الشرقى (راجع الخريطة الثالثة) . وبين المضيق والمدينة متنسح من الأرض تبلغ مساحة ما يحيط به من سفوح الجبال نحو ٣٠٠ ميل مربع (١) كانت جرداء قاحلة فأصبحت بعد تدبير المياه بالسد غياضا ويساتين على سفحى الجبلين ، وهى المعبر عنها بالجنتين بالشمال واليمين أو بالجنة اليمنى والجنة اليسرى

رسمه وكيف ينصرف الماء منه

والسد المشار اليه عبارة عن حائط ضخيم اقاموه في عرض الوادى ، على نحو ١٥٠ ذراعا (أو خطوة) نحو الشمال الشرقى من المضيق وسموه «العرم» ، وهو سد اصم طوله من الشرق الى الغرب نحو ثمانمائة ذراع ، وعلوه بضعة عشر ذراعا ، وعرضه ١٥٠ ذراعا . لا يزال ثلثه الغربى أو الأيمن باقيا الى الآن كما ترى في الخريطة الخامسة (ج د هـ) وأما الثلثان الباقيان فهما اللذان تفجرا وفاض الماء منهما ، وعجزت الدولة عن ترميمهما وجرفت السيول اتقاضهما . وقد تقطنا حديهما بالخارطة ليظهر امتداد السد على طوله ، كما كان في أصله بعرض الوادى . ويظهر مما شاهدوه في جزئه الباقي انه مبنى بالتراب والحجارة ، ينتهى اعلاه بسطحين مائلين على زاوية منفرجة ، تكسوهما طبقة من الحصى كالرصيف يمنع انجراف التراب



عند تدفق المياه . ولو قطعت ذلك لحائط أو السور قطعاً عرضياً لكان شكل مقطوعه على هذه الصورة :

فالعرم يقف في طريق السيل كالجبل المستعرض ويصدّه عن النبرى، فتجتمع مياهه وترتفع مثل ارتفاعها في خزان اسوان بالنيل وينتهى العرم في طرفيه بمصارف

للماء ، يختلف شكلها وأسلوبها عن مصارف خزان اسوان — وذلك ان الذين هندسوه جعلوا طرفيه عند الجبلين ابنية من حجارة ضخمة متينة ، فيها منافذ ينصرف منها الماء الى احدى الجنتين اليمنى أو اليسرى

فأنشأوا عند قاعدة الجبل الايمن (الشرق الجنوبى) ، وهو جبل بلق الايمن (بناءين بشكل المخروط المقطوع (١ و ٢) علو كل منهما بضعة عشر ذراعا سموهما الصدفين ، أحدهما (١) قائم على الجبل نفسه والاخر

(٢) الى يساره ، وبينهما فرجة عرضها خمس اقدام ، وقاعدة اليمين منهما تعلق قاعدة الايسر ثلاث اقدام (انظر رسمهما في طرف الخريطة الى اليسار) والايسر مبنى من حجارة منحوتة يمتد منه نحو الشمال والشرق جدار طوله ٤٠ ذراعا ينتهى في العرم نفسه ويندمج فيه . وعلو الجدار المذكور مثل علو الصدف ومثل علو العرم

وفي جانب كل من الصدفين المذكورين ، عند وجهيهما المتقابلين ، ميزاب يقابل ميزابا في الصدف الآخر . والميزابان مدرجان ، اى في قاع كل منهما درجات من حجارة كالسلم ، الدرجة فوق الاخرى . ونظرا لشكل الصدفين المخروطيين ، ولما يقتضيه شكل الميزاب السلمى ، اصبحت المسافة بينهما عند القاعدة اقصر منها عند القمة . وقد مثلنا الميزاب في الخريطة بشكل (ع غ) كأنك تنظر اليه بجانب الصدف

ويظهر من وضع المخروطيين او الصدفين على هذه الصورة ، ان اصحاب ذلك السد كانوا يستخدمون المسافة بينهما مصرفا يسيل منه الماء الى سفح جبل بلق اليمين فيسقى الجنة اليمنى . وانهم كانوا يغفلون المصرف بعوارض ضخمة من الخشب او الحديد ، تنزل في الميزابين عرضا ، كل عارضة في درجة ، فتكون العارضة السفلى اقصرها جميعا فوقها عارضة اطول منها فاطول الى العليا وهى اطولها جميعا . والظاهر ان تلك العوارض كانت مصنوعة على شكل تراكب فيه او تتداخل ، حتى يتألف منها باب متين يسد المصرف سدا محكما يمنع الماء من الانصراف الا عند الحاجة . فاذا بلغ الماء في علوه الى قمة الصدفين رفعوا العارضة العليا ، فيجرى الماء على ذلك العلو الى سفح الجبل فى اقلية مدة لذلك ، حيث توجد احواض لخزن الماء او توزيعها في سفح ذلك الجبل . فلا يزال الماء ينصرف حتى يهبط سطحه الى مساواة العارضة الثانية فيقف ، فمتى ارادوا ربا آخر نزعوا عارضة اخرى . وهكذا بالتدرج وعلى قدر الحاجة

وفي الطرف الايسر من العرم - وهو الغربى الذى ينتهى بالجنة اليسرى - كالحائط (س ط م) دعواته السد الايسر ، عرضه عند قاعدته ١٥ ذراعا ، وطوله نحو ٢٠٠ ذراع ، وبجانبه من اليمين مخروطان او صدقان ايمنان (٣ و ٤) أحدهما (٣) متصل بالعرم نفسه والاخر (٤) بينه وبين السد الايسر ، فيتكون من ذلك مصرفان (٦ و ٧) مثل المصرف اليمين ، لكل منهما ميزابان مدرجان متقابلان ، تنزل فيهما العوارض وتنزع حسب الحاجة لصرف الماء الى الجنة اليسرى ، وينتهى العرم من

حده الغربى بحائط منجلى الشكل (د ف) مبنى بحجارة منحوتة صلبة لعله الذى يسميه الهمداني « العضاد »

فكان السيل اذا جرى في وادي اذنة حتى تجاوز المضيق بين جبلي بلق ، صده العرم عن الجرى فيتعالى ويتحول جانب منه نحو اليسار الى السد الايسر . فاذا ارادوا رى الجنة اليمنى رفعوا من العوارض بين الصدفين الايمنين على قدر الحاجة ، واذا ارادوا رى الجنة اليسرى صرفوا الماء من المصرفين (٧ و ٨) بنفس الطريقة ، فيجرى الماء في اقنية واحواض في سفح الجبل الايسر حتى يأتى مأرب ، لاتها واقعة الى اليسار كما تقدم

من بنى هذا السد .. ومتى ؟

وقد عثر المتقنون في انقاض سد مأرب على نقوش كتابية بالحرف المسند استدلوا منها على بانيه ، أهمها نقشان : أحدهما على الصدف الايمن (١) الملاصق للجنة اليمنى تفسره : « ان يشعر بين بن سمه على ينوف مكرب سبأ خرق جبل بلق وبنى مصرف رحب لتسهيل الرى » (١) والاخر على الصدف الاخر (٢) تفسره : « ان سمه على ينوف بن ذمر على مكرب سبأ اخترق بلق وبنى رحب لتسهيل الرى » . وسمه على هذا هو والد يشعر المذكور ، وكل منهما بنى صدفا او حائطا ، وكلاهما من اهل القرن اثنامن قبل الميلاد . فهما مؤسساه ، ولم يتعكنا من اتمامه فاتمه خلفاؤهما ، وبنى كل منهما جزءا نقش اسمه عليه . فعلى المخروط او الصدف (٣) فى اليسار نقش قرأوا منه : « كرب ايل بين بن يشعر مكرب سبأ بنى ... » ، وعلى جزء آخر من السد اسم : « ذمر على ذرح ملك سبأ » ، وفي محل آخر اسم : « يدع ايل وتار » ، وعلى السد الايسر ممأ يلى الجنة اليسرى عدة نقوش يمثل هذا المعنى (٢) مما يدل على أن هذا السد لم يستأثر ببنائه ملك واحد - تلك هى العادة في تشييد الابنية الكبيرة في كل زمان

اما تهدمه فالعرب يقولون انه حدث فجأة فتفرقت قبائل الازد وغيرها في جزيرة العرب بسبب ذلك . ويؤخذ من مجمل أقوالهم ان ذلك وقع حوالى تاريخ الميلاد ، أى نحو ظهور دولة حمير (ملوك سبأ وريدان) وانتقال عاصمة السبائين الى ظفار . فالظاهر ان السد تصدع حينئذ للمرة الاولى فرمموه ، وظلوا خائفين منه فتحولت عنايتهم الى تعمير ظفار،

وقل تمسكهم بالبقاء في مأرب ، فصاروا ينزحون بطونا وافخاذا لأسباب مختلفة ، منها القحط وغيره ، وأخذت مأرب في التفتقر ، وكلما انفتق العرم من ناحية رمموه ، الى قبيل الاسلام فتهدم وأهملوه

ووفق جلاذر في أثناء زيارته انقاض ذلك السد الى اكتشاف اثرين ، عليهما كتابة مطولة تتعلق بتهدم السد بعد دخول اليمن في حوزة الاحباش ، أحدهما مؤرخ سنة ٥٣٩ م ، والآخر سنة ٥٦٥ م ، وهما من اهم ما وقفوا عليه من آثار تلك الدولة ، لما فيهما من الاشارات التاريخية والاجتماعية والعلاقات السياسية ، أحدهما كتبه ابرهة الحبشي وهذه خلاصته :

« بنعمة الرحمن الرحيم ومسيحه والروح القدس ، ان أبرهة عزيز الاحباش الاكسوميين ، ملك اراحميس زبيمان ، ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنت وأعرابهم في نجد وتهامة ، قد نقش هذا الاثر تذكارا لتغلبه على يزيد بن كبشة ، عامله الذي كان قد ولاء كندة وديء ، وعينه قائدا ومعه اقبال سبأ الصبحارين ، وهم مرة ونمامة وحنش ومرثد وصنف ذو خليل ، واليزنيون اقبال معدى كرب بن السميعف وهفان واخوته أبناء الاسلام ، فانفذ الملك اليه الجراح دازنبور ، فقتله يزيد وهدم قصر كدار ، وحشد من اطاعه من كندة وحريب وحضرموت ، وقرهجان النمارى انى عبران . وبلغ الملك الاستصراخ ، فنهض بجنده الاحباش الحميريين الوفا في شهر ذو القباط من سنة ٦٥٧ (من تاريخ اليمن) فنزل أودية سبأ .. فجاء يزيد وباع وخضع للملك بين يدي القواد . وهم في ذلك جاءهم النبا بتهدم السد والحائط والحوض والمصرف في شهر ذو المدرج سنة ٦٥٧ فأمر بالعفو... وبعث الى القبائل بانفاذ الحجارة للأساس والحجر الخام والاشخاب ورصاص الصب... لترميم السد في مأرب... فتوجه أولا الى مأرب وصل في كنيستها ، ثم عمد الى الترميم ، فنبشوا الانقاض حتى وصلوا الى الصخر وبنوا عليه . وعلم وهو في ذلك أن القبائل تضايقت من العمل ، ورأى اعدائهم يعود بالضرر ، فعفا عنهم : احباشهم وحميرهم ، وأذن بانصرافهم... ورجع الملك الى مأرب ، بعد أن عقد تحالفا مع الاقبال الآتي ذكرهم : اكسوم ذو معاهر بن الملك ومرجف ذو ذوناح وعادل ذو فائش واذواء شولمان وشعبان ورعين وهمدان والكلاع... الخ وجاء اليه وفد التجاشي ووفد ملك الروم ورسول من المنذر وآخر من الحارث بن جبلة ، وآخرون جاءوا بعون الرحمن يخطبون مودته ... في أواخر شهر داوان ، وبعثوا اليه من غلة أراضيه لترميم ما انصدع من البناء ، فرمموه ووسعوه حتى بلغ طوله ٤٥ ذراعا وارتفاعه ٣٥ ذراعا

١ ثم ذكر ما انفق فيه من الحجارة والاطعمة للعملة والحيوانات للعمل) واستغرق العمل في ذلك ٥٨ يوما و ١١ شهرا ، وكان الفراغ منه في شهر ذو معان سنة ٦٥٨ هـ (*)

وهذه السنة في حساب الحميريين تعدل سنة ٥٤٣ للميلاد ، لأنهم كانوا يبدأون تاريخهم سنة ١١٥ قبل الميلاد ، ولجلالز كلام في هذا الشأن (١) سنأتي عليه في الكلام عن التوقيت عند العرب ، وتكتفى هنا بالإشارة الى تاريخ الفتح من نقش حصن غراب ، فقد رأيت انه سنة ٦٤٠ حميرية أو حبشية ، والمعول عليه انه كان سنة ٥٢٥ ميلادية ، والفرق بينهما ١١٥ سنة

٤ - التجارة في بلاد العرب

ان توسط بلاد اليمن بين امم العالم القديم جعلها واسطة التجارة بينها من اقدم أزمنة التاريخ ، فكان بينها وبين الهند علاقات تجارية لا يعرف أولها ، وكان للهندومحصولات ومصنوعات يحتاج اليها المصريون والاشوريون والفينيقيون وغيرهم ، فكان اليمنيون ينقلون هذه المتاجر الى تلك الأمم في سفن البحر او قوافل البر . وكان على شواطئ اليمن فرض ترسو عندها السفن القادمة من الهند او وادي الفرات او وادي النيل ، كما ترسو اليوم السفن عند عدن في أثناء أسفارها بين أوروبا والهند . وكانت لهم فرصة اسمها « موزا » يبنون فيها السفن الكبرى لقطع المحيط الهندي . ولهذا سبب عمرت جزيرة سقطرى يومئذ لتوسطها في طريق تلك التجارة ، كما عمرت مالطة في البحر المتوسط لثل هذا السبب . ومن الغرض التجارية المشهورة في اليمن في ذلك العهد عدن وقانا (حصن غراب) وظفار ومسقط وبقلب في مسقط ان ترسو عندها السفن الصاعدة في خليج فارس الى بابل

اصناف التجارة ببلاد العرب

اما السلع التي كانوا يحملونها من الهند ، فهي الذهب ، والفصدير . والحجارة الكريمة ، والعاج ، وخشب الصندل ، والتوابل ، والافاوية

(*) انظر مقال (نصان عن تهتم سد مأرب)

Glaser : Zwei Inschriften über den Dammbbruch von Ma'rib in Mitteilungen den Voderasiatischen Gesellschaft II, 18/97, S. 390 ff.

وقد نشر في ذلك المقال النص المشار اليه . ورفعه ٦١٨ (+ ٥٥٢ - ٥٥٥ - ٥٥٥) من مجموعة نصوص المسند التي نشرها . ورقم النص في المجموعة العامة للنصوص اليمنية 541 c/s وهو ثاني هذه النصوص في الطول وأهمها من الناحية التاريخية إذ انه يتألف من ١٣٦ سطرا وحوال ٤٧٠ كلمة ، وقد نشر جواد علي صورته الفوتوغرافية وترجمته الكاملة كمسا نشرها المؤلف هنا . وزاد عليها تعليقات نافذة

انظر : العرب قبل الاسلام ، ج ٣ من ١٩٧ وما يليها

كالبحار ، والفلفل ، ونحوهما والقطن . وكانوا يحملون من شواطئ افريقيا الشرقية العطور ، والاطياب ، وخشب الابنوس ، وريش النعام ، والذهب ، والعاج . غير ما كانوا يحملونه من حاصلات اليمن نفسها وهى البخور ، واللبان ، والمر ، واللادن . وأكثر الاتجار بهذه الاصناف على يد القرين - او الجريين - (١) وبعض الحجارة الكريمة ، كاليشب ، والعقيق . ويحملون من سقطرى العود ، والتند ، ويحملون اللؤلؤ من البحرين

فكان الهنود والافريقيون يحملون هذه الاصناف الى اليمن . او يذهب اليمنيون انفسهم لاستجلابها . ثم يحملونها الى مصر ، والشام ، والعراق ، وكانوا يفضلون حملها بالبر على القوافل ، فرارا من اخطار الانواء في البحر الاحمر او خليج فارس ، لانهما اشد خطرا عندهم من بحر الهند . وكانت علاقتهم التجارية على امتنها مع اخوانهم الفينيقيين . يحملون اليهم اصناف الهند وغيرها على القوافل الى صور وغزة وغيرها من شواطئ البحر المتوسط . لتحمل من هناك الى سائر الشواطئ . والى ذلك اشار حزقيال بقوله مخاطبا صور (ص ٢٧ ع ٢١) : « العرب وجميع رؤساء قيثار هم تجار يدك بالحملان والكباش والتيوس فانهم بهذه اتجروا معك . تجار شبا ورعمة متجرون معك وبافضل كل طيب وبكل حجر كريم وبالذهب اقاموا اسواقك . حاران وقانا وعدن وتجار شبا واشور وكلعد متجرون معك »

وكان السبئيون يحملون من الجهة الاخرى مصنوعات صور ومحمولات الشام الى بلادهم وغيرها بطريق المبادلة قبل سك النقود ، أهمها الخنطة والزيت والخمر وم مصنوعات فينيقية ، او ما يحمل من آسيا الشرقية كالمنسوجات الكتانية والقطنية والارجوان والميعة والزعفران والانيه من الحديد والصفر وسبائك الفضة ، لان هذا المعدن كان قليلا في اليمن ولا يحملونه من الهند ولا من افريقيا . والفينيقيون انفسهم كانوا ينقلون بعض هذه المتاجر من الجنوب ، وان كانت اسفارهم الى الشمال . وكان لهم على شواطئ خليج العجم مستودعات

طرق التجارة في بلاد العرب

كان للقوافل بين اليمن وفينيقية ومصر طرق خاصة ، فيها مراحل محطات ومرافق ومعدات واقوام من اهل البادية يخفرونها . فالقافلة

كانت تنتقل من حضرموت أو عمان ، وتسير شمالا يخفروها عرب قي دار ، فيقطعون بها بادية الدهناء وما بعدها حتى تصل الى ددان فتعطف غربا في نجد حتى تأتي الحجاز ، ومن هناك يستلم خفارتها المديانيون والادوميون أو الانباط ، ويعرجون بها الى مكة أو ينبع أو المدينة ، ومنها الى بطرا عن طريق مدائن صالح . ومن بطرا تسير اما شمالا الى فينيقية وفلسطين فتدمر ، واما غربا الى مصر . اما العراق فكانت التجارة تنتقل اليها بالقوافل ، رأسا من شرقي الجزيرة ، أو بحرا من خليج فارس ، ومنه على القوافل الى تدمر . على أن البابليين كانت لهم مستودعات تجارية أيضا على شواطئ ذلك الخليج ، مثل ما للفينيقيين في القرية أو القطيف . وكان القريون يختصون بهذه التجارة الى بابل . وقد ذكر بلينيوس وبطليموس وغيرهما تفاصيل مهمة عن طرق التجارة ببلاد العرب ، وعينوا مسافاتها ومحطاتها مما لا محل له هنا

وكانت قوافل السبئيين تقاسي في أسفارها مشقات وأخطارا من تعدى البدو في اثناء الطريق ، كما كان يصيب قوافل التجار أو الحجاج في بوادي جزيرة العرب فيما مضى ، فضلا عن طول مدة السفر ، فتحولت الافكار نحو السفر البحري ، وهو اقرب تناولا وأقصر مسافة . فالبضائع التي تأتي للسبئيين من الهند وأفريقيا كانت تخزن في موزا أو عدن ، وبدلا من حملها بالقوافل برا الى بطرا أو غزة ، أصبحوا ينقلونها في السفن بالبحر الأحمر الى خليج العقبة ، ومنها بالبر الى الشام أو فلسطين أو مصر . أو أن ترسو السفن في القصير على البحر الأحمر ، وتنقل البضائع منها برا الى قفط على النيل . وكان المصريون قد سلكوا هذا البحر من عهد رعمسيس الثالث (هاكون) . وقد ذكرنا في كلامنا عن غزو المصريين بلاد العرب أن رعمسيس هذا بنى اسطولا أنزله البحر الأحمر وسافر فيه لارتياح بلاد بنت (الحبشة والصومال) والأرض المقدسة (بلاد العرب) وغرضه الرئيسي تسهيل التجارة البحرية بين مصر وأقصى الشرق ، وأنه أنشأ طريقا تجاريا يربا بين القصير وقفط ، وطريقا بحريا بين المحيط الهندي والنيل من طريق بلاد العرب . ولما تولى سيتي الاول من الاسرة التاسعة عشرة احتفر القناة الموصلة بين النيل والبحر الأحمر ، تسهila للعلاقات التجارية بين مصر وجزيرة العرب ، أو للدفاع أو الهجوم عند الحاجة . والملاحه يومئذ محصورة في الفينيقيين في البحرين : المتوسط ، والأحمر ، فكان ذلك الشعب النشط يخترق البحار الى أقصى المعمور ، فاقتدى المصريون به

ولما مضى سيتي الاول لم يخلفه من يعمل عمله ، فأهملت القناة ، ولم

يكن المصريون أهل اسفار فبطلت الملاحة المصرية . واتفق على اثر ذلك سقوط صور ، واضطراب احوال الغنيقيين ونوقف اسعارهم ، فاصبح البحر الاحمر في حاجة الى من يسلكه ، فاتحد سليمان صاحب اورشليم وحيرام صاحب صور . وانشا السفن للتعاون على الملاحة . ولعله اول اشتراك دولي من هذا القبيل ، وجعلا المرفأ في ابلة (العقبة) تسير منها السفن في البحر الاحمر الى شواطئ بلاد اليمن ، نحمل منها البضائع الهندية والافريقية . ويغال انها كانت تستجلب تلك البضائع من مصادرها الاصلية . وفي سفر الملوك تفاصيل بهذا الشأن ، جاء فيها ذكر ملكة سبا ، وخبرها مشهور . ولما مات سليمان توقفت الملاحة وعادت الغوافل (١) وما زالت اليمن وسيلة التجارة في العالم القديم ، يشتغل بها المعينيون والسبائيون والجباليون والقنانيون والقريون ، حتى سلك الرومان البحور وعادت التجارة اليها فضعف امر العرب

٥ - الحضارة

أهل اليمن حضر من اقدم ازمانهم ، ولذلك لم يطلق عليهم اسم « العرب » قديما ، لانه كان يراد به « البدو » على الاجمال كما تقدم . فهم أهل مدن وقصور ومحافد وهياكل واثاث ورياش ، لبسوا الخز واغترشوا الحرير واقتنوا آنية الذهب والفضة ، واغترسوا الحدايق والبساتين . قال اغاثر سيدس : « وللسبائيين في منازلهم ما يفوق التصديق ، من الآنية والاعوية على اختلاف أشكالها من الفضة والذهب ، وعندهم الاسرة والموائد من الفضة ، والرياش من افخر الانسجة واغلاها . قصورهم قائمة على الاساطين المحلاة بالذهب او المزينة بالفضة ، يعلقون على افاريز منازلهم وابوابها صحائف الذهب مرصعة بالجواهر ، ويبدلون في تزيين قصورهم اموالا طائلة ، لكثرة ما يدخلونه في زينتها من الذهب والفضة والعاج والحجارة الكريمة وغيرها من المواد الثمينة » (٢) . ويؤيد ذلك ما جاء في شعر العرب من وصف القصور الفخمة ، كقول تبع يذكر بلعيس ، فقد قال في وصف عرشها :

عرشها رافع ثمانون باعا كلته بجوهر وفريد
وبدر قد قيده وياقوت ت بالتبر ايما تقييد
ومن قوله في مأرب :
ومأرب قد نطقت بالرخام وفي سقفها الذهب الاحمر

وذكر الهمداني في وصف قصر كوكبان انه « كان مؤزر الخارج بالفضة ،
وما فوقها حجارة بيض ، وداخله معرد بالعرعر والفسيفساء والجزع
وصنوف الجواهر »

وقال علقمة في وصف بينون :

واسال بينون وحيطانها قد نطقت بالدر والجوهر

وقد ذكرنا كثيرا من هذا القبيل في باب قصور اليمن ومحافدها . ولم
يقدم اليمنيون على هذا البذخ الا لتوفر الثروة بين ابيهم ، واغناهم
انسباؤون والقربون (١)

٦ و ٧ - الدين واللغة

سبأني الكلام على ذلك في باب ادبيات العرب ولغاتهم على العموم في
الجزء الثاني من هذا الكتاب - وبقي من القحطانية على قول مؤرخي
العرب دول الفساسنة والمناذرة وكندة ، سبأني ذكرها في جملة عرب
الشمال في الطور الثاني أو الطبقة الثالثة

الطبقة الثالثة
العدنانية أو الإسماعيلية

عرب الشمال

في الطور الثاني

اصولهم

نريد بعرب الشمال على الاجمال الاسماعيلية او العدنانية في اصطلاح كتاب العرب ، ومنازلهم شمالي بلاد اليمن في تهامة والحجاز ونجد وما وراء ذلك شمالا الى مشارف الشام والعراق ، وهم يرجعون بأنسابهم الى اسماعيل بن ابراهيم . وحكاية اسماعيل عندهم مبنية على ما ذكرته التوراة من اخراج اسماعيل وامه هاجر الى بركة بئر سبع وسكنه بركة فاران ، وان اولاده آباء القبائل التي اقامت ما بين حويلة الى شور ، وكانت شور عند برزخ السويس وحويلة خولان في شمالي اليمن ، وبينهما الحجاز ونجد وتهامة ومديان وجزيرة سينا

اما العرب فروايتهم في اصل عرب الشمال تكاد تكون منقولة من التوراة ، الا من حيث المكان الذي اقام فيه اسماعيل وامه ، فهم يجعلونه مكة بدل بركة فاران . ويقولون ان اسماعيل اقام بمكة ، وتزوج امرأة من جرهم اصحاب مكة في ذلك العهد ، فولدت له ١٢ ولدا . وليس لدينا رواية نالفة عن اصل اولئك العرب . والروايتان متفقتان في أن اسماعيل ربي في البادية ، وأنه كان راميا بالقوس شان اهل البادية ، وأنه خلف ١٢ ولدا أسماؤهم تطابق اسماء بعض قبائل الشمال . وأنما اختلفوا في المكان الذي اقام فيه اسماعيل . فالتوراة تقول انه بركة فاران او جبل فاران ، وكلاهما عند العقبة شمالي جزيرة سينا ، والعرب يقولون انه مكة بالحجاز . ويسهل تطبيق الروايتين متى علمنا ان جبال مكة او جبال الحجاز تسمى أيضا فاران (١) فيكون المراد ان البركة التي اقام فيها اسماعيل بركة الحجاز ، او انه اقام حينا في سينا ثم خرج الى الحجاز وسكن هناك وتزوج . والتوراة لم تذكر اسماعيل بعد خروجه من بيت ابيه الا عند حضوره دفنه ، على عادتها من الاختصار فيما يخرج عن تاريخامة اليهود او ديانتها . وليس لدينا مصادر أخرى تنافي هذه الرواية او تؤيدها ، ولا فائدة من الاخذ والرد فيها ، فنتركها ونعمل على الثابت من اخبار عرب الشمال ، او التواتر الذي لا يخالف العقل او النقل

التفرق بين القطانية والإسماعيلية

أهم الفروق بين هذين الشعبين نظام الاجتماع واللغة والدين وأسماء الأعلام ، كما يأتي :

(١) نظام الاجتماع : قد رأيت في كلامنا عن العرب في صدر هذا الكتاب أن لفظ « العرب » أريد به في الأصل سكان بادية جزيرة العرب في الشمال . ثم أطلق على سائر سكانها . وقلنا أن لفظ العرب باللغات السامية يرادف لفظ البدو عندنا . فالعرب هم البدو . وهذا التعبير صدق على عرب الشمال الذين نحن في صددهم . فهم في الأكثر أهل خيام وأبل ورحلة وغزو . لا يستقرون في مكان . لأن معاشهم من كسب الأبل والقيام عليها في ارتياد المراعي وانتجاع المياه والنتاج والتوليد . وغير ذلك من مصالحها والقرار بها من أذى البرد عند التوليد إلى القفار ودقها ، وطلب التوليد في الصيف للحيوب وبرد الهواء . لا ينون بيوتا ولا ينشئون مدنا ، بخلاف أهل اليمن فأكثرتهم أصحاب قصور ومحافظ ومدن وأسوار ومقارس وحدائق .

(٢) اللغة : إن لغة اليمن أو عرب الجنوب تعرف بلغة حمير . وهي تختلف كثيرا عن لغة عرب الحجاز أو الشمال . وإن كانتا من أصل واحد . ولكن الفرق بينهما يدل على تباعد أصحابهما في العادات والأخلاق ، لهما تختلفان في الإعراب وفي الضمائر وفي كثير من أحوال الاشتقاق والتصريف . مما سنأتي عليه عند كلامنا على لغات العرب .

(٣) الأديان : يشترك هذان الشعبان في كثير من ضروب عبادته . وفي عبادة بعض الأصنام . ولكنهما يختلفان في الإجمال . فالهبة اليمن أقرب إلى معبودات البابليين . وعندهم عشتار وأبل وبعل وغيره . وأما الساماليون فيشركون في عبادات تختلف عن تلك . كالكالات والعزى ومناه وبعل وغيرها . مما سنبيته في فصل الدين .

(٤) الأسماء : أكل من الطائعتين أسماء حاسية لا يشتركتها فيما الطائفة الأخرى . ولا يخفى على الأسماء من الدلالات الاجتماعية . فاسماء الساماليين في الدولتين المعيشية والنسبية تشبه أسماء الدولة الجمهورية أو القبلية . أما أسماء اليمن في مرحلة . كقولهم أب يدع والبيع وشع أن ومعدى كرب وأموكرت

شمالية شبه الجزيرة وأرجاء . والكتب والصحاح الأخرى كثير من الصيغة وهذه التسمية كثيرا من أولاد موت وأسماء من أولاد موت .

ويبدو أن الساماليين أن أن نزلوا من تحت . فلهذا هم الساماليون . واليمن مسقطان . واليمن ويرجع جود على أن الساماليين أنزلوا إلى عدن ومعدى هي حمير واليمن .

وعلهان واليشرح وكرب ايل وذمر على ووهب ايل ويسر انعم وشمر ومهرعش ونحو ذلك ، مما لا شبه له عند عرب الشمال في الطور الثاني . ويختص هؤلاء بأسماء لا تجدها عند اليمنيين ، لأنها من مقتضيات البداوة ، ولذلك رايت بينها كثيرا من أسماء الحيوانات لكثرة وقوع ابصارهم عليها فالقوها ، وأصبح لكل منها رمز عن خلق أو خصلة ، فسموا أبناءهم بها ، وليس ذلك من بقايا الطوتمية كما توهم بعضهم (١) فمن اسمائهم من هذا القبيل اسد ونمر وثعلبة وكلب وبكر وثعبان ونحوها

وبعض اسمائهم تنتسب الى آلهتهم ، كعبد اللات وعبد العزى وعبد مناة ، وبعضها مقتبس من الأمم المجاورة لهم كاليونان والسريران وقد حرفوها ، فامرؤ القيس مثلا نظنه تحريف ماركوس (مرقس) ، وربما تعمدوا تحريفه ليكون له صفة عربية كما حرفوا « سامراء » فجعلوها « سر من رأى » ، وكما جعلوا دوسارس المعبود اليوناني « ذو الشرى » ، ويؤيد ذلك ان هذا الاسم (امرؤ القيس) لم يكن معروفا عند العرب قبل النصرانية أو قبل مجاورتهم اليونان

وقد يتسمون بأسماء اليونان بعد ترجمتها ، « فالحارث » يجوز أن يكون ترجمة جيورجوس اليونانية ومعناها العامل في الأرض ، و « صخر » ترجمة بطرس ونحو ذلك . وبعض أسماء أولئك البدو مأخوذ من الاوصاف أو المناقب ، مثل سعيد ، وعامر ، وحسان ، وعلى ، ومحمد ، ونحوها . ولا عبرة بما أدخله العرب منها بين أسماء ملوك حمير ، مثل الحارث وعمرو فانه قليل ولم نجد له ذكرا في الآثار المنقوشة

أقدم أخبار العدنانيين أو عرب الشمال

يؤخذ من القرائن التي تقدمت ان عرب الشمال في الطور الثاني تتصل أخبارهم بأقدم تاريخ تلك الجزيرة ، ولا سيما اذا اعتبرنا حكاية اسماعيل بدء تاريخ جديد لأولئك العرب . لأن الاسماعيليه يبدأ تاريخهم في القرن التاسع عشر قبل الميلاد ، ومع ذلك فليس لدينا من أخبارهم القديمة ما يعول عليه ، كان أولئك العرب كانوا في سبات ولم يستيقظوا الا حوالى التاريخ المسيحى . والغالب انهم كانوا خاملى الذكر ، لانهم لم ينشئو دولا ، وكانت دول العرب الاخرى في اليمن ومشارف الشام والعراق وغيرها تستخدمهم في نقل التجارة على القوافل بين ممالك ذلك التمدن . ويعبرون عنهم تارة بالاسماعيليه ، وطورا ببيدار أو غيرها

(١) راجع كتاب أنساب العرب القدماء . مؤلف هذا الكتاب

واقدم ما ذكره العرب عن اخبار الاسماعيليه مأخوذ اكثره عن اليهود وعليه صفة عربية ، خلاصته ان اسماعيل لما نزل مكة كان فيها بقية من جرحهم وآخرهم مضاض بن بشير ، فتزوج اسماعيل من بناتهم وتعلم العربية منهم وتناسل فيهم ، وأولاده هم العرب الاسماعيليه ، ويسمونهم المستعربة لأنهم دخلوا في العرب وهم ليسوا منهم ، كما فعل القحطانية في اليمن قبلهم . وأشهر أولاد اسماعيل قيدار ، توجه أخواله وعقدوا له الملك عليهم بالحجاز ، واسمه وارد في التوراة . وتناسل من قيدار أعقاب كثيرة حتى ولد عدنان . والعرب مختلفون في عدد الآباء بين اسماعيل وعدنان ، فقال بعضهم أنهم أربعون أباً ، وقال آخرون أنهم عشرون أو خمسة عشر أو أقل من ذلك . ومن عدنان تناسل العرب الاسماعيليه ، فعندهم أن عدنان ولد عكا ومعدا ، ومعد هو أبو القبائل العدنانية أو الاسماعيليه كما سترى

واقدم ما علمناه من أخبار هذه القبائل وصل إلينا عن طريق التوراة . فقد جاء في سفر التكوين في أثناء قصة يوسف بعد أن طرحه أخوته في البئر قوله : « ثم جلسوا يأكلون ورفعوا عيونهم ونظروا فإذا بقافلة من الاسماعيليين مقبلة من جلعاد وجمالهم محملة تكعة ولبسانا ولاذنا وهم سائرون لينزلوا الى مصر » (١) . وكان ذلك في القرن الثامن عشر قبل الميلاد وكان الاسماعيليون يحملون التجارة الى مصر وهم الذين اشتروا يوسف وباعوه بعصر

ثم جاء ذكرهم في سفر القضاة بعد ذلك الحين بخمسة قرون وهم يحاربون الاسرائيليين ، ويسمون هناك تارة « بنى المشرق » وطورا « الاسماعيليين » (٢) وبعد ذلك بخمسة قرون آخر ذكر أولئك العرب في سفر اشعيا باسم « قيدار » ، وهو في التوراة ابن اسماعيل فيراد باسمه قبيلة الاسماعيليه . على الأقل ، وهو يتنبأ بقرب زوال مجدهم (٣) وأصبح الاسماعيليه في عرف التوراة من ذلك الحين قبيلتين : قيدار ونبيت ، وظن بعضهم ان المراد بالنبيت - أو النبيط - الانباط أصحاب بطرا ، وعارضهم آخرون

وبعد اشعيا بقرن وبعض القرن (في القرن السادس قبل الميلاد) جاء نبوخذنصر - الذي يسميه العرب بختنصر - واكتسح شمال جزيرة العرب وغلب على الاسماعيليه - أو بنى قيدار أو بنى المشرق - في

(١) سفر التكوين ص ٣٧ عدد ٢٥

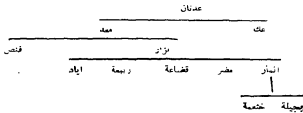
(٢) القضاة ص ٦ عدد ٣٣ و ٧ و ١٢ و ٨ و ٢٤ و ٢٦

(٣) اشعيا ص ٢١ عدد ١٦ و ١٧

البادية . وقد جاء ذلك الخبر في أسلوب التحذير أو النبوءة ، قال «على قي دار وممالك حاصور التي ضربها نبوخذنصر ملك بابل وهكذا قال الرب قوموا اصعدوا الى قي دار ودمروا ابناء المشرق انهم يأخذون اخيبتهم وغنمهم ويستولون على شققهم وجميع ادواتهم وابلهم وينادون عليهم بالهول من كل جهة » (١) . ذلك آخر ما ذكرته التوراة عن الاسماعيلية

ويظهر في كل حال ان تلك القبائل كانوا اهل مائية وخيام وابل . وكانوا يحملون التجارة ، ولهم شأن وثروة وذهب وارجوان . وقد ذكرنا ما قاله حزقيال عن العرب وقي دار في عرض رثائه مدينة صور . وجاء في سفر القضاة : « قال لهم جدعون اني اقترح عليكم امرا واحدا يعطيني كل واحد منكم خرصا من غنيمته فقد كانت لهم خرصا من ذهب لأنهم اسمايليون فقالوا لك ذلك وبسطوا رداء فالقى عليه كل امرئ منهم خرصان غنيمته وكان وزن الخرصان الذهب التي طلبها الفا وسبع مائة مثقال ذهب ما خلا الالهة والتطافات والثياب الارجوانية التي كانت على ملوك مدين وما خلا القلائد التي كانت في اعناق حمالهم » (٢)

اما العرب فاقدم ما ذكره من احوال الاسماعيلية انما يأتي متمما لآخبار التوراة ، ولعلمهم اخذوه عن اليهود او بنوه على روايتهم ، نعى غزوة بختنصر العرب وقد اوردناها في كلامنا عن غزوة الاشوريين بلاد العرب . ثم سكت المؤرخون عنهم دهورا ، كان بختنصر اضعفهم فتغفروا وذهب شهرتهم او خفيت اخبارهم . ثم تكاثروا وعادوا الى الظهور . في اوائل النصرانية او قبيلها . وهم قبائل وامم ذات شأن ملأوا تهامة وتغفروا فيها الى الحجاز ونجد وبادية الشام وغيرها في ازمان متفاوتة القبيلة بعد القبيلة ، وترجع كلها الى خمسة اصول لكل اصل منها فروع عديدة . اما الاصول المشار اليها فيتصل نسبها بعدنان على هذه الصورة :



اما الفروع فسيأتي كل مجموع منها في محله

عرب عدنان

منازلهم في تهامة ونجد والحجاز

كانت العرب العدنانية بادية أقامت في تهامة والحجاز ونجد ، الا قريشا فقد تحضروا في مكة . وتقسم العدنانية اولا الى فرعين عظيمين : عك ومعد . اما عك فنزلت في نواحي زبيد جنوبي تهامة ، وقد ذكرها اليونان في كتبهم فسموها *Acchitae* ، وبقي من عك بقية الى ايام الاسلام وليس لهم تاريخ يذكر

اما « معد » فهو البطن العظيم . ومنه تناسل عقب عدنان كلهم . واذا قال العرب « معد » يريدون القبيلة لا الرجل . فاذا صحت غزوة بختنصر لما ذكرها العرب ، كانت معد قبيلة كبرى في القرن السادس قبل الميلاد . وانقسمت الى فرعين كبيرين : نزار وقنص ، والكثرة والنسل في نزار . وهم عدة فروع اشهرها خمسة : قضاة ، ومضر ، وربيعه ، واباد ، وانمار ، وكانت منازلهم في تهامة والحجاز ونجد على هذه الصورة (١)

كانت مساكن قضاة ومراعى اغنامهم جدة من شاطئ البحر الاحمر فما دونها شرقا ، الى منتهى ذات عرق وهى الحد بين نجد وتهامة . الى حيز الحرم من السهل والجبل . وقبائل مضر أقامت في حيز الحرم الى السروات وما دونها من الفور وما والاها من البلاد ، واقامت ربيعة في مهبط الجبل من غمر ذى كندة (بينه وبين مكة مسيرة يومين) وبطن ذات عرق وما صاقبها من بلاد نجد الى الفور من تهامة . واقامت اباد وانمار معا ما بين حد ارض مصر الى حد نجران وما والاها وصاقبها . وصار لقنص وغيره من ولد معد ارض مكة وأوديتها وشعابها وجبالها وما صاقبها من البلاد وما زالت هذه القبائل في منازلها هذه بوفاق ، كأنهم قبيلة واحدة في اجتماع . كللتهم واتلاف أهوائهم ، تضمهم المجامع وتجمعهم المواسم ، حتى وقعت الفتنة بينهم ففرقت جماعاتهم وتباينت مساكنهم ، والى ذلك يشير المهمل بقوله :

غنيت دارنا تهامة في الدهر وفيها بنو معد حلولا
فتساقوا كاسا امرت عليهم بينهم يقتل العزيز الدليل
واليك ما يذكره العرب من اخبار هذه القبائل واسباب تفرقها كل على
حدة

١ - قضاة

هي اول من نزع من قبائل معد ، وبعض النسابين يعدون قضاة من
الفحطانية والارجح عندنا انها من عدنان . وكان السبب في نزوحها حربا
وقعت بينها وبين ربيعة ، بسبب فتاة ربيعية تعشقها رجل قضاعي من
بنى نهد ، وانتصرت مصر واباد وانمار لربيعة ، وانتصرت عك لقضاة ،
فدارت الدائرة على قضاة فاجلوا عن اماكنهم ويمموا نجدا ، وفي ذلك
يقول عامر بن ظرب وهو من مضر :

قضاة اجلينا من الغور كله الى فلجات الشام تزجي المواشيا
وما عن تقال كان اخراجنا لهم ولكن عقوقا منهمو كان باديا
بما قدم الهندي لا در دره غداة تمنى بالحرار الامانيا

وتقسم قضاة الى بطون تفرقت في جزيرة العرب على نجد والبحرين
ومشارف الشام ، فأنشأ بعضها دولا في العراق والشام وغيرهما ، وظل
الباقون بادية رحلا . اما بطون قضاة فهي مع أسماء منازلها :

(١) تيم اللات : نزحت الى البحرين ، وكان فيها قوم من النبط
فاجلوهم واقاموا مكانهم

(٢) يزيد بن حلوان : نزلوا عبقر من أرض الجزيرة بالعراق ، واليهام
تنسب الزرابى العبقرية والثرود التيزدية

(٣) سليح : نزلوا مشارف الشام وفلسطين ، وكانت لهم دولة سياى
خبرها

(٤) اسلم : هم أربعة افخاذ : عذرة ونهد (*) وحتكة وجهينة ،
نزلوا جميعا الحجر بوادى القرى ثم نزحوا الى نجد

(٥) تنوخ : نزلوا البحرين ثم رحلوا الى الحيرة وأنشأوا بها دولة
سندكرها

(*) تسمى أيضا نهد

(٦) ريان بن حلوان : هي ثلاثة أفضاخ : كلب ، وجرم ، والعلاف (※) .
لحقوا بالشام

(٧) بلى وبهرا : نزحوا الى بلاد اليمن حتى نزلوا مارب ، واقاموا بهلا
زمانا ثم تفرقوا ، فجاء بلى الى ما بين تيماء والمدينة
وهذا جدول يوضح تفرع قبائل قضاة باختصار :

هبلولة - زياد	هبلولة - داود اللثقي	سليح - مدعجم - عوف - عمر يزيد	اسلم - جهينة	عمران - حلوان	قضاة
النمر - تيم اللات - تنوخ اسد - كنانة	السر - كلب	ريان قلب - وبرة	بهره	عمرو	
				بلى	

ولم يكن نزوح هذه البطون وغيرها من قضاة دفعة واحدة ، ولا نظن
السبب الذي ذكره لنزوحها صحيحا ، او لعله بعض السبب . واما
السبب الحقيقي فهو البداوة ، لان اهل البادية اذا تكاثروا مع الزمن
تضيق بهم مواطنهم ، لتقاعدهم عن الزرع وقلة عنايتهم في اصلاح الارض
واستثمارها : ينزلون المكان وفيه من الماء او الكلا ما يكفيهم ، فاذا
تكاثروا وتفاقر عن كفايتهم ذهب بعضهم يطلبون سواه - غير ما قد يدعو
الى النزوح من اسباب العدوان وطلب الغزو

وكان بنو قضاة اقدم النازحين من بنى عدنان ، ويظهر انهم نزحوا
حوالى تاريخ الميلاد او قبله قليلا ، فمن نزل البلاد العامرة انشأ دولا وفتح
مدنا ، ومن نزل البادية ضاعت اخباره . على ان لكل فرع من فروعهم
شانا خاصا واخبارا وصل اليها بعضها مختلطا متضاربا ، فلا نذكر منهم
الا الذين انشأوا الدول او كان لهم تأثير سياسى في تاريخ ذلك العصر

دول قضاة

وقد رايت ان بطون قضاة كثيرة ، ولم يصل اليها من اخبارهم الا
القليل - ويقال بالاجمال انهم تبغوا وانساحوا في الارض حوالى تاريخ
الميلاد . ولعلمهم هبوا للفتح على اثر دخول الجنود الرومانية بلادهم بحملة
اليوس جالوس قبيل الميلاد كما تقدم ، فان مثل هذه النهضة طبيعى بعد

(※) فى جهمرة انساب العرب لابن حزم ، ص ٤٢١ : ريان وهو علاف

أنحركت الحربية ، كما حدثت نهضة قريش قبيل الاسلام بعد هجوم الاحباش على مكة في عام الفيل . ويؤيد ذلك ما جاء في كتب العرب أن قضاة كانوا في تهامة ثم نزحوا الى البحرين (١) فلعل نزوحهم كان فرارا من جند الروم . ووافق ذلك تضعف ملوك الطوائف (من الفرس) في العراق وفارس ، وهم يسمعون بخيرات تلك البلاد وخصبها بالنظر لباديتهم فحملوا على العالم المتمدن يلتمسون الرزق . أو ربما كان لنزوحهم سبب آخر . وعلى كل حال فقد مر بمشارف الشام والعراق بضعة قرون كان يتنازع السيادة عليها القضاةيون ، كما كان يتنازعها قبلهم النبطيون والتدمريون ، وكما تنازعها بعدهم الفساسنة والمناذرة .

واشهر بطون قضاة التي كان لها تأثير في التاريخ اربعة ، وهى :

١٠ و ٢ - جهينة وبلى

هما القسم الغربى من بطون قضاة ، وكانت منازل جهينة من حدود رضى والاشعر الى واد ما بين نجد والبحر . ومنازل بلى في حدود جهينة شمالا الى حد تبوك ثم الى جبال الشراة ثم الى معان ثم راجعا الى ابلة الى المغار ثم الداروم ثم الجفار غربا الى الفرما في حدود مصر (٢) وبعبارة اخرى كانت منازلهم ما بين ينبع ويثرب وحدود مصر ، في متسع من بركة الحجاز وعلى شواطئ البحر الاحمر ، كأنهم كانوا يشغلون الجزء الشمالي من الحجاز العربى وبرىة سينا الى حدود مصر . ولم تكن لهم دولة وملوك ، ولكنهم غلبوا على بادية مصر وصعيدها اجيالا . فقد ذكر ابن خلدون انهم « اجتاز منهم امم الى العدو الغربية من البحر الاحمر ، وانتشروا ما بين صعيد مصر وبلاد الحبشة ، وكثروا هناك سائر الامم ، وغلبوا على بلاد النوبة وفرقوا كلمتهم ، وازالوا ملكهم وحاربوا الحبشة فأرهبوهم الى هذا العهد » (٣)

ويوافق ذلك ما ذكره اليونان عن اخبار مصر لأوائل النصرانية ، فقد ذكر استرابون وبلينيوس « ان العرب تكاثروا في ايامهما على العدو الغربية من البحر الاحمر ، حتى شغلوا ما بينه وبين النيل في اعلى الصعيد ، واصبح نصف سكان فقط منهم . وكانت لهم جمال ينقلون عليها التجارة والناس بين البحر والنيل » . وكان العرب في ايام أوغسطس قيصر في « وائل النصرانية قد دوخوا الحبشة وتملكوها ، وأوغلوا في بلاد النوبة ،

(٣) ابن خلدون ٢٤٧ ج ٢

(٢) الهمداني ١٣٠

(١) حمزة ٩٤

ولهم فيها وفي مصر طرق مختصرة يعرفونها . وبالنسبة اليونان في وصف خشونتهم وحبهم للغزو وقالوا : « ان زعماءهم يدهنون وجوههم بالزنجفر كما يدهنون وجوه آلهتهم ، وانهم يقاتلون للغزو لا للفتح حتى ضايقوا مصر ، واضطر اليونان أن يقيموا الحامية عند شلال اسوان . واتفق في أثناء ذلك تجريد الروم حملة لفتح بلاد العرب بقيادة جالوس المتقدم ذكره ومعه معظم جند مصر ، فانتهر أولئك العرب تلك الفرصة زحفوا على الصعيد وضايقوا أهله » ، ويسميه المؤرخ « عرب الاحباش » ، وكانت عليهم ملكة يقال لها قندافة ، وتغيرت لغة الاثيوبيين وعبادتهم بنزول أولئك العرب فيها ، فبعد أن كانت مصرية أصبحت عربية (١)

فيستدل من ذلك ان العنصر العربي كان في أوائل النصرانية غالبا على صحراء مصر الشرقية والحبشة والنوبة ، فان لم يكن المراد بهم قبيلتي جهينة وبنى اللتين ذكرهما ابن خلدون فقد مهدتا فتح تلك البلاد لهم ، لان الرومانيين ما زالوا منذ دخلت مصر في حوزتهم وهم يجردون الجند لرد هجمات العرب والعرب يهزمونهم

جذيمة الإبرش

٣ - تنوخ

تنوخ فرع كبير من قضاة جاء ذكره في كتب اليونان وهم يلفظونه « ثانويت » Thanouite (٢) وذكر النسابون أن كرخا مزيج من قضاة والازد ، قالوا ان « زعيما من الازد اسمه مالك بن فهم اتى البحرين والتقى هناك بزعيم من قضاة اسمه مثل اسمه ، فتحالفا على التعاون في القتال فسموا « تنوخا » ، وكان ذلك في أيام ملوك الطوائف أو في أوائل النصرانية (٣)

وكان لتنوخ دول في مشارف الشام والعراق ، أقدمها في العراق لجذيمة الإبرش أو الأبرص أو الواضح بن مالك بن فهم المذكور . والعرب مختلفون في نسبه ، ويرى المسعودي وحمة انه من تنوخ قضاة (٤) وهو الراجح عندنا جريا على ما يقتضيه سياق التاريخ . ولهذه الدولة شأن في تاريخ العرب ، لأنها مهدت السبيل لدولة المناذرة أصحاب الحيرة ، وكانت دار ملكها في المضرة بين بلاد الخانوقة وقرقيسيا . وأول ملوكها مالك بن فهم ،

وخلفه ابنه جذيمة المتقدم ذكره ، وذكروا انه كان معاصرا للزباء وله معها واقعة ذكرناها في كلامنا عن تدمر - فهو اذن من اهل القرن الثالث للميلاد

وكان جذيمة ملكا عظيما ، ناقب الراى شديد التكاية ظاهر الحزم ، ذكروا انه أول من غزا بالجيوش ، فشن الغارات على قبائل العرب ،

واستولى من السواد على ما بين الحيرة والانبار والرقعة وعين النمر والقططانية وسائر القرى المجاورة لبادية العراق ، فكان يجبى اموالها وله هبة وسطة ، فمدحه الشعراء واستجدوه . ولم يكن له غلام ذكر يرث ملكه ، فبعد ان ملك ستين سنة خلفه على ملكه ابن أخته عمرو بن عدى ، وهو أول من اتخذ الحيرة منزلا من ملوك العرب ، وأول ملك ذكره اهل الحيرة في كتبهم ، وهو جد دولة آل نصر - او لخم - ومنهم المناذرة (١) وسبأى ذكرهم

اما تنوخ الشام فجاءوها عند انحلال دولة النبطيين في بطرا ، وكانت دولة الروم قد ملكت الشام فقربوهم واستعملوهم على بادية العرب ومشارف الشام ، كما استعملوا اخوانهم بنى سليح ثم الفساسنة بعدهم . واخبار دولة تنوخ هذه مضطربة متناقضة ، لم يذكر العرب من ملوكها الا ثلاثة ، هم النعمان بن عمرو وعمرو بن النعمان والحواري بن عمرو (٢) ولم يذكروا شيئا من اعمالهم ولا زمن ملكهم ، على انه لم يزل ، فغلبهم على تلك البلاد بطن آخر من قضاة اسمه سليح - وتفرقت تنوخ واقام بعضها في قنشرين (٣)

٤ - سليح

جاءت سليح مشارف الشام مع التنوخيين اخوانهم ، لكنهم لم يملكوها ولا بعدهم . وكانت الدولة في بطن من بطونهم يقال لهم « الضجاعمة » (٤) خلعوا التنوخيين على حكومة مشارف الشام ، وكان نزولهم في بلاد مواب من ارض البلقاء وفي سلمية وحوارين والزيتون (٥) ولم يذكر العرب من ملوكهم الا ثلاثة ، هم النعمان بن عمرو بن مالك ، ومالك بن النعمان وعمرو ابن مالك (٥) كانوا يملكون العرب في مشارف الشام ، وبأخذون منهم الاتاة ديناراً عن كل رجل ، ويجمعونها للروم عند الحاجة الى حرب او عمل

(١) حمزة ٩٦

(٢) ابن خلدون ٢٤٩ ج ٢ واليعقوبي ٢٢٤ ج ١ والمسموعي ٢٠٦ ج ١

(٣) ياقوت ١٨٥ ج ٤

(٤) هم أبناء جثهم بن سعد بن سليم بن خلدون بن عمران بن الحاق بن قضاة - انظر ابن حزم ، الجيمعة ص ٤٢١

(٥) المعارف ٢٦٥

(٤) الهمداني ١٧٠

يستطيعونه . وما زالوا على ذلك حتى غلبهم الفساسة على الشام وحلوا محلهم كما سيجيء

والظاهر أن ملوكهم كانوا أكثر من ذلك ، فقد ذكر أصحاب الاخبار أن بنى غسان لما اتوا مشارف الشام كانت في حوزة الضجاعم ، وعليهم ملك منهم اسمه زياد اللثقي بن هبولة ، فطالب الغسانيين بالاتاة فاستنكفت وأبت اداءها ، فاقتتل الفريقان ودارت الدائرة على غسان واقرت بالصغار وأدت الاتاة ، حتى صارت حكومة الضجاعم الى سبطة بن المنذر بن داود وقيل سبيط بن ثعلبة بن عمرو . وفي أيامه تغلب الغسانيون وأخرجوا الضجاعمة من الشام في حديث ذهب مثلاً . وذلك أن سبيطاً لما طالب الغسانيين بالاتاة كان اميرهم ثعلبة بن عمرو ، وشدد في طلبها ، وكان ثعلبة حليماً فقال : « هل لك فيمن يزيح عنك في الاتاة ؟ » ، قال : « نعم » ، قال : « عليك بأخي جذع بن عمرو » . وكان جذع فاتكاً فأتاه سبيط فخطابه بذلك فخرج عليه ومعه سيف مذهب وقال : « هل فيه عوض من حقل ؟ » أي من أن أجمع لك الاتاة ، قال : « نعم » ، قال : « خذه » ، فعد سبيط يده وتناول غمد السيف ، فاستل جذع نصله وضربه حتى قتل ، فقتل : « خذ من جذع ما أعطاك » ، وذهبت مثلاً (١) ، وصارت مشارف الشام الى غسان من ذلك الحين — هذا ما رواه العرب . وفي تاريخ الروم أن اميراً من العرب في القرن الرابع للميلاد اسمه ايكوموس Ikomos صار من عمالهم المعروفين بربة فيلارك Phylarek (٢) فربما كانت ايكوموس تحريف ضجعم هذه (٣)

مدينة الحضر

فلما غلب الضجاعمة على امهرم بالشام نزح بعضهم الى العراق ونزلوا الجزيرة ، وفيها مدينة يقال لها الحضر قرب تكريت ، بينها وبين الموصل والفرات ويسمىها اليونان (اترا) Atra ، وكانت حصينة عليها الأبراج والقلاع ، يتولاها حاكم من اهلها اسمه الساطرون ، وعلى الضجاعمة ملك اسمه الضيزن فتح الحضر وتولاها حيناً ، وكانت الدولة الساسانية في أوائلها قلماً أفضى الملك الى سابور بن اردشير — وهو سابور الاول — ورأى من الضيزن طمعاً وغزوا ، سار اليه وحاربه وفتح المدينة بعد أن

(١) ابن خلدون ٢٧٩ ج ٢ وحزمة ١١٥
(٢) يبدو أن التشابه متعمد بين الاسمين
(٣) Noeldeke (٢)

حاصرها أربع سنين . وتبعهم سابور حتى أخرجهم من بلاده (١) وذهب ملك الضجاعة من ذلك الحين

سائر لقضاة

كلب : وكان لقضاة أيضا دولة صفري في دومة الجندل وتبوك في اعالي الحجاز ، حکامها من كلب من قضاة خلفهم عليها السكونيون من كندة

وكان لقضاة بطون أخرى اقامت في اماكن مختلفة من جزيرة العرب ، في البحرين ووادي القرى واليمن كما تقدم ، ولكنهم لم يكن لهم دولة تذكر

فانتقال القضاة الى شمالي جزيرة العرب نهضة عربية في طلب الفتح أو التوسع في الرزق من جملة نهضات كثيرة مما علمناه أو لم نعلمه ، أهمها وأكثرها تأثيرا نهضتهم في زمن المسلمين فانهم قلبوا فيها العالم وغيروا وجه التاريخ

٢ - انمار

فلنرجع الى تفرق قبائل معدنان من تهامة ، فبعد قضاة ضاقت تهامة عن انمار فنزحت ، والعرب يجعلون سبب النزوح خصاما بينها وبين مضر ، وان انمار فقاً عين اخيه مضر وهرب - ولعلمهم يرمزون بذلك عن شيء - وانهما بطنان : بجيلة وخثعم ، فظعننا الى جبال السروات فنزلوها وملسكوها وتخاصموا عليها في خبر طويل ، وتفرقت بطون بجيلة من الحروب التي كانت بينهم

٣ - اباد

ثم نزحت اباد من تهامة ، وذكروا ان السبب في نزوحها حرب وقعت بينها وبين ربيعة ومضر في خانق ، وغلبت اباد على امرها فخرجت من تهامة الى العراق ، وفي ذلك يقول أحد بني حفصة من مضر :

ايادا يوم خانق قد وطينا	بخيل مضمرات قد برينا
ثعابا بالفوارس كل يوم	غضاب الحرب تحمي المحجرين
قائنا بالتهاب وبالسبايا	واضحوا بالديار مجندلين

ونزلت اباد في سواد العراق قرب مكان الكوفة . اقاموا هناك دهورا وانتشروا في تلك الانحاء ، وكانوا يفتزون اهل العراق على عادة عرب البادية ، والعجم يتحملون منهم . حتى تولى كسرى انوشروان ، فأغار على اباد على نساء من الفرس فأخذوهن ، ففزاهم كسرى فقتل منهم ونفاهم.

ولربيعة شأن عظيم في تاريخ العرب ، لأنها هي التي بدأت باخراج العدنانية من سيطرة اليمن أو غيرها وطلبت الاستقلال كما يجيء . وكان من نظامهم في اجتماعهم للحرب أو الفوز أن يكون اللواء للأكبر فالأكبر . فكان لواؤهم - أى زعامتهم - في عنزة ، وكانت سنتهم أن يوفروا (أى يطيلوا) لحاهم ويقصوا شواربهم ، فلا يفعل ذلك من ربيعة الا من يخالفهم ويريد حربهم . ثم تحول اللواء الى عبد القيس ، وكانت سنتهم إذا شتموا لطموا ، وإذا لطموا قتلوا من لطمهم . ثم تحول اللواء في النمر ابن قاسط ، وكان لهم غير سنة من تقدمهم . ثم تحول الى بكر بن وائل ، فسأعوا غيرهم في فرخ طائر كانوا يوثقونه بقارعة الطريق ، فإذا علم الناس بمكانه لم يسلك أحد منهم ذلك الطريق ، ومن اضطر للمرور سلك عن يمين الطائر أو يساره . ثم تحول اللواء الى تغلب ، فوليه منهم وائل بن ربيعة - وهو كليب المشهور - وكانت سنتهم إذا سار زعيمهم هذا اخذ معه جرو كلب ، فإذا مر بروضة أو موضع يعجبه ضرب الجرو ، ثم اتقاه في ذلك المكان وهو يصيح ويعوى ، فلا يسمع عواء أحد الا تجنبه ولم يقربه . وكانوا يقولون : «كليب وائل» ، ثم اختصروه فقالوا : «كليب» فغلب عليه (١)

٥ - مضر

ولم تزل مضر بعد خروج ربيعة مقيمة وحدها بمنازلها في تهامة ، حتى تباينت قبائلها وكثر عددهم وفصائلهم ، وضاعت بلادهم عنهم فطلبوا المتسع والمعاش وتتبعوا الكلا والماء ، وتنافسوا في المحال والمنازل ، وبني بعضهم على بعض فاقتتلوا ، وهم قبائل عديدة كما ترى في الجدول بالصفحة التالية . وهى ترجع الى حيين كبيرين : قيس عيلان وخندف - فظهرت أولا خندف على قيس ، فظعنن قيس من تهامة طالعين الى بلاد نجد الا قبائل منهم انحازت الى اطراف الفور من تهامة ، فنزلت هوازن ما بين غور تهامة الى ما والى بيشة وبركا وناحية السراة والطائف وذى المجاز وحنين واوطاس وما صاقبها من البلاد

وخندف تشمل طابخة ومدركة ، فخرجت طابخة الى ظواهر نجد والحجاز . فنزلت مزينة جبال رضوى وما والاها في الحجاز ، ونزحت تميم وضبة من الحجاز وحلوا منازل بكر وغلب التى كانوا ينزلونها في اثناء

الحرب بينهم . ومضوا حتى خالطوا أطراف هجر ونزلوا ما بين اليمامة وهجر . ونفذت بنو سعد الى يبرين وتلك الرمال حتى خالطوا بنى عامر ابن عبد القيس ، ووقعت طائفة منهم الى عمان ، وصارت قبائل منهم بين اطراف البحرين الى ما يلى البصرة ونزلوا هناك منازل كانت لا يباد

واقامت قبائل مدركة بتهامة وما والاها من البلاد وصاقبها ، فصارت مدركة فى ناحية عرفات وعرة وبطن نعمان . وكانت لهذيل جبال من جبال السراة ، ولهم صدور اوديتها وشعابها الغربية ومسابل تلك الشعاب والاودية . ونزل فهم وعدوان من قيس عيلان بجوار هذيل ، وخزيمة بن مدركة أسفل هذيل ، واستطالوا فى تلك التهائم الى أسياف البحر ، واقام ولد النضر بن كنانة حول مكة وما والاها وبها جماعتهم وعددهم ، فكانوا جميعا ينتسبون الى النضر بن كنانة . واقام ولد فهر حول مكة حتى انزلهم قصى بن كلاب الحرم وهم قريش (١) فنزل الحجاز من العرب على اختلاف أصولهم أسد وعيس وغطفان وقزارة ومزينة وسليم وفهم وعدوان وهذيل وخثعم وسلول وهلال وكناب بن ربيعة وطى وأسد وجهينة وغيرها (راجع الخريطة الثامنة)

وكل قبائل عدنان بدو رحل ، الا قريشا (٢) فانهم تحضروا فى مكة وسيأتى ذكرهم

هذه فذلكة اختصرنا فيها تفرق قبائل عدنان من تهامة الى انحاء بلاد العرب ، وقد حدث ذلك على الغالب فى القرون الاولى قبل الميلاد وبعده بالتدريج . بقى علينا ايراد أخبارهم بعد تفرقهم الى ظهور الاسلام . ولكنهم قبائل رحل لا كتابة عندهم ولا مقر لهم ، واكثر حوادثهم الغزو والنهب ، الا ما ذكرناه عن بعض قبائل قضاة . فلا يتأتى سرد وقائعهم متناسقة ، وقلما يكون لها أهمية تاريخية ، لان اكثرها خصام على مرعى أو ماء ، أو اختصام على فتاة أو نهب أو نحو ذلك . ولم يحفظ الاخباريون منها الا وقائع قليلة سموها « أيام العرب » ، سنأتى على خلاصتها بعد ان نذكر من بقى من ذول الطبقة الثالثة غير عدنان من عرب الشمال فى الطور الثانى ، نعنى الدول القحطانية خارج اليمن

الدول القوطانية خارج اليمن

قد رأيت من تاريخ سبأ وحمر أنهم ملكوا اليمن بضعة عشر قرناً ، وكانوا دولاً تجارية قليلة الغزو والحرب ، فكان القتل فيهم قليلاً وكانوا يتكاثرون حتى تضيق بهم مواطنهم ، وهم عرضة للقطط من قلة المطر أو انفجار الاسداد ، فكانوا ينزحون بطوناً وافخاذاً يطلبون الرزق في أطراف جزيرة العرب شرقاً وشمالاً ، فينزل بعضهم البعثة أو البحرين أو عمان أو الحجاز أو مشارف الشام أو العراق ، فحيثما آتسوا فرجا استقروا وتناسلوا بدوا أو حضرا ، وقد تطول آجالهم حتى ينشثوا اندول ويبنوا المنازل أو تقصر فيبيدون بالحرب أو غيرها . ولقلة الكتابة عندهم لم يصل إلينا من أحوال النازحين إلا القليل . وقد وصلنا هذا القليل مشوشاً مضطرباً ، لضباع أخبارهم واختلاطها لبعدها . وهذا هو سبب اختلاف الرواة في أنسابهم ، بين أن يرجعوا بها إلى حمير أو كهلان أو معد أو العمالة أو غير ذلك مما يعسر تحقيقه . فننظر في تلك الدول أو القبائل من حيث تأثيرها في شؤون التاريخ

فالدول العربية التي ظهرت في شمال جزيرة العرب من الطبقة الثالثة - غير قبائل عدنان التي تقدم ذكرها - بضع دول بعدها مؤرخو العرب من بني قحطان ، وقد جاريئناهم في تسميتها ، وأهمها : دول الغساسنة في الشام ، والمناذرة في العراق ، وكندة في نجد وما يليها . ويقول نسابو العرب أن هذه الأمم وبضع عشرة أخرى من القبائل التي عاصرتها في شمالي جزيرة العرب ترجع بانسابها إلى كهلان بن سبأ بن قحطان على هذه الصورة :

كهلان	على
	الاشعر
	بجيلة
	جَلَم
	الاند
	عاملة
	كننة
	لخم - نصر
	مذحج
	همدان
	ماذن
	غسان
	عدنان
	مزينة
	ازد شنوة
	الاوس
	الغزرج
	خزاعة

فهذه القبائل - وعددها ١٩ قبيلة - لكل منها بطون ، وأفخاذ ، وعمائر ، وعشائر لا يهمنها منها في هذا المقام الا التي انشأت الدول وكان لها دخل في التاريخ ، على ما وصل الينا من أخبارهم ، وهي غسان ولخم وكندة

انساب هذه الدول قحطانية ام عدنانية

أجمع النسابون تقريباً على نسبة هذه الأمم الى كهلان من قحطان ، وانهم خرجوا من اليمن وتفرقوا في أنحاء جزيرة العرب مع من ذكرناهم من اخوانهم بعد تهدم سد مأرب ، وان هذه البطون هاجرت من اليمن على اثر سيل العرم . ولهم في ذلك حديث لا بأس من ايراد خلاصته : قالوا ان الامكنة المعمورة في ارض اليمن كان اكثرها لكهلان وحميز ، وكان رئيس القوم يومئذ عمرو بن عامر ماء السماء من كهلان ، فتوفي عن عدة اولاد قبل السيل ، فخلفه على الرئاسة اخوه عمران بن عامر - وليس له اولاد - وكان ذا ثروة وله من الحدائق والبساتين ما لم يكن لاحد غيره مثله . وكان في قومه كاهنة اسمها طريفة ، فانبأته بقرب انفجار السد بجرذ تنقب فيه . فخاطب خاصته بذلك ، واستكنمهم الخبر حتى يحتال في الخروج بهم الى بلاد اخرى ، فتواطأ مع ابني اخيه على ان يخاصموا ويهيناه ، فيظهر الغضب ويمزم على الرحيل ويعرض امواله للبيع فيشترىها الناس ويقبض اثمانها ويرحل . وقد وفق الى ما اراد فابتاع الحميريون بساتينه وحدائقه وقصوره وهم لا يعلمون ، وارتحل بنو كهلان من اليمن وهم ارهاط فنزل كل رهط منها في بلد ، وهم :

(١) رهط ثعلبة العنقاء بن عمرو بن عامر ، نزلوا المدينة ومنهم الاوس والخزرج

(٢) رهط حارثة بن عمرو بن عامر ، نزلوا مكة وهم خزاعة

(٣) رهط عمران بن عامر نفسه ، ذهبوا الى عمان وهم ازد عمان

(٤) رهط ازد شنوءة في تهامة

(٥) جفنة بن عمرو بن عامر - وهو مزيقياء - سار نحو الشام ، وهم الفساسنة

(٦) لخم في العراق ، وهم المناذرة او آل نصر

وهؤلاء غير طيء وكندة وغيرهما ، ولهم في تفرقهم اقوال اخر . وكل هذه البطون او القبائل قد رأيت انها ترجع بانسابها الى كهلان بن سبا ، اي

انهم قحطانية - ذلك ما اجمع عليه العرب ، ولكن لنا رأيا في هذا الاجماع لا يخلو ذكره من فائدة

قد رأيت فيما ذكرناه عن الفروق بين القحطانية والعذنانية أن لكل منهما خصائص في اللغة والاجتماع والعادات والدين واسماء الاعلام ، واذا تدبرت احوال هذه الدول من غسان ولخم وكندة رأيتها تنطبق على العذنانية أكثر مما تنطبق على القحطانية من حيث اللغة ، فاننا لم نر في كلامهم وأقوالهم ما يدل على أنهم كانوا يتكلمون لغة حمير ، بل لغة العذنانية او عرب الشمال في الطور الثاني . وقد يقال أنهم اقتبسوا لغة الوسط الذي انتقلوا اليه ، ولكننا نستبعد ذلك لأن الغالب في اقتباس لغة الآخرين أن يقع من الضعيف نحو القوى - فلو كان أولئك القوم قادمين من بلاد اليمن لحافظوا على لسانهم وسائر عاداتهم ، لأنهم كانوا يومئذ أرفع منزلة من بدو الشمال ، وكان هؤلاء ينظرون الى اليمنية نظره الى أهل الدولة ويمدونهم الملوك ، كما ينظر البدوي الأمي الى المتمدنين أصحاب الصولة والعلم . وزد على ذلك أن اليمنية كانوا يكتبون بالحرف المسند ، ولا نرى لهذا الحرف ذكرا في أخبارهم ولا اثرا في أطلائهم

وقد علمت أن الكهلانيين أهل حضارة ، كما رأيت فيما ذكرناه من حديث سبل العرم ، وكيف ان الكهلانيين كانوا أهل حدائق وقصور باعواها وانتقلوا . فلو صح ذلك لاختاروا الإقامة في بلد آخر من اليمن غير مأرب وما جاورها ، لأن السيل لم يخرب الا جزءا صغيرا من اليمن ، فلم يكونوا يعدمون مكانا يقيمون فيه كما كان يقيم سواهم من قبائل الحضرة . واخوانهم الحميريون ما زالوا أهل دولة وعمران ، وظلوا في رفد ورخاء وسعة من العيش الى ظهور الاسلام

فما كان أغنى الكهلانيين عن الرحلة الى بادية الشام او العراق والرجوع الى البداوة ، وهى شاقة على من تعود الحضارة والرخاء

واعبر ذلك في معبوداتهم ، فانها من معبودات عرب الشمال او العذنانية ، ولم نجد عندهم ما يميزهم عن هؤلاء من هذا القبيل . ولو كانوا من عرب اليمن لوجدنا بين معبوداتهم اسم عشتار او ايل او نحوهما

وهكذا يقال في اسمائهم ، وليس فيها رائحة الاعلام السبائية او اليمنية ، بل هى مثل اسماء سائر عرب الشمال ، ولا سيما الذين سكنوا مشارف الشام قبلهم كالانباط ونحوهم ، ومنها الحارث ، وثعلبة ، وجبلة ، والنعمان ، وغيرها . ولا يعترض بما ذكره العرب بين اسماء ملوك حمير

من امثال هذه ، فان اكثرها مبدل بأسماء شمالية ، وانما عمدتنا فيما ذكرناه على الاسماء التي وقفوا عليها في الآثار المنقوشة

فلا دليل على قحطانية هذه الامم الا اقوال النسابين ، وهي اضعف من ان يعول عليها في هذا الشأن ، لاحتمال أن تكون تلك الامم قد انتحلت الانتساب الى عرب اليمن ، التماسا للفخر بين قوم لا يعرفونهم ، ولا سيما بعد ان تقربوا من الروم أو الفرس وصاروا من عمالهم

هذه ملاحظات نعرضها على أولى البحث لينظروا فيها ، فاذا رأوا فيها اصابة والا فلا دخل لها فيما سنورده من تواريخ تلك الدول وعلاقتهم بالدول المعاصرة (❦)

فلنتكلم عن هذه الدول واحدة واحدة ، وهي : غسان ، ولخم ، وكندة . ونبدأ بغسان

(❦) لا زال أصل المناذرة (اللخيين أصحاب الحيرة) موضع خلاف بين المؤرخين ، فلانبرى ان كانوا قحطانيين هاجروا من اليمن أو عذنانيين انتشروا نحو الشمال الغربي عندما خالفتهم بلادهم . وقد أورد ابن الكلبي روايات شتى ، بعضها يقول بهذا وبعضها يقول بذاك ، ولكن غالب رواياته يقول بأنهم من عرب الشمال . وعن ابن الكلبي أخذ الطبري ودجج القول بأنهم يمن . ولم يقطع جواد علي في الموضوع برأى (تاريخ العرب قبيل الاسلام : ج ٤ ص ١٧ وما يليها) ونحن نرجح رأى جرجي زيدان، وأن كنا لا نمتنع أن تكون جموع العرب التي نزلت في هذه النواحي وأقامت دولة اللخيين خليطا من عرب الشمال وعرب الجنوب . وغالبية اللخيين من قبيلة كندة التي كانت في الأصل ملك اللخميين في الحيرة من أجداد الس

دولة الفساسة

يزعم نسابو العرب أن الفساسة لم يرحلوا من اليمن إلى الشام رأساً ، بل أقاموا حيناً في تهامة بين بلاد الأشعرين وعك ، على ماء يقال له غسان ، فنسبوا إليه . وكان هذا المكان معروفاً هناك حوالي تاريخ الميلاد ، وقد ذكره اليونان في أواسط القرن الثاني قبل الميلاد في جملة بلاد تهامة وشواطئ البحر الأحمر . أما القبيلة فذكرها بطليموس في أواسط القرن الثاني للميلاد (١) قال : « أنهم يقيمون على شواطئ جزيرة العرب الغربية نحو ما هو الآن تهامة » ، فإذا صح انتقادنا نسبة الفساسة إلى كهلان كانوا في الحقيقة من عرب تهامة العدنانيين ، أو غيرهم ممن ضاعت أنسابهم

وعلى كل حال فإن الفساسة نزلوا مشارف الشام وفيها الضجاعم من قضاة فغلبوهم على ما في أيديهم كما تقدم ، وأنشأوا لأنفسهم دولة تحت رعاية الروم - فيما هو الآن البلقاء وحوران - عرفت بدولة الفساسة أو بنى غسان ، فتحضروا بتوالي الأجيال وعمرروا المدن وشادوا القصور والقلاع ، وكانت عاصمتهم بصرى في حوران ، وتعرف انقاضها بأسكى شام ، وكان فيها دير بحراء الراهب



الخريطة السادسة - مشارف الشام والعراق ومنازل غسان ولخم

ملوك غسان

ان ما ذكره كتاب العرب عن ملوك هذه الدولة كثير الاختلاط والاضطراب ، لتناقضه ونقصه ومخالفته في بعض اجزائه لحوادث الدول المعاصرة . واقدم ما لدينا عن تسلسل ملوك غسان واوقافها « كتاب سني الملوك لحمزة الاصفهاني » وهو اقدم المحققين من مؤرخي العرب ، وغرضه على الاكثر تحقيق توالي الملوك ومدد حكمهم ومعاصريهم وقلما يلتفت الى اعمالهم . فعنده ان ملوك غسان ٣٢ ملكا حكموا نحو ستمائة سنة ، وقد اورد اسماءهم وانسابهم ومدد حكمهم كما تراها في الجدول الآتي :

ملوك غسان على رواية حمزة الاصفهاني

مدة الحكم	مدة الحكم	مدة الحكم
٢١	١٧ النعمان بن الابهيم	٤٥ جفنة بن عمرو مزقياه
٢٢	١٨ الحارث الثالث بن الابهيم	٥ عمرو بن جفنة
١٨	١٩ النعمان بن الحارث الثالث	١٧ ثعلبة بن عمرو
١٩	٢٠ المنذر بن النعمان	٢٠ الحارث الاول بن ثعلبة
٢٣	٢١ عمرو بن النعمان	١٠ جبلة بن الحارث الاول
١٢	٢٢ حجر بن النعمان	١٠ الحارث ٢ بن جبلة « ابنمارية »
٢٦	٢٣ الحارث الرابع بن حجر	٣ المنذر الاكبر بن الحارث الثاني
١٧	٢٤ جبلة بن الحارث الرابع	١٥٥٠ النعمان بن الحارث
٢١	٢٥ الحارث بن جبلة « بنابي شعر »	١٢ المنذر الاصغر بن الحارث
٣٧	٢٦ النعمان بن الحارث « ابو كرب »	٢٤ جبلة بن الحارث
٢٧٥	٢٧ الابهيم بن جبلة بن الحارث	٣ الابهيم بن الحارث
١٢	٢٨ المنذر بن جبلة بن الحارث	٢٦ عمرو بن الحارث
٢٥	٢٩ شراحيل بن جبلة بن الحارث	٣٠ جفنة بن المنذر الاكبر
١٠	٣٠ عمرو بن جبلة بن الحارث	١ النعمان بن المنذر الاكبر
٤	٣١ جبلة بن الحارث	٢٧ النعمان بن عمرو المنذر الاكبر
٣	٣٢ جبلة بن الابهيم	١٦ جبلة بن النعمان

فعدة سيادة الفسائيين - على رواية حمزة المذكور - نحو ٦٠٠ سنة ،
 اى من اوائل القرن الاول للميلاد الى ظهور الاسلام . ولكننا نعلم من
 قرائن اخرى - ومما قدمناه من أن الفسائيين كانوا في اواسط القرن
 الثاني للميلاد لايزالون في تهامة - ان هذه الرواية لا تخلو من الخطأ

وقد عني الاستاذ تولدكه الالمانى الشهير بدرس تاريخ هذه الدولة من مصادر يونانية وسريانية ، فوجد ملوكها الذين عرفهم الروم لايتجاوز عددهم عشرة ملوك ، اقدمهم حكم فى آخر القرن الخامس للميلاد ، وآخرهم عند ظهور الاسلام فلا تتجاوز مدة حكمهم قرنا وبعض القرن

وهاك جدولا للملوك الفسائيين الذين اعترف تولدكه بوجودهم : (١)

٥٠٠	١ جيلة ابو شعر	توفى نحو سنة
٥٦٩	٢ الحارث بن جيلة ابى شعر	
٥٨٢	٣ المنذر ابو كرب بن الحارث	
٥٨٣	٤ النعمان بن المنذر	
من سنة ٥٨٣ - ٦١٤	٥ الحارث الاصغر بن الحارث الاكبر	
	٦ الحارث الاعرج بن الحارث الاصغر	
	٧ النعمان بن الحارث الاصغر	
	٨ و ٩ عمرو اخو النعمان وحجر ابنه	
٦٣٦	١٠ جيلة بن الابهيم	

واستخرج تولدكه من اشعار العرب وغيرها اسماء ملوك وافراد فسائيين لم يذكرهم المؤرخون ، كابن سلمى الذى ذكره حسان ، ويزيد بن عمرو فى الاغانى وغيرهما ، وعثر على تفاصيل من احوال اولئك الملوك لم يعرفها العرب او انهم شووها بالتناقل ، واتكر كثيرا من الحوادث التى ذكرها العرب للفسائيين ، او وضع فيها شكا

والاستاذ تولدكه بحاث نقاد ، وقد عول فيما قاله على ماخذ وثيقة من تواريخ الكنيسة او الدولة البيزنطية ، اكثرها مدون فى حينه وجاءت اخبار هؤلاء الملوك فيها مقرونة باخبار قياصرة القسطنطينية او ولاة الشام ، وتواريخهم معروفة ثابتة . فلا ننكر عليه اصابته فى كثير من ملاحظاته ، ولكننا لا نوافق على حصر تلك الدولة فى عشرة ملوك حكموا مائة سنة وبعض المائة ، كما اتنا لا نوافق حمزة الاصفهاني على انهم ٣٢ ملكا حكموا ستة قرون للاسباب الآتية :

الروم والعرب

فتح الاسكندر الشام والعراق فى القرن الرابع قبل الميلاد ، واراد اصحابه اكتساح جزيرة العرب فامتنعت عليهم لوعورة الطرق اليها وبداوة

أهلها ، وقاتلوا النبطيين فارتدوا عنهم خائبين . وتبين خلفاء الاسكندر على الشام ان اخضاع اهل البادية لا يتيسر لهم ، فعمدوا الى مسالمتهم للاستعانة بهم في نقل المتاجر او حماية الطرق ، او استنصارهم على جيّراتهم الفرس او غيرهم . ودخلت الشام في حوزة الرومان في القرن الاول قبل الميلاد ، وبداية الشّام في حوزة الانباط ومن والاهم وحالفهم من العرب . وقد رايت ما آل اليه امر الانباط في اول القرن الثاني للميلاد ، ولم يغلبهم الروم الا لتحضرهم واركانهم الى السكينة والرخاء ، فتفرقوا في مشارف الشام والعراق

اما بدو العرب في تلك الضواحي فلم يغلبهم الروم ولا غيرهم ، فكانوا يضايقون الدولة فينزولون اطراف المدن للفرز ، او يتعرضون للقوافل بالنهب كما كان البدو يفعلون فيما مضى بقوافل الحج وغيرها . ويؤس الروم منهم فعمدوا الى مسالمتهم لاتقاء شرهم ، واشهرهم يومئذ الضجاعة بنو سليح من قضاة

وكانت العراق وفارس يحكمها ملوك الطوائف بعد الاسكندر ، يستبد كل منهم بقسم منها ، يشتغلون بذلك عن مناوأة الروم أعدائهم القداماء . حتى اذا نشأت الدولة الساسانية في اول القرن الثالث للميلاد ، وجمعت كلمة الفرس تحت لوائها ، أصبح الروم يخافونها على بلادهم ، لما بينهما من المنافسة القديمة ، فازدادت رغبتهم في تقرب العرب ، ليس لاتقاء شرهم فقط بل للاستعانة بهم على أولئك المنافسين

واتفق نزوح الفسانيين نحو الشمال كما تقدم ، وقد نزلوا باللقاء - وفيها الضجاعة وغيرهم من قبائل العرب - وتنازعوا على المقام هناك ، وتنافسوا في النفوذ على اهل البادية ، فظهر الفسانيون . فلما احتاج الروم الى نصرتهم استنصروهم وقربوهم ، فتنصروا بتوالي الاجيال واصبح لهم شأن في حروب الروم والفرس

عدد ملوك غسان ومدد حكمهم

لا مشاحة في ان المؤرخين اختلفوا كثيرا في عدد ملوك هذه الدولة وفي تسلسلهم ومدد حكمهم ، بذلك على ذلك اختلافهم في عدد الملوك من كل اسم على حدة . فذكر حمزة مثلا خمسة ملوك باسم النعمان ، وهم عند ابن الكلبي واحد ، وعند نولدكه اثنان ، وقس على ذلك اختلافهم في سائر الاسماء على هذه الصورة :

عند ابن الكلبي	عند حمزة	عند تولد
١	٥	٢
٣	٤	١
١	٢	١
١	٥	١
النعمان		
المنذر		
الايهم		
عمرو		

واعتبر ذلك الاختلاف أيضا في عدد الملوك على الاجمال ، فقد رأيت أن عددهم عند حمزة الاصفهاني ٣٢ ملكا ، وهم عند أبي قتيبة ١١ ، وعند الجرجاني ٩ ، وعند المسعودي ١٠ ، واختلفوا في أول من ملك منهم ، فقال بعضهم ثعلبة ، وقال آخرون الحارث بن عمرو ، وقال غيرهم جفنة ، وقال غيرهم في ذلك . وقس عليه اختلافهم في تعاقب أولئك الملوك وسنى ملكهم وأعمالهم ، مما يجعل القطع في حقيقة ذلك كله مستحيلا ، فتقتصر على النظر في قائمة حمزة وما جاء في كتب اليونان

يقول حمزة ان عدد ملوك غسان ٣٢ ملكا ، أولهم جفنه بن عمرو وآخرهم جبلة بن الایهم ، وأنهم حكموا نحو ستمائة سنة . وذلك كثير ، لأن الفسائيين لم ينزلوا الشام إلا بعد أواسط القرن الثاني للميلاد ، وقد يكون نزولهم في القرن الثالث ، فلا تتجاوز مدة حكمهم ٤٠٠ سنة . وهذا ما قاله أبو الفداء (١) مع أنه أورد من أسماء ملوك غسان مثل الذي أورده حمزة ، وفي مثل ترتيبه ، ولكنه خالفه في مجمل سنى حكمهم ، وأغضى عن مدة حكم كل واحد منهم على حدة . ولعله تحاشى ذلك لتحقيقه من سياق التاريخ ان مدة دولتهم لم تتجاوز ٤٠٠ سنة ، مع اعتقاده صحة عدد ملوكها ، فخاف اذا جارى حمزة في ذكر مدة حكم كل منهم أن تاتى النتيجة مخالفة لما تحققه ، فاكتفى بذكر المدة على الاجمال . ولو أمعن النظر في تفصيل سنى الحكم ، مع تعاقب الحاكمين من حيث تسلسلهم من الأب الى ابنائه ، لظهر له سبب ذلك الاختلاف ، فيعلم أن ما أورده حمزة من تفصيل سنى الحكم لا يخالف ما تحققه هو عن مجملها

وبيان ذلك ان الاصفهاني نقل مدد أولئك الملوك كما سمعها أو قرأها

ممن سبقه ، كل ملك على حدة كما في القائمة التي ذكرناها ، ثم جمع
السنين فبلغت نحو ستمائة سنة ، وجمع عدد الملوك فبلغ ٣٢ ملكا ، فذكر
ذلك مجملا في آخر الكلام ، وهذا مصدر الخطأ . لأن مدد الحكم ، اذا
نبت مقدار كل منها على حدة ، لا يستلزم أن يكون مجموعها صحيحا . إذ
يؤخذ من تعدد الاخوة الذين تولوا الحكم في بعض الاحوال ان كثيرين منهم
كانوا يحكمون متعاصرين ، اذ لا يعقل أن يحكم اولاد الحارث الثاني بن
جيلة (ابن مارية) الستة مثلا الواحد بعد الآخر بعد وفاة والدهم ، ومجموع
مدد حكمهم ٩٤ سنة ، لاننا اذا فرضنا ان والدهم توفي في سن الاربعين
لاقتضى أن يعيش معظمهم اكثر من مائة سنة . ويقال نحو ذلك في أبناء جيلة
ابن الحارث بن ابي شمر ، وأبناء المنذر والنعمان - ولايضاح ذلك رتبنا
ملوك غسان في جدول ، حسب تناسلهم على رواية حمزة وابي الغداء ،
وبجانب كل اسم مدة الحكم تقريبا (انظر الجدول في الصفحة التالية)

فاذا نظرت في هذا الجدول تبين لك ما اردناه ، وهان عليك رد مجموع
مدد الحكم الى ٤٠٠ سنة ، وان كنا لا نستطيع تعيين كل مدة على حدة
تعيينا دقيقا

بقى علينا النظر فيما صح عند الاستاذ نولدكه من فلة ملوك هذه
الدولة . فعنده ان عددهم لا يتجاوز عشرة ملوك ، فكيف يمكن تطبيقها
على قائمة حمزة ؟ ولو جعلنا مجموع المدد ٤٠٠ سنة فان الفرق لا يزال
بعيدا . وتعليل ذلك في اعتقادنا ان الفسائيين قضوا زمنا طويلا في ضواحي
الشام ، يتوارثون الامارة والروم لا يعرفون عنهم شيئا ، لانهم لم يحتاجوا
الى نصرتهم ولم يستخدموهم في جندهم . والفسانيون في اثناء ذلك
يحكمهم امرأهم وهم يحصون سنى حكمهم . وقد يتعاصر اميران او ثلاثة
او اكثر ، فيتولى كل منهم بطنا أو رهطا من القبيلة - وما زالوا على ذلك
حتى احتاج الروم اليهم في محاربة الفرس ، فلما استخدموا بعضهم
ومنحوهم لقب ملك - كما سيجيء - اطلق العرب هذا اللقب على سائر
امرائهم فسموهم ملوك غسان ، كما يطلق المؤرخون على ولاية مصر من أبناء
محمد على لقب « خديو » ، مع ان اول من نال هذه الرتبة منهم اسماعيل
وهو خامسهم . وهذا هو جدول ملوك غسان :

حكم من سنة		
٢٢٠ م	جفنة بن عمرو	
٢٦٥	عمرو بن جفنة	
٢٧٠	نعلبة بن عمرو	
٢٨٧	الحارث الأول بن نعلبة	
٣٠٧	جيلة بن الحارث الأول	
٣١٧	الحارث الثاني بن جيلة « ابن مارية »	
٣٢٧	عمرو جيلة الابهيم النعمان	النذر الاصغر النذر الاكبر
٣٨٠	النعمان الحارث الثالث	النعمان جفنة المحرق عمرو « لم يحكم »
٤٣٠	النعمان	النعمان عمرو جيلة
٤٦٠	حجر النذر عمرو	
٤٨٦	الحارث الرابع	
٥١٢	جيلة	
٥٢٩	الحارث بن أبي شمر « الخامس »	
٥٦٩	النعمان ابو كرب جيلة « لم يحكم »	
٦٢٥	شراحيل الابهيم النذر عمرو الحارث « لم يحكم »	
٦٣٣	جيلة جيلة	

ويؤيد ذلك أن الروم لم يحتاجوا الى نصره العرب لمحاربة الفرس في
 أوائل الدولة الساسانية ، لأنهم كانوا يحتقرونها ويعتدون بقوتهم ، حتى
 كانوا يهاجمون الفرس في بلادهم ، وقد غلبوهم أيام دقلديانوس مرارا في

أواخر القرن الثالث للميلاد وأوائل الرابع ، وتنازل لهم الفرس عن بعض بلادهم (١) ثم أصاب الدولة الرومانية الانقسام وتضعفت أحوالها بالحروب الأهلية ، حتى استبد قسطنطين بالدولة وجمع شتاتها ، وانصرف الى نشر النصرانية وتأييدها . وافضت حكومة الفرس في أيامه الى سابور ذي الاكتاف ، فحاربه الروم ، وكانت عاصمته في جندى سابور فنقلها الى المدائن بالعراق ، وطال حكمه وحارب الروم في عدة وقائع في أواسط القرن الرابع . وفي أوائل القرن الخامس عقد يزيدجر بن بهرام معاهدة صلح مع الروم لمائة سنة ، وشعر الروم بضعفهم من ذلك الحين ، ورأوا الفرس يستنجدون النخمين عرب العراق ، فاضطروا الى استنصار عرب الشام وهم الفساسنة

ملوك غسان في تاريخ اليونان

أول من ذكره اليونان من أمراء غسان في خدمة الروم امير اسمه « جبلة » ، لم يذكره والده ولا لقباً يمتاز به ، وإنما قالوا انه نصرهم سنة ٩٤٧ م فأخذ ثورة أفلقت راحتهم ، فمنحوه رتبة فيلارك Phylarch أى امير أو رئيس قبيلة ، وجعلوه عاملاً على بطرا . ويرى تولدكه ان جبلة هذا هو والد الحارث بن جبلة ، أكبر ملوك غسان وأكثرهم ذكراً في كتب اليونان من ٥٢٩ - ٥٦٩ م ، وإذا نظرنا في قائمة حمزة بعد تعديل سنن الحكم بحسب تعاقب الابناء نراه يوافق الحارث بن أبى شمر ، فقد قدرنا هناك انه نبغ في أوائل القرن السادس . وجاء في أخباره بكتب العرب ما يلائم أخبار الروم عنه (٢)

وقد جاء في تاريخ مالالاس ان الحارث المذكور حارب المنذر ملك الحيرة سنة ٥٢٨ م ، وهو المنذر بن ماء السماء (حكم من سنة ٥١٤ - ٥٤٦) كما سترى في تاريخ ملوك الحيرة . وكان الحارث المذكور يومئذ يلقب فيلارك فاستعانه الروم بواقعة في السامرة انتصر فيها ، فرقه سنة ٥٢٩ وسموه « باسيلوس » ومعناه في لسانهم « الملك » ، ولكنهم كانوا يستخدمونه اصطلاحاً لقباً للأمراء على أعمالهم ، كما فعل المسلمون بعد ذلك في العصر الاسلامي الوسطى ، فكانوا يسمون الوزراء والقواد ملوكاً . ولما عرض اكتاب السريان ذكر هذا الامير في كتبهم ترجموا اللقب حرفياً فقالوا :

(١) Gibbon, 1.243

(٢) ابن خلدون ٢٩٩ ج ٢

« ملك » ، وجاراهم العرب في ذلك . أما الروم فلا يفهمون منه هذا المعنى ، ولذلك فلما أرادوا ترقية الحارث المذكور بعدئذ لقبوه بالطريق ، وهو لقب اشراف الروم وعملهم . وعرف من ذلك الحين باسم « الطريق الحارث » ، وقد تمتع بهذا اللقب هو وابنه أبو كرب ، وشاع ذلك وعرفه السريان واليونان . وكانوا يلقبونه أحيانا « فلافيوس » ، وهو من القاب الفواد عند الروم . أما العرب فلم يحفظوا من القابه غير « الملك » ، وأطلقوه على سائر أمراء هذه الأبرة (✽)

الحارث بن جبلة عند الروم

كان للحارث هذا مقام رفيع عند الروم ، وكانوا يهابون سطوته ويعجبون بشجاعته ، وقد بالغوا في تقريبه وترقيته والخلع عليه ، حتى سموه ملكا وبطريقا كما رأيت ، وبلغ من شهرته في الشجاعة وشدة البأس أن كانت النساء يخوفن أولادهن باسمه ، فإذا بكى الطفل أو تمرد قالت له أمه : « اسكت والا أتيتك بالحارث بن جبلة » ، ولم يبلغ هذه الشهرة الا بعد أن أبلى في نصره الروم والدفاع عن مملكتهم

وكان الحارث هذا من أكبر أعوان بليزاريوس القائد الروماني في محاربة الفرس سنة ٥٣١ م ، لرد هجمات الفرس والعرب المناذرة عن مملكة الروم . وكان كسرى أنوشروان قد خلف أباه قباز على عرش إيران في تلك السنة ، وكان على مملكة الروم القيصر جوستنيان العظيم ، فتعاصر الملكان وكلاهما شديد البأس . وكان جند الروم يومئذ في حرب في أوروبا وأفريقية ، وقائده الأكبر بليزاريوس المذكور . فسعى جوستنيان في مصالحة الفرس ليتفرغ لتلك الحرب ، فصالحه أنوشروان على شروط وضياها . ثم أدرك أنوشروان ما كسبه عدوه بتلك المصالحة ، لأن بليزاريوس أمعن في فتوحه في أفريقيا وإيطاليا ، فندم على صلحه ، ولم يعود النكت ، فلجأ الى عامله على العرب في الحيرة - وهو إذ ذاك المنذر بن ماء السماء اللخمي - وكان ذا دهاء ولم يدخل في المعاهدة . والمنافسة بين المنذر هذا وبين الحارث زعيم الفسائيين طبيعيتهم يومئذ ، وكانا في نزاع على طريق للماشية في جنوبي تدمر ، يزعم

(✽) الثابت من النصوص أن الرومان لم يطلقوا على رؤساء العرب جملة الا لقبى بطريق (Patricius) وفيلارخوس (Phylarchos) ومنه عامل أو رئيس قبيلة - وسمحو لهم بأن يضعوا لفظ فلافيوس Flavius قبل أسمائهم ، وهي من تسميات الأباطرة الرومان - فقالوا « فلافيوس المنذر البطريق »

المنذر أنها من مملكته ، ويقول الحارث أنها له . وتحارباً فانتصر كسرى لعامله ، وكأنه أوعز إليه سرا أن يوغل في سوريا غزوا ونهباً ، ففعل فعادت الحرب بسبب ذلك بين الدولتين . وحمل كسرى على سوريا وآسيا الصغرى وكاد يفتح القسطنطينية ، ونصره المنذر المذكور . فاهتزت مملكة الروم وارتعدت فرائض القيصر ، فاستنهض قائده بليزاربوس ، واستنصر عرب غسان وخلع على زعيمهم الحارث بن جبلة ، فمضى جند الروم بقيادة هذين الرجلين . وتقدم بليزاربوس في معظم هذا الجيش ، حتى خالف جند كسرى في الطريق ، فنزل ما بين النهرين ، وتجاوز نصيبين إلى بلاد الفرس ، وخلف الحارث وراءه ليستائر هو بشعار الفتح والنهب ، وأدرك الحارث غرضه فقطع أخباره عنه . وبلغ كسرى ما فعله الروم ، فرجع إليهم وأخرجهم من بلاده ، ولم يفلح الروم في حملتهم هذه لأسباب لا محل لها هنا ثم تقاتل الفساسنة والخميون ، وطالت الحرب بينهما وانتهت بواقعة آلت إلى دخول قسرين في حوزة الحارث ، بعد أن قتل بعض ابنائه وقتل المنذر بن ماء السماء . وهى المعركة التى يسميها العرب يوم ذات الخيار أو عين اباغ . ويقولون في سببها أن المنذر المذكور نزل عين اباغ وبعث إلى الحارث بالشام يقول : « أما أن تعطينى الفدية فأنصرف عنك بجنودى ، وأما أن تأذن بحرب » ، فأرسل إليه الحارث : « انظرونا ننظر فى امرنا » . فجمع عساكره وسار نحو المنذر وأرسل إليه يقول : « أنا شيخان فلا تهلك جنودنا ، وإنما يخرج رجل من ولدى ورجل من ولدك ، فمن قتل خرج عوضه آخر ، وإذا فنى أولادنا خرجت أنا اليك فمن قتل صاحبه ذهب بالملك » . فتعاهدا على ذلك ، وغدر المنذر بالحارث فأتزل بعض رجاله بدلا من أولاده ، فقتل للحارث ولدان ، ثم علم بالمكيدة فحمل على المنذر برجاله وهم ٤٠٠٠ ر. فقتلوا المنذر وهزموا رجاله (١)

وأعقب « يوم اباغ » « يوم حليلة » ، وفيه حمل المنذر بن المنذر المقتول (تولى سنة ٥٨٢) للأنخذ بثأر أبيه فلاقاه الحارث الاعرج (غير ابن أبى شمر) فى مكان اسمه مرج حليلة ، ودارت الحرب بينهما أياما لا ينتصف أحدهما من صاحبه . فجعل الحارث ابنته زوجة لمن يقتل المنذر ، فقتله لبيد بن عمرو الفسائى . وكانت واقعة هائلة اجتمع فيها عرب العراق كافة تحت راية المنذر ، وعرب الشام كلهم تحت راية الحارث .

وفى ابن الاثير أن الحارث صاحب يوم حليمة هو نفس الحارث صاحب يوم اباغ ، ولكن سياق التاريخ يقتضى أن يكون سواء . فلعله الحارث حفيد ابن أبى شعر ، ولم يذكره حمزة بين ملوك غسان بل ذكر ابنه جبلة (راجع الجدول) أو لعل المنذر ثار لأبيه قبل أن يتولى آنلك

وشخص الحارث بن أبى شعر سنة ٥٦٣ الى القسطنطينية ، لمخابرة انقيصر بشأن ابنه المنذر ، ليكون خلفا له فى امارة القبائل ، وفيما يتنقى اتخاذه من الوسائل على صاحب الحيرة ، وهو يومئذ عمرو بن هند مضطرب الحجارة . وهى اول مرة زار الحارث عروس المدائن (القسطنطينية) فادعته ما رآه فيها من العظمة والابهة والثروة ، كما دهش أهلها من رؤية الحارث الذى طالما سمعوا به وخوفوا أبناءهم باسمه ، فراوه رجلا ذا هيبة وقامة وجلال ، اما هو فلم يستأنس بالمدينة ولا بأهلها ، لبعدها عما ألفه من طلاقة البداية وسذاجة عيشها

والحارث هذا هو الذى توسط لأمراء القيس الشاعر فى الذهاب الى قيصر القسطنطينية ، بعد أن أودع السموال أذرعه فى القصة المشهورة (١) وتوفى الحارث سنة ٢٦٩ م ، وقد قضى أربعين سنة فى الحروب والغزوات ، ونال من المنزلة والسطوة ما لم ينله سواء ، وخلفه ابنه المنذر ، والروم يسمونه المنذروس . وكان على الحيرة قابوس ، أخو عمرو بن هند ، فحاربه المنذر وغلبه . وكان المنذر قد حارب مع جند الروم فى حياة أبيه وهو أمير ، فلما خلف أباه سعى بطريقا وأعان الروم فى مواقع كثيرة ، وحاز فوق ما حازره أبوه من الاحتفاء ، فشخص الى القسطنطينية سنة ٥٨٠ مع ولديه فاحتفل به الروم - وقيصروهم يومئذ طيباريوس ، فالبسه انتاج ولم يلبس أبوه قبله غير الاكليل ، وسماه بعض مؤرخى الروم لذلك « المنذر ملك العرب »

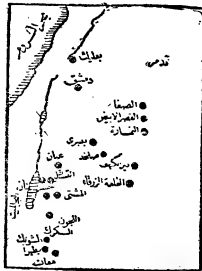
فاذا كان الحارث بن جبلة هذا هو الحارث بن أبى شعر عند العرب كما قلنا ، فالمنذر ابنه هو النعمان بن الحارث عندهم ، ويلقبونه ابا كرب . وليس عندهم للحارث ابن اسمه المنذر ، وانما هو ابن ابنه كما ترى فى الجدول ، فلا ندرى أوقع الخطأ من العرب أم من الروم

وذكر الروم بعد المنذر ابنه النعمان ، حكم سنة ٥٨٢ ولم يطل حكمه

فخلفه الحارث الاصفر ، ثم غيره وغيره كما مر بالجدول المنقول عن تولدكه . ولم يذكر الروم من اعمالهم شيئا ، لانهم قلما استنجدوهم في اواخر الدولة ، لاشتغال الفرس عنهم واشتغال الروم بانفسهم ، الا ما كان من حمل الفرس على مملكة الروم سنة ٦١٣ ، وفتحوا سوريا فذهبت دولة العرب منها وانقضت بذلك فترة الفتح ، وآخر ملوكها عند الروم حجر بن النعمان . فلما نهض هرقل لاسترجاع سوريا من الفرس ظهر من الغسانيين جيلة بن الابهيم ، وخبره مع عمر بن الخطاب في صدر الاسلام مشهور

مملكة الفساسنة وآثارها

لما نزل آل غسان الشام خيموا في باديتها من جهة حوران ، ثم سكنوا البلقاء واذبح ، واتسعت مملكتهم باتساع سلطانهم ، فبلغت معظم اتساعها في ايام الحارث بن جيلة المذكور واولاده ، واصبحت كلمة الغسانيين نافذة



الخريطة السابقة - منازل الفساسنة وقصورهم في حورس

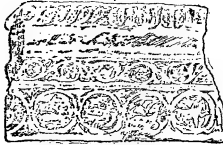
في حوران وسائر مشارف الشام ، وفي تدمر وعلى سائر عرب سوريا وفلسطين ولبنان البدو والحضر . وشاد الغسانيون كثيرا من القصور والادبيل ، وانشأوا المدن والقرى ، وبنوا القناطر واصلحوا الصحاريج .

ومما ينسبون بناءه اليهم من المواضع أو البلاد « قسطل » بالبلقاء ، وفيها يقول كثير :

سقى الله حيا بالموقر دارهم الى قسطل البلقاء ذات المحارب (١)
ومنها اذرح من اعمال الشراة ، والجرباء بجانبها . ويقال ان في اذرح
كان امر التحكيم بين ابي موسى الاشعري وعمرو بن العاص . وشادوا
نجران ومعان

ومما ينسبونه اليهم من القصور صرح الغدير والقصر الابيض والقلعة
الزرقاء وقصر المشتى وقصر الصفا وقصر النمارة وقصر السويداء وقصر
بركة وقصر ابين وغيرها . ومن الادبار دير حالي ودير الكهف ودير هند
ودير النبوة . ومن الابنية الاخرى القناطر وجسر عاملة ، واصلاح صهاريج
الرصافة - رصافة الشام . وذكر لهم العرب ابنية اخرى يصعب معرفة
اماكنها ، لقلة العناية بالتنقيب عن آثار هذه الدولة ولتصحيف بعض
اسمائها

وأخر من عني بالتنقيب عن تلك الآثار الاستاذ دوسو René Dussaud
الفرنسي ، ارتاد جبال حوران ووعورها في اللجا والحراء والرجة وجبل
الصفا ، واطلع على كثير من الآثار والانقاض ، فاستدل من ذلك على خط



بقايا القصر الابيض

دفاع كان في اطراف حوران يفصل بينها وبين البادية . وهذا الخط كان
مؤلّفا في الاصل من عدة حصون ، في جملتها القصر الابيض والنمارة ودير
الكهف والقلعة الزرقاء . وقد شاهد اتقاضها ، فرأى القصر الابيض مبنيا

فى منبسط من الارض مربع الشكل حوله سور فيه برج عال . ووصف قصور النمارة ودير الكهف وغيرها كما شاهدها ، وليست كلها من بناء الغسانيين وان كنا لا نعلم بانيتها . وعلى كل حال فالقصر الابيض يمتاز من بينها بنقوش جميلة ، فيها صور وطيور وخيول وفهود وأسود وبقر وأفيال حتى السمك . وفيه شيء من الطراز الفارسى الساسانى ، والمظنون ان الغسانيين بنوه فى ظل الروم ، ليقيموا فيه على حدود البادية لدفع العرب المهاجمين . ويرى دوسو خلاف ذلك ، مجارة لتولدكه بقرب عهد الفساسنة (١) وتلك الابنية أقدم منها عهدا ، لا سيما وانهم عثروا فى انقاض النمارة على اثر عربى مكتوب بالحرف النبطى سنة ٣٢٨ م ، عن امير لخمى ، ولم يجدوا فيه ذكرا لامير غسانى . وسنعود الى ذلك (✱)

(✱) أورد جواد على فى الجزء الرابع من كتابه « تاريخ العرب قبل الاسلام » ص ١٢٤-١٥٩ تفاصيل أعمال كل ملك من ملوك الفساسنة بحسب ما رواه حصة الاسفهانى وراجعها على ما ذكره تولدكه وما عثر عليه فى النصوص

دولة اللخميّين

في العراق

كان اللخميون عمال الفرس على اطراف العراق ، كما كان الفساسنة عمال الروم على مشارف الشام . وقد رايت في كلامنا عن قضاعة ان اول من حكم العراق آل تنوخ ومنهم جذيمة الابرش ، وان الحكم صار بعده الى ابن اخته عمرو بن عدى وهو من آل نصر فرع من لخم . ولذلك فان هذه الدولة تسمى دولة آل نصر ، او آل لخم او آل عمرو بن عدى ، او ملوك الحيرة ، او المناذرة على السواء

وتاريخ هذه الدولة اوضح من تاريخ آل غسان واثبت ، لانه كان مدونا في كتب الحيرة مثبتا في كنائسهم واشعارهم ، وفيها انسابهم واخبارهم ومبالغ اعمار من ولى منهم للاكاسرة وتاريخ نسبهم ، وعليها كان معول للمسلمين فيما ورد من اخبار هذه الدولة (١)

واكمل ما وصل الينا من توالى ملوك هذه الدولة ومبالغ اعمارهم ما ذكره حمزة الاصفهاني في كتابه سنى الملوك ، فانه اورد نسب كل ملك ومدة حكمه ومن عاصره من ملوك الفرس ومدة معاصرة كل ملك ، ولذلك هان علينا تعيين بداية حكم كل منهم ونهايته مع ملاحظة قرائن اخرى اقتضت التعديل في بعض الاحوال . ولا سيما في مدد حكم بعض الملوك التي تجاوزت طول المقول ، كمدة حكم عمرو بن عدى فقد جعلوها ١١٨ سنة ، ومدة خلفه امرئ القيس ١١٤ سنة ، فعدلنا ذلك وامثاله بالتطبيق على مدد حكم المعاصرين من ملوك الفرس وغيرهم وبقرائن اخرى - وهذا جدولٌ بأسماء ملوك الحيرة وبداية تاريخ كل منهم ، وبجانبه جدول ملوك الفرس الساسانية الذين عاصروا تلك الدولة :

ملوك الدولة الساسانية في فارس

سنة الحكم	مدة الحكم	اسم الملك
٢٢٦	١٥	أردشير
٢٤١	٢١	سابور الأول بن أردشير
٢٧٢	١	بهرام الأول هرمز بن سابور
٢٧٣	٣	بهرام الثاني بن بهرام
٢٧٦	١٧	بهرام الثالث بن بهرام بن بهرام
٢٩٢	٩	نرسی بن بهرام
٣٠٢	٧	هرمز الثاني بن نرسی
٣٠٩	٧٠	سابور الثاني ذو الانتاف
٣٧٩	٦	أردشير الثاني بن سابور
٣٨٣	٥	سابور الثالث بن سابور
٣٨٨	١١	بهرام الرابع بن سابور
٣٩٩	٢١	يزدجرد الأول بن بهرام «الانيم»
٤٢٠	١٨	بهرام جود الخامس بن يزدجرد
٤٣٨	١٩	يزدجرد الثاني بن بهرام هرمز الثالث فيروز بن يزدجرد
٤٥٧	٢٧	يزدجرد
٤٨٤	٤	بلاش بن فيروز
٤٨٨	٤٣	قباض الأول بن فيروز
٥٢١	٤٧	كسرى أنوشروان بن قباض
٥٧٩	١١	هرمز الرابع بن كسرى أنوشروان
٥٩٠	٣٨	كسرى برويز بن هرمز
		من شيرويه بن كسرى
٦٢٨	٤	إلى يزدجرد الثالث

جدول ملوك آل نصر في الحيرة

سنة الحكم	مدة الحكم	اسم الملك
٢٣٨	٢٠	عمرو بن عدى
٢٨٨	٤٠	امرؤ القيس بن عمرو
٢٢٨	٤٩	عمرو بن امرؤ القيس
٢٧٧	٥	أوس بن قلام
٢٨٢	٢١	امرؤ القيس الحرق بن عمرو
٤٠٣	٢٨	النعمان الأعور بن امرؤ القيس
٤٤١	٤٢	المنذر بن النعمان الأعور
٤٧٢	٢٠	الأسود بن المنذر
٤٩٢	٧	المنذر بن المنذر أخوه
٥٠٠	٤	النعمان بن الأسود بن أخيه
٥٠٤	٣	علقمة أبو يعق
٥٠٧	٧	امرؤ القيس بن النعمان
٥١٤	٤٩	المنذر بن امرؤ القيس اللقب ابن ماء السماء والحارث بن عمرو الكندي
٥٦٣	١٦	عمرو بن هند مضرط الحجابة
٥٧٨	٤	قابوس أخوه
٥٨١	١	فيشهرت أو «زيد»
٥٨٢	٣	المنذر بن المنذر بن ماء السماء
٥٨٥	٢٨	النعمان بن المنذر أبو قابوس
٦١٢	٥	أياس بن قبيصة
٦١٨	١١	زاديه
٦٢٨	٤	المنذر الفرو

فملوك الحيرة ٢٢ ملكا ، تولوا الملك ٣٦٤ سنة ، وكلهم من نسل عمرو ابن عدى من آل نصر أو لخم ، إلا ستة من الدخلاء ، وهم : أوس بن قلام ، والحارث بن عمرو بن حجر الكندي ، وعلقمة بن يعفر ، وأياس بن قبيصة ، وفيشهرت ، وزاديه الفارسيان وقصة ملكهم جميعا الحيرة

الحيرة

كانت الحيرة على ثلاثة أميال من مكان الكوفة ، في موضع يقال له النجف على ضفة الفرات الغربية ، في حدود البادية بينها وبين العراق ، وتقع الآن في الجنوب الشرقي من مشهد على (١) . وقد أكثر العرب من تحليل اسمها وتعليقه ، على عاداتهم في أرجاع الاعلام الى مشتقات عربية ، فقالوا سميت بذلك من الحيرة أى الضلال ، لأن تبعاً لما بلغ موضع الحيرة - على ما يزعمون - ضل دليله وتحير . وزعم آخرون أن مالكا لما نزلها جعلها حيرا - أى حظيرة أو بستانا - وأقطعه قومه ، ثم صارت الحيرة . وقال غيره بل سميت الحيرة من الحوار ، أى البياض ، لبياض أبنيتها . والحقيقة ان لفظها سرياني معناه الحصن أو المعقل حوله الخندق ، وهى والجزير العربية من أصل واحد ، كما نرى من تقارب اللفظ والمعنى . ولذلك كانوا يعرفونها بقرلهم « حيرة النعمان » أو « حيرة المنذر » ، أى حصنه أو معقله على جارى العادة في انشاء المدن يومئذ . فكان الملك أو الأمير يبنى معقلا لنفسه وحاشيته ، ثم يبنى الناس حوله فيتسع المكان بتوالى الازمان ويصير مدينة . وعلى هذا النمط نشأت البصرة والكوفة والقسطاط وبغداد وغيرها من المدن الاسلامية (٢) * ومن هذا القبيل ما بناه الفساسنة على حدود البادية في شرقي حوران من العاقل أو القصور، فقد كان المراد بشأنها حماية حدود المملكة من جهة البادية ، كما هو الغرض من حيرة العراق

والحيرة المذكورة ما لبثت الا قليلا حتى صارت مدينة ، فيها المنازل والقصور والحدائق والانهار ، على حد قول الشاعر عاصم بن عمرو :

صبحنا الحيرة الروحاء خيلا ورجلا فوق اثباح الركاب
حضرنا في نواحيها قصورا مشرفة كأضراس الكلاب

واشتهرت الحيرة بصحة هوائها لقربها من هواء البرية النقي ، حتى قالوا : « يوم وليلة في الحيرة خير من دواء سنة » . وظلت الحيرة عامرة بعد الاسلام عدة اجيال . وكان بجوارها قصران كبيران هما الخورنق

(١) تاريخ المدن الاسلامي

(٢) Rothstein, 13

(*) الحيرة مدينة قديمة على مقربة من الموضع الذى قامت فيه الكوفة العربية فيما بعد . يرجع أقدم نص ورد فيه اسمها الى سنة ١٢٢ ميلادية ، والغالب أن العرب أخذوا اسمها من صيغته السريانية « حيرتا » أو « حارتا » بمعنى المخيم أو المسكن . وقد ذكرت الحيرة في مؤلفات السريان بأنها « مدينة العرب » أو « حيرة النعمان » . وتذكر مع الحيرة في بعض كتب السريان مدينة أخرى هى « العاقولا » التى ينسب ابن العبري الى انها الكوفة
- Rothstein, Die Dynastie der Lakhmiden, S. 8 sqq.

والسدبر كالقلاع ، والاول منهما على مرتفع مشرف على الحيرة على نحو ميل في شرقها ، وسيأتي ذكرهما

سكان الحيرة

كما كانت الحيرة على طرف العراق في الغرب ، وليس بعدها غير البادية ، وغب فيها البدو فكان يؤمها البدوي لابتياح بعض الحاجيات ، ثم لا يلبث ان يقيم فيها . وكان يأتيها جماعات من مدن العراق والجزيرة ، فرارا من حكم أو تنحيا عن عمل ، كان يحدث احدهم حدثا في قومه أو تضيق به المعيشة في بلده ، فيخرج الى ريف العراق وينزل الحيرة ، ولذلك كان سكانها اخلاطا من أمم شتى أكثرهم من العرب . وقد قسمهم هشام الكلبي الى ثلاثة أقسام : (١) تنوخ - من بقايا العرب الذين كانوا مع مالك بن فهم وجذيمة الابرش ، وكانوا يسكنون المظال والبيوت من الشعر أو الوبر في غربي الفرات ما بين الحيرة والانبار وما فوقها : (٢) العباد - وهم سكان الحيرة نفسها الذين نزلوا فيها وابتنوا المنازل اسكانهم (٣) الاخلاف الذين لحقوا بأهل الحيرة ونزلوا فيهم ، وهم ليسوا من تنوخ سكان بيوت الشعر ولا من العباد (*)

وللعباد شأن في تاريخ العراق قبل الاسلام وبعده ، وقد اختلف الناس في حقيقتهم ، فقال بعضهم ان المراد بهم نصارى الحيرة على الاجمال ، وهم

(*) لم يقتصر أهل الحيرة على البلدة نفسها ، فقد كانت حولها مزارع يفلحها الزراعو مراع يرعى البدو فيها ماشيتهم ، وكانوا جميعا يعتصمون في البلد في أوقات الخطر ويرجعون . ان هذا هو السبب البعيد لتقسيم أهل الحيرة الى ثلاث طوائف هي: تنوخ والعباد والاخلاف وفتنوخ هم جماعات البدو الذين كانوا « بنيخون » حول البلد وعلى مقربة منها ، ويرجع أنهم لم يكونوا قبيلة واحدا كما يفهم من النصوص ، بل اخلاطا من عرب البحرين وعمان وبوادي الشام غالبهم من الاسماعيلية . وينسب ابن الكلبي الى أن تنوخ اصلهم من اولاد معد بن عدنان الذين سكنوا تهامة ثم هاجروا بطونا شتى . واجتمعوا بالبحرين ، وتحالفوا على التنوخ ، وهو المقام فصاروا يدا على الناس ، وسُمي اسم « تنوخ »

ولابن اسحاق رواية أخرى ، فتعقب الى أن ربيعة بن نصر اللخمي هاجر بقومه لخم من اليمن خوفا من غزو الاحباش لليمن ، وأن سابور بن خرزاد ملك الفرس أسكنهم الحيرة ، والغالب كما قلنا أن تنوخا اسم عام على جماعات العرب التي تجمعت حول الحيرة ، وقد يكون بعضهم قد سكنها . أما تفسير ابن الكلبي وغيره للاسم فلا يمكن الاخذ به ، وقد رجح جواد علي أنه تسمية لاسم قبيلة عربية قديمة كانت تقيم في هذه النواحي ذكرها بطليموس في جغرافيته باسم Tanuetae و Tanuithae وقد انتقلت النصرانية الى جماعات العرب التي عرفت بتدخول من الحيرة . وكانت مدينة نصرانية من قديم الزمان ، وكان لها اسقف يحضر المجمع الدينية النصرانية ممثلا لها أما العباد ، فاسم يطلق على نصارى الحيرة نفسها دون غيرهم من نصارى الغربية ، وقد أطلق الاسم تمييزا لنصارى الحيرة عن كان فيها من الوثنيين ، وقد يكون أصل الاسم عباد المسيح ، وهذا هو رأي تولدكه في « تاريخ السامانيين » ورونتاين في تاريخ اللخمين والاخلاف هم الذين نزلوا الحيرة أو ما حولها ولم يكونوا عربا أو عبادا . وكان معظمهم من الفرس والبيد ، وقد كان بعض أولئك التبعت يتحدثون العربية بطلاقة ظاهرة ، وتأثرت عربية حرب الحيرة بهذه الرطانة

في الاصل قبائل شتى من بطون العرب اجتمعوا على النصرانية في الحيرة . ولما صارت النصرانية في اواسط القرن الخامس ثلاث كنائس : المكانية واليعقوبية والنسطورية ، كانت النسطورية من حظ المشاركة على الخصوص في العراق وفارس ، والعباد من حملتهم . وابتنوا في الحيرة بيعة كبرى لهذه الطائفة ، تولاهما عدة اساقفة وزادت اهميتها على الخصوص بعد ان تنصر ملوكها ، يدل على ذلك كثرة ما بنوه من البيع والاديار ، حتى النساء فقد كانت لهن عناية بانشاء المعاهد الدينية ، اشهرها دير هند الكبرى في الحيرة بنته هند أم الملك عمرو بن المنذر المعروف بعمرو بن هند ، وكان على صدر الدير نقش هذا نصه :

« بنت هذه البيعة هند بنت الحارث بن عمرو بن حجر الملكة بنت الاملاك وام الملك عمرو بن المنذر امة المسيح وام عبده وبنت عبده في ملك ملك الاملاك خسرو انوشروان في زمن مار افريم الاسقف . فالاله الذي ننت له هذا الدير يغفر لها خطيئتها ويترحم عليها وعلى ولدها ويقبل بها ويقومها الى امانة الحق ويكون الله معها ومع ولدها الدهر الداهر »

ودير هند الصغرى بنت النعمان بن المنذر . وللنصرانية في الحيرة تاريخ ليس هذا محله . ولايضاح تاريخ ملوك الحيرة نذكر تسلسلهم في جدول :

ثم تأتي على أعمال كل منهم على حدة

ملوك الحيرة آل نصر حسب تسلسلهم ، غير الدخلاء

عمرو بن عدي

امرؤ القيس بن عمرو

عمرو بن امرؤ القيس

امرؤ القيس بن عمرو

النعمان الاعود بن امرؤ القيس

امرؤ القيس

المنذر بن النعمان

المنذر الاسيد

المنذر بن ماء السماء

النعمان

قابوس

المنذر

عمرو بن هند

النعمان (ابو قابوس)

المنذر (المقروء)

ملوك الحيرة

(١) عمرو بن عدى (من سنة ٢٦٨ - ٢٨٨ م) *

هو ابن عدى بن نصر من لخم . تولى عدى شراب جذيمة الإبرش في أثناء دولته ، وكان لجذيمة أخت اسمها رقاش ، أحببت الشاب واحتالت في تزوجه ، وتواطأت معه على أن يسقى أخاها حتى يسكر ثم يخطها ، ففعل فأجابه جذيمة وهو سكران . فلما صحا ندم ، فخاف عدى فهرب . ووضعت رقاش غلاما جميلا ، جاء به بعضهم الى جذيمة فأجبه لجماله وذكاؤه وسماء عمروا . ولما كان ما كان من أمر الزباء وقتلها جذيمة ، قام ابن اخته عمرو المذكور مقامه ، واخذ بثار خاله بحيلة على يد رجل من نخم اسمه قصير حتى قتلها في حديث طويل جاء فيه كثير من الامثال القديمة (١) واتخذ عمرو الحيرة منزلا خاصا به وبأهل دولته في أوائل الدولة نيسانية فعاصر سابور الاول والبهرامات الثلاثة

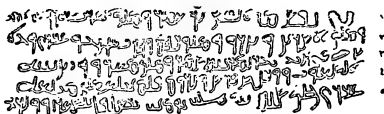
(٢) امرؤ القيس بن عمرو (من سنة ٢٨٨ - ٢٨٢)

وهو امرؤ القيس الاول بن عمرو بن عدى ، ويسمونه البدء . وقد اتسع سلطانه وطالت مدة حكمه وبالعرب فيها فجعلها بعضهم مائة سنة وبعض المائة ، وهي لا تزيد على أربعين سنة . وامرؤ القيس هذا أول من وقف المنقبون على اسمه من ملوك لخم منقوشا على قبره وفيه تاريخ وفاته ، وذلك ان دوسو المستشرق الفرنسى عثر في خرائب النمارق - التى ذكرناها بين آثار الفسائيين في حوران - على حجر مربع الشكل من البازلت مساحته ٤٠ متر في ٣٣ متر ، أصله من انقاض قبر قديم وهو العتبة العليا من ذلك القبر ، وعليه خمسة أسطر منقوشة بالحرف النبطى واللسان العربى الشمالى - وليس باللغة الحميرية أو الحرف المسند كما ينتظر لو

(*) للاخباريين أقوال مختلفة في أصل ملوك الحيرة وأول من حكم منهم . فيذهب الطبرى واليعقوبى الى أن أول ملك للحيرة من العرب هو مالك بن فهم من الأزد وخلفه أخوه عمرو بن فهم على رواية وجذيمة الإبرش المعروف بجذيمة الوضاح في رواية أخرى . وجذيمة شخصية معروفة عند مؤرخى العرب ولكنها تكاد تكون أسطورية . فالطبرى يقول عنه انه « من أفضل ملوك العرب رأيا وأبعدهم مفاردا وأشدهم نكاية » وأظهرهم حزما ، وأول من استجسج له الملك بأرض العراق ، وضم اليه العرب . وغزا بالجيش « (ج ٢ ص ٢٩) . وحكم عشرين سنة وانتقل الملك من بعده الى ابن اخته عمرو بن عدى بن نصر بن ربيعة بن الحارث بن مسعود ابن مالك بن نعيم بن نمارق بن لخم . ولهذا يعرف ملوك الحيرة من العرب بأمال عمرو بن عدى وآل نصر وآل لخم ويجعل الاخباريون أصلهم في اليمن . ويقولون انهم من حمير ومن التميمية انظر حمزة الاسفهانى ، ص ٦٠ وما يليها

والطبرى ، ج ٢ ص ٣٠ وما يليها
(١) ابن الأثير ١٤٩ ج ١

ان آل نصر من بنى قحطان كما يقولون - بل هي منقوشة باللغة العربية الشمالية أو لغة عدنان كما كانت في ذلك الحين ، اى في أوائل القرن الرابع للميلاد ، وبالحرف النبطى الذى كان يكتب به عرب الشمال . وهذه أقدم كتابة عربية شمالية قراوها منقوشة على الآثار ، طولها متر ، و ١٦ سنتيمترا في ٣٣ سنتيمترا ، هذه صورتها :



كتابة عربية بخط نبطى على قبر امرئ القيس بن عمرو

وهذا نصها بالحرف العربى كل سطر على حدة :

- ١ - تى نفس مر القيس بن عمرو ملك العرب كله ذو أسر التاج
- ٢ - وملك الاسدين ونزرو وملوكهم وهرب مذحجو عكدى وجاء
- ٣ - بزجو (؟) في حبيج نجران مدينة شمر وملك معدو ونزل بنيه
- ٤ - الشعوب ووكله لغرس ولروم فلم يبلغ ملك مبلغه
- ٥ - عندى هلك سنة ٢٢٣ يوم ٧ بكسلول بلسعد ذو ولده

هذا لسان عربى تشوبه صيغة آرامية يحتاج تفهمها الى ايضاح . ففيها من الالفاظ الآرامية أو النبطية « تى » اى هذا ، و « نفس » قبر ، و « بر » ابن ، و « عكدى » اليوم . وكان العرب يومئذ في دور الانتقال لاستخدام لغتهم بدل اللغة الآرامية للكتابات الرسمية . واذا نظرت في صورة الخط نفسها رأيتموها في اول دور الانتقال أيضا من الشكل النبطى الى الشكل العربى ، لأن الخط العربى الشائع بيننا الآن متحول عن الحرف النبطى الذى كان شائعا في مملكة الأنباط (١) وقد نشرنا امثلة منه فيما تقدم

وتفسير هذه الكتابة باللغة العربية الفصحى هو :

- ١ = هذا قبر امرئ القيس بن عمرو ملك العرب كله الذى تقلد التاج
- ٢ - واخضع قبيلتى اسد ونزار وملوكهم وهزم مذحج الى اليوم وقاد
- ٣ - الظفر الى اسوار نجران مدينة شمر واخضع معدا واستعمل بنيه

- ٤ - على القبائل وانا بهم عنه لدى الفرس والروم فلم يبلغ ملك مبلغه
٥ - الى اليوم . توفي سنة ٢٢٣ ، في اليوم السابع من ايلول (سبتمبر)
وفق بنوه للسعادة

وكان اهل الشام وهوران وما يليهما يؤرخون في ذلك العهد بالتقويم
البصري نسبة الى بصرى عاصمة حوران ، وهو يبدأ بدخولها في حوزة
الزوم سنة ١٠٥ للميلاد ، فاذا اضيفت الى ٢٢٣ كان المجموع ٣٢٨
للميلاد ، وهي السنة التي توفي فيها هذا الملك

فامرؤ القيس المذكور يرجح انه ملك الحيرة الذي نحن في صدده ، لاننا
لا نعرف ملكا بهذا الاسم عاش نحو ذلك الزمن . ويرى المسيو كليرمون جانو
المستشرق الفرنسي ان لفظ التاج كاف وحده للدلالة على علاقته بالفرس ،
وان وجدوا قبره في حوران وهي تابعة للروم ، لان لقب « ذى التاج » من
القاب ملوك الحيرة . واما وجود قبره في حوران بعيدا عن الحيرة فلعل
سببه ان سلطته امتدت على قبائل العرب في بادية الشام والعراق ، واقواها
يومئذ معد واعد ونزار ومذحج . ويظهر انه حارب شمر يهرعش صاحب
حمير وهو معاصر له (راجع قائمة ملوك حمير) وولى اولاده على تلك الاعمال
كما ذكر على قبره . ويؤيد ذلك قول العرب : « ان امرأ القيس كان عاملا
للفرس على مذحج من ربيعة ومضر وعلى سائر بادية العراق والجزيرة
والحجاز » (١) ولعله جاء الى حوران في مهمة او شأن وتوفي فيها فبنوا
له قبرا ودفنوه فيه . بنوا قبره في ارض رومانية ، وكتبوا عليها بالحرف
النبطي قلم تلك الولاية ، وارخوه بتاريخها ، مما يدل على علائق ودية
كانت بينه وبين الشام (٢) . وعاصر امرؤ القيس من ملوك الفرس بهرام
الثالث ، ونرسی ، وهرمز بن نرسی ، وسابور ذا الاكتاف (٣)

(٣) عمرو بن امرئ القيس (من ٣٢٨ - ٣٧٧ م)

ولما توفي امرؤ القيس بن عمرو خلفه ابنه عمرو بن امرئ القيس ، واما
هند بنت كعب بن عمرو . وطالت مدة حكمه نحو نصف قرن ، فعاصر

(١) ابن خلدون ١٧١ ج ٢ (٢) Dussaud, 37

(٣) يذكر الطبري ان امرأ القيس هذا هو أول من تنصر من ملوك الحيرة من آل لخم، وذكر
أيضا أنه كان عاملا للفرس على أراج العرب من ربيعة ومضر وسائر من ببادية الشام والحجاز
والجزيرة ، . وقد أيد نص التشارة الذي يتحدث عنه جرجي زيدان باسمه هذا القول ،
وتبطل نحن من قول الطبري على أن عرب الحيرة لم يكونوا كلهم من الاسماعيلية او الفطانية
بل كانوا خليطا ، اما قول الطبري أنه كان أول من تنصر فلم نستطع تأييده ، وان كان يغلب
على الظن أنه كان نصرانيا بدليل ان اسمه امرؤ القيس « وهو تعريب مرتص »

ذا الاكتاف معظم حكمه ، ولا نعرف عنه شيئا كان ايامه كانت ايام سلم ورخاء فلم يذكره التاريخ . واقل الناس ذكرا في التاريخ اقربهم الى السعادة (**)

(٤) اوس بن قلام (من ٣٧٧ - ٣٨٢ م)

هذا دخيل في دولة آل نصر ، ليس له نسب فيهم . حكم خمس سنين في ايام ازدشير بن سابور ، حتى قتله احد بنى نصر فعادت حكومة الحيرة اليهم (**) (**)

(٥) امرؤ القيس بن عمرو بن امرئ القيس (من ٢٨٢ - ٤٠٣ م)

ويعرف بامرئ القيس البدن ، وهو محرق الاول لانه اول من عاقب بالنار . وحكم ٢١ سنة في ايام سابور بن سابور ، وبهرام بن سابور ، ويزدجرد الاول . وليس لدينا من اخباره ما يستحق الذكر

(٦) النعمان بن امرئ القيس الاعد الساساني (من ٤٠٣ - ٤٢١ م)

هو من اشهر ملوك الحيرة ، حكم ٢٨ سنة عاصر فيها من ملوك الفرس يزدجرد الاول وبهرام جور . وكان من اشد ملوك العرب تكابة باعدائه وابعدهم مغارا . غزا الشام مرارا ، واكثر من المصائب في اهلها ، وسبى وغنم ، وجند الجند على نظام عرف به . وكان عنده من الجيش كتيبتان ، احدهما مؤلفة من رجال الفرس اسمها « الشهباء » ، والاخرى من تنوخ اسمها « دوسر » ، فكان يفزو بهما من لا يدين له من العرب . وكان صارما حازما ضابطا للملكه ، واجتمع له من الاموال والرقيق والخول ما لم يملكه احد من ملوك الحيرة

وكانت الحيرة على شاطئ الفرات ، والفرات يدنو من اطراف البر حتى يقرب من النجف ، فلما تبسط النعمان في العيش رأى ان ينخذ مجلسا عاليا يشرف منه على المدينة ، فانخذ « الخورنق » على مرتفع يشرف على النجف وما يليه ، من النخل والبساتين والجنان والانهار ، مما يلي المغرب وعلى الفرات مما يلي المشرق ، فاعجبه ما رأى في البر من الخضرة والنور

(*) يدعب المسعودي في مروج الذهب الى ان ام عمرو بن امرئ القيس هي مارية البرية اخذت ثعلبة بن عمرو من ملوك القساسنة . وذكر بعض الاخباريين انه حكم ٢٥ سنة فقط وذهب اليمنون انه حكم ٤٠ سنة

** تجمع الروايات على ان اوسا هذا غصب العرش من آل نصر وحكم خمس سنين حتى قتله رجل يسميه ابن الكلبي جحجحا بن عتيك بن لخم ويسميه حمزة جحجحا بن عبيل احد بنى فارس . وذكر ابن الاثير ان ملك الفرس سابور ذا الاكتاف استخلف على الحيرة بعد اوس امرأ القيس بن عمرو بن امرئ القيس الكندي، وهذا وهم منه لان امرأ القيس المراد هنا هو عمرو بن امرئ القيس الاول اللخمي

والانهار الجارية ولقاط الحكمة ورعى الإبل وصيد الطباء والارانب . وفي
الفرات من الملاحين والفواصين وصيادي السمك ، وفي الحيرة من الاموال
والخول من يروج فيها من رعيته . ففكر في ذلك وقال في نفسه : « اى درك
في هذا الذى قد ملكته اليوم ويملكه غدا غيرى » . فبعث الى حبابه
فنتحاهم عن بابه ، فلما جن الليل التحف كساءه وساح في الارض فلم يره
احد . وفيه يقول عدى بن يزيد يخاطب النعمان بن المنذر الاثني ذكره :

وتدبر رب الخورنق اذا اشرف يوما وللهدى تفكير
سره حاله وكثرة ما يملك والبحر معرضا والسدير
فارعوى قلبه وقال : وما غبطة حى الى المعات يصير ؟

وقد ذكروا من حديث بناء الخورنق ما هو مشهور متناقل ، نعى
حديث ستمار الذى بناه وكيف قتله حتى لا يبنى سواه

وكان النعمان هذا زوجا لابنة زهير بن قيس بن جذيمة من بنى عبيس ،
فأرسل الى حميه المذكور يستزيره بعض أولاده ، فأرسل ابنه شاسا
فأكرمه النعمان وأعطاه مالا وطيبا ، فلما رجع شاس يريد قومه قتله في
الطريق رباح بن الاشل الغنوى وأخذ ما كان معه . وعلم أبوه فحمل
عليهم ، فحصلت معركة عرفت بيوم رحراح سيأى ذكرها في كلامنا على
أيام العرب (١٢)

(٧) المنذر بن النعمان بن امرئ القيس (من ٤٣١ - ٤٧٣ م)

ذكر حمزة هذا المنذر وقال ان امه هند بنت زيد مناة بن زيد عمرو
الغساني ، وانه حكم ٤٤ سنة ، وذكر ملوك فارس الذين هاصروهم وهم :
بهرام جور بن يزد جرد الاثيم ، ويزدجرد بن بهرام ، وفيروز بن يزدجرد .
ومع ذلك فهم يقولون انه تولى تربية بهرام جور ، دفعه اليه أبوه يزدجرد
الاثيم ليربيه من الرضاعة فما بعدها ، فلما بلغ خمس سنين احضر له
مؤدبين علموه الكتابة والرمى والفقه بطلب من بهرام بذلك ، واحضر له
حكيماء من حكماء الفرس ، فوعى كل ما علمه . فلما بلغ ١٢ سنة فاق
معلميه ، فأمرهم المنذر بالانصراف واحضر معلمى الفروسية فأخذ عنهم كل

(١٢) يورد مؤرخو العرب اخبارا كثيرة عن النعمان هذا ، والكثير منها يتناقض بعضها بعضا ،
فبينما يقولون انه زهد في الملك وساح في الارض فلم يعرف له خبر بفحجوني في روايات اخرى
الى انه قتل في معركة وقعت بينه وبين الحارث بن عمرو الكندي . ويذهب ابن خلدون الى ان
النعمان تنصر ، ويذكر لويس شيخو انه اعتنق النصرانية بتأثير القديس سيمعان المسودي
noomās Stylites الذى كان يبشر اذ ذاك بالنصرانية في ارض الحيرة . وفي رأينا ان آل
نصر قد تنصروا قبل ذلك

ما ينبغي له ، ثم صرفهم وأمر فأحضرت خيل العرب للسباق ففعله ركوب الخيل والرمي والصيد وغير ذلك ، فأقبل على اللهو والتلذذ فمات أبوه وهو عند المنذر . فتعاهد العظماء وأهل الشرف على أن لا يملكوا أحدا من ذرية يزدجرد ، لسوء سيرته ونشوء بهرام عند العرب وتخلقه بأخلاقهم ، وملكوا رجلا من عقب ازدشير بن بابك ، فاستنصر بهرام بالمنذر فتصره ورد إليه الملك بالسيف ، وأطاعه الجميع في حديث طويل (١) ولكنه ظل على لهوه حتى طمع فيه ملك الترك فعاد إلى رشده وحاربهم وغلبهم

وللمنذر هذا فضل على بهرام جور وعلى أبيه يزدجرد ، لأنه أعانه في حروب كثيرة ومن جعلتها حرب مع الروم . وذلك أن يزدجرد اضطهد النصارى في بلاده ، وجاراه ابنه بهرام جور ، فنهض الروم لنصرة النصارى - أو هي ذريعة للحرب طمعا في الفتح على عادة الطامعين من دول أوربا في الشرق ، ولا يزال ذلك دأبهم إلى اليوم - فانتشبت الحرب بين الدولتين ، وحاصر الروم نصيبين ، فاستنصر بهرام المنذر فلهاء ، ووعد أن يكتسح له سوريا أيضا ، وقد فعل وبالف رجله في النهب والقتل . فلما بلغ خبر ذلك إلى القسطنطينية وقع الرعب في قلوب الروم ، وعمدوا إلى الصلاة والاستعاذة بالله من ذلك الأسد العربي . ولو دخل الفرس عاصمة النصرانية يومئذ لتغير وجه أوربا ، كما تغير لما فتحها العثمانيون بعد ذلك بنيف وألف سنة . ولكن أوربا نجت يومئذ باضطراب وقع في معسكر المنذر اضطره إلى عقد الصلح (✽)

(٨) الأسود بن المنذر بن النعمان (٤٧٣ - ٤٩٣ م)

اشتهر هذا الملك بمعركة حارب فيها الفساسة وأسر عدة من ملوكهم ، ثم أراد أن يعفو عنهم ، وكان له ابن عم اسمه أبو اذينة قد قتل آل غسان له أخا في بعض الوقائع ، فقال أبو اذينة في ذلك قصيدة يفرى بها الأسود على قتلهم مظلما :

ما كل يوم ينول المرء ما طلبا ولا يسوغه المقدار ما وهبا
وانصف الناس من أن فرصة عرضت لم يجعل السبب الوصول مقتضيا
إلى أن قال :

(١) ابن الأثير ١٧٧ ج ١

(✽) ذكر تولدكه أن المنذر أصيب بخسارة كبرى عندما حاول عبور الفرات لنجدة الفرس أثناء حملتهم القسطنطينية ، فقد غرق من جيشه ألف رجل تولدكه ، تاريخ الساسانيين ، ص ٨٦

والعفو الا عن الاكفاء مكرمة من قال غير الذي قد قلته كذباً
قتلت عمرا وتستبقى يزيد لقد رايت رأيا يجز الويل والحربا
لا تقطعن ذنب الافعى وترسلها ان كنت شهما فأتبع رأسها الذنبا (١)
فقتلهم

(٩) المنذر بن المنذر ، اخوه (٤٩٣ - ٥٠٠ م)

ليس له حوادث تستحق الذكر

(١٠) النعمان بن الاسود (٥٠٠ - ٥٠٤ م)

لم يورد له العرب خبرا هاما ، ولكن جاء في كتب اليونان انه قضى مدة
حكمه الصغيرة وهو خارج الحيرة يحارب الروم في سوريا والجزيرة وابلى
بلاء حسنا . وفي ايامه تعدى بكر وتغلب على حدود العراق ، فجرد النعمان
المذكور اليهم فلم يقو عليهم ، وقتل من اهله كثيرون ، ولم يحضر المعركة
بنفسه ، ولكنه مات في ذلك العام وهو محاصر الرها مع قباز وهي
ممتنعة عليهم ، وينسب مؤرخو النصرانية وفاته الى معجزة دينية (٧)
وكان معاصرا لقباز والد كسرى انوشروان

(١١) علقمة ابو يفر (٥٠٤ - ٥٠٧)

كان معاصرا لقباز ، وهو من غير آل نصر ، وليس له خبر يستحق الذكر

(١٢) امرؤ القيس بن النعمان (٥٠٧ - ٥١٤ م)

شأنه مثل شأن علقمة

(١٣) المنذر بن امرئ القيس بن ماء السماء (٥١٠ - ٥٢٣ م)

هو أشهر ملوك لخم وأكثرهم عملا ، لانه عاصر من ملوك الفرس قباز
المذكور وابنه انوشروان ، ومن قياصرة الروم جستنيان ، ومن الفساسنة
الحارث بن جبلة ، وكلهم من كبار الرجال اجتمعوا في عصر واحد . وفي
ايامه فتح الاحباش بلاد اليمن على يد ابرهة ، وكان المنذر في جملة الوفود
على ابرهة كما تقدم ، وهو صاحب يوم اباغ

افضت سيادة الحيرة الى المنذر المذكور في اواسط حكم قباز ، وظهر في
اثناء ذلك مذهب مزدك وغايته الاشتراك في الاموال والاشياء . وكان اعيان
الفرس واشرافهم قد احرزوا اموالا طائلة ومجوهرات وعقارات لا تقدر -

قالوا : فاراد قباز ان يستعين بهذا المذهب على مشاركتهم فيها ، فانتحله وتعصب لصاحبه وحمل رجاله عليه ، ومنهم من اطاع ومنهم من ابى ، والمنذر من جملة الذين اكبروا هذه البدعة فلم يتبعها . وكانت دولة كندة الاثنى ذكرها قد ظهرت ، وتوالى منها بضعة ملوك منهم الحارث بن عمرو ابن حجر الكندى ، وكان معاصرا لقباز والمنذر . وملوك كندة يومئذ ينافسون اللخمين في السيادة على عرب الشمال كما ينافسهم الفسائيون . وكان الحارث الكندى المذكور يتقرب من الاكاسرة لفرصة يفتنمها لتأييد سلطته ، وهم يدافعونه او يسايرونه ، حتى اذا تغير قباز على المنذر تصدى الحارث للولاية ، فولاه قباز الحيرة واخرج المنذر منها ، فظل مختبئا بقية ايام قباز ، فلما تولى انوشروان - وكان على غير رأى والده - اقبل عليه المنذر فرحب به ثم اعاده الى منصبه ، بعد ان قتل مزدك وهرب الحارث ونجا . وأصلح انوشروان ما أفسده ابوه ومزدك (١)

وقد ذكرنا في تاريخ الحارث بن جبلة الفسائى ما كان من حروبه مع المنذر المذكور في يوم اباغ وغيره . وهو صاحب الغريين ويومى اليوس والنعيم . وذكروا في سبب ذلك انه كان للمنذر نديمان من بنى اسد ، ثملا فراجما الملك مرة في بعض كلامه ، فأمر وهو سكران فحفروا لهما حفرتين في ظهر الحيرة ودفنوهما حين . فلما صحا ندم وأمر ببناء صومعتين عليهما ، وأقسم الا يمر احد من وفود العرب الا بينهما . وجعل لهما في السنة يوم يوس ويوم نعيم ، يذبح في يوم يوس كل من يلقاه ويطلق بدمه الصومعتين ، ويحسن الى من يأتيه في يوم النعيم . وليث على ذلك برهة من الدهر ، حتى جاء عبيد بن الابرص الاسدى الشاعر معتدحا ، واتفق قدومه يوم اليوس فشق على المنذر قتله ، ولم ير بدا من البر بقسمه في حديث لطيف لا محل له هنا (٢)

وفي رواية أخرى ان الذى اتاه في يوم اليوس حنظلة بن أبى عفراء ، ولما علم يقرب أجله استمهل الملك ريثما يعود الى أهله ، وكفله رجل من خاصة المنذر حتى عاد ، وكان لرجوعه ووفائه تأثير على المنذر حتى ابطل هذه العادة (٣) . وقال بعضهم ان النعمان تنصر لهذا السبب ، ولقول حنظلة لئنه انما حمله على الوفاء النصرانية - وتشبه هذه القصة قصة يونانية عن رجل يونانى اسمه دامون ، من أصحاب فيثاغورس وقابعى

(١) ابن الأثير ١٨٣ ج ١ والاعانى ٦٣ ج ٨ (٢) ياقوت ٧٩٣ ج ٢

(٣) الاعانى ٨٧ ج ١٩

مذهبه ، كان له صديق من هذا المذهب اسمه فنتطياس ، حكم عليه ديونيسيوس الاول صاحب سرقوسة بالاعدام لتهمة وجهت اليه ، فالتمس الرجوع الى اهله يقضى عندهم اياما يدبر بها شؤونهم ثم يعود لتنفيذ الحكم ، فطلبوا من يضمنه فتصدى دامون وضمنه . ثم وفي فنتطياس وعده وعاد قبل الموعد بيوم واحد ، فاعجب ديونيسيوس باربجية دامون ووفاء فنتطياس ، فمعا عنهما وقربهما وجعلهما من خاصته . وللعنذر بن ماء السماء يوم مشهور بين ايام العرب يعرف يوم اواردة بينه وبين بكر ابن وائل سيأتي ذكره في ايام العرب (*)

(١٤) الحارث بن عمرو الكندي

جاء خبره في أثناء خبر المنذر بن ماء السماء ، مدة حكمه داخلة في مدة حكم المنذر

(١٥) عمرو بن هند مضط الحجرة (من ٥٣٣ - ٥٧٨ م)

هو عمرو بن المنذر بن امرئ القيس ، ويسمونه المحرق الثاني ، ويعرف باسم امه هند بنت عمة امرئ القيس الشاعر الشهير ، ولدت للمنذر عمرا هذا وقابوسا . وكان عمرو شديد السلطان ، وقد عزا بنى تميم في دارهم ، وقتل من بنى دارم كثيرين يوم اواردة الثاني ، وبالح في العظيمة والكبرياء حتى توهم في نفسه الفضل على الناس كلهم ، وخيل له انه ليس من امر في العرب لا يخدمه ويتمنى رضاه ، وكانت تلك الدعوى سبب قتله - وذلك انه قال يوما لجلسائه : « هل تعرفون احدا من اهل مملكتي يأنف ان تخدم امه امي ؟ » ، قالوا : ما نعرفه الا ان

(*) اخبار المنذر بن امرئ القيس بن ماء السماء كثيرة في التواريخ العربية ، وكلها في حاجة الى تحقيق ، وهو يعرف عند معظم الاخباريين بالمنذر بن امرئ القيس بن النسمان ، وبني الفرثيين ، وبالمنذر بن ماء السماء ، او يابن ماء السماء فحسب . وماء السماء هي امه . ويسمونها بعضهم مارية ابنة عوف بن جشم بن حلال بن ربيعة . بن النمر بن قاسط ، ويعرف بعضهم الاسم الى ماوية . وقد ذكر المنذر هذا في النصوص اليونانية باسم الاموندروس Alamoundaros وكان النزاع مستمرا بينه وبين البيزنطيين ، مما أدى بجوسستنيان الى تنصيب الحارث بن جبلة فيلارخا على عرب الشام ليقيم بدفاعة المنذر عن ارض الروم . واشتدت المداوة بين الملكيين العربيين : المنذر بن ماء السماء اللخمي والحارث بن جبلة الساساني ، الاول يناصر الفرس والثاني يناصر الروم ، وانتهى الصراع بينهما بقتل المنذر على يد حصه الحارث بن جبلة في موقعة عند عودايا Wdaja في ناحية قنشرين على مقربة من تدمر . وينسب حمزة الاسفهانى وابن الاثير ونفر من المؤرخين الى ان المعركة التي قتل فيها المنذر في العروفة في ايام العرب باسم « عين اباب » ، وعين اباب هو اودية العراق وراء الانبار على الفرات بين الكوفة والرقبة ، لا يبعد كثيرا عن الحيرة (ياقوت ، ج ١ ص ١٧٣) يسمى بعض الاخباريين عين اباب باسم ذات الخيار او ذات الحيار ، وهو موضع بيسرية قنشرين . ويستنتج من قراءة النصوص ان المراد بعودايا وعين اباب وذات الخيار شيء واحد

يكون عمرو بن كلثوم التغلبي ، فان امه ليلي بنت مهلهل بن ربيعة ، وعمها كليب وائل وزوجها كلثوم ، وابنها عمرو . فسكت مضطرب الحجارة على ما في نفسه ، وبعث الى ابن كلثوم يستزيه ويأمره ان تزور امه . فقدم ابن كلثوم في فرسان من تغلب ومعه امه ليلي ، فنزل على شاطئ الفرات . وبلغ عمرو بن هند قدومه ، فأمر فضربت خيامه بين الحيرة والفرات ، وصنع طعاما دعا اليه وجوه اهل دولته ، فغرب لهم الطعام على باب السراق . وجلس هو وعمرو بن كلثوم وخوادم اصحابه في السراق ، ولامه هند قبة في جانب السراق ، ويلي ام عمرو بن كلثوم معها في القبة . وكان مضطرب الحجارة قد قال لامه : « اذا فرغ الناس من الطعام ولم تبق الا الطرف نحى خدمك عنك ، فاذا دنت الطرف استخدم ليلى ومريها ، فلتناولك الشيء بعد الشيء » ففعلت . فلما استدعى الطرف قالت هند ليلي : « ناوليني ذلك الطبق » ، قالت : « لتقم صاحبة الحاجة الى حاجتها » ، فالتحت عليها ، فقالت ليلي : « وا ذلاه ! يا آل تغلب ! » ، فسمعها ولدها ابن كلثوم فثار الدم في وجهه والقوم يشربون . فعرف عمرو بن هند الشر في وجهه ، ونهض ابن كلثوم الى سيف ابن هند وهو معلق في السراق وليس هناك سيف غيره ، فاخذه وضرب به مضطرب الحجارة فقتله ، وخرج فنأدى : « يا آل تغلب ! » فانتهبوا مال عمرو بن هند وخيله وسبوا النساء ولحقوا بالحيرة . وعاصر عمرو المذكور كسرى انوشروان

(١٦) قابوس بن القتيبي (٥٧٨ - ٥٨١ م)

هو اخو عمرو المتقدم ذكره ، وكان ضعيفا وفيه لين ، وسموه فتنة العرس او « قينة العرس » ، وله مع بني يربوع « يوم طخفة » وسياي خبره ، « وقد قتله رجل من يشكر وسلب ما كان عنده وعليه » (*)

(١٧) فيشهرت او زيد (٥٨١ - ٥٨٢ م)

ليس له خبر يذكر (**)

(*) حزمة الاسفهانى : سنى ملوك الارض - ص ٧٢

ويذهب حزمة الى ان قابوس بن المنذر لم يحكم ، ولكن الواقع انه حكم ، بدلالة اشارات عند مؤرخي البيزنطيين

(**) يقول جواد على تعليقا على حكم فيشهرت هذا : « ولم يشر الاخاريون الى الاسباب التي ادت الى تعيين هذا الرجل الغريب ملكا على الحيرة ، دون سائر آل لخم ، ومنهم المنذر اخو عمرو بن هند وقابوس . فلعل اضطرابا حدث في المملكة او نزاعا وقع بين اولاد قابوس ، او بين آل لخم ، أدى الى تدخل الفرس ، ففروا تعيين رجل غريب عن اهل الحيرة ، حتى تزول اسباب الخلاف ، فقرروا تعيين واحد منهم (اى فارسى) فلما زالت تلك الموانع عين المنذر ملكا على الحيرة ، وبذلك عاد الملك الى آل لخم »

تاريخ العرب قبل الاسلام - ج ٤ ص ٨٤

(١٨) النذر بن النذر بن ماء السماء (٥٨٢ - ٥٨٥ م)

هو صاحب يوم حليمة الذي تقدم ذكره

(١٩) النعمان بن النذر أبو قابوس (٥٨٥ - ٦١٣ م)

كان معاصرا لهرمز الرابع وكسرى ابرويز، وبلغت الدولة في أيامه منتهى الترف والرخاء اقتداء بالفرس . وبعد أن كان الأكاسرة في أوائل الدولة يعجبون بنشاط العرب وانفتهم ويعهدون اليهم بتربية أولادهم وتثقيفهم ، أصبح هؤلاء يعهدون بتربية أولادهم الى آخرين . وذلك ان المنذر بن المنذر - والد النعمان المذكور - عهد بتربيته الى رجل من عباد الحيرة اسمه عدى ابن زيد ، وكان للمنذر ١٢ ولدا يسمون الاشاهب ، وكان النعمان من بينهم احمر أبرش قصيرا ، وكان قابوس عم النعمان قد بعث الى انوشروان بعدي ابن زيد واخوته ، وهم من اهل الكتابة يعرفون الفارسية والعربية ، فكانوا في جملة كتابه ومترجميه . فلما حضرت النيرة المنذر بن المنذر لم يعهد بالعرش لاحد من بنيه ، فوكل الامر الى الياس بن قبيصة الطائي ، فتولاه اشهرًا . وفكر انوشروان فيمن يملكه على العرب بعد المنذر المتوفى ، وشاور عدى بن زيد المذكور واستنصحه في بنى المنذر فأشار عليه بالنعمان

وكان في خاصة ملك الفرس رجل آخر من بنى مرينا (✽) اسمه عدى ايضا ، وكان هواه مع أخ للنعمان اسمه الاسود ، فساءه انتخاب النعمان للملك وعزم على الكيد له ولعدى بن زيد ، وحرض الاسود على ذلك ، وأخذ هو يسعى سرا للايقاع بعدي لدى النعمان نفسه ، بالاغتياب والوشاية واسترضاء الحاشية ، حتى أضغن النعمان عليه . وكان عدى يومئذ في المدائن عند كسرى ، والنعمان في الحيرة . فبعث النعمان يستزيه (أى يستزيير عديا) فاستاذن كسرى في ذلك ، ووصل الى الحيرة فأمر النعمان بحبسه ، فجعل عدى يقول الشعر ، فبلغ النعمان قوله فندم على حبسه ، وخاف منه اذا أطلقه . وبلغ كسرى حال عدى ، فكتب الى النعمان أن يطلقه . وعلم النعمان بالرسالة قبل وصول الرسول ، فشاور أصحابه فخوفوه من اطلاقه ، فبعث اليه جماعة خنقوه ودفنوه . وكان الرسول قد رآه في السجن قبل وصوله الى النعمان ، فلما أدى الرسالة قال له النعمان : « اذهب الى السجن فخذ » ، فقيل له انه مات منذ أيام ، فعلم انهم غدروا به وقتلوه ، فعاد الى النعمان بذلك فرشاه واستوفقه الا يقول لكسرى ، وقد ندم على ما فرط منه

(✽) اسمه عدى بن اوس بن مرينا ، وكان بنو مرينا من البيوت ذات القوة والجاه في الحيرة

ورأى النعمان ابنا لعدى اسمه زيد ، فأراد أن يكرمه تكفيرا عن أساءته
لأبيه ، فطلب إليه زيد أن يسعى له عند كسرى ليجعله مكان إبيه ففعل ،
فتقرب زيد من كسرى ، وفي نفسه شيء على النعمان يضره ويظهر الثناء
عليه ويترقب الفرص . فانفق أن كسرى احتاج الى نساء لتزويج اولاده ،
فأشار عليه زيد أن يطلب من النعمان بعض بنات عمه ، وأثنى على جمالهن
وهو يعلم أن النعمان يرض بذلك ، فكلفه كسرى أن يسير في طلبهن ، وأنفذ
معه سفيرا يعرف العربية ليسمع جواب النعمان

فلما دخل زيد والرسول على النعمان أفهماه ما طلبه كسرى ، فشق
ذلك عليه فقال : « ما في عين السواد وفارس ما تملكون به حاجتكم ؟ »
وسأل الرسول زيدا عن معنى لفظ «عين» فقال : « البقر ! » فلما عادا
الى كسرى أخبراه بما قاله فغضب لقوله : « ما في بقر السواد ما يكفيه » .
وسكت أشهرا ثم بعث يستقدمه اليه . وبلغ النعمان غضبه فأخذ سلاحه
وما استطاع حمله ولحق بجبل طيء ، وكان متزوجا منهم ، وطلب اليهم
أن يمنعه فابوا عليه خوفا من كسرى . فأقبل وليس أحد من العرب
يقبله ، حتى نزل في ذي قار على بنى شيبان سرا ، فلقى هناك هانيء بن
مسعود الشيباني - وكان سيدا متيعا - فأودعه اهله وماله وفيه ٤٠٠
درع ، وتوجه الى كسرى . فلما وصل الى بابه بعث اليه من قيده وأرسله
فخورا الى خاتنين ، وحبسه فيها حتى جاء الطاعون فمات فيه سنة
٦١٣ م ويقول بعضهم ان النعمان هذا هو صاحب الغريين (ج) ، وأنه كان
يعبد الوثن فتنصر على يد عدى بن زيد المذكور ، وأنه بنى قناطر النعمان
قرب قريسين ، والغالب انها من بناء الاكاسرة

وهو صاحب يوم طخفة ويوم السلان . الاول بينه وبين بنى يربوع
وسببه ان الرداقة - وهي بمنزلة الوزارة ، والرديف يجلس عن يمين
الملك - كانت لبنى يربوع من تميم بتوارثونها صغرا عن كبير . فلما كانت
ايام النعمان - وقيل أيام ابنه المنذر - سألها حاجب بن زرارة الدرامي

(ج) الغريان قبران مشهوران في الاقاصيص التي تحكى عن عرب الحيرة . يقال ان المنذر
ابن ماء السباء بناهما لذكرى نديمين من نملعائه يسمى أحدهما مضلل والاخر عمرو بن محمود.
وقد نصب عليهما المنذر بن ماء السباء ذات مرة وهو سكران ، فأمر فحفر لهما قبران، ودنا
حيين . فلما أفاق في الصباح سأل عنهما ، فقيل له ما فعله بهما ، فندم ، وأمر ببناء طريالين
(أى مغارتين) على قبريهما ، وحلف ألا يفد عليه وفد من وفود العرب الا مر بينهما ، وجعل
لهما في السنة يومين يوم يؤس ويوم نعيم ، فلا يلقاه رجل في يوم يؤس الا قتله ، ولا يلقاه
رجل في يوم نعيمه الا أحسن اليه . ومن آتاه في يوم يؤس الشاعر عبيد بن الأبرص فقتله .
والمراد هنا المنذر بن ماء السباء لا المنذر بن النضر أبو قابوس

الاعاني لابن الفرج الاصفهاني ، طبعة دار الكتب ، ج ٥ ص ٢١٣

التميمي النعمان لبني دارم ، فقال النعمان لبني يربوع في هذا وطلب منهم أن يجيبوا الى ذلك فامتنعوا . وكان منزلهم أسفل طخفة ، فلما امتنعوا من ذلك بعث اليهم النعمان قابوسا ابنه وحسانا اخاه ، على أن يكون قابوس على الناس وحسان على المقدمة ، وضم اليهما جيشا كثيفا فيهم الصنائع والوضائع (**) وناس من تميم وغيرهم ، فساروا حتى اتوا طخفة فالتقوا هم ویربوع واقتتلوا ، وصبرت يربوع وانهزم قابوس ومن معه ، وضرب طارق أبو عميرة فرس قابوس ففقره وأسره ، وأراد أن يجز ناصيته فقال قابوس : « ان الملوك لا تجز نواصيها » فأرسله . وأما حسان فأسره بشر بن عمرو بن جوين فمن عليه وأرسله ، فعاد المنهزمون الى النعمان . وكان شهاب بن قيس بن كياس اليربوعي عند الملك ، فقال له : « يا شهاب ، ادرك ابني وأخى . فان ادركتهما حين فلبني يربوع حكمهم ، وأردد عليهم رفاذتهم واترك لهم من قتلوا وما غنموا وأعطيهم الثمن بعير » . فسار شهاب فوجدهما حين فاطلقهما ، ووفى الملك لبني يربوع بما قال ولم يعرض لهم في رفاذتهم (**) . وقال مالك بن نويرة :

ونحن عقرنا مهر قابوس بعد ما رأى القوم منه الموت والخيال تلجب عليه دلاص ذات نسج وسيفه جراز من الهندي أبيض مقضب طلبنا بها انا مداريك نيلها اذا طلب الشاو البعيد المغرب

ويوم السلان بين النعمان المذكور وبني عامر بن صعصعة ، وسببه أن كسرى يرويز كان يجهز كل سنة لطيمة (قافلة تجارية) تباع بعكاظ ، فأغار بنو عامر على لطيمة منها في بعض السنين ، فغضب النعمان واستنفر أخاه لأمه وبرة بن روماتوس (**) الكلبى ، وأرسل الى بني تميم فجمعهم ، ووجه معهم عيرا وقال لهم : « اذا فرغتم من عكاظ وانسلخت الحرم ورجع كل قوم الى بلادهم ، فاقصدوا بني عامر فانهم قريبون بنواحي السلان » . فخرجوا وكنمو أمرهم وقالوا : « خرجنا لئلا يعرض احد للطيمة الملك » . فلما فرغ الناس من عكاظ علمت قريش بحالهم ، فأرسل عبد الله بن جدعان قاصدا الى بني عامر يعلمهم الخبر ، فسار اليهم وأخبرهم

(*) الوضائع في القبائل العربية كانوا قوما من سرات الناس في مكانة شيوعها ، والصنائع هم العرب الذين يصنعونهم الملوك ليحاربوا باسمهم

(**) أنظر : ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج ٣ ص ١٠٢ والالفا بعير التي أداها قابوس لسلي يربوع ، هي دبة الملوك ، وكان الملك أو الأمير اذا أسر الفتي بكاف بعير ، وقد افندي قابوس ابنه وأخاه

(***) تكتب أيضا رومانس

خبرهم ، فحذروا وتهيبأوا للحرب وتحذروا ووضعوا العيون ، وعاد عليهم عامر بن مالك ملاعب الاسنة وأقبل الجيش فالتقوا بالسلان ، فاقنتلوا فتلا شديدا ودارت الدائرة على جيش النعمان (١) *

(٢٠) اباس بن قبيصة (من سنة ٦١٣ - ٦١٨ م)

فلما مات النعمان استعمل كسرى اباس بن قبيصة الطائي مكانه ، وامره ان يجمع ماخلفه النعمان ويرسله اليه ، فبعث اباس الى هانيء بن مسعود بارسال ما استودعه النعمان ، فابى فغضب كسرى ، فآشار عليه احد اعداء شيبان وسائر بكر بن وائل ان ينتظر ريشا ينزلون ذى قار فبعث من يأخذهم بالقوة . فصبر كسرى حتى نزلوا المكان فبعث اليهم ان يسلموا ماخلفه النعمان عندهم او الحرب ، فاختاروا الحرب ، فحمل عليهم اباس ابن قبيصة ومعه جند الفرس والعرب واباد بالافيال والعدة الثقيلة . اما هانيء بن مسعود ففرق سلاح النعمان في رجاله وعزم على الفرار خوفا من كثرة جند الفرس ، فاعترضه رجل من عجل اسمه حنظلة بن لعلبة وقال : « يا هانيء ، اردت نجاتنا فالتقينا في الهلكة » . فرد الناس وقطع وضمن الهوداج (احزمتها) وضرب على نفسه قبة واقسم لا يفر حتى تفر القبة ، فرجع الناس واستقوا ماء لنصف شهر ، فانهمزم الفرس بصفوفهم وخيولهم ، وثبت العرب ثباتا جميلا فانصروا وفر الفرس مع كثرة عددهم سنة ٣ للبعثة ، وتعرف هذه الواقعة في تاريخ العرب بيوم ذى قار ، وقد انتصف فيه العرب من العجم (**) وتقت سائر العرب على اباس

(٢١) زادي (من ٦١٨ - ٦٢٨ م)

ليس له خبر يذكر (***)

(٢٢) النضر بن النعمان القروى (٦٢٨ - ٦٣٢ م)

هو آخر ملوك الحيرة ، قتل في البحرين يوم جواتما ، وليس له من الاعمال ما يستحق الذكر (****)

(١) ابن الاثير ٢٩٥ ج ١
(*) ولذكر الروايات ان النعمان تضرع في اخريات ايامه على مذهب النسطورية في قبر طوير

(**) الطبرى ، ج ٢ ص ١٥٢
وقد اختلف المؤرخون في تحديد تاريخ يوم ذى قار ، فقالوا انه وقع يوم ولادة الرسول (سلمم آ او بعد فزوة بدر الكبرى مباشرة)

(*) بين المؤرخين خلاف في اسمه ، فيقول حمزة انه ازاديه بن ماعبيان بن مهرا بندا ، ويقول الطبرى انه ازاديه بن يابيان بن مهر بن بندا الهمداني ، ويقولون انه حكم ١٧ سنة في زمن أبرويز وشيرويه بن أبرويز وأدشتير بن شيرويه وبودان بنت شيرويه

(**) يغضب ابن الكلبي الى ان المنذر بن النعمان هذا حكم ثمانية أشهر بالحيرة وذلك قبل فتح خالد لها . ولذكر جواد على ان ذلك غير صحيح وان المنذر لم يحكم الحيرة

مبلغ سيادة اللخمين

كان في بادية الشام والعراق والجزيرة والحجاز والبحرين ونجد قبائل كثيرة من البدو اهل الرحلة - اكثرهم من عدنان - يتولاهم امراؤهم أو مشائخهم ، بلا دولة أو جند ولا حصون أو قلاع الا نادرا ، وانما قلاعهم شجاعتهم وبدائتهم . وكانت الدول المتحضرة تستعين بهم في حربها كما تقدم . فتسابق الفساسنة والمناذرة الى ادخالهم في رعايتهم ، وكل منهما تنتمي الى دولة كبرى : الفساسنة للروم ، والمناذرة للفرس . ونشأت في اثناء ذلك دولة كندة الاتى ذكرها ، وهي تنتمي الى حمير ، وكانت تنازعهما تلك السيادة . فاصبح عرب الشمال يتنازع السيادة عليهم ثلاث دول عربية ، تتناوب الفوز في ذلك على مقتضى الاحوال

وكانت قبائل البدو من الجهة الاخرى ترغب في الدخول تحت حماية احدى تلك الدول لتأمن على نفسها بسبب ما فطر عليه اهل البادية من التنازع والتغازي والتخاصم . فكانت كل قبيلة تسعى في الانضمام الى دولة تستنجدها أو تلجأ الى جندها عند الحاجة ، وقد يتسابق بعضهم الى انتقرب منها للتفاخر بخدمتها ، كما كان بنو يربوع يتفاخرون بردافة ملوك الحيرة . وكان لكل دولة من تلك الدول صنائع ووضائع - والصنائع من كانوا يصطنعونه من القبائل للفزوة به ، والوضائع كالمشايخ . ومرت برهة من الدهر كان فيها الانتماء الى احدى تلك الدول كالفرس الواجب ، فعن لا ينتمي الى احداها سموه « الاحمس » ، والجمع الحمس . وأشهر انحمس في الجاهلية حمس قريش ، فكانوا لقاحا لا يدينون للملوك (١)

وكانت تلك القبائل اكثر احتكاكا بدولة اللخمين منهم بدولة الفساسنة ، واكثر تعظيما لامرها وتهيبا منها . فكانوا اشد رغبة في الانضمام اليها والدخول في رعايتها ، فانسع سلطان اللخمين اتساعا كبيرا ، ولاسيما في اiban سطوة الفرس وضعف الروم . وقد رايت مبلغ ذلك في ابام امرىء القيس بن عمرو صاحب قبر النعارة ، فانها شملت معظم القسم الشمالي من جزيرة العرب وبعض جنوبها . ثم اختلفت بعد ذلك مما لايتيسر حصره أو تحديده ، ولكننا نعلم ان مجالسهم كانت مرجع المستنجدين وميدان

= وانما حكم البحرين في اثناء الردة . وقد حاربوه المسلمون وسقط أسرا في ايديهم ، ويقال انه اسم في أثر ذلك وسمى نفسه الفرور بدلا من « الفرور » وهو اللقب الذي كان يصرف به قبل اسلامه . والنمذ هذا هو آخر ملوك آل ثعلب

تاريخ العرب قبل الاسلام ، ج ٤ ص ١٠٤

(١) ياقوت ، ٥١٩ ج ٢ وابن الاثير ٢٦٥ ج ١

الشعراء والمادحين . ومن شعرائهم النابغة ، وحسان ، والمتلمس ، والمنخل ، واليشكري . ولهم مع الشعراء وقائع تدخل في مجلد كبير

ديانتهم

واختلفوا في ديانة ملوك الحيرة ، فمن قائل انهم تنصروا على عهد امرىء القيس الاول بن عمرو في اوائل القرن الرابع ، وقائل ان اول من تنصر النعمان بن المنذر في آخر القرن السادس ، وبينهما أقوال كثيرة لا سبيل الى تحقيقها ، لاختلاف القائلين فيها ، مثل اختلافهم في عدد الملوك وفي تعاقبهم وسنى حكمهم

على اننا نرى في سجل الكنيسة الشرقية Synodicon Orientale ان الحيرة كان عليها أسقف سنة ٤١٠ ، وان ملكها حمى النصرانية سنة ٤٢٠ م ، ونرى من الجهة الاخرى ان النساطرة واليعاقبة اشتد جدالهم في اوائل القرن السادس للميلاد ، وتنافسوا في الرئاسة ففاز النساطرة ، وملوك الحيرة كانوا الى اواسط القرن المذكور على الوثنية ، وان المنذر بن امرىء القيس بن ماء السماء كان يقدم ذبائح من البشر الى العزى (١) وكان بين نسائه امرأة من غسان اسمها هند الكبرى ام عمرو بن هند مضرط الحجارة ، كانت مسيحية فبثت مبادئ النصرانية في ابنها فنشأ نصرانياً ويؤيد ذلك ما نقشته على ذبرها وقد ذكرناه (٢)

ولكن يظهر ان النصرانية لم تثبت بعد عمرو المذكور ، فلما مات رجع خليفته قابوس او المنذر الى الوثنية ، ونشأ ابنه النعمان فيها بذبذب الاصلان حتى تنصر على يد الجاثليق صبر بشوع (٣) ويقول العرب انه تنصر على يد عدى بن زيد (٤) وقد يتفق القولان بأن يكون رغبته في النصرانية والجاثليق عمده

(١) Labourt, 109 8, 206

(٢) هند بنت النعمان ابى قابوس هي احدى بناته الاربع ، وهي المعروفة بهند الصغرى ، ولها حبر طويل عند المؤرخين ، لانها كانت شديدة التعلق بالنصرانية ، وقد ترهبت في اخريات أيامها واعتزلت الدنيا في ديرها المعروف بدير هند الصغرى . وقد عاشت حتى ادركها الاسلام ، ولم تسلم . ولما ماتت دفنت في قبر في ديرها الى جانب قبر النعمان أبيها . وقد بقي الدير معروفاً لعدة طويلاً بعد الاسلام . ويقال انها كانت أخت النعمان ، ولم تكن بنته ، ويقال أيضاً انه زوجها من عدى بن يزيد قبل أن ترهب

جواد على ، تاريخ العرب قبل الاسلام ، ج ٤ ص ٩٧

(٣) Labourt, 207

(٤) يورد لويس شيخو في شعراء النصرانية (ص ٤٣١) خبر تنصر النعمان ويقول انه أصيب ببلوثة عجز الكهان عن شفاؤه منها فلجأ الى آباء الكنيسة ومعهم شمعون بن جابر أسقف الحيرة . وسبى بشوع أسقف لاثوم وابشو عراخا الراهب وتنصر وعمد على مذهب النسطورية ، وتنصر أولاده . وكانت أخته هند ومازية قد سبقته الى التنصر . وهند هندة هي التي ترهبت في اخريات أيامها وابتثت الدير المنسوب اليها

انظر : لويس شيخو ، شعراء النصرانية ، ص ٦٢١ وما يليها

(٥) ابن خلدون ١٧١ ج ٢ والاغانى ، ج ٢ ص ١١٥

دولة كندة

كندة - على قول العرب - بطن من كهلان ، وحكمنا فيهم مثل حكمنا على سائر عرب الشمال في الطور الثاني ، وقد بسطناه . وأصلهم فيما رواه الثقات من البحرين والمشرق ، وأنهم أجلوا عنها إلى حضرموت وعددهم ٣٠.٠٠٠ نفس في زمن لا يمكن تحديده . وأقاموا هناك ما شاء الله في بلد يعرف باسمهم « كندة » ، مرتفع عن الأرض يشرف على حضرموت وتصب أوديته فيه ثم إلى مهرة ، وقصبته الكبرى اسمها دمون (١) . أقام السكنديون هناك دهرا وهم على وفاق مع الحميرين حكام تلك البلاد . وكان الحميريون يستخدمون خاصة كندة وكبارهم في بعض مصالحهم ويدخلونهم في حاشيتهم أو بطانتهم

واتفق على عهد حسان بن تبع ملك حمير أن حجر بن عمرو سيد كندة دخل في خدمته لقربة بينهما ، لأن حسانا وحجرا كانا أخوين لأم واحدة . وقد ذكرنا ما كان من فتوح حسان في جزيرة العرب شمالا وجنوبا ، وكان حجر معه ، فلما أراد الرجوع إلى اليمن رأى أن يختصه بكرامة ، فوله قبائل معد كلها ، وهي كما علمت من قبائل البادية التي لا تجمعها دولة ، فوله عليها ورجع إلى بلده فدانت معه لحجر المذكور ، وهو حجر بن عمرو المعروف بأكل المرار (٢)

وذكر اليعقوبي لنزوح كندة (٣) عن حضرموت سببا آخر ، قال : أنه وقع بين القبيلتين حروب طالت حتى كادت تفتنيهما ، وكندة أضعفتها فراث الرحيل إلى اليمن ، فصارت إلى أرض معد فجاورتهم ، ثم ملكوا رجلا

(١) الهاماني ٨٨

(٢) ابن خلدون ٢٧٢ ج ٢

(٣) لم ينته المؤرخون إلى رأى في أصل كندة ، وهل هي من عرب الشمال أو من عسبر الجنوب . والأغلب أن موطن كندة الأول بجبال اليمن ما يلي حضرموت وذكر ياقوت أن كندة مغلاف باليمن ، وأنه سمي كذلك باسم قبيلة كندة . ولابن الكلبي رواية تقول أن موطن كندة الأول في غمر ذي كندة ، أي في موطن العدنانيين . وذكر صاحب الأغاني أن كندة من قبائل عدنان . ولا تعرف كيف انتقلت كندة من غمر ذي كندة إلى حضرموت . ولكن اليعقوبي يذكر سبب هجرتهم من حضرموت إلى الشمال ، إلى أرض معد واستقرارها بناحية نجد ، فيقول أن حربا قامت بين كندة وحضرموت واضطرت كندة إلى الرحيل إلى نجد وملك عليها رجلا يسمى مريع بن معاوية بن ثور ، وهو في رأى الأخباريين أول ملوك كندة

وفال جواد على (ج ٢ ص ٢١٦) : « وتتل هذه الروايات على أن هذه القبيلة كانت على اتصال وثيق بالقبائل الحجازية المنتسبة إلى معد وعدنان ، وربما كان اتصالها هذا أوثق وأقوى من اتصالها بقبائل قحطان ، مع أن النسابيين يسمونها من قبائل قحطان »

منهم هو أول ملوكهم واسمه مرتع بن معاوية بن ثور ، وخلفه آخر فاخر كما ترى في هذا الجدول :

مدة الحكم

٢٠	مرتع بن معاوية بن ثور
٠٠	ثور بن مرتع . حكم مدة قصيرة
٠٠	معاوية بن ثور . حكم مدة قصيرة
٤٠	الحارث بن معاوية بن ثور
٣٠	وهب بن الحارث
٢٣	حجر بن عمرو أكل المرار
٤٠	عمرو بن حجر بن عمرو أكل المرار

الحارث بن عمرو بن حجر : كان معاصرا للمنذر بن ماء السماء ، وقد تقدم ذكره

هذا ما ذكره اليعقوبي في تاريخه ، ولكن الأكثرين يصرون على أن أول من ملك كندة حجر بن عمرو أكل المرار ، ولعل هذا هو الصواب وأن المراد بمن ذكر قبله آبؤه . وعلى كل حال ليس لأحدهم عمل مذكور

وأول من ذكرت أعماله حجر بن عمرو ، وقالوا في سبب تملكه على العرب في نجد أن سفهاء بكر غلبوا على عقلائها وغلبوهم على الأمر ، وأكل القوى الضعيف ، فنظر العقلاء في أمرهم فراوا أن يملكوا عليهم ملكا يأخذ للضعيف من القوى ، وراوا مع ذلك أن هذا لا يستقيم بأن يكون الملك منهم ، إذ يطيعه قوم ويخالفه آخرون . فاجتمعوا على أن يسيروا إلى تبع اليمن (حسان) وكان التبابعة للعرب بمنزلة الخلفاء للمسلمين ، وطلبوا إليه أن يولي عليهم ملكا . وكان حجر المذكور ذا رأي وجاهة فولاه عليهم . ومع اختلاف الروايات في الصورة فإن المغزى واحد ، وهو أن دولة كندة تابعة لدولة حمير . فقدم حجر إلى نجد ونزل بطن عاقل ، وكان اللخميون قد ملكوا كثيرا من تلك البلاد ولاسيما بلاد بكر بن وائل ، فنهض حجر بهم وحارب اللخمين وانقذ أرض بكر منهم . فاجتمعت كلمة القسوم على احترامه ، وما زال كذلك حتى مات ودفن في بطن عاقل (❊)

(❊) يذهب معظم النسابين إلى أن حجر بن عمرو المعروف بأكل المرار من سلالة عمرو بن معاوية بن ثور بن مرتع بن معاوية على رواية حمزة الاصفهاني ، وإلى عمر بن مسأوة بن الحارث الاصفر بن معاوية بن الحارث الأكبر بن معاوية بن كندة بحسب رواية ابن خلدون ، ولا يوافق الاصفهاني رأي ثالث في أصله . وقيل أنه كان أخا لحسان بن تيسع لأمه . وأن حسان هو الذي ولاه على معد بن عدنان ، ونهض فيليب حتى إلى أن ذلك كان حوال سنة ٤٨٠ ق . هـ .

ملوك كندة

فأفضت الحكومة إلى ابنه عمرو بن حجر بن عمرو أكل المرار ، ويسمونه المقصور لأنه اقتصر على ملك أبيه . فلما مات خلفه ابنه الحارث ابن عمرو ، وكان شديد الملك واسع الصوت كبير الطامع ، وفي أيامه فتح الإيجاش اليمن وأذهبوا دولة حمير ، فضعف شأن كندة لأنها تنتمي إليها . الإكاسرة ، وما زال يتربص الفرص حتى رأى تغير قباذ على المنذر بن ماء السماء لسبب المزدكية كما تقدم ، فوافقه الحارث عليها وتولى الحيرة . فمعظم في أعين القبائل واستضعفوا بني لخم ، وتوافدوا إليه وفيهم الإشراف من معد يهشونه ويتقربون إليه بالطاعة ، وطلبوا منه أن يولي عليهم من أبنائه من يحكمهم ليبتل ما قام بينهم من القتل حتى كاد يفنيهم ، مما ستره في كلامنا عن أيام العرب . ففرق فيهم أربعة من أولاده ، تولى كل منهم بعض تلك القبائل على هذه الصورة :

- ١ - حجر بن الحارث تولى بني أسد بن جذيمة وغطفان
- ٢ - شرحبيل بن الحارث تولى بكر بن وائل بأسرها وبني حنظلة بن مالك بن زيد مناة وطوائف من بني دارم بن تميم والرباب
- ٣ - معدى كرب بن الحارث تولى قيس عيلان وطوائف غيرهم
- ٤ - سلمة بن الحارث تولى تغلب والنمر بن قاسط (✽)

أما أبوه الحارث فلم يطل سلطانه على الحيرة (✽✽) ، فما هو إلا أن مات قباذ وتولى أتوشروان حتى أرجع المنذر ، وفر الحارث بماله وأولاده على الهجن ، فتبعه المنذر على الخيل من تغلب وأباد وبهراء ، فلحق بأرض كلب ونجا فأنتهبوا ماله وهجانه . وأخذت تغلب ثمانية وأربعين نفساً من بني أكل المرار ، فيهم عمرو ومالك ابنا الحارث ، فقدموا بهم على المنذر فقتلهم في ديار بني مرينا . وفي ذلك يقول امرؤ القيس :

ولا كان معش التقات مجمين على أن حجر بن عمرو هو أول ملوك كندة ، فليس لدينا ما يمنع عن القول بأن من سبقوه من شيوخ كندة كانوا رؤساء قبائل ، وأنه كان أول من تغلب بالملك منهم

أما أكل المرار ففسية إلى المراد وهو عشب مر إذا أكلته الإبل قلصت عنها مشايرها فيبت استأنها ويبت كاللحمرة عن أنيابها ، فكان أكل المرار يراد به الكثير عن أنيابه . وللأخباريين قصص كثيرة حول منشأ هذا اللقب

أنظر بصفة خاصة : Gunnar Alinder, The Kings of Kinda or the Family of Akil al-Murar. 1927.

(✽) تفكر الروايات انه كان له ولدان آخران هما عبد الله وقد ولاء عبد القيس وسلمة ولاء على قيس . وهناك روايات أخرى تقول أن الحارث فرق بينه على القبائل على نحو آخر

(✽✽) يلعب أوليندر (ص ٦٥) إلى أن حكم الحارث للحيرة كان بين سنة ٥٢٥ و ٥٢٨ ميلادية في إيران ظهور المزدكية في إيران

ملوك من بنى حجر بن عمرو يساقون العشي يقتلون
فلو في يوم معركة أصيبوا ولكن في ديار بنى مرينا
ولم تفصل جماعهم بفصل ولكن في الدماء مرملينا
تظل الطير عاكفة عليهم وتنتزع الحواجب والعيونا

اما الحارث فظل في بنى كلب حتى قتل فيهم ، واختلّفوا في سبب قتله (*) . وبقي أولاده الأربعة على ما ملكوه ، ولكن موت أبيهم أضعف نفوذهم . وعمل المنذر صاحب الحيرة على الانتقام لنفسه ، فسعى في الإفساد بينهم بالتحاسد على الهدايا ، وذلك انه وجه الى أحدهم سلمة بن الحارث أمير تغلب بهدايا ، ودس الى أخيه شرحبيل من قال له : « ان سلمة أكبر منك وهذه الهدايا تأتيه من المنذر » فقطع الهدايا عنه . ثم أغرى بينهما حتى تحاربا . فقتل شرحبيل في معركة تعرف بيوم الكلاب ، خرج كل منهما بمن تحت رعايته من قبائل عدنان واقتتلوا فعدت العائدة على شرحبيل . وخاف الناس أن يخبروا أخاه سلمة بقتله ، فلما علم جزع جزعا كثيرا وادرك أن المنذر انما أراد أن يقتل بعضهم بعضا ، فاصبح لا يامن على نفسه . وخرج من تغلب والتجأ الى بكر بن وائل ، فاذعنت له وحسدت عليه وقالوا لا يملكننا غيرك . فبعث اليهم المنذر يدعوهم الى طاعته فأبوا ، فحلف ليسيرن اليهم فان ظفر بهم ليذبحتهم على قمة جبل اواره حتى يبلغ الدم الحضيض . وسار اليهم في جموعه فالتقوا بأواره فاقتتلوا قتالا شديدا ، وانجلت الواقعة عن هزيمة بكر وأسر يزيد بن شرحبيل الكندي ، فأمر المنذر بقتله فقتل ، وقتل في المعركة بشر كثير . وأسر المنذر من بكر أسرى كثيرة ، فأمر بهم فذبحوا على جبل اواره فجعل الدم يجمد فليل له : « آيت اللعن ، لو ذبحت كل بكرى على وجه الارض لم يبلغ دمه الحضيض ، ولكن لو صببت عليه الماء » ففعل فسال الدم الى الحضيض . وأمر بالنساء أن يحرقن بالنار . وتسمى هذه المعركة في تاريخ العرب يوم اواره الاول . فلما قتل الاخوان سلمة وشرحبيل وذهب سلطانهما ، أضعف ذلك نفوذ أخوئهما الآخرين : حجر صاحب بنى أسد ، ومعدى كرب صاحب قيس عيلان . ورأى بنو أسد تضعف تلك الدولة ، فتنكروا لحجر ملكهم وساءت سيرته فيهم . فاجتمعوا على خلافه وبدأوا بنبد الطاعة ، وأمسكوا عن أداء الأتاوة وضربوا الجباة الذين أرسلهم في طلبها . فحمل عليهم حجر بجند من ربيعة فاعمل فيهم السيف وأباح الاموال وحبس الاشراف ، ومنهم عبيد ابن الأبرص الشاعر فقال شعرا يستعطفه ، فرق لهم فبعث في اطلاق

(*) توفي الحارث سنة ٥٢٨ وكان قد انهض نحو الروم في اخريات أيامه بعد أن رأى تغير الفرس عليه ، فمنحه جستانيان لقب فيلارخوس

سراحهم فخرجوا وفي نفوسهم غل ، فلما وصلوا اليه قتلوه طعنسا وانهمز رجاله (❖) . وهو والد امرئ القيس بن حجر الشاعر المشهور

وكان امرؤ القيس عند مقتل أبيه غائبا ، فلما علم بقتله رجع وهو يعلم عجزه عن الإخذ بثأره لأن عدوه قوى ، وعلم أيضا أن ذلك العدو إذا عرف مقره قبض عليه ، ففرض برهة من الدهر وهو يتجول متنكرا في اليمن ، ونجد ، والحجاز ، يستجير القبائل فلم يجره أحد ، حتى أتى السماول صاحب حصن الأبلق فاستجاره فأجاره . فاستودعه ادراعه وأمنعته وهو لا يرى مرجعا يستنصره على أعدائه إلا قبصر الروم ، لأن ملوك الحيرة عمال الفرس نصروا أعداءه ، على جاري عادة العرب في ذلك العهد : إذا تظلموا من إحدى الدولتين استنصروا الأخرى . ولم يكن لامرئ القيس سبيل إلى القيص ، فوسط الحارث بن أبي شمر القسائي صاحب النفوذ عند الروم يومئذ ، وطلب اليه أن يوصله اليه بفعل ، فسار امرؤ القيس إلى القيص . ويقول العرب أن القيص بعد أن أجاب دعوته وسمع مدائحهم وشي به أحد بني أسد أعدائه وقال للقيص : « ان امرأ القيس شتمك » فصدق الوشاية والبس الشاعر حلة مسمومة قتلته ، ولا تعرف سما بفعل هذا الفعل . وعلى كل حال فإن امرأ القيس قتل ولم يثل أربا (❖❖)

(❖) الأغانى ، ج ٢ ص ٦٣

(❖❖) لم يحقق أحد من مؤرخي الإديال العرب وقائع حياة امرئ القيس أو التواريخ الرئيسية فيها على نحو نستطيع قبوله الشعروا نصالة بنفر من زعماء القبائل والخلفاء وعيشه معهم ، وأنه ولد ببلاد بني أسد وقضى معظم أيامه في نجد . لأن الديار التي وصفها في شعره كلها ديار بني أسد . ولا تعلم في أي موضع كان امرؤ القيس عندما جاءه خبر مقتل أبيه ، وإن كان القالب أنه كان في اليمن ، فاستجار بيكر وتطلب ، فلم يجد عندهما الكفاية من العون . وحاول أن يوقع ببني أسد دون جدوى ، وإن كان لا يستبعد أنه أصاب بعض قبائلهم مثل بني كنانة . ومن الثابت أن امرأ القيس بعد أن يش من نصر المصرب اتجه بصره إلى أمبراطور الروم ، وسار نحو الشمال حتى بلغ شيزر ، ولا تعرف كيف وصل إلى القسطنطينية ، بل لا نستطيع القطع بأنه وصل إليها أصلا . أما ما يؤكده الرواة في هذا الموضوع فنقطع منه موضوع ، وقد يكون الأمر قد اختلف عليهم ، فاسم امرئ القيس كان شائعا بين العرب ، إذ ذاك ، حتى أن قهلاوون عد خمسة عشر شاعرا يسمى امرأ القيس ، ثم أن شيوخ القبائل العربية كانوا يترددون على بلاط القسطنطينية مستنصرين بالروم ، فلا يجد أن الرواة والقصاصين ابتكروا قصة ذهاب امرئ القيس إلى عاصمة الروم . وقد روى جواد على خبرا وجدا عند المؤرخ البيزنطي بروكوبوس يقول فيه أن شيخا عربيا يسمى قيس Kaisus قتل أسد القارب المصينع Esmiphaeus ملك حمير ، وهرب إلى البسادية ، فتوسط له القيص وطلب إلى السميع أن يبعثه رئيسا على معد Maddeni . وروى أيضا عن المؤرخ نونوس Nonnosus أن القيص جستنيان كلفه (أي نونوس) بالتوجه في سفارة إلى قيس Kaisus حفيد الحارث

واستجاره بقيصر وموته مسموما على مقربة من أنقرة

والثابت عند المؤرخين أنه ابن لحجر بن عمرو أكل المرار ، وإن أبيه لم يكن راعيا عنه لأنصرافه إلى اللهو والمبتغى قوله الشعروا نصالة بنفر من زعماء القبائل والخلفاء وعيشه معهم . وأنه ولد ببلاد بني أسد وقضى معظم أيامه في نجد . لأن الديار التي وصفها في شعره كلها ديار بني أسد . ولا تعلم في أي موضع كان امرؤ القيس عندما جاءه خبر مقتل أبيه ، وإن كان القالب أنه كان في اليمن ، فاستجار بيكر وتطلب ، فلم يجد عندهما الكفاية من العون . وحاول أن يوقع ببني أسد دون جدوى ، وإن كان لا يستبعد أنه أصاب بعض قبائلهم مثل بني كنانة . ومن الثابت أن امرأ القيس بعد أن يش من نصر المصرب اتجه بصره إلى أمبراطور الروم ، وسار نحو الشمال حتى بلغ شيزر ، ولا تعرف كيف وصل إلى القسطنطينية ، بل لا نستطيع القطع بأنه وصل إليها أصلا . أما ما يؤكده الرواة في هذا الموضوع فنقطع منه موضوع ، وقد يكون الأمر قد اختلف عليهم ، فاسم امرئ القيس كان شائعا بين العرب ، إذ ذاك ، حتى أن قهلاوون عد خمسة عشر شاعرا يسمى امرأ القيس ، ثم أن شيوخ القبائل العربية كانوا يترددون على بلاط القسطنطينية مستنصرين بالروم ، فلا يجد أن الرواة والقصاصين ابتكروا قصة ذهاب امرئ القيس إلى عاصمة الروم . وقد روى جواد على خبرا وجدا عند المؤرخ البيزنطي بروكوبوس يقول فيه أن شيخا عربيا يسمى قيس Kaisus قتل أسد القارب المصينع Esmiphaeus ملك حمير ، وهرب إلى البسادية ، فتوسط له القيص وطلب إلى السميع أن يبعثه رئيسا على معد Maddeni . وروى أيضا عن المؤرخ نونوس Nonnosus أن القيص جستنيان كلفه (أي نونوس) بالتوجه في سفارة إلى قيس Kaisus حفيد الحارث وكان رئيسا لقبيلتين كبيرتين من قبائل العرب (السرايموني Saracynoi

وتضعضت دولة كندة ولم يبق من ملوكها غير معد يكرب رئيسا على قيس عيلان ، وأمراء صفار لهم سيادة على بعض القبائل هي بقية نفوذ آبائهم ، وربما حكم الواحد منهم بلدا أو واديا . وأشهر فروع تلك الدولة أربعة في الأماكن الآتية : (١) دومة الجندل (٢) البحرين (٣) نجران (٤) غمر ذي كندة . وكل من هذه الفروع دولة صغيرة قائمة بنفسها ، حتى ظهر الاسلام فذهبت جميعها

أما بداية هذه الدولة فإذا اعتبرنا أول ملوكها حجر بن عمرو آكل المرار فقد توالى بعده أربعة من أعقابهم امرؤ القيس الشاعر ، وكان معاصرا للحارث بن جبلة الفسائي المتوفى سنة ٧٦٩ م ، فإذا اعتبرنا وفاة امرئ القيس في وسط القرن السادس سنة ٥٦٠ ، وحسبنا ما ذكروا من مدد الحكم لحجر وابنه عمرو ، وجعلنا ما بعدها على تلك النسبة ، يكون لنا القائمة الآتية من زمن وفاة كل ملوك كندة على وجه التقريب :

توفي ٤٥٠ م	حجر بن عمرو آكل المرار
توفي ٤٦٠ م	عمرو بن حجر بن عمرو
توفي ٥٤٠ م	الحارث بن عمرو معاصر ابن ماء السماء
توفي ٥٥٠ م	حجر بن الحارث والد امرئ القيس
توفي ٥٦٠ م	لمرو القيس

كما كندة Kindgnoj وسمه Maadynoi ليطلب اليه الشخص الى القسطنطينية ، فذهب اليها ولنى القيصر وسبح ما أمره به وعاد الى بلده لينفذ أوامره . وروى أخبارا أخرى من هذا القبيل تدل على كثرة تردد زعماء العرب على بلاط الروم . فمثل ذلك كله هو الأصل الذى نشأت عنه قصة ذهاب امرئ القيس الى بيزنطة ووشاية الناس به وسمه على يد الامبراطور ويخيف الشك كذلك بقصة امرئ القيس مع الجيوشال بن عاديا (وفى نسبة اختلاف) وابضاعه اياه فدوعه ، وقتل الحارث بن أبى شمر الفسائي لابن السموال فى قصة الوفاء المعروفة فى الكتب العربية

انظر البحث المسهب عند جواد على ، ج ٣ ص ٢٥٢ - ٢٧٣

عرب الصفا

امم سياية في الشمال

فالدول الثلاث التي ذكرناها انما هي نموذج للدول التي نشأت في شمالي جزيرة العرب في اثناء الطور الثاني من عرب الشمال أو الطبقة الثالثة من العرب. ولو أن هذه الدول لم تحتك بالروم أو الفرس وتبقى منها بقية الى ظهور الاسلام حتى تناقل القوم خبرها ودونوا ما علموه منها لذهبت آثارها في جملة ماذهب من آثار الدول الاخرى. وبعض الدول المذهبة لا يرجي كشف اخبارها ، لأنها لم تخلف آثارا منقوشة ، والبعض الآخر خلفت آثارا تدل عليها فاذا كشفها المتقنون ودرسها الباحثون اتجلت حقيقتها واطلعنا على تنمية اخبار العرب منها

القلم العفوى القلم النحوي القلم السبائي القلم الأبي

١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤	١٥	١٦	١٧	١٨	١٩	٢٠	٢١	٢٢	٢٣	٢٤	٢٥	٢٦	٢٧	٢٨	٢٩	٣٠	٣١	٣٢	٣٣	٣٤	٣٥	٣٦	٣٧	٣٨	٣٩	٤٠	٤١	٤٢	٤٣	٤٤	٤٥	٤٦	٤٧	٤٨	٤٩	٥٠	٥١	٥٢	٥٣	٥٤	٥٥	٥٦	٥٧	٥٨	٥٩	٦٠	٦١	٦٢	٦٣	٦٤	٦٥	٦٦	٦٧	٦٨	٦٩	٧٠	٧١	٧٢	٧٣	٧٤	٧٥	٧٦	٧٧	٧٨	٧٩	٨٠	٨١	٨٢	٨٣	٨٤	٨٥	٨٦	٨٧	٨٨	٨٩	٩٠	٩١	٩٢	٩٣	٩٤	٩٥	٩٦	٩٧	٩٨	٩٩	١٠٠	١٠١	١٠٢	١٠٣	١٠٤	١٠٥	١٠٦	١٠٧	١٠٨	١٠٩	١١٠	١١١	١١٢	١١٣	١١٤	١١٥	١١٦	١١٧	١١٨	١١٩	١٢٠	١٢١	١٢٢	١٢٣	١٢٤	١٢٥	١٢٦	١٢٧	١٢٨	١٢٩	١٣٠	١٣١	١٣٢	١٣٣	١٣٤	١٣٥	١٣٦	١٣٧	١٣٨	١٣٩	١٤٠	١٤١	١٤٢	١٤٣	١٤٤	١٤٥	١٤٦	١٤٧	١٤٨	١٤٩	١٥٠	١٥١	١٥٢	١٥٣	١٥٤	١٥٥	١٥٦	١٥٧	١٥٨	١٥٩	١٦٠	١٦١	١٦٢	١٦٣	١٦٤	١٦٥	١٦٦	١٦٧	١٦٨	١٦٩	١٧٠	١٧١	١٧٢	١٧٣	١٧٤	١٧٥	١٧٦	١٧٧	١٧٨	١٧٩	١٨٠	١٨١	١٨٢	١٨٣	١٨٤	١٨٥	١٨٦	١٨٧	١٨٨	١٨٩	١٩٠	١٩١	١٩٢	١٩٣	١٩٤	١٩٥	١٩٦	١٩٧	١٩٨	١٩٩	٢٠٠	٢٠١	٢٠٢	٢٠٣	٢٠٤	٢٠٥	٢٠٦	٢٠٧	٢٠٨	٢٠٩	٢١٠	٢١١	٢١٢	٢١٣	٢١٤	٢١٥	٢١٦	٢١٧	٢١٨	٢١٩	٢٢٠	٢٢١	٢٢٢	٢٢٣	٢٢٤	٢٢٥	٢٢٦	٢٢٧	٢٢٨	٢٢٩	٢٣٠	٢٣١	٢٣٢	٢٣٣	٢٣٤	٢٣٥	٢٣٦	٢٣٧	٢٣٨	٢٣٩	٢٤٠	٢٤١	٢٤٢	٢٤٣	٢٤٤	٢٤٥	٢٤٦	٢٤٧	٢٤٨	٢٤٩	٢٥٠	٢٥١	٢٥٢	٢٥٣	٢٥٤	٢٥٥	٢٥٦	٢٥٧	٢٥٨	٢٥٩	٢٦٠	٢٦١	٢٦٢	٢٦٣	٢٦٤	٢٦٥	٢٦٦	٢٦٧	٢٦٨	٢٦٩	٢٧٠	٢٧١	٢٧٢	٢٧٣	٢٧٤	٢٧٥	٢٧٦	٢٧٧	٢٧٨	٢٧٩	٢٨٠	٢٨١	٢٨٢	٢٨٣	٢٨٤	٢٨٥	٢٨٦	٢٨٧	٢٨٨	٢٨٩	٢٩٠	٢٩١	٢٩٢	٢٩٣	٢٩٤	٢٩٥	٢٩٦	٢٩٧	٢٩٨	٢٩٩	٣٠٠	٣٠١	٣٠٢	٣٠٣	٣٠٤	٣٠٥	٣٠٦	٣٠٧	٣٠٨	٣٠٩	٣١٠	٣١١	٣١٢	٣١٣	٣١٤	٣١٥	٣١٦	٣١٧	٣١٨	٣١٩	٣٢٠	٣٢١	٣٢٢	٣٢٣	٣٢٤	٣٢٥	٣٢٦	٣٢٧	٣٢٨	٣٢٩	٣٣٠	٣٣١	٣٣٢	٣٣٣	٣٣٤	٣٣٥	٣٣٦	٣٣٧	٣٣٨	٣٣٩	٣٤٠	٣٤١	٣٤٢	٣٤٣	٣٤٤	٣٤٥	٣٤٦	٣٤٧	٣٤٨	٣٤٩	٣٥٠	٣٥١	٣٥٢	٣٥٣	٣٥٤	٣٥٥	٣٥٦	٣٥٧	٣٥٨	٣٥٩	٣٦٠	٣٦١	٣٦٢	٣٦٣	٣٦٤	٣٦٥	٣٦٦	٣٦٧	٣٦٨	٣٦٩	٣٧٠	٣٧١	٣٧٢	٣٧٣	٣٧٤	٣٧٥	٣٧٦	٣٧٧	٣٧٨	٣٧٩	٣٨٠	٣٨١	٣٨٢	٣٨٣	٣٨٤	٣٨٥	٣٨٦	٣٨٧	٣٨٨	٣٨٩	٣٩٠	٣٩١	٣٩٢	٣٩٣	٣٩٤	٣٩٥	٣٩٦	٣٩٧	٣٩٨	٣٩٩	٤٠٠	٤٠١	٤٠٢	٤٠٣	٤٠٤	٤٠٥	٤٠٦	٤٠٧	٤٠٨	٤٠٩	٤١٠	٤١١	٤١٢	٤١٣	٤١٤	٤١٥	٤١٦	٤١٧	٤١٨	٤١٩	٤٢٠	٤٢١	٤٢٢	٤٢٣	٤٢٤	٤٢٥	٤٢٦	٤٢٧	٤٢٨	٤٢٩	٤٣٠	٤٣١	٤٣٢	٤٣٣	٤٣٤	٤٣٥	٤٣٦	٤٣٧	٤٣٨	٤٣٩	٤٤٠	٤٤١	٤٤٢	٤٤٣	٤٤٤	٤٤٥	٤٤٦	٤٤٧	٤٤٨	٤٤٩	٤٥٠	٤٥١	٤٥٢	٤٥٣	٤٥٤	٤٥٥	٤٥٦	٤٥٧	٤٥٨	٤٥٩	٤٦٠	٤٦١	٤٦٢	٤٦٣	٤٦٤	٤٦٥	٤٦٦	٤٦٧	٤٦٨	٤٦٩	٤٧٠	٤٧١	٤٧٢	٤٧٣	٤٧٤	٤٧٥	٤٧٦	٤٧٧	٤٧٨	٤٧٩	٤٨٠	٤٨١	٤٨٢	٤٨٣	٤٨٤	٤٨٥	٤٨٦	٤٨٧	٤٨٨	٤٨٩	٤٩٠	٤٩١	٤٩٢	٤٩٣	٤٩٤	٤٩٥	٤٩٦	٤٩٧	٤٩٨	٤٩٩	٥٠٠	٥٠١	٥٠٢	٥٠٣	٥٠٤	٥٠٥	٥٠٦	٥٠٧	٥٠٨	٥٠٩	٥١٠	٥١١	٥١٢	٥١٣	٥١٤	٥١٥	٥١٦	٥١٧	٥١٨	٥١٩	٥٢٠	٥٢١	٥٢٢	٥٢٣	٥٢٤	٥٢٥	٥٢٦	٥٢٧	٥٢٨	٥٢٩	٥٣٠	٥٣١	٥٣٢	٥٣٣	٥٣٤	٥٣٥	٥٣٦	٥٣٧	٥٣٨	٥٣٩	٥٤٠	٥٤١	٥٤٢	٥٤٣	٥٤٤	٥٤٥	٥٤٦	٥٤٧	٥٤٨	٥٤٩	٥٥٠	٥٥١	٥٥٢	٥٥٣	٥٥٤	٥٥٥	٥٥٦	٥٥٧	٥٥٨	٥٥٩	٥٦٠	٥٦١	٥٦٢	٥٦٣	٥٦٤	٥٦٥	٥٦٦	٥٦٧	٥٦٨	٥٦٩	٥٧٠	٥٧١	٥٧٢	٥٧٣	٥٧٤	٥٧٥	٥٧٦	٥٧٧	٥٧٨	٥٧٩	٥٨٠	٥٨١	٥٨٢	٥٨٣	٥٨٤	٥٨٥	٥٨٦	٥٨٧	٥٨٨	٥٨٩	٥٩٠	٥٩١	٥٩٢	٥٩٣	٥٩٤	٥٩٥	٥٩٦	٥٩٧	٥٩٨	٥٩٩	٦٠٠	٦٠١	٦٠٢	٦٠٣	٦٠٤	٦٠٥	٦٠٦	٦٠٧	٦٠٨	٦٠٩	٦١٠	٦١١	٦١٢	٦١٣	٦١٤	٦١٥	٦١٦	٦١٧	٦١٨	٦١٩	٦٢٠	٦٢١	٦٢٢	٦٢٣	٦٢٤	٦٢٥	٦٢٦	٦٢٧	٦٢٨	٦٢٩	٦٣٠	٦٣١	٦٣٢	٦٣٣	٦٣٤	٦٣٥	٦٣٦	٦٣٧	٦٣٨	٦٣٩	٦٤٠	٦٤١	٦٤٢	٦٤٣	٦٤٤	٦٤٥	٦٤٦	٦٤٧	٦٤٨	٦٤٩	٦٥٠	٦٥١	٦٥٢	٦٥٣	٦٥٤	٦٥٥	٦٥٦	٦٥٧	٦٥٨	٦٥٩	٦٦٠	٦٦١	٦٦٢	٦٦٣	٦٦٤	٦٦٥	٦٦٦	٦٦٧	٦٦٨	٦٦٩	٦٧٠	٦٧١	٦٧٢	٦٧٣	٦٧٤	٦٧٥	٦٧٦	٦٧٧	٦٧٨	٦٧٩	٦٨٠	٦٨١	٦٨٢	٦٨٣	٦٨٤	٦٨٥	٦٨٦	٦٨٧	٦٨٨	٦٨٩	٦٩٠	٦٩١	٦٩٢	٦٩٣	٦٩٤	٦٩٥	٦٩٦	٦٩٧	٦٩٨	٦٩٩	٧٠٠	٧٠١	٧٠٢	٧٠٣	٧٠٤	٧٠٥	٧٠٦	٧٠٧	٧٠٨	٧٠٩	٧١٠	٧١١	٧١٢	٧١٣	٧١٤	٧١٥	٧١٦	٧١٧	٧١٨	٧١٩	٧٢٠	٧٢١	٧٢٢	٧٢٣	٧٢٤	٧٢٥	٧٢٦	٧٢٧	٧٢٨	٧٢٩	٧٣٠	٧٣١	٧٣٢	٧٣٣	٧٣٤	٧٣٥	٧٣٦	٧٣٧	٧٣٨	٧٣٩	٧٤٠	٧٤١	٧٤٢	٧٤٣	٧٤٤	٧٤٥	٧٤٦	٧٤٧	٧٤٨	٧٤٩	٧٥٠	٧٥١	٧٥٢	٧٥٣	٧٥٤	٧٥٥	٧٥٦	٧٥٧	٧٥٨	٧٥٩	٧٦٠	٧٦١	٧٦٢	٧٦٣	٧٦٤	٧٦٥	٧٦٦	٧٦٧	٧٦٨	٧٦٩	٧٧٠	٧٧١	٧٧٢	٧٧٣	٧٧٤	٧٧٥	٧٧٦	٧٧٧	٧٧٨	٧٧٩	٧٨٠	٧٨١	٧٨٢	٧٨٣	٧٨٤	٧٨٥	٧٨٦	٧٨٧	٧٨٨	٧٨٩	٧٩٠	٧٩١	٧٩٢	٧٩٣	٧٩٤	٧٩٥	٧٩٦	٧٩٧	٧٩٨	٧٩٩	٨٠٠	٨٠١	٨٠٢	٨٠٣	٨٠٤	٨٠٥	٨٠٦	٨٠٧	٨٠٨	٨٠٩	٨١٠	٨١١	٨١٢	٨١٣	٨١٤	٨١٥	٨١٦	٨١٧	٨١٨	٨١٩	٨٢٠	٨٢١	٨٢٢	٨٢٣	٨٢٤	٨٢٥	٨٢٦	٨٢٧	٨٢٨	٨٢٩	٨٣٠	٨٣١	٨٣٢	٨٣٣	٨٣٤	٨٣٥	٨٣٦	٨٣٧	٨٣٨	٨٣٩	٨٤٠	٨٤١	٨٤٢	٨٤٣	٨٤٤	٨٤٥	٨٤٦	٨٤٧	٨٤٨	٨٤٩	٨٥٠	٨٥١	٨٥٢	٨٥٣	٨٥٤	٨٥٥	٨٥٦	٨٥٧	٨٥٨	٨٥٩	٨٦٠	٨٦١	٨٦٢	٨٦٣	٨٦٤	٨٦٥	٨٦٦	٨٦٧	٨٦٨	٨٦٩	٨٧٠	٨٧١	٨٧٢	٨٧٣	٨٧٤	٨٧٥	٨٧٦	٨٧٧	٨٧٨	٨٧٩	٨٨٠	٨٨١	٨٨٢	٨٨٣	٨٨٤	٨٨٥	٨٨٦	٨٨٧	٨٨٨	٨٨٩	٨٩٠	٨٩١	٨٩٢	٨٩٣	٨٩٤	٨٩٥	٨٩٦	٨٩٧	٨٩٨	٨٩٩	٩٠٠	٩٠١	٩٠٢	٩٠٣	٩٠٤	٩٠٥	٩٠٦	٩٠٧	٩٠٨	٩٠٩	٩١٠	٩١١	٩١٢	٩١٣	٩١٤	٩١٥	٩١٦	٩١٧	٩١٨	٩١٩	٩٢٠	٩٢١	٩٢٢	٩٢٣	٩٢٤	٩٢٥	٩٢٦	٩٢٧	٩٢٨	٩٢٩	٩٣٠	٩٣١	٩٣٢	٩٣٣	٩٣٤	٩٣٥	٩٣٦	٩٣٧	٩٣٨	٩٣٩	٩٤٠	٩٤١	٩٤٢	٩٤٣	٩٤٤	٩٤٥	٩٤٦	٩٤٧	٩٤٨	٩٤٩	٩٥٠	٩٥١	٩٥٢	٩٥٣	٩٥٤	٩٥٥	٩٥٦	٩٥٧	٩٥٨	٩٥٩	٩٦٠	٩٦١	٩٦٢	٩٦٣	٩٦٤	٩٦٥	٩٦٦	٩٦٧	٩٦٨	٩٦٩	٩٧٠	٩٧١	٩٧٢	٩٧٣	٩٧٤	٩٧٥	٩٧٦	٩٧٧	٩٧٨	٩٧٩	٩٨٠	٩٨١	٩٨٢	٩٨٣	٩٨٤	٩٨٥	٩٨٦	٩٨٧	٩٨٨	٩٨٩	٩٩٠	٩٩١	٩٩٢	٩٩٣	٩٩٤	٩٩٥	٩٩٦	٩٩٧	٩٩٨	٩٩٩	١٠٠٠	١٠٠١	١٠٠٢	١٠٠٣	١٠٠٤	١٠٠٥	١٠٠٦	١٠٠٧	١٠٠٨	١٠٠٩	١٠١٠	١٠١١	١٠١٢	١٠١٣	١٠١٤	١٠١٥	١٠١٦	١٠١٧	١٠١٨	١٠١٩	١٠٢٠	١٠٢١	١٠٢٢	١٠٢٣	١٠٢٤	١٠٢٥	١٠٢٦	١٠٢٧	١٠٢٨	١٠٢٩	١٠٣٠	١٠٣١	١٠٣٢	١٠٣٣	١٠٣٤	١٠٣٥	١٠٣٦	١٠٣٧	١٠٣٨	١٠٣٩	١٠٤٠	١٠٤١	١٠٤٢	١٠٤٣	١٠٤٤	١٠٤٥	١٠٤٦	١٠٤٧	١٠٤٨	١٠٤٩	١٠٥٠	١٠٥١	١٠٥٢	١٠٥٣	١٠٥٤	١٠٥٥	١٠٥٦	١٠٥٧	١٠٥٨	١٠٥٩	١٠٦٠	١٠٦١	١٠٦٢	١٠٦٣	١٠٦٤	١٠٦٥	١٠٦٦	١٠٦٧	١٠٦٨	١٠٦٩	١٠٧٠	١٠٧١	١٠٧٢	١٠٧٣	١٠٧٤	١٠٧٥	١٠٧٦	١٠٧٧	١٠٧٨	١٠٧٩	١٠٨٠	١٠٨١	١٠٨٢	١٠٨٣	١٠٨٤	١٠٨٥	١٠٨٦	١٠٨٧	١٠٨٨	١٠٨٩	١٠٩٠	١٠٩١	١٠٩٢	١٠٩٣	١٠٩٤	١٠٩٥	١٠٩٦	١٠٩٧	١٠٩٨	١٠٩٩	١١٠٠	١١٠١	١١٠٢	١١٠٣	١١٠٤	١١٠٥	١١٠٦	١١٠٧	١١٠٨	١١٠٩	١١١٠	١١١١	١١١٢	١١١
---	---	---	---	---	---	---	---	---	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	-----

(١) القلم الصفوى : سموه بذلك لأنهم عثروا عليه في جبل الصفا بحوران
 (٢) القلم اللحياني : نسبة الى بنى لحيان لانهم كانوا يستخدمونه على ما يظن
 (٣) القلم الشمودي : سموه بذلك لظنهم ان نمودا كانت تكتبه . وفي
 الصفحة السابقة جدول للأبجديات الثلاث المذكورة وبجانبها الابجدية
 السبابة الاصلية ليظهر الفرق بينها

على انهم لا يزالون حتى الآن في أوائل البحث ، ولم يتمكنوا من كشف
 نقوش توضح لهم حقيقة أصحاب هذه الخطوط ، ويتوقعون الوصول الى
 ذلك في المستقبل ويرجون من ورائه كشف حقائق هامة . لكنهم استطاعوا
 معرفة بعض الشيء عن الكتابة الصفوية وأصحابها مما لا يخلو ذكره من
 فائدة

جبل الصفا

حوران واقعة شرقي الشام ، تنتهي في الشرق بجبال حوران ، ووراءها
 نحو الشرق بقعة وعرة يسمونها « الحراء » ، ووراءها نحو الشرق الشمالى
 جبل بركاني الشكل يقال له جبل الصفا ، وفيه وجد الرواد الآثار التي
 يسمونها الصفوية وسموا خطها القلم الصفوى . وأول من عثر على تلك
 الآثار كريولوس جراهام سنة ١٨٥٧ ، فنبه الأذهان اليها بمقالة كتبها في
 مجلة الجمعية الجغرافية في لندن

وفي السنة التالية خرج قنصل بروسيا في دمشق لارتياح حوران وما
 جاورها ، وكتب رحلته سنة ١٨٦٠ ، وفيها نحو ٢٦٠ شكلا من النقوش
 الصفوية التي وقف عليها هناك . وبعد سنتين فرغ ودنتون وفوجيه من
 رحلتهما السورية ، وكانت خاتمتها وصول فوجيه الى الصفا ونشر في تلك
 الرحلة نحو ٤٠٠ نقش . ثم توالى الزوار على تلك الاصقاع ، ومنهم برتن
 ودراك وستيبل وأوبنهايم وغيرهم

وأخر من عنى بارتياح ذلك المكان رينيه دوسو ، فجمع سنة ١٨٩٩ نحو
 ٤١٢ نقشا ، وجمع مع مكليز سنة ١٩٠١ ، نحو ٩٠٠ نقش . وفعل ذلك
 أيضا ليتنم استاذ اللغات السامية في ستراسبورج ، فبلغ عدد النقوش
 التي جمعها الى سنة ١٩٠٥ ، نحو ١٧٥٠ نقشا . ومع كثرة ما اكتشفوه
 من النقوش فإنهم لم يتيسر لهم قراءتها الا قريبا ، وأول من حاول ذلك
 منهم مولر في مجلة الجمعية الشرقية Z.D.M.G. ، ثم هاليقي في المجلة
 الاسيوية الفرنسية لسنة ١٨٧٧ ، وبعدهما برتوديوس ، وأخيرا ليتنم
 المتقدم ذكره . وكتب في ذلك فصلا ضافيا بالألمانية ضمنه تاريخ حل تلك
 الكتابة (١) وعين لفظ كل حرف ومكانه من الابجدية كما ترى في الشكل

السابق . وكتب دوسو فصلا ضافيا عن هذه الإيجدة فيه انتقاد وملاحظات تتعلق بنسبة هذا الحرف والحرف السباى الى الأصل الفينيقي أو اليوناني القديم (١) ومن هو السابق الى الوجود ، وسنعود الى هذا البحث في كلامنا عن الكتابة في بلاد العرب قبل الإسلام

وغاية ما وقفوا عليه بعد هذا العناء قراءة بعض الاعلام ، ومنها أسماء الأشخاص أو الآلهة أو الأماكن في عرض الدعاء أو الوقف أو نحو ذلك . ولعلهم استفادوا من قراءة الاعلام فوائد كثيرة ، أكثرها تتعلق بالآلهة التي كانوا يعبدونها . وقد وقفوا الى استخراج أسباب بعض الكهان أو الأمراء الذين تعاقبوا في أوائل تاريخ الميلاد ، نشر دوسو عائلة منهم اسم جدها الأعلى قصى ، وابنه اسمه روح ، له ولد اسمه أكلب ، ولهذا ولدان : قصى ومالك ، ومالك ولد اسمه روح ، ولقصى ولد اسمه مالك (الثاني) (٢)

ووجدوا بين معبوداتهم عدة من آلهة الجنوب وبعض آلهة الشمال ، وفي جملة ذلك عشتار ، واللات ، وذوالشرى ، وشمس ، وغيرها ، وسنعود الى ذلك في الكلام عن أديان العرب

وعلى كل حال فإن معرفتنا عن عرب الصفا ضعيفة جدا ، وأكثر ما يقال عنهم من قبيل الظنون . والراجع من ذلك كله ان هذه الآثار المنقوشة لأمة عربية أقامت في جهات حوران حوالى تاريخ الميلاد ثم اندثرت ، ولعل موالة البحث توضح لنا الصحيح وتكشف لنا عن أمم أخرى

أيام العرب

العنانية والدول المعاصرة

يراد بأيام العرب الوقائع التي جرت بين القبائل البدوية في شمالي جزيرة العرب في الطور الثاني ، أي في الطبقة الثالثة من تاريخ العرب قبل الاسلام . وأهم هذه القبائل من عدنان ، وقد تفرقت بأحيائها وبطونها وقبائلها كما تقدم ، وكان كل منها مستقلاً بأحكامه وأعماله ، يتخاصمون ويتجاربون على ما تقتضيه طبيعة البداوة ، وينفرد أن يجتمعوا تحت راية واحدة . بذلك على هذا انهم لم يجتمعوا في الجاهلية كلها الا ثلاث مرات سيأتي ذكرها

على أن بعضها كانت تدخل في رعاية إحدى الدول الكبرى المعاصرة لها على يد بعض عمال هذه الدول من العرب ، فتدخل في حوزة الفرس على يد المناذرة ، أو الروم على يد الفساسنة ، أو حمير على يد كندة . ولكنهم لم يكونوا يخضعون في الحقيقة لدولة الا لمصلحة مشتركة بينهم وبينها ، ولا يشبتون على ولائها الا لمطمع

وكان أكثر خضوعهم لدولة حمير باليمن ، لأنها كانت أكبر دول العرب يؤدون لها الاتاة كل عام . أما الدول العربية الصغرى فكانت علاقتها معها على الأكثر على سبيل المحالفة . فالمناذرة مثلاً كانوا يقربونهم ليستعينوا بهم على الفساسنة ، وكذلك كان يفعل هؤلاء للاستعانة بهم على المناذرة ، شأن الدول المتحضرة في ذلك العهد من الاستعانة بالبداوة على الحضارة

والعدنانية كانوا أشداء ، ولو انهم اتحدوا لم تقو عليهم دولة ، ولكنهم كانوا لا يبرحون في انقسام وخصام فيستظل الضعيف منهم بدولة تحميهِ من أخيه القوي . وكثيراً ما كانوا يلجأون الى بعض تلك الدول للحكم بينهم في ما يختصمون فيه لاحترامهم علوم الحضارة وقوانينها . فكانت القبيلة من أهل البادية اذا دخلت في رعاية حمير مثلاً طلبت اليها أن تولى عليها اميراً ، ويطلب أن تختار واحداً من أمراء تلك القبيلة ، أو أحد رجال تلك الدولة ، أو بعض المعروفين بالقوة والسطوة من إحدى القبائل التي تعودت السيادة كفضاعة أو غسان أو لخم أو كندة

وأشهر من تولى الرئاسة على بدو الشمال تحت رعاية دولة اليمن زهير

ابن جناب الكلبى من قضاة في اواسط القرن الخامس للميلاد ، وكان شديد البطش بأسلا شجاعا وله عقل وسداد رأى حتى سموه الكاهن ، وله وقائع مشهورة سيأتى ذكرها . واتفق في أثناء سيادته على نجد أن صاحب اليمن أتى نجدا ، فقدم زهير اليه فآكرمه الملك وفضله على من عرفهم من أمراء العرب ، وولاه الامارة على بكر وتغلب وكلاهما من ربيعة ، فكان يحكم فيهم ويجمع الاتاوة منهم (*)

استقلال عنان عن اليمن

فرسخ في اعتقاد البدو بتوالى الاجيال ان الازمان لدولة حمير فرض واجب ، وكان النزاع بينهم يزيدهم تعلقا بذلك ، حتى رأوا ما أصابها في أثناء حروبها مع الحبشة ، فتبين لهم ضعفها عن حفظ استقلالها وذهبت هيبتها من قلوبهم ، فأخذوا يفكرون في الخروج من سيطرتها والامساك عن دفع الاتاوة لها ، وأحسوا بالحاجة الى الاتحاد في هذا السبيل ، فانحدوا . ولم يطل اتحادهم كما طال في الاسلام، اذ لم يكن الباعث عليه من قبيل الوجدان والفضل الاكبر في كسر قيد الاتاوة والخروج من طاعة اليمن لقبيلة ربيعة ، لأن البادية بكسر ذلك القيد منهم وهو كليب الفارس الباسل المشهور ، وكان معاصرا لزهير بن جناب الذى ولاه صاحب اليمن على بكر وتغلب وهما اكبر قبائل ربيعة . وكان زهير يتقاضى الاتاوة أو الخراج منهم في مقابل النجعة والكلأ والمرعى ، وكان يخرج في حاشيته لجمع الاتاوة ، فأصابهم في أثناء امارته ضيق واجدبت أرضهم فتأخروا عن الدفع ، فجاءهم زهير والح في مطالبتهم فشكوا عجزهم وأبأنوا عذرهم فلم يصغ لشكواهم . ومنعهم النجعة والمرعى أو يؤدوا ما عليهم ، فقصبروا حتى كادت مواشيهم تهلك . وكانت هيبة الدولة قد ذهبت من نفوسهم ، فلما أصابهم ذاك الظلم شقوا عصا الطاعة وتقموا على زهير ورجاله ، فقدموا رجلا منهم اسمه زبابة من بنى تيم الله - وكان فاتكا - وأوعزوا اليه أن يقتل زهيراً

(*) يذكر الاخباريون اشبارا كثيرة اسطورية الطابع عن زهير بن جناب بن هبل الحميرى هذا ، فيذكرون مثلا أنه عاش ٢٢٠ سنة وأنه امتاز على قومه بطش خصال: السيادة ، والشرف ، والخطبة ، والشعر ، والوفادة على المنادى ، والطب ، والكهانة ، والفروسية ، وكثرة الولد وشرف البيت ، ولا يهتم الاخباريون بدوره السياسى بقدر ما يهتمون ببلاغة شعره وكهانيته ، ولكننا نفهم من مجموع الاخبار أنه كان سيد قضاة ، وأن ملوك حمير كانوا يعتبرونه الرئيس الاعنى للمدائنين ويحكمونهم عن طريقه . وكان من أفهم الناس بطبائع العرب وأوسعهم علما بشؤونهم وأعرفهم بمطالب الرياسة فيهم . وقد عمر طويلا حتى غرق ، وله شعر كثير وحكم يجله من أكبر حكماء العرب ، والغالب انه توفي في الاخر القرن الخامس الميلادى أو أوائل القرن السادس

القرن : الاولى ، بلوغ العرب في معرفة احوال العرب (الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٢٤)

غدرا ، ولم يقدموا على مناورته جهارا لئلا يستنجد جنده . فأتاه زبابة وهو نائم وطمعته ، ورجع الى قومه وأخبرهم أنه قتله ، والحقيقة أن السيف مر بجانب البطن ولم يصب من زهير مقتلا . وعلم هذا أنه سالم فلم يتحرك لئلا يجهز عليه . فلما انصرف زبابة أوعز زهير لمن معه أن يظهر موتة ويستأذنوا بكرا وتغلب في دفنه ، فلما اذنوا دفنوا ثيابا ملفوفة وقروا به مجدين الى قومهم ، فجمع زهير الجموع . وفي ذلك يقول زبابة :

طمعنا ما طمعت في غلس الليل زهيرا وقد توافى الخصوم
حين يحمي له المواسم بكر ابن بكر وابن منها الحلو
خانتني السيف اذ طمعت زهيرا وهو سيف مضلل مشوم

وجمع زهير من قدر عليه من اهل اليمن وغزا بكرا وتغلب ، وقاظم قتالا شديدا انهزمت به بكر ، وقاتلت تغلب بعدها ثم انهزمت ، وأسر كليب ومهلل ابنا ربيعة واخذت الاموال وكثرت القتلى في بني تغلب ، واسر جماعة من وجوههم وفرسانهم

فعظم ذلك على قبائل ربيعة وتجمهروا وولوا عليهم ربيعة والد كليب ومهلل ، وخرجوا على زهير وانفذوا الاسيرين منه . ودالت الايام وعاد زهير الى سطوته فوضع الاتاة او الخراج على بني معد جميعا

وفي اواخر القرن الخامس توفي ربيعة امير وائل ، فخلفه ابنه كليب وفي نفسه على اليمن صفائين لما قاساه في أسرهم ، فجمع معدا تحت نوائه — أي ربيعة وقضاة ومضر وايباد ونزار — وحارب اليمن في معركة عرفت « بيوم خزاز » سيأتي ذكرها ، وهزمهم واستقلوا من سيطرتهم ، ولم يدفعوا اليهم اتاة او خراجا من ذلك الحين . ونظرت معد الى كليب نظرها الى منقلد عظيم ، فولوه الملك عليهم وجعلوا له قسم الملك وتاجه وطاعته (١) وكان ذلك آخر عهدهم بسلطة اليمن

على أن خروجهم من هذه السلطة لم يفض الى الاستقلال التام وانشاء الدول المستقلة لتغلب البداوة على طباعهم ، فكانوا اذا خرجوا من رعاية اليمن دخلوا في رعاية كندة أو غسان أو لخم على غير نظام وبلا شروط ، وهم مع ذلك في خصام ونزاع فيما بينهم أو مع سواهم من الأمم المعاصرة ، وتعرف جروبهم المشار اليها بأيام العرب

ويريدون بأيام العرب ما حفظه التاريخ من الوقائع بين قبائل البادية من

عدنان ، أو بينها وبين قبائل اليمن أو بعض الدول . فنقسم تلك الايام الى : حروب العدنانية مع سواهم ، وحروبهم بين انفسهم

ايام العدنانية مع سواهم

١ - يوم البيض : بين عدنان واليمن

هذا اقدم ما حفظه التاريخ من اخبار تلك الحروب ، وهي حرب وقعت بين العدنانية ومذحج ، في أواسط القرن الرابع للميلاد . وكانت مذحج قادمة من اليمن طلباً للتوسع في الماش ، فنزلوا تهامة وفيها من بني معد قبائل متفرقة ، ومن جملتها عدوان ، وكان أمير عدوان يومئذ عامر بن الظرب المشهور بعقله وحكمته ، فتضايق المعديون من مذحج ، فاجتمعوا تحت لواء عامر بن الظرب ، وهي أول مرة اجتمعت كل قبائل معد تحت لواء واحد ، وهي انما تجتمع لدفع جيش يعنى عملاً بالمثل : « انا واخي علي ابن عمي ، وانا وابن عمي علي الغريب » . وقد فازت معد تحت قيادة عامر ، وغلبت اليمنيين شر غلبة في مكان يقال له البيضاء ، وهي أول وقعة بين تهامة واليمن . ولم تجتمع معد في الجاهلية تحت لواء واحد الا ثلاث مرات : الاولى تحت لواء عامر بن الظرب المذكور ، والثانية تحت قيادة ربيعة بن الحارث في قضاة في يوم السلام المتقدم ذكره (١) ، والثالثة تحت لواء كليب بن ربيعة في محاربة جيش اليمن كما رأيت

وعامر المذكور هو حكم العرب المشهور ، الذي كانت العصا تفرع له . ويقولون في سبب هذا التعبير انه لما شاخ قال له الثاني من ولده : « انك ربما اخطأت في الحكم فيحمل عنك » ، قال : « فاجعلوا لي امارة اعرفها ، فاذا زغت فسمعتها رجعت الى الصواب » ، فجعلوا قرع العصا امارة بنهونه بها . فكان يجلس قدام بيته ويقعد ابنه في البيت ومعه العصا ، فاذا زاغ او هفا قرع له الجفنة فيرجع الى الصواب (٢) قالوا : وهو أول من جلس على منبر أو سرير وتكلم ، ولذلك سموه ذا الاعواد

٢ - يوم خزاز (٣) بين عدنان واليمن ايضا

وكان سببه ان أحد ملوك اليمن وقع له أسرى من مضر وربيعة وقضاة ، وكلهم من معد ، فأوفد بنو معد وافداً من وجوههم يكلمونه في اطلاق الاسرى فاطلقهم ، لكنه استبقى بعض الوفد رهينة وقال للباقيين : « ائتوني برؤساء

(١) ابن الاثير ٢٩٥ ج ١

(٢) ابن الاثير ٢٢٧ ج ١ والاغانى ٣ ج ٢

(٣) معركة بين معد والمذحج ، وقد انتصرت فيه معد . وخزاز جبل بين البصرة الى مكة . وحده للمركة هي اكبر انتصارات معد على اليمن ، وتعد من اسباب تحسّر حرب الشمال من حمير ، ويسمى أيضاً خزازي



قومكم لاخذ عليهم الموائيق بالطاعة لى والا قتلت اصحابكم » . فرجعوا الى قومهم فاخبروهم ، فشق عليهم غدرة بهم . وكان اكبر امرائهم ورجل العصر يومئذ كليب وائل ، فبعث الى ربيعة وهى قبيلته فجمعها تحت رايته واجتمعت اليه معد كلها كما تقدم . فلما اجتمعوا اليه سار بهم ، وجعل على مقدمتهم السفاح التغلبى ، وامره ان يوقد على خزاز نارا ليهتدوا بها - وخزاز جبل ما بين البصرة الى مكة - وقال له : « ان غشيك العدو فاوقد نارين » . وكان ملك اليمن قد ارسل جندا من مذحج ، فلما علم هؤلاء باجتماع معد اقبلوا بجيوشهم ، واستنفروا من يليهم من قبائل اليمن وساروا اليهم ، فلما سمع اهل تهامة بمسير مذحج انضموا الى ربيعة ، ووصلت مذحج الى خزاز ليلا فرفع السفاح نارين ، فلما رأى كليب النارين اقبل اليهم بالجموع فصحبهم ، فالتقوا فى خزاز واقتتلوا قتالا شديدا اكثروا فيه القتل ، وانهزمت مذحج وانتصر العدنانيون ، وفى ذلك يقول الفرزدق يخاطب جريرا وبهجو ويفاخر بأجداده :

لولا فوارس تغلب ابنة وائل دخل العدو عليك كل مكان
ضربوا الصنائع والملوك وأوقدوا نارين اشرفتا على النيران

٣ - يوم الصفقة (١) أو المشرق : بين فارس وتميم

سببه ان باذان - نائب كسرى ابرويز باليمن - أرسل اليه في أوائل القرن السابع للميلاد احتمالا من حاصلات اليمن ومصنوعاتها ، فلما بلغت النطاق من أرض نجد أغارت عليها تميم وانتهبتها ، وسلبوا رسل كسرى وأساورة . فعرج هؤلاء على اليمامة - وصاحبها هوزة بن علي الحنفي - فلما رأهم مسئولين أحسن وفادتهم وكساهم . وكانت له معهم أباد بيضاء في ما كان الفرس يرسلونه من التجارة الى اليمن ، ويسمونها « اللطيمة » ، فكان هوزة إذا مرت اللطيمة جهز رسلها وخفرهم وأحسن جوارهم ، وكان كسرى يشتهي ان يراه ليجازيه على فعله . فلما أحسن أخيراً الى هؤلاء الرسل الذين سلبتهم تميم قالوا له : « ان الملك لا يزال يذكرك ويجب ان تقدم عليه » ، فسار معهم اليه فلما قدم عليه أكرمه وأحسن وفادته وخادته لينظر عقله ، وأمر له بمال كثير وتوجه بتاج من تيجانه ، وأقطعهم أموالا في هجر كانت تحت سيطرة الفرس ، وكان هوزة نصرانيا . وأمره ان يغزو بني تميم مع حملة من عساكر كسرى بقيادة المكبر ، فسافروا الى هجر ونزلوا في المشرق - وهو حصن ، وخافوا ان يدخلوا بلاد تميم ، لان المعجم لا تستطيع فتحها وأهلها ممتنعون فيها . فعمد هوزة والمكبر الى الحيلة والغدر ، فبعثا رجالا من بني تميم يدعونهم الى الطعام ، وكانت سنة شديدة فاقبلوا على كل صعب وذلول ، فجعل المكبر يدخلهم الحصن خمسة خمسة ، وعشرة عشرة ، وأقل أو أكثر على أن يخرجهم من باب آخر ، فكل من دخل ضرب عنقه . فلما طال ذلك عليهم ورأوا الناس يدخلون ولا يخرجون ، بعثوا رجالا يستعملون الخير ، فشد رجل من عبس فضرب السلسلة فقطعها ، وخرج من كان بالباب فأمر المكبر رجل من عبس فضرب السلسلة فقطعها ، وخرج من كان بالباب فأمر المكبر بفتح باب المدينة وقتل كل من فيها ، وكان يوم الفصح فاستوهب هوزة منه مائة فكساهم وأطلقهم يوم الفصح ، فقال الاعشى من قصيدة له يمدح هوزة :

يهم تقرب يوم الفصح ضاحية يرجو الاله بما أسدى وما صنعا

وكان يوم الصفقة في العقد الثاني من القرن السابع للميلاد ، أي بعد ظهور الدعوة الإسلامية في مكة وقبل مهاجرة النبي إلى المدينة (١)

(١) لكسرى على تميم . وسى الصفقة لان كسرى أمسق الباب على تميم في حصن المشرق، والمشرق حصن بالبحرين بناء رجل من أساورة كسرى

الاعشى ١٦ - ٧٥ ، معجم البلدان لباقوت : ١ - ٣٦٨

(١) ابن الأثير ٢٨٦ ج ١

هو تابع ليوم الصفقة الذى قتل فيه بنو تميم . وذلك ان رجلا من بنى قيس بن ثعلبة قدم نجران على بنى الحارث بن كعب وهم اخواله ، وحدثهم بما اصاب بنى تميم وان اموالهم وذرايرهم في مساكنهم لا مانع لها ، فاجتمعت بنو الحرث من مذحج واخلافها من نهد وحزم في جيش عظيم ، وساروا يريدون بنى تميم فحذرهم كاهن لهم ونصح لهم في الخطة التى يتخذونها في نيل ما يريدون فالتقت سعد والرباب على ماء اسمع الكلاب ، واقتتل القوم قتالا شديدا وعادت الغلبة على مذحج . واما يوم الكلاب الاول فقد دخل في تاريخ بنى كندة

ايام العنانية فيما بينهم

ان المعارك الحربية التى جرت بين قبائل عدنان في القرنين الاولين قبل الهجرة تكاد تكون قاصرة على ربيعة ومضر ، اما بينهما او بين قبائل كل منهما . لان هذين الشعبين كانا في ذلك العهد اقوى شعوب عدنان واكثرها رجالا واشدها بدابة ، تنتقل في نجد واليمامة والحجاز وتعيش بالغزو والحرب . وكانت متجاورة تفتنم كل منهما غفلة صاحبتها وتسطو عليها ، وقد لا يكون لذلك السطو سبب غير الغزو ، طمعا في مال الجار من ابل او ماشية او ماء او متاع او اخذ بالثار لمثل ذلك الغزو

وتقسم هذه المعارك الى ثلاثة اقسام كبرى :

الاول : الوقائع التى جرت بين قبائل من ربيعة وقبائل من مضر

والثانى : الوقائع بين قبائل ربيعة نفسها

والثالث : بين قبائل مضر

١ - الوقائع بين ربيعة ومضر

اهم هذه الوقائع جرت بين قبيلة تميم من مضر وبكر بن وائل من ربيعة . وكانت تميم تخيم بين اليمامة وهجرو بكر في شماليها . فهما متجاورتان ، ولذلك كثر النزاع بينهما وانتشبت الحروب وتواتت الغزوات . والغالب ان تكون بكر الهاجمة على اثر جذب لحق بمنازلها ، لان ارض تميم اخصب من ارضها ، واشهر تلك الوقائع ١٢ واقعة ، فازت تميم بست منها وبكر بست

الوقائع التى فازت بها تميم على بكر

(١) يوم النجاج وثيتل (*) : وسببه حب الغزو ، وكان زعيم التميميين فيه قيس بن عاصم المنقرى وغيره ، فغزوا البكرين في مكان يقال له النجاج

(*) تبتل ماء على عشر مراحل من البصرة . والنجاج موضع قريب من تبتل

كان البكريون مخيمين فيه ، فلما وصل التميميون اليه أمر قيس أن تسقى الخيول فسقوها ، ثم أراق ما بقى معهم من الماء وقال لرجاله : « قاتلوا قالموت بين أيديكم والفلاة من ورائكم » فأغاروا على من في النجاج من بكر صبحا ، فقاتلوهم قتالا شديدا وانهزمت بكر وأصيب من غنائمهم ما لا يحصى لكثرتهم

وكان قيس قد أنفذ أميرا اسمه سلامة برجال ليفزو مكانا آخر للبكرين اسمه ثيتل ، فلما فرغ من النجاج صار الى ثيتل ، فرأى القوم لم يفزوا بعد فأغار عليهم برجاله وهزمهم ، وأصاب من الغنائم نحو ما أصاب بالنجاج ، وفي ذلك يقول شاعرهم قرة بن زيد بن عاصم :

أنا ابن الذي شق المزداد(*) وقد رأى	بثيتل أحياء اللهازم حضرا
فصبحهم بالجيش قيس بن عاصم	فلم يجدوا الا الاسنة مصدرا
سقامهم بها الزيفان قيس بن عاصم	وكان اذا ما أورد الأمر اصدرا
على الجرد يملكن الشكيم عابسا	اذا الماء من اعطافهن تحدرا
فلم يرها الراؤون الا فجاءة	نثرن عجاجا كالذواجن اكدرا
وحمران ادته الينا رماحنا	فنازع غلا في ذراعيه أسمرا

(٢) يوم ذى طلوح (**) : ولهذا اليوم سبب غير حب الفوز ، وذلك ان رجلا من تميم اسمه عميرة بن طارق اليربوعي (ويربوع بطن من تميم) زوج امرأة من بكر اسمها مربة بنت جابر العجلي ، وسار الى اهلها ليبنى بها ، وخلف في بني تميم امرأة أخرى اسمها ابنة النطف . وكان لمربة أخ اسمه أبجر ، جاء ليزور أخته وزوجها عميرة عندها ، فقال لها : « اني لارجو أن أتيك بابنة النطف امرأة عميرة » يريد انه عازم على أن يأخذها منه بدل أخته ، ففضض عميرة وقال له : « ما أراك تبغى على حتى تسبيني أهلي » فندم أبجر على تفريطه بالكلام بين يديه ، وكان يجب أن يفعل ذلك سرا فقال : « ما كنت لأغزو قومك »

وخرج فتجهز ومضى في رجاله لغزو تميم ، ووكل بعميرة من يحرسه لئلا يسر الى قومه فينذرهم . فاحتال عميرة على الموكل بحفظه وهرب الى قومه فأنذرهم ، فاستعدوا وخرجوا للملاقاة أعدائهم واقتتلوا في ذى طلوح ، وكان الفوز ليربوع وانهزمت بكر

(٣) يوم جلود (***) : هو بين بني منقر من تميم وبكر بن وائل *

(*) جمع مزادة ، وهي الرواية

(**) ذو طلوح موضع في صحراء بني يربوع بين الكوفة وفيد وهو يوم الصيد ويوم أود

(***) جلود اسم موضع في بلاد بني تميم قريب من صحراء بني يربوع على مسمت البهامة ، فيه ماء الذي يقال له الكلاب ، قال في اللسان : وكانت فيه وقعة مسركين ، وقد يسمى بعضهم يوم الكلاب الاول يوم جهود كذلك

وسببه ان الحوفزان الشيباني (من بكر) كانت بينه وبين بنى سليط بن يربوع (من تميم) مودة ، فهم الحوفزان بالغدر ، وجمع بنى شيبان ومن حالقهم وغزا بنى يربوع وهو يرجو ان يصيب منهم غرة ، ولكنهم علموا بقصده فاستعدوا للقائه والتقى الفريقان في جدود . وتصدى من التميميين على الخصوص بنو منقر ، فقاتلوا البكرين قتالا شديدا فانهزمت بكر وخلصا السبي والاموال ، وتبعته منقر فقتلوا بعضهم واسروا آخرين . وكان رئيس منقر قيس بن عاصم المتقدم ذكره ، فجعل همه الحوفزان فتبعه على مهر والحوفزان على فرس ، فلم يدركه وقد قاربه فلما خاف ان يفوته حفزه بالرمح في ظهره فاحتفز بالطعنة ونجا . وفي ذلك يقول سوار بن حيان المنقرى يفاخر رجلا من بكر ويذكر الايام التي غلبوهم فيها :

ونحن حفزنا الحوفزان بطعنة كسته نجيعا من دم البطن اشكلا (*)
وحرمان قرا انزلته رماحنا فعالج غلا في ذراعيه منقلا
فيالك من ايام صدق نعدھا كيوم جوائى والنباج وئيشلا
قضى الله انا - يوم تقنسم العلا - احق بها منكم فاعطى واجزلا
فلست بمستطيع السماء ولم تجد لعز بناء الله فوقك منقلا

(٤) يوم الابد : وهو يوم اعشاش ويوم عظالى بين شيبان من بكر وبنى يربوع من تميم . وسببه ان بكرا كانوا تحت كسرى ، اى انهم كانوا يخدمون الفرس في ما يحتاجون اليه في اسفارهم بالبادية ، فيقرونها ويجهزونهم ، وكانوا يراقبون حركات جيرانهم بنى يربوع ويتوقعون انحذارهم في السهل ليشوا بهم ، ورئيس البكرين بسطام بن قيس الشيباني . والتقى القومان يوما واحتدم القتال بينهما ، فانهزمت شيبان بعد ان قتلت من تميم جماعة كبيرة ، وقتل من شيبان جماعة ايضا واسر جماعة فيهم هانيء بن قبيصة ففدى نفسه ونجا ، فقال متمم بن نويرة في هذا اليوم :

لعمري لنعم الحى اسمع غدوة اسيد وقد جد الصراخ المصدق
واسمع فتيانا كجنة عبقر لهم ريق عند الطعان ومصدق
اخذن بهم جنبى افاق ويطنها فما رجعوا حتى ارقوا واعتقوا

(٥) يوم الضط : كانت الواقعة فيه بين شيبان وتميم ، اسر فيه بسطام ابن قيس الشيباني . وسببه ان بسطاما والحوفزان ومفروق بن عمرو ساروا في جمع من بنى شيبان الى بلاد تميم للغزو ، فاغاروا على عشائر منهم متجاورين في صحراء فلج ، فاقتتلوا فانهزم التميميون وقتل منهم مقتلة عظيمة ، وغنم بنو شيبان اموالهم وساروا بها فعمروا بعشيرة اخرى من

تميم استاقوا ابلهم . وبلغ ذلك بنى يربوع فاكبروا هذا التمدي ، فمشوا بقيادة عتيبة بن الحارث اليربوعي يقتصون آثار بنى شيبان ، فأدركوهم في مكان اسمه غبيط المدرة ، فقاتلوهم وصبر الفريقان ثم انهزمت شيبان واستعادت تميم ماكانوا غنموه منهم ، والحق عتيبة المذكور في أسر بسطام حتى أسره . فأشار اليربوعيون على عتيبة أن يقتله لأنه قتل منهم كثيرين قبلأ فابى . وسار به الى بنى عامر بن صعصعة لثلا يؤخذ فيقتل ، فلما توسطعتيبة بيوت بنى عامر صاح بسطام : « واشيباناه ولاشيبان لي اليوم » فبعث اليه عامر بن الطفيل رئيس بنى صعصعة : « ان استطعت ان تلجأ الى قبتي فافعل فاني سأمنعك » فعلم عتيبة بذلك فأتى ابن الطفيل وقال له : « قد بلغني الذي أرسلت به الى بسطام ، فانا نخشك فيه خصالا ثلاثا » ، قال : « وما هي » ، قال : « اعطيتك خلعتك وخلعة أهل بيتك فاطلمه لك » ، قال عامر : « وهذا لا سبيل اليه » ، فقال : « ضع رجلك محل رجله فليست عندى بشر منه » ، فلم يقبل ، فقال : « تتبعني الى هذه الرابية فتقارعني عنه على الموت » فابى ، فانصرف عتيبة ببسطام فرأى بسطام عتيبة على رحل رث فقال : « يا عتيبة هذا رحل أمك » ، قال : « نعم » ، قال : « ما رأيت رحل أم سيد قط مثل هذا » . فقال عتيبة : « واللات والعزى لا أطلقك حتى تأتينى أمك بهودجها » ، وكان كبيرا ذا ثمن كثير . وهذا الذي أراد بسطام ليرغب فيه فلا يقتله ، فأرسل بسطام فأحضر هودج أمه وفادى نفسه بأربعمائة بعير - وقيل بألف بعير وثلاثين فرسا وهودج أمه وحدها وخلص من الأسر . فلما خلس أذكي العميون على عتيبة حتى اغتتم غفلته ، وأغار عليه وأخذ الأبل كلها ومالهم جميعا

(٦) يوم شقيقة : بين شيبان من بكر وضبة من مضر ، قتل فيه بسطام بن قيس سيد شيبان . وكان سببه ان بسطاما غزا بنى ضبة فغلب على أمره وقتل

الولائع التي فازت بها بكر

(١) يوم فلج (*) هو غزوة بسيطة سببها ان جمعا من بكر ساروا الى الصعاب وشتوا ، فلما انقضى الربيع انصرفوا ، فعمروا بالدو فلقوا اناسا من تميم فأغاروا على نعم كانت لهم ، ومضوا فنادى التميميون وأقبلوا على آثار بكر ، وساروا يومين وليلتين حتى أجهدهم السير ، وانحدروا في بطن فلج والتقوا هناك ، وانهزمت تميم وبلغت بكر منها ما أرادت ، وكان في جملة الأسرى عند بكر شاعر تميمي اسمه خالد بن مالك ، فأطلقه رجل من بكر اسمه عرفة وجز ناصيته فقال خالد :

(*) واد لبني العنبر عمرو بن تميم ، يقع أول الدعاء . ويسمى أيضا صحرا . فلق

وجدنا الرغد رغد بنى تميم اذا نزلت مجللة شداذا
هو ضربوا القباب ببطن فلج وذادوا عن محارمهم ذبادا
وهم منوا على وأطلقسونى وقد طاوعت فى الجنب القبادا
اليس هو عماد الحى بكرا اذا نزلت مجللة شداذا

(٢) يوم الوقيظ (❖) : بين اللهازم من بكر بن وائل وبنى تميم ، سبيه أن
اللهازم اجتمعوا ومعهم بنوعجل وعنزة من ربيعة للاغارة على بنى تميم ، وكان
عندهم اسير تميمي اسمه ناشب بن بشامة ، فأراد أن يحتال في ابصال الخير
الى قومه فقال للهازم : « اعطوني رجلا أرسله الى أهلى وأوجه ببعض حاجتى » ،
فقالوا له : « ترسله ونحن حضور » ، قال : « نعم » . فاتوه بفلام مولد فقال :

« أتيتمونى بأحق » ، فقال الفلام : « والله ما انا بأحق » ، فقال : « انى
أراك مجنوناً » ، قال : « والله ما بى جنون » ، قال : « اتعقل ؟ » قال :
« نعم انى لعاقل » ، قال : « فالتيران أكثر ام الكواكب ؟ » قال : « الكواكب
وكل كثيرة » ، فعلا كفه رملا وقال : « كم فى كفى ؟ » ، قال : « لا أدري
فانه كثير » ، فأوما الى الشمس بيده وقال : « ماتلك ؟ » ، قال : « الشمس » ،

قال : « ما أراك الا عاقلا . اذهب الى قومي ، فأبلغهم السلام وقل لهم
ليحسنوا الى أسيرهم فانى عند قوم يحسنون الى ويكرمونى ، وقل لهم
فليعروا جملى الأحمر ، ويركبوا ناقتى العيساء ، وليعروا حاجتى فى
بنى مالك . واخبرهم ان العوسج قد أورق ، وان النساء قد اشتكت ،

وليعضوا همام بن بشامة فانه مشثوم مجدود ، وليطبعوا هذيل بن الاخضر
فانه حازم ميمون ، وأسألوا الحارث عن خبرى » . فسار الرسول فأتى
قومه فأبلغهم فلم يدروا ما أراد ، فأحضروا الحارث وقصوا عليه خبر
الرسول فقال للرسول : « اقصص على اول قصتك » فقصها عليه من اوله
الى آخرها ، فقال : « أبلغه التحية والسلام واخبره انا سنتوصى بما أوصو

به » فعاد الرسول . وقال الحارث لقومه : « ان صاحبكم بين لكم . أم
الرملى الذى جعله فى كفه فانه يخبركم انه قد اتاكم عدد لا يصى ، وأما الشمس
التي أوما اليها فانه يقول ذلك أوضح من الشمس ، وأما جملة الأحمر
فالصمان (❖) فانه يأمركم أن تعرفوه يعنى ترحلوا عنه ، وأما ناقته العيساء

فانه يأمركم أن تحترزوا فى الدهناء ، وأما بنو مالك فانه يأمركم أن تنذروهم
معكم ، وأما ابراق العوسج فان القوم قد لبسوا السلاح ، وأما اشتكاء النساء
فانه يريد ان النساء قد خرزن الشكاء وهى أسقية الماء للفزوة » فحذر بنو
العير ، وركبوا الدهناء ، وأنذروا بنى مالك فلم يقبلوا منهم . ثم ان اللهازم
وعجلا وعنزة اتوا وأدركوا من بقى وقتلوا منهم مقتلة وأسروا كثيرين

(❖) الوقيظ المكان الصلب الذى يستتق (لا يغير) فيه الماء . أطلق على موضع

(❖) الصمان جبل أحمر من أرض بنى تميم

(٣) يوم الزويرين (**) بين بكر (من ربيعة) وتميم ، وسببها طبعي في تلك البادية - تعنى التنازع على الماء والمرعى والطعام . وذلك أن بلاد بكر أجديت ، فانتجموا بلاد تميم وهي خصبة يلتمسون الكلا والحنطة ، حتى تدانوا فحصلوا لا يلقي بكرى تميميا الا قتله ، ولا يلقي تميمي بكريا الا قتله أو أخذ ماله ، حتى تفاسم الشر فخرج الحوثران بين شريك الذي عرفناه والواذك بن الحارث - وكلاهما من شيبان - ومعهم قوم من بكر وعليهم أبو مفروق الاصم وغيره ليغريا على تميم - وأمير تميم أبو الرئيس - فلما تدانوا جعلت تميم بعيرين جللوها وجعلوا عندهما من يحفظهما ، وتركوها بين الصفيين معقولين وسحوها زويرين بنى الهين وقالوا : « لا نفر حتى يفر هذان البعيران » . فلما رأى أبو مفروق البعيرين سأل عنهما فأعلموه حالهما فقال : « أنا زويركم » وبرك بين الصفيين وقال : « قاتلوا عنى ولا تفروا حتى أفر » فاقتتل الناس قتالا شديدا انهزمت فيه تميم ، وقتل أبو الرئيس ومعه بشر كثير واجترفت بكر أموالهم ونساءهم وأسروا كثيرين ، وفي ذلك يقول الاعشى :

يا سلم لا تسأل عنا فلا كشف عند اللقاء ولا سود مقاريف (**)
نحن الذين هزمتنا يو صبحنا جيش الزويرين في جمع الاحاليف
ظلوا وظلت تكر الخيل وسطهم بالشيب منا وبالمرد الفطـاريف
تستأنف الشرف الاعلى بأعينها لمح الصقور علت فوق الاطاليف (***)
انسل عنها نسيل الصيف فانجرت تحت اللبودمتون كالزحاليف (****)

(٤) يوم نغف قشاوة (*****) : بين شيبان (بكر) وتميم ، اغار بها بسطام بن قيس على بنى يربوع (تميم) وهم بنغف قشاوة فاتاهم ضحى يوم ريح ومطر ، فوافق النعم حين سرح فأخذ كلة وكر راجعا ، وتداعت عليه بنو يربوع فلحقوه وفيهم عمارة بن عتببة بن الحرث فكر بسطام فقتله ، ولحقهم مالك بن حطان اليربوعي فقتله ، وأتاهم أيضا بجبر بن أبي مليل فقتله بسطام ، وقتلوا من يربوع جمعا وأمروا جمعا وعادوا غانمين

(٥) يوم مباحض (*****) : بين شيبان وتميم ، وسببه أن طريفنا العنبري التميمي كان جسيما يلقب مجدعا ، وهو فارس قومه . حج في عام

(*) يسمى ايضا يوم الزويرين . والزوران بجران . قال ابو مبيدة : وهما بكران مجلان قد قيلوهما وقالوا هذا زورنا أى الهنا .. كما سيأتى في القصة

المقد الفريد ، ج ٢ ص ٣٢٢

(**) وردت ايضا : ولنا بالقرائف

(*) الاطاليف جمع الطلقة ، وهي الارض الحرة الغشنة

(****) الزحاليف جمع زحلوته ، وهي آثار تراج الصبيان من فوق التل الى

اسفله

(*****) قشاوة موشح قال عنه باقوت : كانت به وقعة بنى شيبان على يربوع ، وهو يوم نغف قشاوة

(*****) مباحض ، ماء من مياه بنى تميم

وبينما هو يطوف لقيه خميسة بن جندل الشيباني وهو شاب قوى شجاع فأطال النظر إليه ، فقال له طريف : « لم تشد نظرك الى ؟ » قال : « اريد أن اثبتك لعلى القاك في جيش فأقتلك » . فقال : « اللهم لا يحول الحول حتى ألقاه » . وكان كذلك ، فلم يمض العاصم حتى اختصمت القبيلتان واشتد القتال في مكان اسمه مبابيض ، ودارت الدائرة على تميم وانهزموا . ولم تصب تميم بمثلها ، لم يفلت منهم الا القليل ، ولم يلو أحد وانهزم طريف فاتبعه خميسة فقتله

(٦) يوم الشيطان (ع) وقع في أيام النبی قبل الهجرة ، وسببه أن الشيطان وهما بلد مخصب كان لبكر بن وائل ، فلما ظهر الاسلام في نجد سارت بكر الى السواد ، ولحقهم الوباء والطاعون الذي كان أيام كسرى شرويه فعداوا هاربين ، فنزلوا لملع وهى مجدبة وقد أحصب الشيطان وفيهما تميم ، وبلغت أخبار الخصب الى بكر فاجتمعوا وقالوا : « نفير على تميم ، فان في دين ابن عبد المطلب من قتل نفسا قتل بها فنغير هذه الغارة ثم نسلم عليها » . فارتحلوا من لملع وأغاروا على المكان فانهزمت تميم ، فقال العنبري يفخر بذلك :

وما كان بين الشيطان ولملع لنسوتنا الا مناقل أربع
فجئنا بجمع مثله لم ير الناس مثله يكاد له ظهر الوديمة يطلع

ومن الواقع بين ربيعة ومضر يوم بارق بين تميم وتغلب في ناحية السواد . ويوم آخر بين سليم وشيبان . ويوم اهباد والنقعة بين ضبة وعيس فازت فيه ربيعة . ويوم ساحوق بن عامر بن صعصعة وذبيان وغيرها . ومنها يوم ذى قار ، وفيه ظهرت مصر وقد ذكرنا خلاصته في تاريخ ملوك الحيرة

الوقائع بين قبائل ربيعة

أو الأيام بين بكر وتغلب

نريد بها ما حدث من الوقائع في ربيعة نفسها بين قبائلها ، وأعمها ما جرى بين بكر وتغلب أو حرب البسوس بين كليب وجساس ، وهى مشهورة وهذه خلاصتها :

قد رأيت فى ما تقدم ما بلغ اليه كليب بن ربيعة من السيادة ونفوذ الكلمة ، حتى اجتمعت تحت رايته كل قبائل معد واليسوء التاج وهو من تغلب . تبقى برهة من الدهر في هذه الحال ، ثم دخله زهو شديد وبغى على قومه حتى بلغ من بغيه انه كان يحمى مواقع السحاب فلا يرعى حماه . ومعنى ذلك في اصطلاحهم ان الرجل اذا اعتز جانبه اتخذ لنفسه بقعة من

الأرض لا يجسر أن يطأها أو يوقع الأذى في شيء منها تشبها بحرم المعابد في الجاهلية . فاتخذ كليب حرما أو حمى ، وتجاوز من تقدمه من أصحاب الحمى أنه جعل حمايته تشمل أنواع الوحش خارج حماه فيقول : « وحش أرض كذا في جوارى فلا يصاد » ، ولا يورد أحد أبله ، ولا يوقد نارا مع ناره ، ولا يمر أحد بين بيوته ، ولا يحتبى في مجلسه

وتزوج كليب امرأة من شيبان (من بكر) اسمها جليلة بنت مرة ، لها أخ اسمه جساس بن مرة . وكان حمى كليب في أرض اسمها « العالية » لا يقربها إلا المحارب ، واتفق أن رجلا يقال له سعد الجرمي نزل ضيفا على البسوس بنت منقذ خالة جساس المذكور ، وهي خالة جليلة امرأة كليب . وكان للجرمي ناقة اسمها سراب ترعى مع نوق جساس ، وكانت نوق جساس ترعى مع نوق كليب . فخرج كليب يوما يتعهد الإبل ومراعيها ومعه جساس ، فنظر كليب إلى سراب واتكرها واستفهم عن أمرها فقال له جساس : « هذه ناقة جارنا الجرمي » فقال كليب : « لا تعد هذه الناقة إلى هذا الحمى » فاستاء جساس من ذلك ، لأن الجرمي نزيله وله عليه حق الجوار ولم يملك غضبه ، فقال : « لا ترعى ابلى مرعى إلا وهذه معها ، فغضب كليب وقال : « لئن عادت لأضعن سهمي في ضرعها » ، فقال جساس : « لئن وضعت سهمك في ضرعها لأضعن سنان رمحي في لبك » واقتربا

فذهب كليب إلى امرأته وقال لها : « أتري أن في العرب رجلا يمنع منى جاره ؟ » قالت : « لا أعلمه إلا جساسا » . فحدثها الحديث فخافت عاقبة ذلك التنافر ، وأصبحت إذا رأت زوجها يريد الخروج إلى الحمى منعه وناشدته الله أن لا يتقطع رحمه ، ونهت أخاها جساسا عن أن يسرح أبله فيها

وخرج كليب إلى الحمى يوما وجعل يتصفح الإبل ، فرأى ناقة الجرمي فرمى ضرعها فأنفذه ، فولت ولها عجيح حتى بركت بفناء صاحبها . فلما رأى الجرمي ماحل بناقته صرخ : « يا للذل ! » فسمعت البسوس صراخه فخرجت إليه ، فلما رأت مابناقته وضعت يدها على رأسها وصاحت : « وا ذلاه ! » تشير إلى مالحقها من الذل بسبب أذية جارها لحرمة الجوارعندهم . وراها جساس تفعل ذلك فخرج إليها وقال لها : « اسكني ولا تراعى » وأسكت الجرمي وقال لهما : « انى سأقتل جملا أعظم من هذه الناقة » يعنى كليباً . وكان لكليب عين يسمع مايقولون ، فنقل الحديث إلى كليب فاستخف بما سمعه وقال : « لقد اقتصر عن يمينه » . أما جساس فأخذ يترقب الفرص لنيل مرامه

فخرج كليب يوما آمنا ، فلما بعد عن البيوت ركب جساس فرسه وأخذ رمحه وأدرك كليباً ، فوقف كليب فقال له جساس : « يا كليب الريح وراءك » ، فقال له : « ان كنت صادقا أقبل إلى من أمامي » . ولم يلتفت إليه

فقطعنه جساس فأرداه عن فرسه ، فقال : « يا جساس اغثنى بشرية من ماء » فلم يأنه بشيء وقضى كليب نجه . فأمر جساس رجلا كان معه اسمه عمرو ابن ذهل من شيبان فجعل عليه أحجارا لئلا تأكله السباع ، وانصرف على فرسه يركضه حتى أتى أباه مرة وقال له : « طعننت طعنة يجتمع بنو وائل غدا لها رقصا » ، قال : « من طعننت؟ .. لأمك الثكل !.. » ، قال : « قتلت كليبيا » ، فأجفل مرة وقال : « أفعلت؟ » ، قال : « نعم !.. » ، قال : « بس والله ما جئت به قومك » ، ولم ير بدا من التأهب للحرب فدعا قومه الى نصرته فأجابوه ، وأجلوا الاسنة وشحذوا السيوف وقوموا الرماح وتهيأوا للرحلة

ولما علم قوم كليب بمقتله دفنوه ، وقد شقوا الجيوب وخمشوا الوجوه وخرجت الإيكاك وذوات الخدود والعواتق ، وقمن للامام وقلن لأخت كليب : « أخرجي جلييلة (امرأة كليب) أخت جساس عنا فان قيامها فيه شمانة وعار علينا » . فقالت لها أخت كليب : « أخرجي من ماتمنا فانت أخت قاتلنا » . فخرجت تجر أعطافها وأتت أباه مرة

وكان لكليب أخ اسمه مهلهل وهو الفارس الشاعر المشهور ، وكان في يوم مقتل كليب مشغولا بالشراب فما صحا الا وهو يسمع الصياح والعويل .. فسأل فقالوا : « كليب قتل » ، فقال قصيدته المشهورة التي مطلعها :

كنا نغار على العواتق أن ترى بالأمس خارجة عن الاوطان
فخرجن حين ثوى كليب حبرا مستيقنات بعده بهوان
فترى الكواعب كالظباء عواظلا اذ حان مصرعه من الاكفان

ثم جز شعره وقصر ثوبه وهجر النساء وترك الغزل وحرّم القمار والشراب وجمع اليه قومه للثأر . ولكنه رأى ان يبدأ بالمخاطبة ، فبعث رجلا من قومه الى بنى شيبان ، فاتوا مرة والد جساس وهو في نادى قومه ، فقالوا له : « انكم اتيتم عظيمًا بقتلكم كليبيا بناقة ، وقطعتم الرحم واتهكتم الحرمة ، وانا نمرض عليك خللا أربعا لكم فيها مخرج ولنا فيها مقنع : اما ان تحيي كليبيا ، أو تدفع اليها قاتله جساسا فنقتله به ، أو هماما فانه كفء له ، أو تمكنا من نفسك فان فيك وفاء لدمه » . فقال لهم مرة : « اما أحيائي كليبيا فلست قادرا عليه ، وأما دفعي جساسا اليكم فانه غلام طمن طعنة على عجل وركب فرسه ولا ادرى اى بلاد قصد . وأما همام فانه أبو عشرة وأخو عشرة وعم عشرة ، وكلهم فرسان قومهم فلن يسلموه بجريرة غيره . واما انا فما هو الا ان تجول الخيل جولة فاكون أول قتيل فما أتبعجل الموت . ولكن لكم عندي خصلتان ، اما احدهما فهو لاء ابنائي الباكون فخذوا ايهم شئتم فاقتلوه بصاحبكم . واما الاخرى فاني ادفع اليكم الف ناقة سود الحلق حمر الوبر » فضرب القوم من جوابه وقالوا : « قد أسأت

ببغل هؤلاء وتسومنا اللبن من دم كليب . ونشبت الحرب بينهم ولحقت
جيلة بأبيها وقومها

جرت بين الفريقين عدة وقائع ، أولها يوم عنيزة عند فلج ، وكانوا على
السواء ففترقوا ثم التقوا بعد برهة من الزمان بماء يقال له النهى ، كانت
بنو شيبان نازلة عليه ، وكان رئيس تغلب مهلهلا ، ورئيس شيبان الحارث
ابن مرة أخو جساس ، وكانت الدائرة على بنى تغلب . ولم يقتل في ذلك
اليوم أحد من بنى مرة

ثم التقوا بالنائب ، وهي أعظم واقعة كانت لهم ، وقد ظفر بهما
التغلبيون وقتلوا من بكر مقتلة كبيرة : قتل فيها شراحيل بن مرة جد
الحويزان الذى تقدم ذكره ، وجد معن بن زائدة الجواد الحليم المشهور فى
الاسلام ، وقتل غيرهما

ثم التقوا يوما آخر فى واردات فاقتتلوا قتالا شديدا وكان الظفر لتغلب
ايضا ، وكثر القتل فى بكر ، ومن جملة القتلى همام بن مرة أخو جساس ،
وكان مهلهل يحبه فلما رآه مقتولا قال : « ما قتل بعد كليب أعز على منك ،
وتالله لا تجتمع بكر بعدكما على خير أبدا » . والتقوا ايضا فى مواضع أخرى
يطول بنا شرحها (١)

ويقال بالأجمال ان الأيام التى اشتدت فيها الحرب بين الفريقين خمسة
أيام : يوم عنيزة تناصفوا فيه ، ويوم واردات كان لتغلب على بكر ، ويوم
الحنو كان لبكر على تغلب ، ويوم القصبات أصيب فيه بكر حتى ظن
رجالها أنهم لن يستقيلوا ، ويوم قضة وهو يوم التحالق (*)

وكان بعد ذلك أيام دون هذه ، منها يوم « النقية » ويوم « الفصل » ،
ثم لم يكن بينهما مزاحفة وانما كانت مقاورات . ودامت الحرب بينهما
أربعين سنة ، مات فى أثنائها الشيوخ ، وشاخ الشبان ، وشب الولدان ،
وولدت طبقة من الناس لم تكن فى الحسبان

ثم قال مهلهل لقومه : « قد رأيت أن تبقوا على قومكم فانهم يحبون
صلاحتكم ، وقد أتت على حركم أربعون سنة ، وما لنتكم على ما كان من
طلبكم يوتركم ، فلو مرت هذه السنون فى رفاحية عيش لكنت تعمل من
طولها ، فكيف وقد فنى الحيان وتكثت الأمهات ويتم الأولاد ؟ » . ورب
فاتحة لا تزال تصرخ فى النواحي ، ودموع لا ترقا ، وأجساد لا تدفن ،
وسيوف مشهورة ، ورماح مشرعة . وان القوم سيرجعون اليكم غدا بمودتهم
ومواصلتهم ، وتنطفئ الأرحام حتى تتواصوا . أما أنا فما تطيب نفسى ان

(١) ابن الأثير ٢٤٢ ج ١

(*) هو يوم تحلق النسم ، أى حلق الصبور وهو الذى وقع بعد قتل جبير ابن أخى الحارث
ابن عباد الشيخ بكر وقد انتصرت فيه بكر بن وائل على تغلب

اقم فيكم ، ولا استطيع ان انظر الى قاتل كليب ، واخاف ان احملكم على الاستئصال ، وانا سائر عنكم الى اليمن »

وفارقهم وسار الى اليمن ، قضى فيها حيناً ثم عاد الى ديار قومه ، فآخذه عمرو بن مالك بن ضبيعة الكبرى أسيراً بنواحي هجر ، فأحسن أسرته وأفرد له بيتاً ، فمن عليه تاجر يبيع الخمر قدم بها من هجر ، وكان صديقاً لمهلل فأهدى اليه وهو أسير زقاً من خمر ، فاجتمع اليه بنو مالك فنحروا عنده ناقة وشربوا معه في بيته ، فلما أخذ فيهم الشراب تغنى مهملل بما كان يقوله من الشعر وينوح على أخيه كليب ، فسمع منه عمرو ذلك فقال : « أنه لريان والله لا يشرب ماء حتى يشرب زبيب » ، وزبيب فحل كان له لا يشرب الا مرة كل خمسة ايام في حمارة القيط ، فمات مهملل عطشاً . وكان لوصية مهملل تأثير على ربيعة ، لانهم قلما تحاربوا فيما بينهم بعد ذلك ، وانما كانت وقائعهم مع مضر كما تقدم ، الا واقعة جرت بقرب الفرات عرفت بيوم « الفرات » قبيل الاسلام بين شيبان وتغلب ، وفاز بنو شيبان

الوقائع بين قبائل مضر

نريد بها ما جرى من الحروب بين القبائل المضرية ، وهي اكثر مما جرى بين قبائل ربيعة او بين ربيعة ومضر . واكثر قبائل مضر دخلاً في هذه الوقائع عيس وهوازن وذبيان وعامر بن صعصعة واسد وغطفان وقيس عيلان وكنانة وقريش . واهم هذه الحروب بين عيس وهوازن ، وبين عيس وذبيان تعرف « بحرب داحس والغبراء » . وبين قريش وكنانة وهي « حروب الفجار » . وبين عامر بن صعصعة وقبائل مختلفة كما تراه في ما يلي

ايام عيس وهوازن

(١) يوم الرحرخان (❦) : كان زهير بن قيس بن جذيمة العيسى سيد قيس عيلان في أوائل القرن الخامس للميلاد ، وترى من مراجعة جداول الانساب في هذا الكتاب أن قيس عيلان تنطوي على عدة قبائل كبرى ، منها عدوان وغطفان وعيس وذبيان وهوازن وغيرها . فلذلك كان زهير المذكور ذا شرف ورفعة ، وكان معاصراً للنعمان بن امرئ القيس المتوفى سنة ٤٣١ م جد النعمان بن المنذر ، وقد تزوج النعمان وبعث يستزيه بعض أولاده ، فإرسل اليه أصغر اولاده « شاسا » فأكرمه النعمان وحياه . فلما انصرف الى أبيه كساه حلاً وأعطاه مالا طيباً ، فخرج شاس يريد قومه فبلغ ماء من مياه غنى بن اعصر ، فقتله رياح بن الاشل الفتوى وأخذ ما كان معه وهو لا يعرفه . وبلغ زهيراً أن ابنه أقبل من عند الملك ، وكان آخر العهد به

(❦) يسمى أيضاً يوم رحرخان . وهو لعامر بن صعصعة على تميم . وحرخان جبل قريب من عكاظ ، خلف عرفات

بماء من مياه غنى ، فيذل زهير جهده فى البحث بالحيلة وغيرها حتى اكتشف القاتل وعرف أنه من بنى غنى ، فجعل يغير عليهم ويقتل منهم ، وكانوا حلفاء بنى عامر بن صعصعة وهم بطن من هوازن ، فانتشبت الحرب بين عيس وعامر أو هوازن

واتفق فى أثناء ذلك أن زهيراً خرج فى أهل بيته بالشهر الحرام الى عكاظ كجارى العادة ، فالتقى هناك بخالد بن جعفر سيد هوازن فقال له خالد : « لقد طال شرنا منك يا زهير » . فقال زهير : « أما والله ما دامت لى قوة أدرك بها ثارا فلا انصرام له » . وكانت هوازن تؤتى زهير بن جذيمة الاتاوة كل سنة فى عكاظ ، وهو يسومها الخسف وفى أنفسها منه غيظ وحقد . ثم عاد زهير وخالد الى قوميهما ، فسبق خالد الى بلاد هوازن فجمع اليه قومه وندبهم الى قتال زهير فأجابوه ، وتأهبوا للحرب وخرجوا يريدون زهيراً ، وسار زهير حتى نزل على أطراف بلاد هوازن ، فقال له ابنه قيس بن زهير صاحب حرب داحس والغبراء الا ترى ذكرها : « انج بنا من هذه الارض فانا قريب من عدونا » . فقال له : « يا عاجز ! .. ما الذى تخوفنى به من هوازن وتنتقى شرها ؟ .. فانا أعلم الناس بها » . فقال ابنه : « دع عنك اللجاج وأطعننى وسر بنا فانى خائف عاديتهم » فلم يطعه

وكان خالد يتجسس أخبارهم وعلم بمكان زهير ، فركب اليه فالتقى واقتتلا طويلا فقتل زهير ، وعادت هوازن الى منازلها وحمل بنو زهير أباهم الى بلادهم وخالد يعلم أن زهيراً سيد غطفان وعيس وذبيان ، فخاف أن تطلبه فسار الى النعمان بالحيرة فاستجاره فأجاره وضرب له قبة . أما أبناء زهير فجمعوا لهوازن ، فقال الحارث بن ظالم المرى : « اكفونى حرب هوازن فكفيكم خالد بن جعفر » . وسار الحارث الى النعمان فدخل عليه وعنده خالد وهما ياكلان تمرا ، فأقبل النعمان على الحارث يسأله فحسده خالد فقال للنعمان : « أبيت اللعن ، هذا رجل لى عنده يد عظيمة : قتلت زهيراً وهو سيد غطفان فصار هو سيدها » ، فقال الحارث : « ساجزك على يدك عندي » . وجعل الحارث يتناول التمر ليأكله فيقع من بين أصابعه من الغضب ، وكان عروة أخو خالد حاضرا ، فقال لأخيه : « ما أردت بكلامه وقد عرفته فتاكا ؟ » ، فقال خالد : « وما يخوفنى منه ؟ .. فوالله لو رآنى نائما ما أيقظنى » . ثم رج خالد وأخوه الى قبتهما فشرجاها عليهما ، ونام خالد وعروة عند رأسه يحرسه . فلما أظلم الليل انطلق الحارث الى خالد فقطع شرج القبة ودخلها وقال لعروة : « لئن تكلمت قتلتك » ، ثم أيقظ خالد فلما استيقظ قال : « أتعرفنى ؟ » ، قال : « أنت الحارث » ، قال :

« خذ جزاء يدك عندي » ، وضربه بسيفه فقتله ثم خرج وركب راحلته وسار . وخرج عروة من القبة يستغيث ، حتى أتى باب النعمان فدخل عليه وأخبره الخبر ، فبعث الرجال فى طلب الحارث - قال الحارث : « فلما سرت قليلا خفت أن أكون لم أقتله ، فعدت متكررا واختلطت بالناس ودخلت عليه فضرته بالسيف حتى تيقنت أنه مقتول ، وعدت فلحققت بقسومي »

فأصبح الحارث بن ظالم بين طالبيين : النعمان يطلبه ليقته بجاره ، وهوازن يطلبه لتقتله بسيدها ، فاستجار بتميم فأجاروه . فلما علم النعمان بذلك جهز جيشا حمل به على تميم ، وأعانهم أهل خالد ببني عامر ، وأتى قيس بن زهير في بني عيس وذبيان ، فانهزمت بنو عامر وجيش النعمان (١) بعد معركة كبيرة في وادي رحران لم يشتف قيس بها

أيام داحس والفراء

سببها ان قيس بن زهير سيد عيس المذكور سار الى المدينة يتتبع الاسلحة والادراع وغيرها من مهمات الحرب لقتال بني عامر بن أبي صعصعة والاخلد بنار أبيه . فأتى أحيحة بن الجلاح (**) يشتري منه درعا موصوفة يقال لها « ذات الحواشي » فباعه إياها بأبن لبون . وعاد قيس الى قومه وقد فرغ من جهازه ، فمر بالربيع بن زياد ودعاه الى مساعدته على الاخذ بالثأر فأجابه . ولما أراد فراقه نظر الربيع عيبته فقال : « ما في حقيقتك ؟ » ، قال : « متاع عجيب » وأناخ راحلته فأخرج الدرع وأراه إياها . فأعصرها الربيع فأعجبته ، ولبسها فكانت في طوله ، فاستبقاها عليه ثم حبسها عنده ومنعها من قيس ، وترددت الرسل بينهما بشأنها عثا . فغضب قيس وأغار على أهل الربيع فاستاق منها . . . { بعير ، وسار بها الى مكة فباعها واشترى بها خيلا ، وكان فيما اشترى من الخيل فرسان اسماها داحس والفراء

ثم أقام في مكة ، وكان أهلها يفاخرونه بما عندهم ، وكان قيس فخورا ، فقال : « نحوا كعبتكم عنا وحرمكم وهاتوا ما شئتم » . فقال له عبد الله بن جدعان : « اذا لم نفاخرك بالبيت المعمور وبالحرم الامن فبم نفاخرك ؟ » .

فعل قيس مفاخرتهم وعزم على الرحلة عنهم . وسر ذلك قريشا لانهم كانوا قد كرهوا مفاخرته ، فقال قيس لاختوه : « ارحلوا بنا من عندهم أولا والا تفاقم الشر بيننا وبينهم ، والحقوا ببني بدر فانهم أكفأونا في الحسب وبنو عمناء في النسب ، لا يستطيع الربيع أن يتناولنا معهم » . فعلق قيس ببني بدر ، وهم بطن من ذبيان

وسمى الربيع في رد بدر عن اجارته فأبوا ، فغضب الربيع وغضبت عيس لغضبه . ثم ان حذيفة رئيس بدر كره قيسا وأراد اخراجه عنهم ، ولم يجد سببا يستند اليه . فاتفق خروج قيس للعمرة في مكة ، وفي أثناء غيابه تفاخر مالك وحذيفة في الخيل ، ثم تراهنا على فرسين من خيل قيس وفرسين من خيل حذيفة . ولما عاد قيس وعلم بالرهان كرهه لعلمه

(١) تفصيلها في ابن الاثير ٢٥٦ ج ١

(**) سيد الأوس في الجاهلية ، وكان ذوجا لسلمي أم عبد المطلب بن هاشم ، وكان امرها يدها . فتركته وتزوجت هاشم فولدت له عبد المطلب ، وكان أحيحة واسع الفنى

انه سيجر الى خصام ، فركب الى حذيفة وسأله ان يفك الرهن فلم يفعل ،
كانه رآها فرصة للتخلص من قيس وجواره وقد أضمر أن يغدر به

فاعدوا معدات السباق بين فرسى قيس - وهما داحس والغبراء -
وفرسى حذيفة - وهما الخطار والحنفاء - وقادوا الخيل الى الغابة ، وحشدوا
ولبسوا السلاح ، وتركوا السبق على يد عقال بن مروان القيسي، واعدوا
الامناء على ارسال الخيل. واضمر حذيفة الغدر، فأقام رجلا من بني اسد
في الطريق، وأمره ان يلقى داحسا في وادي ذات الاصاد، فاذا وجده سابقا
فيرمى به في اسفل الوادي. فلما ارسلت الخيل سبقها داحس سبقا بينا ،
والناس ينظرون اليه وقيس وحذيفة جالسا على راس الغابة في قومهما.
فلما هبط داحس في الوادي عارضه الاسدي فلطم وجهه فالتقاء في الماء
فكاد يغرق هو وراكبه ، ولم يخرج الا وقد فاتته الخيل . اما راكب
الغبراء فانه خالف طريق داحس لما رآه قد أبطأ وعاد الى الطريق واجتمع
مع فرسى حذيفة . ثم سقطت الحنفاء وبقي الغبراء والخطار. وأخيرا جاءت
الغبراء سابقة ، وبعدها الخطار فرس حذيفة ، ثم الحنفاء له ايضا. ثم جاء
داحس بعد ذلك والغلام يسير به على رسله ، فأخبر الغلام قيسا بما فعله
الاسدي ، فأتكر حذيفة ذلك وادعى السبق ظلما وقال : جاء فرساي
متتابعين . ومضى قيس واصحابه . ثم جاء الاسدي واعترف لقيس بما
فعله ، فغضب حذيفة وزاد التنافر بين الاميرين ، وحذيفة يلح بطلب حقه
من السبق ، وارسل ابنه الى قيس في ذلك فطعنه طعنة قتله ، ورجعت
فرسه الى ابيه ، ونادى قيس : « يا بني عمي الرحيل ! » فرحلوا

اما حذيفة فلما اتته فرس ابنه وحدها علم ان ولده قتل ، فصاح في
الناس وركب فيمن معه وأتى منازل بني عيس ، فرأها خالية ورأى ابنه
قتيلا فنزل اليه وقبله بين عينيه ودقنوه

وكان مالك بن زهير اخو قيس متزوجا في فزارة ونازلا فيهم ، فأرسل
اليه قيس يستنجده فاجابه : « انما ذنب قيس عليه » ولم يرحل اليه .
فأرسل قيس الى الربيع بن زياد يطلب منه العود اليه ويحث اليه
بالعشيرة والقراية فلم يجبه . ثم ان بنى بدر قتلوا مالك بن زهير اخا
قيس ، وكان نازلا فيهم فبلغ خبره بنى عيس ، وعظم عليهم الامر وأسف
الربيع ايضا لموته ، وكان ذلك سببا في مصالحته قيسا فتعاثقا وبكيا ،
 واجتمع العبيسون يرون مالكا وفيهم عنثرة فقال مريثته التي مظلمها :

فلله عيننا من رأى مثل مالك عقيرة قوم ان جرى فرسان
فليتهما لم يطعما الدهر بعدها وليتهما لم يجمعما لرهان

وبلغ حذيفة ان قيسا والربيع اتفقا ، فشق عليه ذلك واستعد للبلاد
فجمع قومه من فزارة وتعاقدوا على عبس ، وجمع قيس والربيع قومه
واستعدوا للحرب

والتقوا أولا على ماء يقال له « العذق » وهى اول موقعة كانت بينهم ،
وانهزمت فزارة وقتلوا قتلا ذريعا واسر حذيفة ، فاجتمعت غطفان وسعوا
فى الصلح فاصطلحوا على ان يهدر دم بدر بن حذيفة بدم مالك اخى قيس ،
وتساووا فيما بقى فاطلق حذيفة من الاسر

ثم دخل اناس بينهما قبحوا لحذيفة رضاه بالصلح على تلك الشروط ،
وحثوه على التكت والحرب فأغار على عبس واغارت عبس على فزارة ،
وتفاقم الشر فانهزمت فزارة

فعاد حذيفة فجمع كل بنى ذبيان ، فعمد العبيسون الى ضم اطرافهم
وحدثت بينهم على اثر ذلك عدة وقائع على نحو ما تقدم ، كانت الحرب
فيها سجالا يوما لذبيان ، ويوما لعبس ، حدث فى اثنائها حوادث فتك
هائلة من قتل الابناء انتقاما . ومن اكبر وقائعهم واقعة البوار قتل فيها
٤٠٠ من فزارة واسد وغطفان وعشرون من عبس ، وكان الفوز فيها لعبس
وقال فيها قيس بن زهير قصيدته التى مطلعها :

اقام على الهباء خير ميت واکرمه حذيفة لا یریم

وحدثت بعدها واقعة فى « ذات الجرار » دامت يومين ، وكان فيها
عنتره بن شداد فظهرت شجاعته يومئذ ، وعلى هذه الوقائع وغيرها مما
جرى بين عبس وذبيان تدور قصة عنتره المشهورة . والخلاصة ان
القبيلتين ملتا القتل والنهب وعادتا الى المصالحة فى حديث طويل (١) *

حرب الفجار

بين فريش وكنانة وقيس عيلان

هما واقعتان او يومان ، سبب اليوم الاول منهما ان رجلا من كنانة
كان عليه دين لرجل من بنى نصر من هوازن (من قيس عيلان) فاعدم
الكنانى فوافى النصرى سوق عكاظ بقرده وقال : « من يبتنى مثل هذا بما
لى على فلان الكنانى ؟ » . فعل ذلك تعبيرا للرجل وقومه . فمر به رجل
من كنانة فضرب القرده بالسيف فقتله انفة مما قاله النصرى . فصرخ هذا
فى قيس عيلان وصرخ الكنانى فى كنانة فاجتمع الناس وتحاوروا ثم
اصطلحوا ولم تحدث حرب

(١) ابن الاثير ٢٥٨ - ٢٦٧ ج ١

(٢) وقد توقفت الحرب بين عبس وذبيان بفضل الحارث بن عوف بن حارثة المرى وهرم
ابن سنان . وقد مدحهما لذلك زهير بن ابي سلمى بسملته التى مطلعها « أمن أم أولى »

أما يوم الفجار الثاني فقد وقع بعد عام الفيل بعشرين سنة في أواخر القرن السادس للميلاد ، ولم يكن في أيام العرب أشهر منه وانما سمي الفجار لما استحله الحيان كنانة وقيس من المحارم . وسببه أن البراض الكنانى كان رجلا فاتكا خليعا قد خلمه قومه لكثرة شره ، فخرج حتى قدم على النعمان بن المنذر أبى قابوس ، وكان النعمان يبعث كل عام بلطيمة تباع له فى عكاظ أو ذى المجاز أو غيرها من أسواق العرب بالمواسم ، فقال النعمان : « من يجيز لى لطيمتى هذه حتى يبلفها عكاظ ؟ » . فقال البراض : « أبيت اللعن ، أنا أبجيزها على كنانة » . فقال النعمان : « انما أريد من يجيزها على كنانة وقيس » . وكان عروة بن عتيبة الكلابى (من قيس عيلان) حاضرا ، فقال : « أكلب خليع يجيزها لك ؟ » . أبيت اللعن ، أنا أجيزها على أهل الشيخ والقيصوم من أهل تهامة وأهل نجد ، ففضض البراض وقال : « وعلى كنانة تجيزها يا عروة ؟ » . فقال عروة : « وعلى الناس كلهم » ، فدفع نعمان اللطيمة الى عروة وسار بها ، وخرج البراض يتبع أثره وعروة يرى مكانه ولا يخشى منه . ولكن البراض غدره بضربة بالسيف فقتله ، فلما رآه رجاله قتيلا انهزموا فاستاق البراض المعير الى خيبر ، وبعث رسولا مستعجلا الى حرب بن أمية فى عكاظ - وهو كبير قريش يومئذ - يخبره أنه قتل عروة فليحذر قيسا . فنشر حرب بن أمية الخبر بين أشرف قريش - ومنهم عبد الله بن جدعان وهشام بن المغيرة والد أبى جهل - واجتمعوا وتشاوروا وقالوا : « نخشى أن تطلب قيس بشار قتيلا ولا ترضى أن يقتل البراض به لانه خليع » . واتفق رأيهم أن يخسأطبوا عامر بن مالك سيد قيس بذلك ، فاتوه وقالوا له ذلك فأجاز بين الناس وأعلم قومه ما قيل له وأوشكو أن يصطلحوا

واتفق أن قوما من قريش كانوا فى عكاظ وبلغهم ما فعله البراض ، وخافوا أن يكون قومهم فى ضيق فركبوا الى مكة لنصرتهم ، فلما بلغ رئيس قيس ذلك عده غدرا من قريش (أو كنانة لانهما فرعان) واقسم أن لا تنزل كنانة عكاظ أبدا ثم ركبوا فى طلبهم حتى أدركوهم فى نخلة ، فاقتتل القسوم وكادت قريش تهزم ولكنها لجأت الى الحرم فاحتمت به ، وكان معهم فى ذلك اليوم محمد صاحب الشريعة الاسلامية (صلعم) وسنه عشرون سنة

فلما دخلت قريش الحرم رجعت قيس عنها ، وواعدوهم على الالتقاء بسوق عكاظ بالعام المقبل لانهم لا يتركون دم عروة ، وعادت الى بلادها يحرض بعضها بعضا على الاخذ بالثأر

ثم جمعت جموعها ومعها ثقيف وغيرها ، وجمعت قريش جموعها وفيهم كنانة والاحابيش ، وفرقت السلاح فيهم وخرجوا وعلى كل بطن منهم

رئيس وعلى الجماعة حرب بن أمية (أمير الامراء) لكانه من عبد مناف سنا ومنزلة

وكانت قيس قد تقدمت الى عكاظ قبل قريش ، على كل بطن منهم رئيس . ومشت قريش حتى نزلت عكاظ وبها قيس . وكان مع حرب بن أمية اخوته سفيان وأبو سفيان والعاص وأبو العاص بنو أمية ، فقيّد حرب وسفيان وأبو سفيان وأبو العاص أنفسهم وقالوا : « لن يبرح رجل منا مكانه حتى نموت أو نظفر » ، فيومئذ سموا العنابس ، أي الاسود واقتتل الناس قتالا شديدا ، فكان الظفر اول النهار لقيس ، وانهمز كثير من بني كنانة وقريش وثبت بنو أمية ثبات الجبال ، حتى اذا انصف النهار عاد الظفر لقريش ، وقتلوا كثيرا من قيس ، ثم انهزمت قيس ثم تداعوا الى الصلح على أن يعدوا القتلى ، فأى الفريقين فضل له قتلى اخذ ديتهم من الفريق الآخر ، وفعلوا وعادوا الى الوفاق والوفاء (**)

الوقائع بين عامر بن صعصعة وقبائل أخرى

عامر بن صعصعة قبيلة من هوازن من قيس عيلان ، ولها شأن بين قبائل العرب ، وجاء ذكرها غير مرة فيما تقدم ، ولها وقائع عديدة جرت لها مع قبائل مضر وهي :

(١) يوم شعب جيلة (***) : بين عامر بن صعصعة وتعيم ، وسبب

(*) بدأت حروب الفجار بعد مولد الرسول صلوات الله عليه الى قبيل بمثنى . وهي من مجموعها حروب قبيلة قليلة الامية . ولكن فيمتها بالنسبة للزوج أنها تغطي فكرة عن حال قريش وقوتها واضارها وخصومها قبيل البعثة النبوية . ومع أننا نعتقد أن الكثير من وقائعها قد حرق الإخباريون ، إلا أن الفكرة العامة التي نخرج بها منها صحيحة . وأيام هذه الحروب تظهر لنا تماسك قريش واتحاد بطونها ورجالها ، وما كان لهم من بعد نظر وقدره سياسية وتنظيم دقيق ، وأبعد ما نلاحظه أن القرشيين لا يتهورون تهود بكر وتغلب في حرب البسوس أو عيبس وذبيان في حرب داحس والغبراء . بل يميلون الى التعتل والتدبير والتشاور قبل الاقدام على حرب . ونلاحظ أيضا أن قريشا كانت موحدة الكلمة في حرب خصومها رغم ما كان بين بيوتها من تنافس

وبقسم الاخباريون حروب الفجار دورين : والدور الاول يسمى أيام الفجار الاولى ، ووقعت فيه مناقشات ثلاث قليلة الامية تعرف بأيام الفجار الاول والثاني والثالث والدور الثاني يسمى أيام الفجار الثانية وهي :

يوم نخلة : لقيس عيلان على كنانة وقريش ، ونخلة موضع قريب من مكة فيه نخل وكروم
يوم شطة : لقيس على كنانة وقريش ، وشطة موضع قريب من عكاظ
يوم الميلاد : لقيس على كنانة وقريش . والميلاد علم على صخرة يضاء الى جنب عكاظ
يوم عكاظ : لكتانة وقريش على هوازن . وقد خرجت فيه قريش كلها وعلى كل بيت من بيوتها كبير ذلك البيت . فكان على بني هاشم الزبير بن عبد المطلب ومعه رسول الله صلى الله عليه وسلم (وكانت سنة ٢٠ سنة)

يوم الحريرة : لقيس على كنانة وقريش ، والحريرة موضع بين الايواء ومكة قرب نخلة
(*) لعاص (بن قيس) وحلفائهم من عيبس ، على تميم وحلفائهم من ذبيان واسد وغيرها . وجيلة جبل طويل له شعب عظيم واسع لا يرقى الجبل الا من قبله . ويوم جيلة من اعظم أيام العرب واشدها ، وكان قبل الاسلام يسبح وخمسين سنة
الإقاني ٢٢/١ - المقد الفريد ٢٠٧/٢ - ابن الاثير ٢٥٥/١

ذلك ان لقيط بن زرارة عزم على غزو عامر للأخذ بشأ أخ له كان أسيرا عندهم ومات. فبينما لقيط يتجهز بلفه ان بنى عامر وبنى عيسى تحالفا ، فخابر القبائل الاخرى لتحالفه على عيسى وعامر، فأجابته أسد وغطفان واستوثقوا واستكثروا ، وساروا وهم لا يشكون انهم ظافرون لأنهم سيفتزمون غرة القوم . وكان مع لقيط ابنته دختنوس ، وكان يغزو بها معه ويستشيرها في أموره . وبينما هم سائرون لقيهم كرب بن صفوان من أشراف سعد ، فحياهم وظل سائرا فخافوا أن يكون مسرعا لاطلاع أعدائهم على خبرهم . فاستوثقوه وسألوه لماذا لا يصحبهم بغزوهم ؟.. فقال : انه يبحث عن ابل ضلت منه . فأخذوا منه الموائيق الا يخبر احدا بمسيرهم فعاهدهم ، ولكنه غضب لهذه المعاملة . فلما دنا من عامر وعيسى أخذ خرقة وضع بها حنظلة وشوكا وتابا وخرقتين يمانيتين وخرقة حمراء وعشرة احجار سود ، ثم رمى بها حيث يسقون ولم يتكلم . فأخذها بعضهم وجاء بها الى قيس ابن زهير أمير عيسى فعلم ما يعنى الرجل بهذه الامور ، فقال : « هذا رجل قد أخذ عليه عهد الا يكلمكم ، يخبركم ان أعداءكم قد غزوكم عدد التراب وان شوكتهم شديدة . واما الحنظلة فهي رؤساء القوم . واما الخرقتان اليمانيتان فهما حيان من اليمن معهم . واما الخرقة الحمراء فهي حاجب ابن زرارة . واما الاحجار فهي عشر ليال يأتىكم القوم بها . قد أنذرتكم فكونوا أحرارا واصبروا كما يصبر الأحرار الكرام »

فأتوا على حكمته واستشاروه في ماذا يعملون ، فقال : « ادخلوا ابلكم هذا الشعب (شعب جيلة) ثم اظمنوها هذه الايام ولا توردها الماء ، فاذا جاء القوم اخرجوها عليهم وانخسوها بالسيوف والرماح ، فخرج مداعير عطاشا فتشغلهم وتفرق جمعهم ، واخرجوا انتم في آثارها واشغوا نفوسكم » . ففعلوا ما أمرهم به وكثر القتل في تميم ، وأسر جماعة من رؤسائهم وعنترة مع بنى عيسى ، وقتل لقيط وتمت الهزيمة على تميم وغطفان

(٢) يوم ذى جنب : هو ملحق بيوم شعب جيلة ، حدث بعده بسنة لان بنى عامر لما أصابوا ما أصابوه من تميم في ذلك اليوم رجوا ان يستاصلوهم ولكنهم فشلوا

(٣) يوم النصار : حدث بعد يوم جيلة وصبرت فيه عامر

(٤) يوم الجفار : حدث بعد يوم النصار بسنة ولا أهمية له

(٥) يوم المروت : وهذا أيضا بين تميم وعامر

(٦) يوم الرقم : هذا بين عامر وغطفان

وهناك وقائع اخرى بين العدنانية وبين مضر نفسها او غير ذلك اغفلناها لقلة أهميتها

حضرة العدنانية في مكة

١٢٤

اختلف المؤرخون في أصل اسم مكة ، والارجح عندنا انه اشوري أو بابلي ، لأن « مكأ » في البابلية « البيت » وهو اسم الكعبة عند العرب . ويدل ذلك على قدم هذه المدينة ، كانها سميت بذلك من عهد العمالة على أثر هجرتهم من بين النهرين ، فسموا المكان بها إشارة الى امتيازها بالبناء الحجري عن سائر ما يحيط بها من البادية (*) . واختلفوا أيضا في بدء بنائها ، كما اختلفوا في الأمم التي توالت عليها . والاشهر ان أول من سكنها العمالة ، وهو يؤيد أصلها البابلي . قالوا : وخلف العمالة عليها جرهم ، وهي فرقة من القحطانية نزحت من اليمن قديما . ثم جاءها بنو اسماعيل كما تقدم ، ثم الازد بعد سيل العرم (على زعمهم) ، ثم خزاعة فكانت ققرش ، وكانت تتوالى هذه الأمم وتتعاون ، فتتزل الواحدة على اثر الاخرى حتى تغلب عليها وتخلفها وتبقى من تلك بقية ، مما يطول شرحه فنكتفي بالمعقول منه

لم يرد ذكر مكة أو الكعبة في كتب قدماء اليونان ، الا ما جاء في كتاب ديودورس الصقلي في القرن الاول قبل الميلاد في أثناء كلامه عن النبطيين ، مما قد يراد به مكة ، وهو قوله : « ووراء أرض الانباط بلاد بنى (زومين) وفيها هيكمل يحترمه العرب كافة احتراما كثيرا » ، فلعلة يريد الكعبة ، وأما بنو زومين فربما أراد بهم جرهم أو غيرهم من قبائل العرب التي تولت مكة . والغالب انه يريد جرهم التي يسمونها الثانية ، اذ يؤخذ من اسماء ملوكها انها تولت ذلك المكان حوالي تاريخ الميلاد ، وهذه أسماؤهم عن أبي الفداء :

١ - جرهم	٥ - ثقيلة	٩ - الحارث
٢ - عبد ياليل	٦ - عبد المسيح	١٠ - عمرو
٣ - جرشم	٧ - مضاض	١١ - بشر
٤ - عبد المدان	٨ - عمرو	١٢ - مضاض

فوجود اسم عبد المسيح بين ملوك هذه الدولة يدل على قرب عهدها من

(*) ذكرها بطليموس الجغرافي باسم ماكورابا Makoraba ويبدو انها كانت مروفة قبل زمنه بوقت طويل

النصرانية . فاذا صح ذلك خالف ما يقوله العرب عن تزوج اسماعيل في جرحهم الثانية ، واسماعيل قبل الميلاد بتسعة عشر قرناً . وتخريج ذلك أما أن يكون اسماعيل تزوج في جرحهم الاولى ، أو أن يكون المراد بزواج اسماعيل زواج بعض أعقابيه أو قبيلته ، مما لا سبيل الى تحقيقه لضياغ الالة واختلاط الروايات . وعلى كل حال فإن الاسماعيلية - أو قبيلة منهم - والجهرمية أقاموا معا في مكة وما يليها ، حتى جاءتهم خزاعة وهي طائفة من عرب اليمن الذين يقول العرب أنهم هجروا بلادهم بعد سبيل العرم ورئيسها عمرو بن لحي نزلت مكة وأخرجت جرحها منها . وعمرو ابن لحي هذا هو المشهور بادخال الوثنية على عرب الحجاز ، واليه ينسبون كثيرا من اوابد الجاهلية . وفي الحديث : « رأيت عمرو بن لحي يجر قصبة في النار » يعني أحشاءه (١)

وقالوا : ليست خزاعة وحدها أخرجت جرحها من مكة ، وإنما استعانت على ذلك بكنانة - بطن من مضر . وقد عرف اليونان كنانة وذكرها صاحب كتاب الطواف حول البحر الاريتري في القرن الاول للميلاد وعين حدودها ، وهي توافق المعلوم عند العرب من سكنائها تهامة . ولما اجتمعت كنانة وخزاعة على جرحهم فرت الى اليمن على ما يقولون . ثم تنازعت خزاعة وكنانة ، وغلبت خزاعة واستقلت بأمر الكعبة وجعلت لمضر أعمالا تتولاها في الحج ، وهي الاجازة بالناس يوم عرفة والافاضة بهم غداة النحر من جمع الى منى ونسء الشهور الحرام

فأقام بنو خزاعة وبنو كنانة على ذلك مدة ، والولاية لخزاعة دونهم . وفي أثناء ذلك تشعبت بطون كنانة ومضر كلها ، وصاروا أحياء وبيوتات متفرقين ، وهم اذ ذاك يقيمون بظواهرها

وصارت قريش فرقتين (*) : قريش البطاح ، وقريش الظواهر ، فقريش البطاح ولد قصي بن كلاب وسائر بني كعب بن لؤي . وقريش الظواهر من سواهم . وكانت خزاعة بادية لكنانة ، ثم صار بنو كنانة بادية

(١) ابن خلدون ٣٣٢ ج ٢

(*) لم تصل يد الى رأى نستقر عليه فيما يتصل بأصل اسم قريش . وللطبرى نصرطويل ينهم منه انه ليس اسم شخص ، بل اسم سكة ربما كانت طولم قريش ، أو سفة أطلقت على بعض زعمائها الاولين مثل النضر بن كنانة . ويلعب مصعب الزبيري وابن حزم وغيرهما ان « قريش » سفة أطلقت على قريش بن بدر بن مخلد أو على النضر بن كنانة . ويلعب ابن الكلبي الى انها أطلقت على فهر . أما الازرقى فيرى انها أطلقت على قصي . وبعضهم يشتقها من النقرش أى التجمع أو نسبة الى سكة القرش . وهناك تفسيرات أخرى لا يمكن الاطّئان اليها

انظر : الطبرى ١٨٧/٣ - مصعب الزبيري : نسب قريش ١٢ - ابن حزم في جمهرة أنساب العرب ١٠ - ابن دريد : الاشتقاق ١٨ - الأغانى ١٢/١ - الأزرقى : تاريخ مكة ٦١/١ - ابن قتيبة : المعارف ٣٧

لقريش ، ثم صارت قريش الظواهر بادية لقريش البطاح ، ويراد بقريش الظواهر من كان على أقل من مرحلة من مكة . ومن الضواحي من كان أكثر من ذلك ، وصار من سوى قريش وكنانة من قبائل مضر من الضواحي احياء بادية وظمونا ناجمة من بطون قيس وخندف من اشجع وعبس وفزارة ومرة وسليم وسعد وعامر وغيرهم كما تقدم

ونظرا لتحضر كنانة وقريش في مكة واستئثارها بمكان الحج كان لهما التقدم على سائر مضر ، وكانت كنانة قبل قريش ، وكان التقدم في قريش كله لبنى قوى بن غالب بن فهر بن مالك ، وسيدهم قصي بن كلاب بن مرة ابن كعب بن قوى

قصي بن كلاب

لقصي بن كلاب شأن كبير في تاريخ مكة ، لانه احدث فيها امورا مهمة كما يظهر مما يلي :

خلف كلاب ابنه قصيا في حجر امه وهي يمنية ، فتزوجها ربيعة بن حرام من بني عذرة وقصي طفل ، فاحتلمته الى بلاد بني عذرة وكان لها من كلاب ايضا ولد آخر اسمه زهرة ، تركته في مكة لانه كان كبيرا . ولما شب قصي وعرف نسبه رجع الى قومه . وكان الذي يلى البيت (الكعبة) يومئذ رجل من خزاعة اسمه حليل بن حبشية ، فاعجبه قصي فزوجه ابنته ، فولدت له عبد الدار وعبد مناف وعبد العزى وعبد قصي . ولما انتشر ولد قصي وكثر ماله وعظم شرفه مات حليل ، فرأى قصي انه احق بالكعبة ومكة من خزاعة ، وقد اطعمه في ذلك - فضلا عما فطر عليه من الانفة وحب الاستقلال - ان حليلا - حماء - لما عجز كان يعطى مغاتيح الكعبة لابنته فظلت بيدها ، وكان قصي ربما اخذها وفتح الباب للناس او اغلقه . فلما مات حليل اوصى بولاية البيت لقصي ، فابت خزاعة عليه ذلك ، فتمشى برجال قريش ودعاهم الى نصرته فاجابوه ، وكتب الى اخيه زراح في عذرة مستجيبا بهم ، فقدم مع اخوته من ربيعة ومن تبعهم من قضاة في جملة الحاج لنصرة قصي . وحدثت بسبب ذلك حروب ومنافرات انتهت بولاية البيت لقصي ، واستقر بمكة وجمع قريشا من منازلهم بين كنانة الى مكة وقطعها ارباعا ، فانزل كل رهل منهم في منزله كانه تغلهم من البدوة الى الحضارة . وكان ذلك في اواخر القرن الرابع للميلاد او اوائل الخامس للميلاد

وقصي اول من اصاب من قريش ملكا اطاعه به قومه ، فصار له لواء الحرب وحجابة البيت . وتيمنت قريش برأيه فصرفوا مشورتهم اليه ، فاتخذوا « دار الندوة » ازاء الكعبة في مشاوراتهم وجعلوا بابها الى المسجد ، فكانت مجتمع الملا من قريش في مهماتهم . ثم تصدى لاطعام

الحاج وسقانيته باعتبار انهم اضياف الله وزوار بيته ، وفرض على قریش خراجا يؤدونه اليه ، فحاز شرفهم كله ، وكانت له الحجابة والسقاية والرفادة والندوة واللواء

ولما اسن قصى - وكان يكره عبد الدار لانه كان ضعيفا ، واخوه عبد مناف قد شرف عليه في حياة ابيه - فاوصى قصى لعبد الدار بما كان له من الحجابة واللواء والندوة والرفادة والسقاية ، يجبر له بذلك ما نقصه من شرف عبد مناف . وكان امره في قومه كالدين المتبع لا يعدل عنه ، ثم قضى وقام بامره في قومه بنوه من بعده

اقاموا على ذلك مدة وسلطان مكة لهم ، ثم ظهر بنو عبد مناف على بنى عبد الدار وناقسوه على ما بأيديهم ونازعوهم ، فافترق امر قریش وصاروا فرقتين ، وكانت بطون قریش قد صارت ١٢ بطنا وهى :

- (١) بنو الحرث بن فهر (٢) بنو مخارب بن فهر (٣) عامر بن لؤى (٤) عدى بن كعب (٥) سهم بن عمرو (٦) بنو جمع بن عمرو (٧) بنو تميم ابن مرة (٨) بنو مخزوم بن يقظة (٩) بنو زهرة بن كلاب (١٠) بنو أسد ابن عبد العزى (١١) بنو عبد الدار (١٢) بنو عبد مناف

فاجمع بنو عبد مناف على انتزاع ما بأيدي بنى عبد الدار مما جعله لهم قصى ، وزعيمهم في ذلك عبد شمس اسن ولده ، وانقسمت قریش بين هذين الطرفين . فكان مع عبد مناف بنو أسد وزهرة وتيم والحرث ، واتحاز الباقي الى عبد الدار ، الا عامر والمخارب فاعتزلا الحزبين . وتعاهد اصحاب كل حزب حلفا اكدوه بالطيب ، فاحضر بنو عبد مناف جفنة مملوءة طيبا غمسوا فيها ايديهم فسمى حلف المطيبين . واجمعوا للحرب وتاهبوا لها ، ثم تداعوا للصلح وأرضوا بنى عبد مناف أن تكون لهم السقاية والرفادة ويختص بنو عبد الدار بالحجابة واللواء (١) فرضى الفريقان وتحاجز الناس ، ورئيس بنى عبد مناف هاشم بن عبد مناف

وتوفى هاشم في غزة من ارض الشام ، وخلف ابنه عبد المطلب صغيرا في يثرب عند أمه ، وهى من بنى عدى ، فكفله عمه عبد المطلب فاحتمله الى مكة وأردفه على بعيره ، وتوفى المطلب بعد حين فاصبح عبد المطلب خليفته على بنى هاشم ، وأقام الرفادة والسقاية للحاج على أحسن ما كان قومه يقيمونها بمكة قبله ، وكانت له رفادة على ملوك اليمن من حمير والحبشة ، وكان في جملة الذين وفدوا على ذى يزن الحميرى لما تولى الملك

وولد لعبد المطلب عشرة اولاد ، منهم عبد الله والد محمد (صلعم) صاحب الشريعة الاسلامية ، وست بنات . ويذكرون أنه أراد حفر بئر زمزم لرؤيا رآها فاعترضته قریش ومنعوه ، ولم يكن له من الولد من ينصره ،

فنفرد إذا ولد له عشرة أولاد يملفون معه حتى يمنعوه لينحرن أحدهم عند الكعبة ، جريا على عادتهم في ذلك العهد . فلما كفوا عشرة ضرب عليهم بالقنادر عند جبل الصنم الأعظم ، وذلك ضرب من الاستخارة عندهم ، فخرجت القنادر أن يذبح ابنه عبد الله . وتخير في أمره ، فأشار عليه بعضهم أن يستشير عرافة كانت لهم في المدينة ففعل ، فأشارت أن يقتديه بالابل ، ففداه بمائة منها

ولمعة الفيل

وفي أيام عبد المطلب حدثت واقعة الفيل ، وعرف ذلك العام بها فقيل عام الفيل ، وسببها أن أبرهة الحبشي لما أقام في اليمن وبنى القليس كما تقدم ، أراد أن يجعلها حج الرب فيصرف الناس إليها بدل الكعبة ، وتحدث العرب بذلك فغضب رجل من النساء من بني فقيم فذهب إلى القليس ونجسها بالافذار ورجع . فلما علم أبرهة أن الذي فعل ذلك من أهل الكعبة غضب وحلف ليسيرن إليها ويهدمها ، وتجهز وركب هو على فيل اسمه محمود ووراءه عدة أفيال على عادة الإحباش (*) . ولما تسامع العرب خبر حملته على مكة خافوا وجعلوا يتنافرون من طريقه ، حتى دنا من مكة فبغت رجلا انتهبوا أموال أهلها وفي جملة ذلك ٢٠٠ بعير لعبد المطلب سيد قريش ، وأنفذ إليه رسولا يقول : « لم آت لحربكم بل أتيت لهدم الكعبة » . وطلب عبد المطلب مقابلة أبرهة فلما لقيه قال له : « لم آت لأحمي الكعبة فان لها ربا يحميها وإنما جئت لأطلب إبلتي » فردها إليه . فرجع إلى قريش وأمرهم أن يخرجوا من مكة ويترحزوا في الجبال فأطاعوه (**) .

وأما أبرهة فحدث في معسكره اضطراب وأصيبوا بالوباء ، والعرب يقولون أن طيرا خرجت من البحر يقال لها إياويل رمت جند أبرهة بالحجارة فلم يصب أحد بحجر إلا هلك ، فترجعوا عن مكة وزادت الكعبة بذلك كرامة وتقديسا

(*) يستبعد أن يكون هذا هو السبب الذي حذر أبرهة على المسير إلى مكة لأن القليس كانت كنيسة للصاري ، فمن غير المقول أن يفكر أبرهة في جعلها محجا للحرب جيبا مكان الكعبة التي كانت مزارا وقلعا ، ثم أن الجواز لم يكن في منطقة نفوذ أبرهة ، ويستبعد أن يسير بحملة ضخمة من اليمن إلى الحجاز لجرد أن رجلا نجس القليس . وقد رجح الدكتور صالح أحمد المعنى أن يكون السبب ما رواه بروكوبيوس من أن البيزنطيين في صراعهم مع الساسانيين استجدوا بملك الحبشة ليمتهم بقوة عسكرية . فسار أبرهة وفي نيته أن يصل إلى الشام لينضم إلى جيوش البيزنطيين . ولم تدم الحملة . لأن أبرهة ارتد قبل أن يدخل مكة على ما هو معروف

انظر د. صالح أحمد المعنى : محاضرات في تاريخ العرب ، بغداد ١٩٥٥ ص ٣٣٠ - ٣٣١

(**) نستبعد أيضا صحة هذه الرواية . لأن عبد المطلب لو كان قد فعل ذلك لما غلبت مكانته بين المكين بعد ذلك . وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحملة في سورة الفيل ، فقال تعالى : « ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ، ألم يجعل كيدهم في تضليل ، وأرسل عليهم طيرا أبابيل ، ترميهم بحجارة من سجيل ، فجعلهم كعصف مأكول » . ويظن أن الطير الإياويل وحجارة السجيل كتابة عن وباء اجتاح الجيش الحبشي ، ويذكر ابن اسحاق أن أول معرفة العصابة والجلدي بقرى العرب هذا العام

ورجع عبد المطلب الى مكة وقد زاد رفعة ، وعلم ان بعض ملوك ساسان كان قد اهدى الكعبة تمثالين من ذهب واسيافا دفنتها جرمهم في زمزم عند خروجها ، فأمر بحفرها واستخرج التمثالين وضربهما حلية للكعبة وضرب الاسياف باب حديد لها . وكان لقريش خصائص وعادات وآداب تمتاز بها عن سائر العرب

المدينة (يثرب)

للمدينة

ومن مدن الحجاز العامرة أيضا المدينة (يثرب) وأهلها من غير عدنان ، يزعمون ان أصلهم من اليمن في جملة من هاجرها بعد سيل العرم ، ولها تاريخ قديم لا يعرف أوله . والمشهور عند العرب ان المدينة أول من نزلها العماليق ، أقام فيها منهم قبائل تسمى هف وسعد بن هفان وبنو مطرويل ، ثم نزلها اليهود من اقدم ازمانهم . قيل انهم أتوها من أيام موسى في أثناء حروبه مع الكنعانيين ، ولهم في ذلك حديث طويل قالوا : « لما وطئ موسى الشام وهلك أهلها بعث بمثا من رجاله الى الحجاز وفيه العماليق ، وأمرهم ان لا يستبقوا احدا ممن بلغوا الحلم الا من دخل في دينه ، فقدموا عليهم فقاتلهم فآظفهم الله عليهم فقتلهم وقتلوا ملكهم الارقم ، وأسروا ابنا له شابا جميلا كأحسن من رؤى في زمانه ، فضنوا به عن القتل وقالوا : نستحيه حتى تقدم به على موسى فيرى فيه رايه ، فاقبلوا وهو معهم وقبض الله موسى قبل قدومهم ، فلما قربوا وسمع بنو اسرائيل بذلك تلقوهم وسالوهم عن اخبارهم فأخبروهم بما فتح الله عليهم . قالوا : « فما هذا الفتى الذي معكم ؟ » فأخبروهم بقصته فقالوا : « ان هذه ممضية منكم لمخالفتكم أمر نبيكم ، والله لا دخلتهم علينا بلادا أبدا » ، فقالوا بينهم وبين الشام ، فقال ذلك الجيش : « ما بلد ان منعمت بلدكم خير لكم من البلد الذي فتحتموه وقتلتهم أهله فارجموا اليه » . فعادوا اليها فأقاموا بها (١)

ذلك ما يرويه العرب عن أول سكنى اليهود المدينة . وكان اليهود أهل مدينة وذكاء وتجارة ، فما لبثوا ان اقتنوا الضياع والاموال وأصبحت تجارة المدينة وثروتها في أيديهم . فرغب اخوانهم في الزواج اليهم ، ولا سيما ما أصابهم من الدل في دولة الروم ، وخصوصا بعد ظهور النصرانية وانتصار القياصرة لها . فكان اليهود يتوافدون الى المدينة عشائر وافرادا

من الاضطهاد او الظلم ، فتكاثروا في المدينة وظهر منهم عدة قبائل أشهرها قريظة والنضير وبنو هذل

ثم نزلها الاوس والخزرج وهم بطون من الازد الذين يقول العرب انهم من كهلان ، وانهم نزحوا من اليمن في جملة النازحين بعد سيل العرم ، وقد ذكرنا ذلك عند كلامنا عن الدول القحطانية خارج اليمن . نزل الاوس والخزرج هنا وهم في ضنك من العيش ، وكان على اليهود ملك شديد استبد بأولئك النازحين فاستجاروا بالفساسنة ، وقيل بالتبابعة ، فأعانوهم وانتقموا لهم في حديث طويل لا فائدة من ذكره (١) خلاصته ان الذين اتوا لاغاثتهم مكروا باليهود وقتلوا رؤساءهم ، فصارت الاوس والخزرج من يومئذ اعز اهل المدينة ، وسار ذكرهم وصارت لهم الاموال ونزلوا المدينة وبنوا بها القصور والاطام ، وهم الذين عرفوا بعد الاسلام بالانصار لانهم نصروا النبي لما هاجر اليهم

العروب بين الاوس والخزرج

ولم يزل الاوس والخزرج في اتفاق واجتماع حتى وقع الاختلاف بينهم وجرت الوقائع ، وأول حرب جرت بينهم تعرف بحرب سمير ، وكان سببها ان رجلا من بني ثعلبة من سعد بن ذبيان يقال له كعب بن العجلان نزل على مالك بن العجلان السلمي فخالفه وأقام معه ، فخرج كعب يوما الى سوق بني قينقاع فرأى رجلا من غطفان معه فرس وهو يقول : « ليأخذ هذا الفرس اعز اهل يثرب » فقال رجل : فلان ، وقال رجل آخر : احيحة بن الجلاح الاوسى ، وقال غيره : فلان بن فلان اليهودى افضل اهلها . فدفع كعب الفرس الى مالك بن العجلان فقال كعب : ألم اقل لكم ان حليفى مالكا افضلكم ؟.. ففضض من ذلك رجل من الاوس من بنى عمرو بنى عوف يقال له سمير وشتمه ، واترفقا وبقي كعب ما شاء الله . ثم قصد سوقا لهم بقاء فقصده سمير ولازمه حتى خلت السوق فقتله ، وأخبر مالك بن العجلان بقتله فأرسل الى بنى عمرو بن عوف يطلب قاتله فأرسلوا : « أنا لا ندرى من قتله » ، وترددت الرسل بينهم ، هو يطلب سميرا وهم ينكرون قتله ، ثم عرضوا عليه الدية فقبلها . وكانت دية بطون الانصار . ثم التقوا مرة أخرى واقتتلوا حتى حجز بينهم الليل ، وكان الظفر يومئذ للأوس ، فلما اترفقا ارسلت الاوس الى مالك يدعونه الى ان يحكم بينهم المنذر بن حرام التجارى الخزرجى جد حسان بن ثابت ابن المنذر ، فأجابهم الى ذلك فاتوا المنذر فحكم بينهم المنذر بان يعطوا كعبا حليفه مالك دية الصريح ، ثم يعود الى سنتهم القديمة . فرضوا بذلك وحملوا الدية ، واترفقا وقد شبت البغضاء في نفوسهم ولمكتت العدواة بينهم

وتوالت بينهم بعد ذلك عدة وقائع سفكت فيها الدماء . هي من قبيل أيام الحليف فيهم نصف دية النسيب منهم ، فأبى مالك إلا أخذ دية كاملة ، وامتنعوا من ذلك وقالوا : نعطى دية الحليف وهي النصف ، ولنح الأمر بينهم حتى آل إلى المحاربة ، فاجتمعوا والتقوا واقتتلوا قتالا شديداً واقتروا ، ودخل فيها سائر العرب التي قدمناها . فمن أيام الأوس والخزرج أيضا حرب كعب بن عمرو المازني ، جرت بين بنى حنظلة من الأوس وبنى مازن بن النجار من الخزرج . وحرب بنى عمرو بن عوف من الأوس وبنى الحرث من الخزرج ، وكانت شديدة فاز بها الخزرج . وحرب الحصين بن الاسلت بين بنى وائل بن زيد من الأوس وبنى مازن بن النجار من الخزرج ، فاز بها الخزرج . وحرب وبيع الظفري بين بنى ظفر من الأوس وبنى مالك بن النجار من الخزرج ، فاز بها الخزرج أيضا . ومن أيامهم حرب قارح ، وحرب حاطب ، ويوم الربيع ، ويوم البقيع (١) فازت الأوس في الآخرين منها . وكانوا إذا فرغوا من المعركة تصالحوا على الديات ، ولا يلبثون أن يعودوا إلى الخصام لأسباب يرجع أكثرها إلى الإنفة والأريحية ، من دفاع عن عرض أو انتصار لجار أو نحو ذلك

الطائف

ومن مدن الحجاز التي يمد أهلها حضرا الطائف ، وهي بلد حدائق ويساتين وفاكهة ورياحين ، كان أهلها من عدوان الدين منهم حكم العرب عامر بن الظرب ، وقد ذكرنا خبره في ما تقدم . وكثر عددهم حتى قاربوا سبعين ألفا ، بنى بعضهم على بعض فهلكوا وقل عددهم ، وكان قسي بن منبه « وهو من ثقيف » صهرا لعامر بن الظرب ، وكان بنوه بينهم قلما ضعف أمر عدوان تغلبت عليها ثقيف وهم فرع من هوازن (٢) ولها ذكر كثير في صدر الإسلام وبعده (*)

(١) ابن الأثير ٣٠٣ - ٣١٣ ج ١

(٢) ابن خلدون ٣٣٨ ج ٢

(*) إلى هنا ينتهي الكتاب . وقد قال المؤلف في مطلعته ونى مواضع كثيرة منه أن مشروع الكتاب أول الأمر كان على أن يقع في جزأين ، أولهما هذا والثاني يتناول الأديان والحضارة والمبادئ والنظم وما إلى ذلك . وقد أعد لذلك مادة طيبة لا زالت مضبوطة . ويبدو أنه استغنى عن كتابة الجزء الثاني بعد أن أخرج الجزء الأول من « تاريخ التمدن الإسلامي » وفيه مادة طيبة من حضارة العرب ونظمهم الاجتماعية وأديانهم قبل الإسلام

فهرس

صفحة

٥	تقديم
٩	مقدمة

تمهيد في مصادر تاريخ العرب قبل الاسلام

١٧	سقم هذا التاريخ
١٧	المصادر الكتابية أو الكتب المدونة
٢٨	المصادر المنقوشة على الآثار
٣٧	جغرافية بلاد العرب
٣٩	العرب
٤٠	من هم العرب واين مهد الساميين ؟
٤٥	اقسام تاريخ العرب

الطبقة الاولى العرب البائدة

٤٩	عرب الشمال في الطور الاول
٥٠	العمالقسة
٥٢	العمالقسة في العراق
٥٥	دولة حمورابي
٥٧	تمدن دولة حمورابي
٥٩	نظام الاجتماع
٦٢	التجارة ونظام الحكومة والملم
٦٤	هل دولة حمورابي عربية ؟
٦٤	العمالقسة في مصر (هيكتوس)
٦٧	دولة الشاسو
٦٩	هل الشاسو عرب ؟
٧٠	بقايا العمالقسة
٧٤	عماد

صفحة

٧٧ تمسود
٧٩ طسم وجديس
٨١ دولة الانباط
٨٣ مدينة بطرا
٨٥ الانباط
٨٦ ملوك الانباط
٩٠ تمسدن الانباط
٩٢ هل الانباط عرب ؟
٩٨ دولة تدمر
١٠١ زينوبيا
١٠٤ الزباء وزينوبيا
١٠٥ آثار تدمر
١٠٦ لفة آثار تدمر وكثاباتها
١٠٧ تمسدن تدمر
١٠٩ أم متفرقة في شمال بلاد العرب
١١٠ غزو المصريين بلاد العرب
١١١ غزو الاشوريين بلاد العرب
١١٤ غزو الفرس وغيرهم بلاد العرب

الطبقة الثانية

دول اليمن او الجنوب

١١٩ دول اليمن
١٢٠ مايقوله العرب عن دول اليمن
١٢٣ التبايعه عند العرب
١٢٤ فتح الاحباش اليمن
١٢٦ ما يقوله اليونان عن تاريخ اليمن
١٢٨ تمهيد في اصل حكومات اليمن
١٣٠ الدولة المعينية
١٣١ ملوك معيني

صفحة

٢٢	أصل الميينين
٣٦	الدولة السبابة
٣٨	دولة سبا الحقيقية
٣٩	سبب انقضاء دولة سبا
٤١	دولة حمير أو العصر الحجري
٤٣	الطبقة الاولى من ملوك حمير
٤٣	الطبقة الثانية من ملوك حمير
٤٦	العصر الحبشى فى اليمن
٤٧	فتح الاحباش الاخير
٥٢	دولة اليمن الصغرى
٥٦	تمدن اليمن القديم
٥٦	النظام الاجتماعى
٥٩	الصناعة والزراعة والتعدين
٦٢	العمارة
٦٩	الاسـداد
٧٠	سد مأرب أو سد العرم
٧١	رواية الهمدانى عن سد مأرب
٧٦	من بنى هذا السد ٥٠٠ ومتى ؟
٧٨	التجارة فى بلاد العرب
٨١	الحضارة

الطبقة الثالثة المدنانية أو الاسماعيلية

٨٥	عرب الشمال
٨٨	أقدم أخبار المدنانيين
٩١	عرب عدنان
٩٢	قضاة
٩٥	جذيمة الابرش
٩٨	انمار • آباد

طبع مطابع
مؤسسة دار الهلال

Handwritten text on a yellow label, possibly a library or archival mark, including the word "KAR" and some illegible characters.